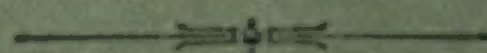
ألف ليلة وليلة

الكتاب الثاني



قد هذَّبهُ وصححهُ احد الآباء اليسوعيين

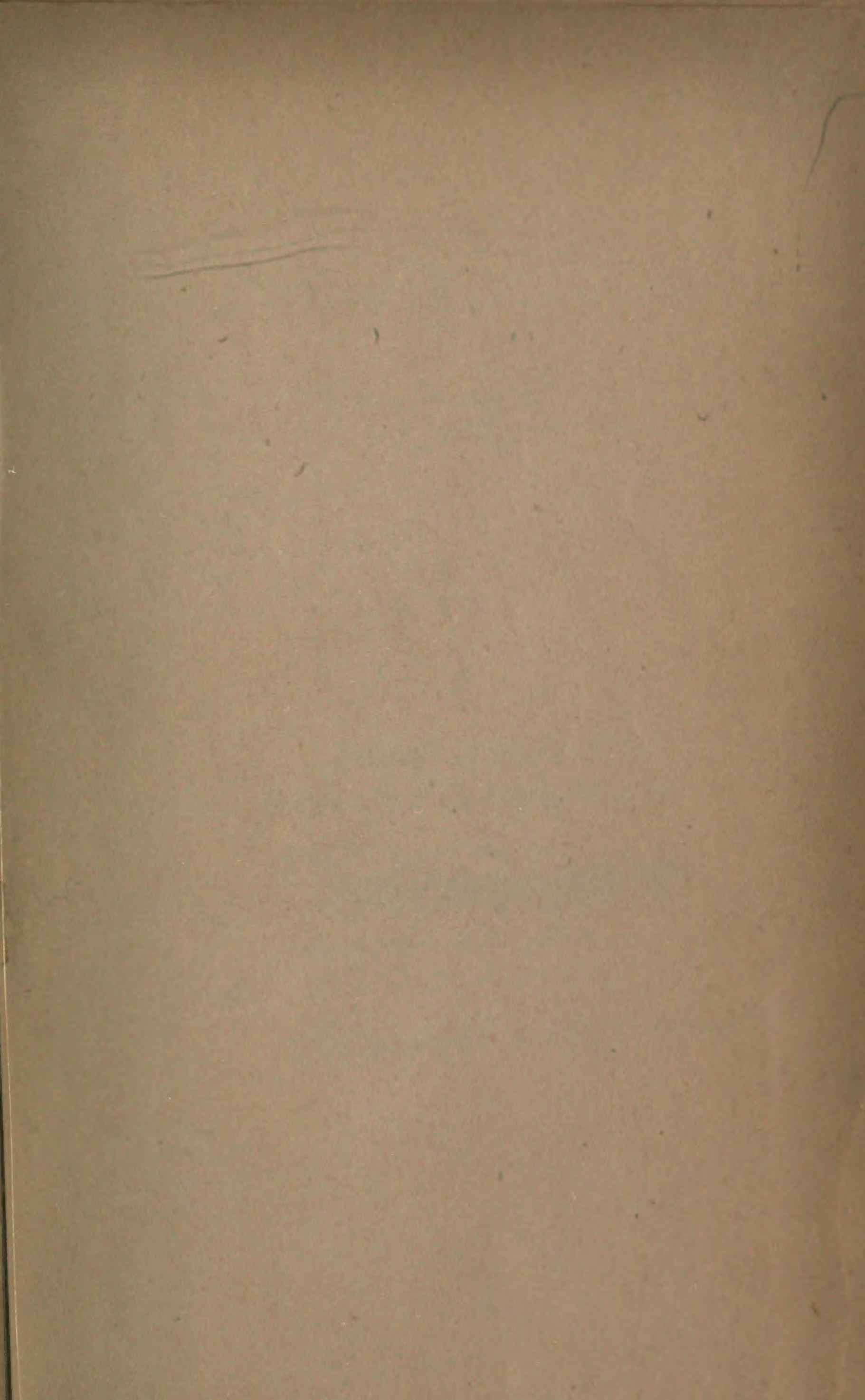


المطبعة الكاثوليكية

للآباء اليسوعيين في بيروت

١٨٨٩

اعادة طبعهِ محفوظة للمطبعة



ألف ليلة وليلة

الكتاب الثاني

قد هذَّبهُ وصحَّحهُ احد الآباء اليسوعيين



المطبعة الكاثوليكية

للآباء اليسوعيين في بيروت

١٨٨٩

اعادة طبعهِ محفوظة للمطبعة

بيروت ولايتي معارف مجلسي طرفندن ويريلان ١٥٨ نومرولو
رخصتنامه ايله طبع اولنمشدر


LIBRARY
JUL 10 1967
UNIVERSITY OF TORONTO

كتاب

الف ليلة وليلة

حكاية سليمان شاه

(الليلة السابعة بعد المائة) . قال الوزير : اعلم ايها الملك السعيد انهُ كان في سالف الزمان . مدينة وراء جبال اصبهان . يقال لها المدينة الخضراء . وكان بها ملك يقال لهُ الملك سليمان شاه. وكان صاحب جود واحسان . وعدل وامان . وفضل وامتنان . سارت اليهِ الركبان . من كل مكان . وشاع ذكره في سائر الاقطار والبلدان. واقام في المملكة مدة مديدة من الزمان. وهو في عزّ واطمئنان . الّا انهُ كان خاليًا من الاولاد والزوجات. وكان لهُ وزير يقاربه في الصفات . من الجود والهبات . فاتفق انهُ ارسل الى وزيره يومًا من الايام واحضره بين يديه وقال لهُ : يا وزيري انهُ قد ضاق صدري . وعيل صبري . وضعف مني الجلد. لكوني بلا زوجة ولا ولد. وما هذا سبيل الملوك والحكام على كل امير وصعلوك . فانهم يفرحون بالاولاد . وتتضاعف لهم بهم العدَد والاعداد . فما عندك من الرأي يا وزير . فاشر عليَّ بما فيهِ النصح من التدبير. . فلما سمع الوزير ذلك الكلام . فاضت الدموع من عينه بالانسجام وقال لهُ : هيهات يا ملك الزمان. ان اتكلم فيما هو من خصائص الرحمن . أتريد ان أدخل النار بسخط الملك الجبَّار . فان شئت فاشترِ لك جاريةً . فقال لهُ الملك : اعلم ايها الوزير ان الملك اذا اشترى جاريةً لا يعلم حسبها . ولا يعرف نسبها . فهو لا يدري خساسة اصلها . ولا شرف عنصرها . وربما ولدت لهُ ولدًا منافقًا ظالمًا سافكًا للدماء . فيكون

مثلها مثل الارض السبخة اذا زُرع فيها زرع فانهُ يخبث نباته. ولا يحسن ثباته وقد يكون ذلك الولد متعرضاً لسخط مولاه . ولا يفعل ما أمرهُ بهِ ولا يجتنب ما نهاه عنــه . فانا لا أتسبب في هذا بشراء جارية ابداً . وانما مرادي ان تخطب لي بنتاً من بنات الملوك يكون نسبهــا معروفاً . وجمــالها موصوفاً . فان دللتني على ذات النسب والدين . من بنات الملوك المسلمين . فاني اخطبها واتزوَّج بها على رؤوس الاشهاد. ليحصل لي بذلك رضى ربّ العباد . فقال لهُ الوزير : ان الله قضى حاجتك . وبلغك أُمنيتك . اعلم ايهــا الملك انهُ بلغني ان الملك زهر شــاه صاحب الارض البيضاء لهُ بنت بارعة الجمال . يعجز عن وصفها القيل والقال . ولا يوجد لهــا في هذا الزمان مثيل لانها في غاية الكمال . ونهــاية الاعتدال . والرأي عندي ايهــا الملك ان ترسل الى ابيها رسولاً فطنــاً خبيراً بالامور . مجرّباً لتصاريف الدهور . ليتلطف في خطبتهــا لك من ابيها . فانها لا نظير لهــا في قاصي الارض ودانيها . وتحظى منهــا بالوجه الجميل . ويرضى عليك الرب الجليــل . فقد ورد عن النبي (صلعم) انهُ قال : لا رهبــانية في الاسلام . فعند ذلك دخل الملك كمال الفرح . واتسع صدره وانشرح . وزال عنهُ الهمّ والغمّ . ثم اقبل على الوزير وقال لهُ : اعلم ايها الوزير انهُ لا يتوجه الى هذا الامر الّا أنت لكمال عقلك وادبك . قم الى منزلك واقضِ اشغالك وتجهز في غدٍ واخطب لي هذه البنت ولا تعد اليَّ الّا بها . فقال : سمعاً وطاعة

ثم ان الوزير توجه الى منزله واستدعى بالهــدايا التي تصلح للملوك من الجــواهر . ونفيس الذخائر . وغير ذلك مما هو خفيف في الحمل ثقيــل في الثمن . ومن الخيــل العربية . والدروع الداودية . وصناديق المــال. التي يعجز عن وصفها المقال . ثم حملوها على البغال والجمال . وتوجه الوزير ومعهُ مــائة

مملوك ومائة عبد ومائة جارية . وانتشرت على رأسه الرايات والاعلام . واوصاه الملك ان ياتي اليهِ في مدة قليلة من الايام . وسار الوزير ليلًا ونهـارًا . يطوي بورًا وقفارًا . حتى بقي بينهُ وبين المدينة التي هو متوجه اليها يوم واحد . ثم نزل على شاطئ نهر وأحضر بعض خواصه وأمره ان يتوجه الى الملك زهر شاه بسرعةٍ ويخبره بقدومه عليه. فقال: سمعًا وطاعةً . ثم توجه بسرعة الى تلك المدينة . فلما قدم عليها وافق قدومه ان الملك زهر شاه كان جالسًا في بعض المنتزهات قدام باب المدينة فرآه وهو داخل وعرف انهُ غريب. فأمر باحضاره بين يديه. فلما حضر الرسول اخبره بقدوم وزير الملـك الاعظم سليمان شاه صاحب الأرض الخضراء وجبال اصبهان . ففرح الملك زهر شاه ورحب بالرسول واخذه وتوجَّه الى قصره وقال : اين فارقت الوزير . فقال : فارقتهُ في اول النهار على شاطئ النهر الفلاني وفي غدٍ يكون واصلًا اليك. ادام الله نعمته عليك. ورحم والديك . فأمر زهر شاه بعض وزرائهِ ان يأخذ معظم خواصه وحجـابه ونوابه وارباب دولتـه ويخرج بهم الى مقابلته تعظيمًا للملك سليمان شاه لانَّ حكمه نافذ في الارض

هذا ما كان من امر زهرِ شاه . واما ما كان من امر الوزير فانهُ استقرَّ في مكانه الى نصف الليـل ثم رحل متوجهًا الى المدينة . فلما لاح الصبـاح . واشرقت الشمس على الروابي والبطاح . لم يشعر الَّا ووزير الملك زهر شاه وحجابه وارباب دولته وخواص مملكته قدموا عليه واجتمعوا بهِ على فراسخ من المدينـة . فايقن الوزير بقضاء حاجتـه وسلَّم على الذين قابلوه . ولم يزالوا سائرين قدامه حتى وصلوا الى قصر الملك ودخلوا بين يديه في باب القصر الى سابع دهليز. وهو المكان الذي لا يدخله الراكب لانهُ قريب من الملـك . فترجَّل الوزير وسعى على قدميه حتى وصل الى ايوان عالٍ . وفي صدر ذلك الايوان سرير من المرمر.

مرصّع بالدرّ والجوهر . وله اربع قوائم من انياب الفيل . وعلى ذلك السرير مرتبة من الاطلس الاخضر . مطرزة بالذهب الاحمر . ومن فوقها سرادق مرصع بالدرّ والجوهر . والملك زهر شاه جالس على ذلك السرير وارباب دولته واقفون في خدمته

(الليلة الثامنة بعد المائة) فلما دخل الوزير عليه . وصار بين يديه . ثَبت جنانه . وأطلق لسانه . وأبدى فصاحة الوزراء . وتكلم بكلام البلغاء . واشار الى الملك بلطف التفات . وأنشد هذه الابيات :

وافى وأقبل في الغلائل ينثني	يولي الندى للمجتني والمجتني
ورقى فما تغني التمائم والرقى	والسحر من لحظات تلك الاعينِ
قُل للعواذل لا تلوموا انني	طول المدى عن حبهِ لا انثني
حتى فؤادي خانني ووفى لهُ	وكذا الرقاد صبا اليهِ وملّني
يا قلب ما امسيت وحدك رافةً	فامكث لديهِ وان تكن اوحشتني
لا شيء يطرب مسمعي بسماعهِ	الّا الثناء لزهر شاه اجتني
مالكٌ اذا أنفقت عمرك كلهُ	في نظرةٍ من وجههِ انت الغني
واذا انتخبت لهُ دعاء صالحًا	لم تلقَ غير مشاركٍ ومؤمنِ
يا اهل ذا الملك الذي من فاتهُ	ورجا سواهُ فما اراه بمؤمنِ

فلما فرغ الوزير من هذا النظام . قربهُ الملك زهر شاه واكرمه غاية الاكرام . واجلسه بجانبه وتبسم في وجهه وشرفه بلطيف الكلام . ولم يزالوا على ذلك الى وقت الصباح . ثم قدموا السماط في ذلك الايوان فاكلوا جميعًا حتى اكتفوا . ثم رفعوا السماط وخرج كل من في المجلس ولم يبقَ الّا الخواص . فلما رأى الوزير خلوّ المكان نهض قائمًا على قدميهِ . وأثنى على الملك وقبل

الارض بين يديهِ . ثم قال : ايها الملك الكبير . والسيد الخطير . اني سعيت اليك . وقدمت عليك . في امر لك فيهِ الصلاح . والخير والفلاح . وهو اني قد اتيتكَ رسولاً خاطباً . وفي بنتك الحسيبة النسيبة راغباً . من عند الملك سليمان شاه صاحب العدل والامان . والفضل والاحسان . ملك الارض الخضراء . وجبال اصبهان . وقد ارسل اليك الهدايا الكثيرة . والتحف الغزيرة . وهو في مصاهرتك راغب . فهل انت لهُ كذلك طالب . ثم انهُ سكت ينتظر الجواب . فلما سمع الملك زهر شاه ذلك الكلام نهض قائماً على الاقدام . ولثم الارض باحتشام . فتعجب الحاضرون من خضوع الملك للرسول . واندهشت منهم العقول . ثم ان الملك اثنى على ذي الجلال والاكرام . وقال وهو في حالة القيام : ايها الوزير المعظم . والسيد المكرَّم . اسمع ما اقول . انا للملك سليمان شاه . من جملة رعاياه . ونتشرَّف بنسبه ونتنافس فيه . وابنتي جارية من جملة جواريه . وهذا اجلّ مرادي . ليكون ذخري واعتمادي . ثم انهُ أحضر القضاة والشهود وشهدوا ان الملك سليمان شاه وكَّل وزيره في الزواج . وتولَّى الملك زهر شاه عقد بنته بابتهاج . ثم ان القضاة احكموا عقد الزواج ودعوا لهما بالفوز والنجاح . فعند ذلك قام الوزير واحضر ما جاء بهِ من الهدايا . ونفائس التحف والعطايا . وقدم الجميع للملك زهر شاه

ثم ان الملك اخذ في تجهيز ابنته واكرام الوزير . وعمَّ بولائمهِ العظيم والحقير . واستمرَّ في اقامة الفرح مدة شهرين . ولم يترك فيهِ شيئاً مما يسرّ القلب والعين . ولما تمَّ ما تحتاج اليهِ العروسة امر الملك باخراج الخيام . فضُربت بظاهر المدينة وعبوا القماش في الصناديق . وهيأُوا الجواري الروميات . والوصائف التركيات . واصحب العروسة بنفيس الذخائر . وثمين الجواهر . ثم صنع لها محفَّة من الذهب

الاحمر . مرصعة بالدر والجوهر . وأفرد لها عشرين بغالاً للمسير . وصارت تلك الحفة كانها مقصورة من المقاصير . ثم رزموا الذخائر والاموال . وحملوها على البغال والجمال . وتوجه الملك زهر شاه معهم قدر ثلثة فراسخ . ثم ودَّع الوزير ومن معهُ ورجع الى الاوطان . في فرح وامان

(الليلة التاسعة بعد المائة) . وتوجَّه الوزير بابنة الملك وسار . ولم يزل يطوي المراحل والقفار . ويجدّ السير في الليل والنهار . حتى بقي بينهُ وبين بلاده ثلاثة ايام . ثم ارسل الى الملك سليمان شاه من يخبره بقدوم العروسة . فاسرع الرسول بالسير حتى وصل الى الملك واخبره بقدوم العروسة . ففرح الملك سليمان شاه وخلع على الرسول . وأمر عساكره ان يخرجوا في موكب عظيم الى ملاقاة العروسة ومن معها بالتكريم . وان يكونوا في احسن البهجات . وان ينشروا على رؤوسهم الرايات . فامتثلوا امره . ونادى منادٍ في المدينة انهُ لا تبقى بنت مخدرة . ولا حرَّة موقرة . ولا عجوز مكسرة . الَّا وتخرج الى لقاء العروسة . فخرجوا جميعاً الى لقائها . وسعت كبراؤهم في خدمتها . واتفقوا على ان يتوجهوا بها في الليل الى قصر الملك واتفق ارباب الدولة على ان يزينوا الطريق وان يقفوا حتى تمرَّ بهم العروسة والخدام قدامها والجواري بين يديها . وعليها الخلعة التي اعطاها اياها ابوها . فلما اقبلت احاط بها العسكر ذات اليمين وذات الشمال . ولم تزل الحفة سائرة بها الى ان قربت من القصر ولم يبقَ احد الَّا وقد خرج ليتفرَّج عليها . وصارت الطبول ضاربةً . والرماح لاعبةً . والبوقات صائحة . وروائح الطيب فائحة . والرايات خافقة . والخيل متسابقة . حتى وصلوا الى باب القصر . وتقدمت الغلمان بالحفة الى باب السر . فأضاء المكان من بهجتها . واشرقت جهاته بحلي زينتها فلما أقبل الليل فتح الخدام ابواب السرادق ووقفوا وهم محيطون بالباب . ثم جاءت

العروسة وهي بين الجواري كالقمر بين النجوم. او الدرَّة الفريدة بين اللؤلؤ المنظوم. ثم دخلت المقصورة وقد نصبوا لها سريرًا من المرمر. مرصعًا بالدر والجوهر. فجلست عليهِ واحتفلوا بالزواج اعظم حفلة حتى قيل انهُ لم يجرِ لها مثيل في جميع المملكة

وبعد سنة ولدت الملكة غلامًا ذكرًا تلوح عليهِ علامات السعادة. فلما سمع الملك بالولد فرح فرحًا جليلًا. واعطى المبشر مالًا جزيلًا. ومن فرحه توجه الى الغلام وقبله بين عينيه وتعجب من جماله الباهر. وتحقق فيهِ قول الشاعر:

الله خوَّل منهُ آجام العلا اسدًا وآفاق الرئاسة كوكبا

هشَّت لمطلعهِ الاسنَّة والاسرَّة م والمحافلُ والجحافلُ والظبى

لا تُركبوه على النهود فانهُ ليرى ظهور الخيل اوطأ مركبا

وليفطموهُ عن الرضاع فانهُ ليرى دم الاعداء احلى مشربا

ثم ان القوابل اخذنَ ذلك المولود وقطعنَ سرَّته. وكحلنَ مقلته. وسمَّينهُ تاج الملوك خاران. وارتضع ثدي الدلال. وتربى في حجر الاقبال. ولا زالت الايام تجري. والاعوام تمضي. حتى صار لهُ من العمر سبع سنين. فعند ذلك أحضر الملك سليمان شاه العلماء والحكماء. وأمرهم ان يعلموا ولده الخط والحكمة والادب. فمكثوا على ذلك مدة سنين حتى تعلَّم ما يحتاج اليه الامر. فلما عرف جميع ما طلبه الملك احضره من عند الفقهاء والمعلمين واحضر لهُ استاذًا يعلمه الفروسية. فلم يزل يعلمه حتى صار لهُ من العمر اربع عشرة سنة. وكان اذا خرج الى بعض اشغاله يسبح الله كل من رآه

(الليلة العاشرة بعد المائة). فلما بلغ من العمر ثمانية عشر عامًا. دبَّ عذاره الاخضر. على شامة خده الاحمر. وزانها خال كنقطة عنبر. كما قال فيهِ الشاعر:

اضحى ليوسف في الجمال خليفة تخشاه كل الناظرين اذا بدا

عرّج معي وانظر اليهِ لكي ترى | في خدهِ علم الخلافة اسودا
وكما قال الآخر :

ما ابصرت عيناك احسن منظرًا | فيما يرى من سائر الاشياء
كالشامة الخضراء فوق الوجنةِ | الحمراء تحت المقلة السوداء

وكما قال الآخر :

عجبت لخالٍ يعبد النار دائمًا | بخدك لم يُحرق بها وهو كافرُ
واعجب من ذا ان باللحظ مرسلًا | يصدّق بالآيات وهو لساحرُ
وما اخضرَّ ذاك الخال نبتًا وانما | لكثرة ما شقت عليهِ المرائرُ

ثم صار لتاج الملوك خاران اصحاب واحباب . وكل من تقرَّب اليهِ يرجو انهُ يصير سلطانًا بعد موت ابيهِ وانهُ يكون عنده اميرًا . ثم انهُ تعلق بالصيد والقنص وصار لا يفتر عنهُ ساعة واحدة . وكان والده الملك سليمان شاه ينهاه عن ذلك مخافةً عليهِ من آفات البرّ والوحوش . فلم يقبل منهُ ذلك . واتفق انهُ قال لخدامه : خذوا معكم عليق عشرة ايام . فامتثلوا ما أمرهم به

فلما خرج باتباعه للصيد والقنص ساروا في البرّ . ولم يزالوا سائرين اربعة ايام حتى اشرفوا على ارض خضراء فرأوا فيها وحوشًا راتعة . واشجارًا يانعة . وعيونًا نابعة . فقال تاج الملوك لأتباعه . انصبوا الحبائل هنا وأوسعوا دائرة حلقتها . ويكون اجتماعنا عند راس الحلقة في المكان الفلاني فامتثلوا امره ونصبوا الحبائل ووسعوا دائرة حلقتها . فاجتمع فيها شيء كثير من اصناف الوحوش والغزلان . الى ان ضجت منهم الوحوش ونفرت في وجوه الخيل . فاغرى عليها الكلاب والفهود والصقور . ثم ضربوا الوحوش بالنشاب فاصابوا مقاتلها . وما وصلوا الى آخر الحلقة الا وقد اخذوا من الوحوش شيئًا كثيرًا وهرب الباقي . وبعد ذلك نزل

تاج الملوك على الماء واحضر الصيد وقسمه. وأفرد لابيه سليمان شاه خاصّ الوحوش وارسله اليه. وفرّق البعض على ارباب دولته. و بات تلك الليلة في ذلك المكان فلما اصبح الصباح أقبلت عليهم قافلة كبيرة مشتملة على عبيد وغلمان وتجار. فنزلت تلك القافلة على الماء والخضرة. فلما رآهم تاج الملوك قال لبعض اصحابه: ائتني بخبر هؤلاء واسألهم لاي شيء نزلوا في هذا المكان. فلما توجّه اليهم الرسول قال لهم: أخبرونا من انتم واسرعوا في ردّ الجواب. فقالوا لهُ: نحن تجّار ونزلنا هنا لاجل الراحة. لان المنزل بعيد علينا. وقد نزلنا في هذا المكان لاننا مطمئنون بالملك سليمان شاه وولده. ونعلم ان كل من نزل عنده صار في امان واطمئنان. ومعنا كسوةٌ نفيسة جئنا بها من اجل ولده تاج الملوك. فرجع الرسول الى ابن الملك واعلمه بحقيقة الحال واخبره بما سمعهُ من التجار. فقال ابن الملك: اذا كان معهم شيء من اجلي فليجيئوا بهِ فما ادخل المدينة ولا ارحل من هذا المكان حتى يعرض عليّ. ثم ركب جواده وسار وسارت مماليكه خلفه الى ان اشرف على القافلة. فقام لهُ التجار ودعوا لهُ بالنصر والاقبال. ودوام العزّ والافضال. وقد ضربت لهُ خيمة من الاطلس الاحمر. مزركشة بالدر والجوهر. وفرشوا لهُ مقعدًا سلطانيًا فوق بساط من الحرير وصدره مزركش بالزمرّد. فجلس تاج الملوك ووقفت المماليك في خدمته وارسل الى التجار وامرهم ان يحضروا بجميع ما معهم. فأقبل عليهِ التجار ببضائعهم. فاستعرض جميع بضاعتهم واخذ منها ما يصلح لهُ وأوفى لهم بالثمن. ثم ركب واراد ان يسير. فلاحت منهُ التفاتة الى القافلة فرأى شابًا جميل الشباب. نظيف الثياب. ظريف المعاني. بجبين ازهر. ووجه اقمر. الّا ان ذلك الشاب قد تغيّرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب. وزاد بهِ الانين والانتحاب. وسالت من جفنيهِ العبرات. وهو ينشد هذه الابيات:

طال الفراق ودام الهمّ والوجلُ والدمع من مقلتي يا صاح منهملْ
والقلب ودعتهُ يوم الفراق وقد بقيت فرداً فلا قلبٌ ولا املُ

(الليلة الحادية عشرة بعد المائة) . ثم ان الشاب بعد ما فرغ من الشعر بكى ساعة وغشي عليهِ . وتاج الملوك ناظر اليه . وهو يتعجب من امره . فلما افاق من غشيته نظر ابن الملك واقفاً على رأسه . فنهض قائماً على قدميه . وقبل الارض بين يديه . فقال لهُ تاج الملوك : لايّ شيء لم تعرض بضاعتك علينا . فقال : يا مولاي ان بضاعتي ليس فيها شيء يصلح لحضرة سعادتك . فقال : لا بدّ ان تعرض عليّ ما معك وتخبرني بحالك فاني اراك باكي العين حزين القلب . فان كنت مظلوماً ازلنا ظلامتك . وان كنت مديوناً قضينا دينك . فان قلبي قد احترق من اجلك حين رأيتك . ثم ان تاج الملوك امر بنصب كرسيين . فنصبوا لهُ كرسياً من العاج والابنوس مشبكاً بالذهب . وبسطوا لهُ بساطاً من الحرير . فجلس على الكرسي وأمر الشاب ان يجلس على البساط وقال لهُ : اعرض عليّ بضاعتك . فقال لهُ الشاب : يا مولاي لا تذكر لي ذلك فان بضاعتي ليست بمناسبة لك . فقال لهُ تاج الملوك : لا بدّ من ذلك . ثم أمر بعض غلمانه باحضارها . فاحضروها قهراً . فلما رآها الشاب جرت دموعه وبكى وانّ واشتكى واصعد الزفرات

ثم فتح بضاعته وعرضها على تاج الملوك قطعةً قطعةً وتفصيلةً تفصيلةً . واخرج من جملتها ثوباً من الاطلس منسوجاً بالذهب يساوي الفي دينار . فلما فتح الثوب وقعت من وسطهِ خرقة فاخذها الشاب بسرعة ووضعها تحت وركه وقد ذهل عن المعقول . فتعجب تاج الملوك من امره غاية العجب . ولم يعلم لذلك من سبب . ولما اخذ الخرقة ووضعها تحت وركه قال لهُ تاج الملوك : ما هذه الخرقة . فقال : يا مولاي ليس لك في هذه الخرقة حاجة . فقال لهُ ابن الملك : أرني اياها . قال

لهُ : يا مولاي انا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك الَّا لاجلها فاني لا اقدر ادعك تنظر اليها

(الليلة الثانية عشرة بعد المائة) . فقال لهُ تاج الملوك : لا بدَّ من ان انظر اليها . وألحَّ عليهِ واغتاظ . فاخرجها من تحت ركبته وبكى واشتكى واكثر من الأنَّات . وأنشد هذه الابيات :

لا تعذليه فان العذل يوجعهُ ... قد قلت حقًّا ولكن ليس يسمعهُ
استودع الله في البطحاء لي قمرًا ... بالحيّ من فلك الازرار مطلعهُ
ودَّعتهُ وبودي لو يودعني ... صفو الحياة واني لا اودعهُ
وكم تشفع لي يوم الفراق ضحىً ... وادمعي مستهلاتٌ وادمعهُ
لا اكذبُ الله ثوب العذر منخرقٌ ... عني بفرقته لكن ارقّعهُ
لا يستقرُّ لجنبي مضجعٌ وكذا ... لا يستقرُّ لهُ مذ بنت مضجعهُ
وقد سعى الدهر فيما بيننا بيدٍ ... عسراء تمنعني حظي وتمنعهُ
وصبّت الهمّ صرفًا عندما ملأت ... كأسًا تجرّع منها ما اجرّعهُ

فلما فرغ من شعره قال لهُ تاج الملوك : ارى احوالك غير مستقيمة فاخبرني ما سبب بكائك عند نظرك الى هذه الخرقة . فلما سمع الشاب ذكر الخرقة تنهد وقال : يا مولاي ان حديثي عجيب . وامري غريب . مع هذه الخرقة . ثم نشر الخرقة واذا فيها صورة غزال مرقومة بالحرير مزركشة بالذهب الاحمر . وقبالها صورة غزال آخر وهي مرقومة بالفضة . وفي رقبته طوق من الذهب الاحمر وثلاث قصبات من الزبرجد . فلما نظر تاج الملوك اليهِ والى حسن صنعته قال : سبحان الله الذي علم الانسان ما لم يعلم . وتعلق قلب تاج الملوك بحديث هذا الشاب فقال لهُ : احكِ لي قصتك

حكاية عزيز وعزيزة

فقال له : اعلم يا مولاي ان ابي كان من التجار الكبار ولم يرزق ولدًا غيري . وكان لي بنت عمّ تربيت انا واياها في بيت ابي . لان اباها مات وكان قبل موته اتفق هو وابي على ان يزوجاني بها . ثم تحدث والدي مع امي وقال لها : في هذه السنة نكتب كتاب عزيز على عزيزة واتفق مع امي على هذا الامر . ثم شرع ابي في تجهيز مؤن الولائم . فلما جهز ابي ادوات الفرح ومعدات العرس اراد ان يكتب الكتاب بعد صلاة الجمعة . فتوجه الى اصحابه من التجار وغيرهم واعلمهم بذلك . ومضت امي ودعت صواحباتها وذوات قرابتها . فلما جاء يوم الجمعة غسلوا القاعة المعدة للجلوس وغسلوا رخامها وفرشوا في دارنا البسط ووضعوا فيها ما يحتاج اليه الامر بعد ان زوّقوا حيطانها بالقماش المقصب . واتفق الناس على ان يجيئوا بيتنا بعد صلاة الجمعة . ثم مضى ابي وعمل الحلاويات واطباق السكر . وما بقي غير كتابة الكتاب . ثم ان امي ارسلتني الى الحمام وارسلت اليَّ كسوة جديدة من افخر الثياب . فلما خرجت من الحمام لبست تلك الكسوة الفاخرة وكانت مطيبة . فلما لبستها فاحت منها رائحة زكية عبقت في الطريق . ثم اردت ان اذهب الى الجامع فتذكرت صاحبًا لي فرجعت افتش عليه ليحضر كتابة الكتاب . وقلت في نفسي : اشتغل في هذا الامر الى ان يقرب وقت الصلاة . ثم اني دخلت زقاقًا ما دخلتهُ قط وكنت عرقانًا من أثر الحمام والكسوة الجديدة التي على جسدي . فساح عرقي وفاحت روائحي . فقعدت في راس الزقاق لارتاح على مصطبة وفرشت تحتي منديلًا مطرزًا كان معي فاشتدَّ عليَّ الحرّ فعرق جبيني وصار العرق ينحدر على وجهي . ولم

يمكني مسح العرق عن وجهي بالمنديل لانهُ مفروش تحتي . فاردت ان آخذ فرجيتي وامسح بها وجنتي . فما ادري الّا ومنديل ابيض وقع عليَّ من فوق . وكان ذلك المنديل ارقَّ من النسيم . ورؤيتهُ الطف من شفاء السقيم . فمسكتهُ بيدي ورفعت رأسي الى فوق لانظر من اين سقط هذا المنديل . فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال . واذا بها مطلة من طاقة في شباك من نحاس لم ترَ عيني اجمل منها وبالجملة يعجز عن وصفها لساني

(الليلة الثالثة عشرة بعد المائة) . ولمَّا رأتني نظرت اليها . وضعت اصبعها في فمها . ثم اخذت اصبعها الوسطى والصقتها بالشاهد ووضعتهما على صدرها . ثم ادخلت راسها من الطاقة وسدت باب الطاقة وانصرفت . فاعقبتني هذه النظرة حيرةً عظيمة . فلم اسمع ما قالت . ولم افهم ما بهِ اشارت . فنظرتُ الى الطاقة ثانياً فوجدتها مطبوقة . فصبرت الى مغيب الشمس فلم اسمع حساً ولم ارَ شخصاً . فقمت على حيلي من مكاني واخذت المنديل معي ثم فتحتهُ ففاحت منهُ رائحة المسك فحصل لي من تلك الرائحة طرب عظيم حتى صرت كاني في الجنة . ثم نشرتهُ بين يديَّ . فسقطت منهُ ورقة لطيفة ففتحت الورقة فرأيتها مضمخة بالروائح الزكيات ومكتوب فيها هذان البيتان :

كتب العذار ويالهُ من كاتبٍ سطرين في خديهِ بالريحانِ
وا حيرة القمرين منهُ اذا بدا واذا انثنى وا خجلة الاغصانِ

فلما رأيت ما على المنديل من الاشعار . زادت بي الاشواق والافكار . واخذت المنديل والورقة واتيت بهما الى البيت وانا لا ادري ما في المنديل من المضرة . فما وصلت الى البيت الّا بعد مدة من الليل فرأيت بنت عمي جالسة تبكي . فلما رأتني مسحت دموعها واقبلت عليَّ وسألتني عن سبب غيابي

واخبرتني ان : جميع الناس من امراء وكبراء وتجار وغيرهم قد اجتمعوا في بيتنا وحضر القاضي والشهود واكلوا الطعام واستمروا مدة جالسين ينتظرون حضورك من اجل كتب الكتاب. فلما يئسوا من حضورك تفرّقوا وذهبوا الى حال سبيلهم. وقالت لي : ان اباك اغتاظ بسبب ذلك غيظاً شديداً وحلف انهُ لا يكتب كتابنا الّا في السنة القابلة لانهُ غرم في هذا الفرح مالاً كثيرًا . ثم قالت لي : ما الذي جرى لكَ في هذا اليوم حتى تأخرت الى هذا الوقت وحصل ما حصل بسبب غيابك . فقلت لها : يابنت عمي لا تسألي عما جرى لي . وذكرت لها المنديل واخبرتها بالخبر من اوله الى آخره. فأخذت الورقة والمنديل وقرأت ما فيهما وجرت دموعها على خدودها . اما انا فما اكترثت بحزنها لان بالي كان اشتغل بصاحبة المنديل . وكنت ارغب ان اتزوّج بها واترك ابنة عمي . ومن ثم اخذت اقضي الايام في الشرب واللهو والمسرات

(الليلة الرابعة عشرة بعد المائة) . ولمّا رجعت ثاني يوم عند المساء رأيت ابنة عمي عزيزة قائمة . واحدى يديها قابضة على وتد مدقوق في الحائط ويدها الاخرى على صدرها وهي تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات :

وما وجد اعرابية بان اهلها فحنت الى بان الحجاز ورندهِ
اذا آنست ركباً تكفل شوقها بنار قراهُ والدموع بوردهِ
باعظم من وجدي وحبي وانما يرى انني اذنبتُ ذنباً بودهِ

فلما فرغت من شعرها التفتت اليَّ فرأتني فمسحت دموعها بكمها وتبسمت في وجهي وسلمت عليَّ . فلما سمعت كلامها رفستها برجلي في صدرها فانقلبت على الايوان فجاءت جبهتها على طرف الايوان . وكان هناك وتد فجاء في جبهتها . فتأملتها فرأيت جبينها قد انفتح وسال دمها . فسكتت ولم تنطق بحرف

واحد . ثم انها قامت في الحال واحرقت حراقاً وحشت بهِ ذلك الجرح وتعصبت بعصابة ومسحت الدم الذي سال على البساط . وكأنَّ ذلك شيء ما كان . ثم انها اتتني وتبسمت في وجهي وقالت لي بلـين الكلام : والله يا ابن عمي ما انا اردت الاستهزاء بكَ . ولكن قد كنت مشغولة بوجع رأسي . وكان في خاطري ان اخرج الدم . وفي هذه الساعة قد خفَّ وجع رأسي . وصـارت تسليني على ما بي . وانا لم ازل متزايد الهموم والغموم . ثم قدمت لي الطعام فرفستهُ برجلي فانكبت كل زبدية في ناحية وقلت : كل من كان عاشقاً فهو مجنون . لا يميل الى طعام ولا يلتذّ بمنام . فقالت لي ابنة عمي عزيزة : والله يا ابن عمي ان هذه علامات المحبة . وسالت دموعها ولمت شُقافة الزبادي ومسحت الطعام وجلست تسامرني

فلما اصبح الصبـاح . واضـاء بنوره ولاح . توجهت الى جهـلي والهوى وملذاتي . ولما رجعت عند المساء ودخلت البيت رأيت ابنة عمي قاعدة ووجهها الى الحائط وقد احترق قلبها من الهم والغم والغيرة . ولكن محبتها منعتها ان تخبرني بشيء مما عندها لما رات ما انا فيــهِ من كثرة الوجد . ثم نظرت اليها فرأيت على رأسها عصابتين احداهما من الوقعة على جبهتها . والاخرى على عينهـا بسبب وجع اصابها من شدة بكائها وهي في اسوإ الحالات

(الليلة الخـامسة عشرة بعد المائة) . فلما رأتني ابنة عمي وهي تبكي مسحت دموعها ونهضت اليَّ ولم تقدر ان تتكلم مما هي فيهِ . ولم تزل ساكتة برهة من الزمان . ثم انها اقبلت عليَّ وصارت تسليني بلين الكلام . ولم تجسر ان تأتيني بشيء من الطعام مخافة من غضبي عليها ورجاء ميلي اليها . ولم يكن لها قصد الا انها اتت اليَّ وقلعتني ثيابي . ثم بكت وانشدت هذين البيتين :

درِّج الايام تنـدرجِ وبيوت الهـمِّ لا تلجِ

ربَّ امرٍ عزَّ مطلبهُ قرَّبتهُ ساعة الفرجِ

ثم اني خرجتُ ثالث يوم وذهبت الى بنت الدلّالة المحتالة لاُدبّر امر الزواج . ولما اردتُ الانصراف اذا بها امسكتني وقالت لي : قف . فوقفت. فحلَّت منديلًا واخرجت هذه الخرقة ونشرتها قدَّامي وفيها صورة غزال على هذا المثال . فتعجبت منها غاية العجب . وحين اعطتني الخرقة التي فيها صورة الغزال قالت لي : هذا عمل اختي . فقلت لها : وما اسم اختكِ . قالت : اسمها نور الهدى. فاحتفظ بهذه الخرقة . ثم ودعتها وانصرفت وانا فرحان ومشيت الى ان دخلت على ابنة عمي فوجدتها تدقّ بيدها على صدرها وتبكي بدمع يباري السحب الماطرات . وتنشد هذه الابيات :

هبَّ ريحٌ من الحمى ونسيمٌ فاهاج الهوى بنشر هبوبهْ

يا نسيم الصبا هلمَّ الينا كل صبٍّ بحظهِ ونصيبهْ

حرَّم الله بعد وجه ابن عمي كل عيشٍ من الزمان وطيبهْ

ليت شعري هل قلبهُ مثل قلبي ذائبٌ من حرِّ الجوى ولهيبهْ

فلما رأتني قامت مسرعة ومسحت دموعها واقبلت عليَّ بلين كلامها وقالت لي : يا ابن عمي انت في فرحك قد لطف الله اليَّ بك . وانا في بكائي وحزني على فراقك. من يلومني ويعذرني . ولكن لا يؤاخذك الله من جهتي . اما انا فكنت مشغولاً بصورة هذا الغزال . فرميت الخرقة قدامها . فقامت وقعدت ولم تطق الصبر وافاضت دمع العين وقالت لي : هب لي هذه الخرقة . فوهبتها لها . فاخذتها ونشرتها ورأت ما فيها . ثم انها تبسمت في وجهي تبسم الغيظ ولاطفتني وقلعتني اثوابي ونشرتها وقالت : الله يخلصك من اعدائك ويكفيك شرَّهم . وانشدت هذه الابيات :

جسدٌ ناحلٌ وقلبٌ جريحٌ　　ودموعٌ على الخـدود تسيحُ
وحبيبٌ صعب التجني ولكن　　كلـما يفعـل المليح مليحُ
يا ابن عمي ملأت بالوجد قلبي　　ان طرفي من الدموع قريحُ

فنهرتُ ابنة عمي وشتمتها فبكت . ثم مسحت دموعها واقبلت عليَّ وقبّلت يدي واخذت تتقرّب مني وانا اتباعد عنها واعاتب نفسي . فقالت لي : يا ابن عمي الله يسامحك . ثم بكت فاوجعني قلبي عليها من كثرة بكائها

(الليلة السادسة عشرة بعد المائة) . ورجعت يوماً آخر الى البيت واتيت الى ابنة عمي فوجدتها راقدة وامي عند رأسها تبكي على حالها . فلما دخلت عليها قالت لي امي : تبًا لكَ من ابن عم . كيف تترك بنت عمك على غير استواء ولا تسأل عن مرضها . فلما رأتني ابنة عمي رفعت راسها وقعدت وتبسمت في وجهي . فتركتها وخرجت ولم اكترث بمرضها . وغبت عدة ايام . ثم تشوش خاطري وتوجهت الى البيت . وما زلت ماشياً الى ان اتيت الى زقاقنا . فسمعت عياطاً . فسألت عنهُ . فقيل لي : ان عزيزة وجدناها خلف الباب ميتة . ثم دخلت الدار . فلما رأتني امي قالت : ان خطيئتها في ذمتك وعنقك فلا سامحك الله من دمها . تبًا لك من ابن عم . ثم ان ابي جاء وجهزناها واخرجناها وشيعنا جنازتها ودفناها وعملنا على قبرها الختمات . ومكثنا على القبر ثلاثة ايام . ثم رجعنا ودخلنا البيت وانا حزين عليها . فاقبلت عليَّ امي وقالت لي : ان قصدي ان اعرف ما كنت تفعله معها حتى فطرت مرارتها . واني يا ولدي كنت اسألها في كل الاوقات عن سبب مرضها فما اطلعتني على شيء . ولم تخبرني بهِ فبالله عليك اخبرني بما كنت تفعل معها حتى ماتت . فقلت : ما عملت شيئاً . فقالت : الله يقتص لها منك فانها ما ذكرت لي شيئاً بل كتمت امرها حتى ماتت وهي راضية

عنك . ولما ماتت كنت عندها ففتحت عينها وقالت لي : يا امرأة عمي جعل الله ولدك في حلّ من دمي ولا آخذه بما فعل معي وانما نقلني الله من دار الدنيا الفانية الى دار الآخرة الباقية . فقلت : يابنتي سلامتك وسلامة شبابك وصرت اسألها عن سبب مرضها فما تكلمت . ثم تبسمت وقالت : يا امرأة عمي قولي لابنك هتين الكلمتين : الوفاء مليح . والغدر قبيح . فان هذه شفقة مني عليه لاكون شفوقة عليه في حياتي وبعد مماتي . ثم اعطتني لك حاجة وحلفتني اني لا اعطيك اياها حتى اراك تبكي عليها وتنوح والحاجة عندي . فاذا رأيتك على الصفة التي ذكرتها اعطيتك اياها . فقلت لها : اريني اياها . فما رضيت . ثم اني اشتغلت بلذاتي عن تذكر موت ابنة عمي لاني كنت طائش العقل

وصادفت يوماً الابنة التي منعتني عن الزواج فسألتني عن بنت عمي . فقلت لها انها ماتت وعملنا لها الذكر والختوم ومضى لها اربع ليالٍ وهذه الخامسة . فلما سمعت ذلك صاحت وبكت وقالت : اما قلت لك انك قتلتها ولو اعلمتني بها قبل موتها لكنت اكافئها على ما فعلت معي من المعروف فانها خدمتني . وانا خائفة عليك ان تقع بك رزيّة بسبب خطيئتها . فقلت لها : انها قد جعلتني في حلّ قبل موتها . ثم ذكرت لها ما اخبرتني به امي . فقالت : بالله عليك اذا ذهبت الى امك فاعرف الحاجة التي عندها . فقلت لها : ان امي قالت لي ان ابنة عمك قبل ان تموت اوصتني وقالت لي : اذا اراد ابنك ان يذهب الى الموضع الذي عادته الذهاب اليه فقولي له هاتين الكلمتين : الوفاء مليح . والغدر قبيح . فلما سمعت الصبية ذلك قالت : رحمة الله تعالى عليها فانها خلصتك مني وقد كنت اضمرت ضررك فانا لا اضرك . ولا اشوّش عليك . فتعجبت من ذلك وقلت لها : وما كنت تريدين قبل ذلك ان تفعليه معي وقد صار بيني وبينك

مودةً . فقالت: انت مولع بي ولكنك صغير السنّ وغشيم وقلبك خالٍ عن الخداع فانت لا تعرف مكرنا ولا خداعنا ولو كانت عاشت لكانت معينة لك فانها سبب سلامتك وكانت انجتك من الهلكة . والآن اوصيك ان لا تتكلم مع واحدة ولا تخاطب واحدة من امثالنا لا صغيرة ولا كبيرة. فأياك ثم اياك فانك غشيم وغير عارف بخداع النساء ومكرهنَّ . والتي كانت تسهر عليك قد ماتت واني اخاف عليك ان تقع في رزيَّة فما تلقى من يخلصك منها بعد موت بنت عمك

(الليلة السابعة عشرة بعد المائة) . ثم قالت له : ليتني علمت بها قبل موتها حتى كنت اكافئها على ما فعلت معي من المعروف وازورها رحمة الله تعالى عليها فانها كتمت سرها ولم تبح بما عندها ولولاها ما كنت وصلت اليَّ ابداً. واني ارغب اليك امرًا . فقلت : ما هو . قالت : هو ان توصلني الى قبرها حتى ازورها في القبر الذي هي فيهِ واكتب عليهِ ابياتاً . فقلت لها : في غد ان شاء الله تعالى . ثم انها قالت لي : ليتك اخبرتني ببنت عمك قبل موتها . فقلت لها : ما معنى هاتين الكلمتين اللتين قالتهما وهما : الوفاء مليح . والغدر قبيح . فلم تجبني . وفي الغد اتيتها فقامت واخذت كيساً فيهِ دنانير وقالت لي : قم وارني قبرها حتى ازوره واكتب عليهِ هذه الابيات واعمل عليهِ قبة واترحم عليها واصرف هذه الدنانير صدقة عن روحها. فقلت لها : سمعًا وطاعةً. ثم مشيت قدامها ومشت خلفي وصارت تتصدَّق وهي ماشية في الطريق وكلما تصدقت صدقة تقول: هذه الصدقة عن روح عزيزة التي كتمت سرها حتى شربت كأس منونها . ولم تزل تتصدق من الكيس وتقول : عن روح عزيزة حتى نفد ما في الكيس ووصلنا الى القبر . فلما عاينت القبر بكت ورمت نفسها عليهِ . ثم انها

اخرجت بيكاراً من الفولاذ ومطرقة لطيفة وخطت بالبيكار على الحجر الذي على رأس القبر خطاً لطيفاً ورسمت هذه الابيات تقول :

مررت بقبرٍ دارسٍ وسط روضةٍ عليهِ من النعمان سبع شقائقِ
فقلت لمن ذا القبر جاوبني الثرى تأدب فهذا القبر قبر مفارقِ
فقلت رعاك الله يا ميت الجوى واسكنك الفردوس اعلى الشواهقِ
مساكين اهل الحبِّ حتى قبورهم عليها تراب الذلِّ بين الخلائقِ
فلو استطع انبتُّ حولك روضةً واسقيتها من دمعيَ المتدافقِ

ثم مضت وهي تبكي ومضيت انا ايضاً وكنت كلما زرتها تحسن اليَّ وتكرمني وتسألني عن الكلمتين اللتين قالتهما ابنة عمي عزيزة لامي فاعيدهما لها . وما زلت على ذلك الحال من اكل وشرب ولهو وتغيير ثياب . من الملابس الرقاق حتى غلظت وسمنت . ولم يكن بي هم ولا حزن ونسيت بنت عمي . ولم ازل على ذلك الحال مدة سنة كاملة . وعند رأس السنة دخلت الحمام واصلحت شاني ولبست بدلة فاخرة . ولما خرجت من الحمام شربت قدح شراب وشممت روائح ثيابي المضمخة بانواع الطيب وانا منشرح الصدر ولم اعلم غدر الزمان وطوارق الحدثان وانا سكران لا ادري اين اتوجه فمال بي السكر الى زقاق يقال له زقاق النقيب . فبينما انا ماشٍ في ذلك الزقاق نظرت بعيني واذا انا بعجوز ماشية وفي احدى يديها شمعة موقدة وفي يدها الاخرى كتاب ملفوف . فتقدمت اليها واذا هي تبكي وتنشد هذه الابيات :

رسول الرضا اهلاً وسهلاً ومرحبا حديثك ما احلاه عندي واطيبا
فيا مهدياً ممن أحبُّ سلامهُ عليك سلام الله ما هبت الصبا

(الليلة الثامنة عشرة بعد المائة) . فلما رأتني قالت لي : يا ولدي هل

تعرف ان تقرأ. فقلت لها بفضولي : نعم يا خالتي العجوز . فقالت لي : خذ هــذا الكتاب واقرأه لي. وناولتني الكتاب. فاخذتهُ منها وفتحته وقرأته عليها فاذا هو كتاب مضمونه : من عند الغياب. بالسلام على الاحباب . فلما سمعته فرحت واستبشرت ودعت لي وقالت : فرَّج الله همك كما فرَّجت همي . ثم اخذت الكتاب ومشت وذهبت انا في سبيلي . واذا بالعجوز قد اقبلت عليَّ وطأطأت على يدي وقبلتها وقالت لي : يا سيدي ربنا يهنيك بشبابك اترجاك ان تمشي معي خطوات الى ذلك الباب فاني قلت لهم ما قلتهُ لي في قراءة الكتاب فلم يصدقوني. فامش معي خطوتين واقرأ لهم الكتاب من خلف الباب واستقبل مني دعوة صالحة . فقلت لها : وما قصة هذا الكتاب . فقالت لي : يا ولدي هذا الكتاب جاء من عنــد ولدي وهو غائب عني مدة عشر سنين . فانهُ سافر بمتجر ومكث في بلاد الغربة مدة . فقطعنــا الرجاء منهُ وظننا انهُ مات . ثم بعد مدة وصل الينا هــذا الكتاب من عنده ولهُ اخت وهي تبكي عليهِ اناء الليــل واطراف النهار . فقلت لها : انهُ طيب بخير . فلم تصدقني وقالت لي : لا بد ان تأتيني بمن يقرأ هذا الكتــاب بحضرتي حتى يطمئن قلبي ويطيب خاطري . وأنت تعلم يا ولدي ان المحب مولع بسوء الظن . فانعم عليَّ بان تذهب معي وتقرأ لها هذا الكتاب وانت واقف خلف الستارة وانا انادي اخته تسمع من داخل البــاب وتفرّج عنَّا كربة وتقضي حاجتنا . فقد قال رسول الله (صلعم) : من نفَّس من مكروب كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنهُ مائة كربة. وفي حديث آخر : من نفَّس عن اخيهِ كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنهُ اثنتين وسبعين كربة من كرب يوم القيــامة . وانا قصــدتك فلا تخيبني. فقلت لها : سمعــا وطاعةً تقدمي . فمشت قدامي ومشيت وراءها قليلًا حتى وصلت الى باب دار حسنة كبيرة وبابها مصفح بالنحاس

الاحمر . فوقفت انا خلف الباب . فصاحت العجوز بالعجمية . فما اشعر الَّا وصبية اتت بخفة ونشاط وفي رجليها خلاخل الذهب المرصعة بالجوهر وفي يديها زوجان من الاساور باقفال من اللؤلؤ الكبار . وفي رقبتها قلادة من ثمين الجواهر . وفي اذنيها قرطان من اللؤلؤ . وعلى رأسها كوفية دق المطرقة مكللة بالفصوص الثمينة . فقالت : يا امى أهذا الذي جاء يقرأ الكتاب . فقالت لها : نعم . فمدت يدها اليَّ بالكتاب وكان بينها وبين الباب نحو نصف قصبة فمددت يدي لاتناول منها الكتاب فادخلت راسي واكتافي من الباب لاقرب منها واقرأ الكتاب . فما اشعر الَّا والعجوز قد وضعت رأسها في ظهري ودفعتني ويدي فيها الكتاب . فما اشعر الَّا وانا في وسط الدار وبقيت من داخل الدهليز . ودخلت العجوز اسرع من البرق الخاطف وما كان لها شغل الَّا قفل الباب

(الليلة التاسعة عشرة بعد المائة) . واما الصبية فانها لما رأتني من داخل الدهليز اقبلت عليَّ . ثم دخلت بي والعجوز قدامها والشمعة موقدة معها حتى قطعت بي سبع دهاليز . وبعد ذلك دخلت بي الى قاعة كبيرة باربعة اواوين يلعب فيها الخيَّال بالاكر . ثم خلتني فرأيت بناء القاعة كلها رخام من ابهج المرمر وجميع فرشها من حرير وديباج . وكذلك المخدات والمراكب وهناك دكتان من النحاس الاصفر . وسرير من الذهب الاحمر . مرصع بالدر والجوهر . ومقاعد وبيت سعادة لا يصلح الَّا للملك مثلك . ثم قالت لي : ايما احبّ اليك الموت ام الحياة . فقلت لها : الحياة . فقالت لي : اذا كانت الحياة احبّ اليك فتزوج بي . فقلت : انا اكره ان اتزوّج بمثلكِ . فقالت لي : ان تزوجت بي تسلم من المكروه ومن بنت الدليلة المحتالة التي تعاشرها اهلكها الله تعالى وابتلاها بمن هو اشد منها . والله ما يوجد امكر منها . وكم قتلت ناساً قبلك . وكم فعلت افعالاً وكيف

سلمت منها ولم تقتلك او تشوش عليك . فلما سمعت كلامها تعجبت غاية العجب فقلت لها : يا سيدتي ومن عرفك بها . فقالت : انا اعرفها مثل ما يعرف الزمان مصائبه . لكن قصدي ان تحكي لي جميع ما وقع لك معها حتى اعرف ما سبب سلامتك منها . فحكيت لها جميع ما جرى لي معها ومع ابنة عمي عزيزة . فترحمت عليها ودمعت عيناها . ثم دقّت يدًا على يد لمّا سمعت بموت بنت عمي عزيزة وقالت : في سبيل الله شبابها . وعوّضك الله فيها خيرًا . والله يا عزيز انها ماتت وهي سبب سلامتك من بنت الدليلة المحتالة . ولولا هي لكنت هلكت . وانا خائفة عليك من مكرها وشرها . ولكن فمي ملآن لا اقدر ان اتكلم . فقلت لها : اي والله قد حصل كل ذلك . فهزّت رأسها وقالت : لا يوجد اليوم مثل عزيزة . فقلت : وعند موتها اوصتني ان اقول لها هاتين الكلمتين لا غير وهما : الوفاء مليح . والغدر قبيح . فلما سمعت ذلك مني قالت لي : يا عزيز والله ان هاتين الكلمتين هما اللتان خلصتاك منها ومن القتل من يدها . والآن قد اطمأنّ قلبي عليك منها وما عادت تقتلك . فقد خلصتك بنت عمك حية وميتة . وانت الان غشيم لا تعرف مكر النساء ولا دواهي العجائز . فقلت : لا والله . فقالت لي : طب نفسًا وقرّ عينًا . انت شاب مليح وانا ما اريدك الّا بسنة الله ورسوله (صلعم) . ومهما اردت من مال وقماش يحضر لك سريعًا وما اكلفك بشيء ابدًا . وايضًا عندي دائمًا الخبز مخبوز والماء في الكوز

(الليلة العشرون بعد المائة) . ثم انها صفقت بيديها وقالت : يا امي احضري من عندكِ . واذا بالعجوز قد اقبلت باربعة شهود عدول ومعها شقة حرير . ثم انها اوقدت اربع شمعات . فلما دخل الشهود سلموا عليّ وجلسوا . فقامت الصبية وارخت عليها ازارًا ووكلت بعضهم في ولاية عقد الزواج فكتبوا

الكتاب واشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر المقـدم والمؤخر . وان في ذمتها لي عشرة الآف درهم. ثم اني اردت ان اخرج واذا هي اقبلت عليَّ تضحك وتقول : يوه يوه هل تحسب انت ان دخول الحمام مثل خروجه . وما اظن الّا انك تحسبني مثل بنت الدليلة المحتالة . اياك وهذا الظن فما انت الّا زوجي بالكتاب والسنة . وان كنت سكران فاصحَ لعقلك . ان هذه الدار التي انت فيها ما تفتح الّا في كل سنة يوماً. قم وانظر الى الباب الكبير . فقمت الى البـاب الكبير فوجدتهُ مغلقاً مسمّرًا فعدت واعلمتها بانهُ مغلق مسمر. فقالت لي : يا عزيز ان عندنا من الدقيق والحبوب والفواكه والرمـان والسكر واللحم والغنم والدجاج وغير ذلك ما يكفينا اعواماً عديدة ومن هذه الساعة لا يفتح الباب الّا بعد سنة. وانا اعلم انك ما بقيت ترى روحك خارجاً عن هذه الدار الّا بعد سنـة . فقلت : لا حول ولا قوة الّا بالله . فقـالت : واي شيء يضرك وانت تعرف ان كل شيء موفور . فلما كملت السنة كنت رزقت منها ولدًا وعند رأس السنة سمعت فتح الباب واذا برجال دخلوا بكعك ودقيق وسكر . فاردت ان اخرج . فقـالت : اصبر الي وقت العشـاء ومثل ما دخلت فاخرج . فصبرت الى وقت العشـاء فاردت ان اخرج وانا خائف . واذا هي قـالت : والله ما ادعـك تخرج حتى احلفك انك تعود في هذه الليلة قبل ان يغلق الباب . فاجبتها الى ذلك. فحلفتني بالايمان الوثيقة على السيف والمصحف والطلاق اني اعود اليهـا . ثم خرجت من عندها وانا ضعيف ومتضجر من هذه العيشة النكدة ومضيت الى البستان فوجدته مفتوحاً كعادته. فاغتظت وقلت في نفسي: اني غائب عن هذا المكان سنة كاملة وجئتـهُ على غفلة فوجدتهُ مفتوحاً كعادته . يا ترى اباقية الصبية على حالهـا ام لا . ولكن لا بد اني ادخل وانظر قبل ان اروح الى امي وانا في وقت العشاء .

(الليلة الحادية والعشرون بعد المائة) . ثم دخلت البستان واذا بالصبية قد صاحت . فما دريت الَّا وعشر عبيد اتوا ورموني على الارض . فلما وقعت تحت ايديهم قامت هي واخذت سكيناً وقالت . لاذبحنك ولاقتلنك اشرَّ قتلة . ويكون هــذا اقل جزائكَ على ما فعلت مع ابنة عمك . فلما نظرت روحي وانا تحت العبيد وتعفر خدي بالتراب ورأيت السكين في يدها تحققت الموتُ . فاستغثتُ بها فلم تردد الَّا قسوةً . وامرت العبيد ان يكتفوني فكتفوني . وأمرتهم ان يضربوني فضربوني حتى أُغمي عليَّ وخفي صوتي . فلما استفقت قلت : ان موتي مذبوحاً اهون عليَّ من هذا الضرب . وتذكرت كلمة ابنة عمي حيث قالت : كفاك الله شرهــا . فصرخت وبكيت حتى انقطع صوتي . ثم سنت السكين وقالت للعبيد : امسكوا رأسهُ . فالهمني الله ان اقول الكلمتين اللتين اوصتني بهما ابنة عمي وهما : الوفاء مليح . والغدر قبيح . فلما سمعت ذلك صاحت وقالت : يرحمكِ الله يا عزيزة . سلامة شبابكِ . نفعتِ ابن عمكِ في حياتكِ وبعد موتكِ . ثم قالت لي : انكَ خلصت من يدي بواسطة هتين الكلمتين . ثم قالت لي : رح الآن الى من تزوجت بها . رحم الله ابنة عمك التي هي سبب نجاتك . ولولا انك اسمعتني كلمتيها لكنت ذبحتك . فقم وملّس رأسك وترحم على ابنة عمك . ثم رفستني برجلها . فقمت وما قدرت ان امشي فتمشيت قليــلًا حتى اتيت الى منزلي . فدخلت فيهِ فوجدت امي تبكي عليَّ وتقول : يا هل ترى يا ولدي انت في اي ارض . فدنوت منهــا ورميت نفسي عليهــا . فلما نظرت اليَّ وجدت لي وجدتني على غير استواء وصار على وجهي الاصفرار والسواد . فتفكرت في بنت عمي وما عملت معي من المعروف وتحققت انها كانت تحبني فبكيت عليهــا وبكت امي . فقالت امي : يا ولدي ان والدك قد مات . فازددت غيظاً وبكيت حتى

أغمي عليَّ . فلما افقت نظرت الى موضع ابنة عمي التي كانت تقعد فيه فبكيت ثانيًا وكدت ان يغمى عليَّ من شدة البكاء

وما زلت في هذا البكاء والنحيب الى نصف الليل . فقالت لي امي : ان لوالدك عشرة ايام وهو ميت . فقلت لها : اني لا افكر في احد ابدًا غير ابنة عمي لاني استحق كل ما حصل لي حيث اهملتها وهي تحبني . فقالت : وما حصل لك . فحكيت لها ما حصل لي . فبكت ساعة . ثم قامت واحضرت لي شيئًا من المأكول فاكلت قليلًا وشربت واعدت لها قصتي واخبرتها بجميع ما وقع لي . فقالت : الحمد لله الذي جرى لك هذا وما ذبحتك . ثم انها عالجتني وداوتني حتى برئت وتكاملت عافيتي . فقالت لي : يا ولدي الآن اخرج لك الوديعة التي وضعتها عندي بنت عمك فانها لك . وقد حلفتني اني لا اخرجها لك حتى اراك تتذكرها وتبكي عليها والآن علمت فيك هذه الشروط . ثم قامت وفتحت صندوقًا واخرجت منهُ هذه الخرقة التي فيها صورة هذا الغزال المصور وهي التي كنت وهبتها لها اولًا . فلما اخذتها بكيت بكاء شديدًا ولطمت على وجهي وفتحت الرقعة فوقعت منها ورقة اخرى ففتحتها فاذا مكتوب فيها : اعلم يا ابن عمي اني جعلتك في حلّ من دمي وارجو الله ان ينجيك من بنت الدليلة المحتالة ولكن الحمد لله الذي جعل يومي قبل يومك . وسلامي عليك . واحتفظ على هذه الخرقة التي فيها صورة الغزال ولا تخليها تفارقك فان تلك الصورة كانت تؤانسني اذا غبت عني . . . .

(الليلة الثانية والعشرون بعد المائة) . وبالله عليك ان قدرت فتباعد ما امكنك عن صاحبة هذا الغزال ولا تخليها تقربك ولا تتزوج بها . واعلم ان صاحبة هذا الغزال تعمل كل سنة غزالًا وترسله الى اقصى البلاد لاجل ان يشيع

خبرها وحسن صنعتها التي يعجز عنها اهل الارض · واما بنت الدليلة المحتالة فوصل اليها هذا الغزال فصارت تصدم بهِ الناس وتريه اياهم وتقول: ان لي اختاً تصنع هذا · وهي كذابة في قولها · وهذه وصيتي · وما اوصيتك بهذه الوصية الَّا لانني اعلم ان الدنيا قد تضيق عليك بعد موتي وربما تتغرب بسبب ذلك وتطوف في البلاد وتسمع بصاحبة هذه الصورة فتتشوق نفسك الى معرفتها فتذكرني فما ينفعك . فلا تعرف قدري الَّا بعد موتي . واعلم ان الصبية التي صنعت هذا الغزال بنت ملك جزائر الكافور وست الاحرار. فلما قرأت تلك الورقة وفهمت ما فيها بكيت وبكت امي لبكائي . وما زلت انظر اليها وابكي الى ان اقبل الليل. ولم ازل على تلك الحالة مدة سنة . وبعد السنة تجهز هؤلاء التجار من مدينتي الى السفر وهم هؤلاء الذين انا معهم في القافلة. فاشارت عليَّ امي ان اتجهز معهم واسافر لعلي اتسلى ويذهب ما بي من الحزن وقالت لي: اشرح صدرك واترك هذا الحزن عنك وتغيب سنة او سنتين او ثلاثة حتى تعود القافلة فلعلهُ ينشرح صدرك وينجلي خاطرك. وما زالت تلاطفني بالكلام حتى جهزت متجري وسافرت معهم وانا لم تنشف لي دمعة طول سفري ابداً · وفي كل منزلة ننزل بها افتح هذه الخرقة وانظر فيها الى هذا الغزال فاتذكر ابنة عمي وابكي عليها كما تراني فانها كانت تحبني محبة زائدة وقد ماتت مقهورة مني وما فعلت معها الَّا الضرر وهي لم تفعل معي الَّا الخير . ومتى رجع التجار من سفرهم فانا ارجع معهم وتكمل مدة غيابي سنة كاملة وانا في حزن زائد · وما جدد همي وحزني الا اني جزت على جزائر الكافور وقلعة البلور وهي سبع جزائر والحاكم عليهم ملك يقال له شهرمان ولهُ بنت يقال لها دنيا . فقيل لي انها هي التي تصنع الغزلان وهذا الغزال الذي معك من جملة رقمها · فلما علمت

ذلك زادت بي الاشواق وغرقت في بحر الفكر والاحتراق . واني من يوم فراقي لجزائر الكافور وانا باكي العين حزين القلب . ولي مدة على هذا الحال وما ادري هل يمكنني ان ارجع الى بلدي واموت عند والدتي او لا وقد شبعت من الدنيا . ثم بكى وأنَّ واشتكى . ونظر الى صورة الغزال وجرت دموعه على خدوده وسالت . وانشد يقول هذين البيتين .

وقائل قال لي لا بدَّ من فرجٍ فقلت للغيظ كم لا بدَّ من فرجِ
فقال لي بعد حينٍ قلت يا عجبي من يضمن العمر لي يا بارد الحجج

وقول الآخر :

الله يعلم اني بعد فرقتكم بكيت حتى استلفت الدمع بالدين
فقال لي عاذلي اصبر تنالهمُ فقلت يا عاذلي الصبر من اين

وهذه حكايتي ايها الملك فهل سمعت اغرب من هذا الحديث . فتعجب تاج الملوك غاية العجب لما سمع قصة الشاب واخذته الهواجس بسبب ذكر الست دنيا وجمالها .

(الليلة الثالثة والعشرون) . ولما عرف انها هي التي ترقم الغزلان قال للشاب : والله لقد جرى لك شيء ما جرى لاحد غيرك مثله ولكن لك عمر تقضيه وقصدي ان اسألك عن شيء . فقال عزيز : وما هو . قال : تحكي لي كيف رأيت تلك الصبية التي عملت هذا الغزال . فقال : يا مولاي اني اتيتها بحيلة وهو اني لما دخلت مع القافلة الى بلدها كنت اخرج وادور في البساتين وهي كثيرة الاشجار وحارس تلك البساتين شيخ كبير طاعن في السن . فقلت له : يا شيخ لمن هذا البستان . فقال لي : هو لابنة الملك الست دنيا ونحن تحت قصرها . فاذا ارادت ان تتفرج تفتح باب السرّ وتتفرَّج في البستان وتشمّ روائح

الازهار. فقلت لهُ: انعم عليَّ بان اقعد في هذا البستان حتى تاتي وتمرّ لعلي انظرها. فقال الشيخ: لا بأس بذلك. فلما قال لي ذلك اعطيته بعض دراهم وقلت لهُ: اشترِ لنا شيئاً نأكله. فاخذ الدراهم وهو فرحان وفتح الباب ودخل وادخلني معهُ وسرنا. وما زلنا سائرين الى ان اتينا الى مكان لطيف وقال لي: اجلس هنا الى ان اذهب واعود اليك بعد ان احضرَ لي شيئاً من الفواكه. وتركني ومضى وغاب ساعة ورجع ومعهُ خروف مشوي فاكلنا حتى اكتفينا. فبينما نحن جالسان واذا بالباب قد انفتح. فقال لي: قم اختفِ. فقمت واختفيت واذا بطواشي اسود اخرج راسهُ من باب الريح وقال: يا شيخ هل عندك احد. فقال: لا: فقال لهُ: اغلق باب البستان. فاغلق الشيخ باب البستان. واذا بالست دنيا طلعت من باب السرّ. فلما رأيتها ظننت ان القمر قد طلع من الافق واضاء. وبعد ساعة اغلقت الباب ومضت. فعند ذلك خرجت انا من البستان وطلبت منزلي وعرفت انهُ لا يمكنني ان اخطبها. ولا انا من رجالها. خصوصاً وهي بنت ملك وانا رجل تاجر. فمن اين لي وصول الى مثل هذه او غيرها. فلما تجهزت اصحابي هؤلاء تجهزتُ انا وسافرت معهم وهم قاصدون هذه البلدة. حتى اذا وصلنا الى هذا المكان واجتمعنا بكَ وسألتني فاخبرتك. وهذه حكايتي وما جرى لي والسلام

فلما سمع تاج الملوك هذا الكلام اشتغل باله وفكره وحار في امره. ثم انهُ نهض وركب جواده واخذ عزيزاً وعاد بهِ الى مدينة ابيهِ وافرد لعزيز داراً ووضع لهُ فيها كل ما يحتاج اليهِ من المأكل والمشرب والملبس وتركه ومضى الى قصره. ولم يزل تاج الملوك على تلك الحالة حتى دخل اليهِ ابوهُ فوجده متغير اللون فعلم انهُ مهموم لامر نزل بهِ. فقال لهُ: يا ولدي اخبرني عن حالك. وما الذي جرى

لك حتى تغيير لونك ونحل جسمك . فاعاد لهُ جميع ما جرى لهُ وما سمعه من قصة عزيز وقصة السيدة دنيا

(الليلة الرابعة والعشرون بعد المائة) . فقال لهُ ابوهُ : يا ولدي انها بنت ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل الى قصر امك ففيهِ خمسمائة جارية كالاقمار . فمن اعجبتك منهنَّ خذها والّا تاخذ ونخطب لك بنتاً من بنات الملوك تكون احسن منها . فقال لهُ : يا ابي لا اريد غيرها ابداً وهي صاحبة الغزال الذي رأيتهُ ولا بد لي منها والّا اهجّ في البراري والقفار واقتل نفسي بسببها . فقال لهُ ابوه : امهلني حتى ارسل الى ابيها واخطبها منهُ وابلغك المرام مثل ما فعلت لنفسي في امك لعل الله ان يبلغك ما تريد . وان لم يرضَ زلزلت عليهِ مملكته بجيش آخره عندي واوّله عنده . ثم دعا بالشاب عزيز وقال لهُ : يا ولدي هل انت تعرف الطريق . قال : نعم . قال لهُ : اشتهي منك ان تسافر مع وزيري . فقال لهُ عزيز : سمعاً وطاعةً يا ملك الزمان . ثم ان الملك احضر وزيره وقال لهُ : دبّر لي رأياً في امر ولدي يكون صواباً واذهب الى جزائر الكافور واخطب بنت ملكها لولدي . فاجابهُ الوزير بالسمع والطاعة . ثم عاد تاج الملوك الى منزله وقد زاد بهِ الحال . وطال عليهِ المطال . فلما جنّ عليهِ الليل بكى . وانّ واشتكى . وانشد يقول :

جنَّ الظلام ودمعي زائد المددِ والوجد من شدة النيران في كبدي
سلوا الليالي عني وهي تخبركم ان كان شغلي غير الهمّ والكمدِ
ابيت ارعى نجوم الليل من ولهي والدمع منهملٌ في الخد كالبرَد
وقد بقيت وحيداً ليس لي احدٌ كمثل صبٍ بلا اهلٍ ولا ولد

ثم لما فرغ من شعره غشي عليهِ ساعة فلم يفق الّا وقت الصباح . فاتى

خادم ابيهِ ووقف عند رأسه ودعاه الى والده فراح معه. فلما رآه ابوه وجده قد تغير لونه فصبَّره ووعده بجمع شمله. ثم جهز عزيزًا مع وزيره واعطاهم الهدايا. فسافروا اياماً وليالي الى ان اشرفوا على جزائر الكافور. فعند ذلك اقاموا على شاطئ نهر وانفذ الوزير رسولًا من عنده الى الملك ليخبره بقدومهم. فراح الرسول. فلم يكن غير ساعة الّا وحجاب الملك وامراؤه قد اقبلوا عليهم ولاقوهم من مسيرة فرسخ. فتلقوهم وساروا في خدمتهم الى ان دخلوا بهم على الملك. فقدموا لهُ الهدايا واقاموا في ضيافته ثلثة ايام. فلما كان اليوم الرابع قام الوزير ودخل على الملك ووقف بين يديه وحدَّثه بالامر الذي جاء فيهِ. فبقي الملك حائرًا في ردّ الجواب لانَّ ابنته لا تحبّ الرجال ولا تشتهي الزواج. فاطرق الملك برأسه الى الارض ساعة. ثم رفع رأسه ودعا بخادم من بعض الخدام وقال لهُ: اذهب الى سيدتك دنيا واعد عليها ما سمعت وبما جاء بهِ هذا الوزير. فقام الخادم وذهب وغاب ساعة. ثم عاد الى الملك وقال لهُ. يا ملك الزمان اني لما دخلت واخبرت الست دنيا بما سمعت غضبت غضبًا شديدًا ونهضت اليَّ بعصاً وارادت كسر رأسي. ففررت منها هاربًا. وقالت لي: ان كان ابي يغصبني على الزواج فالذي اتزوَّج بهِ اقتله. فقال ابوها للوزير ولعزيز: قد سمعتما فانتما تعلمان واخبرا الملك بذلك وسلما. وان ابنتي لا تحب الرجال ولا تشتهي الزواج

(الليلة الخامسة والعشرون بعد المائة). فرجعوا من غير فائدة وما زالوا مسافرين الى ان دخلوا على الملك واخبروه بما جرى. فعند ذلك امر النقباء ان ينادوا على العساكر بالسفر من اجل الحرب والجهاد. فقال لهُ الوزير: ايها الملك لا تفعل ذلك فان الملك لا ذنب لهُ وان ابنته حين علمت بذلك ارسلت تقول: ان غصبني ابي على الزواج اقتل من اتزوَّج بهِ واقتل نفسي بعده. وانما

لك حتى تغيير لونك ونحل جسمك . فاعاد لهُ جميع ما جرى لهُ وما سمعه من قصة عزيز وقصة السيدة دنيا

(الليلة الرابعة والعشرون بعد المائة) . فقال لهُ ابوهُ : يا ولدي انها بنت ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل الى قصر امك ففيهِ خمسمائة جارية كالاقمار . فمن اعجبتك منهنَّ خذها والَّا ناخذ ونخطب لك بنتاً من بنات الملوك تكون احسن منها . فقال لهُ : يا ابي لا اريد غيرها ابداً وهي صاحبة الغزال الذي رأيتهُ ولا بد لي منها والَّا اهجّ في البراري والقفار واقتل نفسي بسببها . فقال له ابوه : امهلني حتى ارسل الى ابيها واخطبها منهُ وابلغك المرام مثل ما فعلت لنفسي في امك لعل الله ان يبلغك ما تريد . وان لم يرضَ زلزلت عليهِ مملكته بجيش آخره عندي واوَّله عنده . ثم دعا بالشاب عزيز وقال لهُ : يا ولدي هل انت تعرف الطريق . قال : نعم . قال لهُ : اشتهي منك ان تسافر مع وزيري . فقال لهُ عزيز : سمعاً وطاعةً يا ملك الزمان . ثم ان الملك احضر وزيره وقال لهُ : دبّر لي رأياً في امر ولدي يكون صواباً واذهب الى جزائر الكافور واخطب بنت ملكها لولدي . فاجابهُ الوزير بالسمع والطاعة . ثم عاد تاج الملوك الى منزله وقد زاد بهِ الحال . وطال عليهِ المطال . فلما جنَّ عليهِ الليل بكى . وانَّ واشتكى . وانشد يقول :

جنَّ الظلام ودمعي زائد المددِ ... والوجد من شدة النيران في كبدي
سلوا الليالي عني وهي تخبركم ... ان كان شغلي غير الهمّ والكمدِ
ابيت ارعى نجوم الليل من ولهي ... والدمع منهملٌ في الخد كالبَرَدِ
وقد بقيت وحيداً ليس لي احدٌ ... كمثل صبٍّ بلا اهلٍ ولا ولدِ

ثم لما فرغ من شعره غشي عليهِ ساعة فلم يفق الَّا وقت الصباح . فاتى

خادم ابيهِ ووقف عند رأسه ودعاه الى والده فراح معه . فلما رآه ابوه وجده قد تغير لونه فصبَّره ووعده بجمع شمله . ثم جهز عزيزًا مع وزيره واعطاهم الهدايا . فسافروا اياماً وليالي الى ان اشرفوا على جزائر الكافور . فعند ذلك اقاموا على شاطئ نهر وانفذ الوزير رسولًا من عنده الى الملك ليخبره بقدومهم . فراح الرسول . فلم يكن غير ساعة الّا وحجاب الملك وامراؤه قد اقبلوا عليهم ولاقوهم من مسيرة فرسخ . فتلقوهم وساروا في خدمتهم الى ان دخلوا بهم على الملك . فقدموا لهُ الهدايا واقاموا في ضيافته ثلثة ايام . فلما كان اليوم الرابع قام الوزير ودخل على الملك ووقف بين يديه وحدَّثه بالامر الذي جاء فيهِ . فبقي الملك حائرًا في ردّ الجواب لانَّ ابنته لا تحبّ الرجال ولا تشتهي الزواج . فاطرق الملك برأسه الى الارض ساعة . ثم رفع رأسه ودعا بخادم من بعض الخدام وقال لهُ : اذهب الى سيدتك دنيا واعد عليها ما سمعت وبما جاء بهِ هذا الوزير . فقام الخادم وذهب وغاب ساعة . ثم عاد الى الملك وقال لهُ . يا ملك الزمان اني لما دخلت واخبرت الست دنيا بما سمعت غضبت غضبًا شديدًا ونهضت اليَّ بعصاً وارادت كسر رأسي . ففررت منها هاربًا . وقالت لي : ان كان ابي يغصبني على الزواج فالذي اتزوَّج بهِ اقتله . فقال ابوها للوزير ولعزيز : قد سمعتما فانتما تعلمان واخبرا الملك بذلك وسلما . وان ابنتي لا تحب الرجال ولا تشتهي الزواج

(الليلة الخامسة والعشرون بعد المائة) . فرجعوا من غير فائدة وما زالوا مسافرين الى ان دخلوا على الملك واخبروه بما جرى . فعند ذلك امر النقباء ان ينادوا على العساكر بالسفر من اجل الحرب والجهاد . فقال لهُ الوزير : ايها الملك لا تفعل ذلك فان الملك لا ذنب لهُ وان ابنته حين علمت بذلك ارسلت تقول : ان غصبني ابي على الزواج اقتل من اتزوَّج بهِ واقتل نفسي بعده . وانما

الامتناع منها . فلما سمع الملك كلام الوزير خاف على تاج الملوك وقال : ان انا حاربت اباها وظفرت بابنته فهي تقتل نفسها فلا يفيدني شيء . ثم ان الملك اعلم ابنه تاج الملوك بذلك . فلما علم ذلك قال لابيهِ : يا ابي انا اروح اليها واتحايل في خطبتها ولو متّ ولا افعل غير هذا . فقال لهُ ابوه : وكيف تروح اليها . قال : اروح في صفة تاجر . فقال الملك : ان كان ولا بدّ فخذ معك الوزير وعزيزًا . ثم انهُ اخرج لهُ شيئًا من خزائنه وهيأ له متجرًا بمائة الف دينار واتفقا معهُ على ذلك . فلما جاء الليل ذهب تاج الملوك وعزيز الى منزل عزيز وباتا تلك الليلة هناك . وصار تاج الملوك يتوسل باخلاق . ان يمنَّ عليهِ بالتلاق . وبكى . وانَّ واشتكى . وانشد يقول :

ترى هل لنا بعد البعاد وصولُ فاشكو اليكم صبوتي واقولُ

تذكرتكم والليل في غفلاتهِ واسهرتموني والانام غفولُ

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدًا . وبكى معهُ عزيز وتذكر ابنة عمه . وما زالا كذلك يبكيان الى ان اصبح الصباح . ثم قام تاج الملوك ودخل على والدته وهو لابس اهبة السفر . فسألتهُ عن حاله فاعاد عليها الخبر . فاعطتهُ خمسين الف دينار . ثم ودعتهُ وخرج من عندها ودعت لهُ بالسلامة . ثم دخل على والده واستأذنه ان يرحل . فاذن لهُ واعطاه خمسين الف دينار وأمر ان تضرب لهُ خيمة في خارج المدينة فضربت لهُ الخيمة . فاقام فيها يومين ثم سافر . واستأنس تاج الملوك بعزيز وقال لهُ : يا اخي انا ما بقيت اطيق ان افارقك . فقال عزيز : وانا الآخر كذلك وانا احبّ ان اموت تحت رجليك ولكن يا اخي قلبي اشتغل بوالدتي . فقال لهُ تاج الملوك : عند ما تبلغ المرام لا يكون الا خيرًا . وسافروا . وكان الوزير قد اوصى تاج الملوك بالاصطبار . وصار عزيز يسامره وينشد لهُ الاشعار . ويحدثه

بالتواريخ والاخبار . وهم يجدّون في السير ليلًا ونهارًا مدة شهرين كاملين . فطالت الطريق على تاج الملوك فقال للوزير : يا وزير طالت مدة السفر فاخبرني كم بيننا وبين البلد . فقال لهُ عزيز : ما بقي الَّا القليل . ثم ساروا يقطعون الاودية والاوعار . والبراري والقفار

(الليلة السادسة والعشرون بعد المائة) . واقبل عليهِ عزيز وصار يلهيه ويحادثه ويحكي لهُ الحكايات وهم يجدون في السير . ولم يزالوا مسافرين اياماً وليالي الى مدة شهرين آخرين . فلما كان يوم من الايام اشرقت عليهم الشمس ولاح لهم من البعد شيء ابيض . فقال تاج الملوك لعزيز : ما هذا البياض . فقال عزيز : يامولاي هذه القلعة البيضاء وهذه المدينة التي انت طالبها . ففرح تاج الملوك . ولم يزالوا مسافرين الى ان قربوا من المدينة . فلما قربوا منها فرح تاج الملوك . غاية الفرح . وزال عنهُ الهمّ والترح . ثم دخلوها وهم في سيمة التجار وابن الملك في زيّ تاجر كبير . ثم اتوا الى مكان يعرف بمنزل الدخان وهو خان عظيم . فقال تاج الملوك لعزيز : أهذا محلّ التجار . فقال عزيز : نعم وهو الخان الذي كنت انا نزلت فيه . فنزلوا فيهِ واناخوا فيهِ مطيهم وحطوا رحالهم وخزنوا امتعتهم في المخازن واقاموا للراحة اربعة ايام . ثم ان الوزير اشار عليهم ان يكتروا لهم دارًا كبيرة . فاجابوه واكتروا لهم دارًا واسعة البنيان معدة للافراح فنزلوا فيها . واقام الوزير وعزيز يدبران حيلة لتاج الملوك وتاج الملوك حائر لا يدري ما يفعل . ولم يجد لهُ حيلة غير انهُ يتعاطى التجارة في قيصريّة البزّ . ثم ان الوزير اقبل على تاج الملوك وعزيز وقال لهما : اعلما انهُ اذا كان مقامنا هنا على هذه الحالة فاننا لا نبلغ مرادنا ولا تُقضى لنا حاجة . وقد خطر ببالي شيء وهو ان شاء الله فيهِ الصلاح . فقال لهُ تاج الملوك وعزيز : افعل ما بدا لكَ فان المشائخ فيهم البركة لاسيما انك قد

مارست الامور فقل لنا ما خطر ببالك . فقال لتاج الملوك : الرأي اننا نكتري لك دكاناً في سوق البزّ تقعد فيها للبيع والشراء لان كل واحد من الخاص والعام يحتاج الى البزّ والتفاصيل . واذا سكنت وقعدت في تلك الدكان ينصلح امرك ان شاء الله تعالى خصوصاً وصورتك جميلة . ولكن اجعل عزيزاً اميناً عندك واجلسه في داخل الدكان ليناولك التفاصيل والاقمشة . فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام قال : ان هذا رأي سديد ومليح . فعند ذلك اخرج تاج الملوك بدلة سنية تجاريّة ولبسها وقام يمشي وغلمانهُ خلفه واعطى لاحدهم الف دينار ليقضي بها مصالح الدكان . وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى سوق البزّ . فلما رأت التجار تاج الملوك ونظروا الى حسنه وجماله تحيروا وصاروا يقولون : ان رضوان فتح ابواب الجنان وغفل عنها فخرج منها هذا الشاب البديع الحسن . وآخر يقول : لعلّ هذا من الملائكة . فلما دخلوا عند التجار سألوا عن دكان العريف فدلوهم عليها . فما زالوا سائرين حتى وصلوا الى العريف . فسلموا عليهِ . فقام اليهم هو ومن عنده من التجار . واجلسوهم وعظموهم لاجل الوزير فانهم رأوهُ رجلاً كبيراً مهيباً ومعهُ الشاب تاج الملوك وعزيز . فقال التجار لبعضهم : لا شك ان هذا الشيخ والد هذين الشابين . فقال لهم الوزير : من شيخ السوق فيكم . فقالوا : ها هو . واذا بهِ قد اقبل . فنظر اليهِ الوزير وتأملهُ فرآه شيخاً كبيراً صاحب هيبة ووقار وخدم وغلمان وعبيد . فعند ذلك حيّاهم العريف تحية الاحباب وبالغ في اكرامهم واجلسهم الى جانبه وقال لهم : هل لكم من حاجة نفوز بقضائها . فقال الوزير : نعم انا رجل كبير طاعن في السن ومعي هذان الغلامان وسافرت بهما سائر الاقاليم والبلاد وما دخلت بلدة الّا أقمت بها سنة كاملة حتى يتفرجا عليها ويعرفا اهلها . واني قد اتيت بلدتكم هذه واخترت المقام فيها واشتهي منك

دكاناً تكون جيدة من احسن المواضع حتى اجلسهما فيهما ليتجرا ويتفرجا في هذه البلدة ويتخلقا باخلاق اهلها ويتعلما البيع والشراء والاخذ والعطاء . فقال العريف : لا باس بذلك . فنظر العريف الى الولدين وفرح بهما واحبهما حباً زائداً . فعند ذلك وقف العريف لخدمتهما كالغلام بين ايديهما . ثم انهُ قام وهيأ لهما الدكان وكانت في وسط القيصريَّة ولم يكن اكبر ولا اوجه منها في السوق عندهم لانها كانت متسعة مزخرفة فيها رفوف من عاج وخشب الابنوس . ثم سلَّم المفاتيح للوزير وهو في صفة الشيخ التاجر وقال لهُ : خذ يا سيدي جعلها الله منزلاً مباركاً على ولديك . فاخذ منهُ المفاتيح

(الليلة السابعة والعشرون بعد المائة) . ثم انهم مضوا الى الخان الذي وضعوا فيهِ امتعتهم وأمروا الغلمان ان ينقلوا جميع ما معهم من البضائع والقماش الى تلك الدكان وكان شيئاً كثيراً يساوي خزائن من المال . فنقلوا جميع ذلك . ثم مضوا الى الدكان ووضعوا امتعتهم فيها وباتوا تلك الليلة . فلما اصبح الصباح اخذهما الوزير ودخل بهما الحمام فاغتسلوا وتنظفوا ولبسوا الثياب الفاخرة وتطيبوا واخذوا غاية حظهم من الحمام . وكان كل من الغلامين ذا جمال باهر فصارا في الحمام على حد قول الشاعر :

بشرى لقيمهِ اذ لامست يده جسماً تولد بين الماء والنورِ
ما زال يظهر لطفاً من صناعتهِ حتى جنى المسك من تمثال كافورِ

ثم خرجا منهُ . فلما سمع العريف بدخولهما الحمام قعد في انتظارهما . واذا بهما قد اقبلا وهما كالغزالين . وقد احمرت خدودهما واسودت عيونهما ولمعت وجوههما فصارا كانهما قمران زاهيان او غصنان مثمران . فلما رآهما قام على حيله وقال : يا ولديَّ حمَّامكما نعيم دائم . فقال لهُ تاج الملوك باعذب كلام : انعم الله عليك

يا والدي لاي سبب ما حضرت عندنا واستحممت معنا . ثم نزل الاثنان على يد العريف وقبلاها ومشيا قدامه حتى وصلا الى الدكان حشمة وتعظيماً له لانهُ كبير التجار والسوق وتقدم منهُ الاحسان في حقهما باعطائهما الدكان . ثم انهما اقسما عليه ان يدخل معهما الحمام ثاني مرة فما صدق بذلك واسرع الى الحمام ودخلا معهُ والوزير لم يكن خرج من الحمام . فلما سمع بهِ خرج وتلقاه من وسط الحمام وعزم عليهِ فامتنع فمسك تاج الملوك يده من ناحية وعزيز يده الاخرى من ناحية ودخلا بهِ واغتسلوا . ثم بعد ذلك اتى لهم الغلمان بالمناشف فتنشفوا ولبسوا حوائجهم وخرجوا من الحمام . فاقبل الوزير على العريف وقال لهُ : يا سيدي ان الحمام نعيم الدنيا . فقال العريف . جعلهُ الله لكَ ولاولادك عافية وكفاهما الله شرّ العين

(الليلة الثامنة والعشرون بعد المائة) . ثم ان العريف عزم عليهم . فامتنعوا ومضوا الى منزلهم ليستريحوا من شدة حرّ الحمام . فاستراحوا واكلوا وشربوا وباتوا تلك الليلة في منزلهم على اتم ما يكون من الحظ والسرور . فلما اصبح الصباح قاموا من نومهم وتوضأوا وصلوا فرضهم واصطبحوا . ولما طلعت الشمس وفتحت الدكاكين والاسواق خرجوا من المنزل ومشوا واتوا الى السوق وفتحوا الدكان وكانت الغلمان قد هيأوها أحسن هيئة وفرشوا فيها السجادات والبسط الحرير ووضعوا فيها مرتبتين كل مرتبة تساوي مائة دينار وجعلوا فوق كل مرتبة نطعاً ملوكياً دائره شريط من الذهب وفي وسط الدكان الفرش الفائق اللائق بالمقام . فجلس تاج الملوك على مرتبة وعزيز على الاخرى وجلس الوزير في وسط الدكان ووقف الغلمان بين ايديهم . وتسامعت بهم اهل البلد فازدحموا عليهم . فباعوا بعض بضائعهم وبعض اقمشتهم وشاع في المدينة ذكر تاج الملوك وحسنه وجماله .

ثم اقاموا على ذلك اياماً وفي كل يوم تتزايد الناس عليهم وتهرع اليهم · فاقبل الوزير على تاج الملوك واوصاه بكتمان سره واوصى عليه عزيزاً ومضى الوزير الى الدار يختلي بنفسه ويدبر امراً يعود نفعهُ عليهم · وصار تاج الملوك وعزيز يتحادثان وتاج الملوك يقول لعزيز : عسى احد يجيء من عند الست دنيا · ولم يزل تاج الملوك على ذلك اياماً وليالي وهو قلق الفؤاد · فبينما تاج الملوك جالس واذا هو بامرأة عجوز اقبلت عليه وتقدمت اليه وخلفها جاريتان · وما زالت ماشية حتى وقفت على دكان تاج الملوك فرأت قده واعتداله وحسنه وجماله فتعجبت من ملاحته . ثم قالت : سبحان من خلقك وجعلك فتنة للناظرين

(الليلة التاسعة والعشرون بعد المائة) . ثم تأملت فيه وقالت : ما هذا بشراً إنْ هذا الّا ملك كريم . ثم دنت منهُ وسلمت عليه . فردّ عليها السلام · وقام لها واقفاً على الاقدام . وتبسم في وجهها . هذا كلهُ باشارة عزيز · ثم اجلسها الى جانبه وصار يروّح عليها بمروحة حتى استفاقت واستراحت . فالتفتت العجوز الى تاج الملوك وقالت لهُ : يا ولدي يا كامل الاوصاف والمعاني هل انت من هذه الديار . فقال لها تاج الملوك بكلام فصيح عذب مليح : والله يا سيدتي عمري ما دخلت هذه الديار الّا هذه المرة ولا اقمت فيها الّا على سبيل الفرجة . فقالت : اكرم بك من قادم على الرحب والسعة . واي شيء جئت به معك من القماش ارني شيئاً مليحاً فان المليح لا يحمل الّا المليح . فلما سمع تاج الملوك كلامها خفق فؤاده ولم يعلم معنى كلامها · فغمزه عزيز بالاشارة . فقال لها تاج الملوك : عندي كلما تشتهين وعندي شيء لا يصلح الّا للملوك وبنات الملوك فاخبريني بالشيء الذي تريدينه لمن حتى اريكِ كل شيء يصلح لاربابه . واراد بذلك الكلام ان يفهم معنى كلامها . فقالت له : اريد قماشاً يصلح للست دنيا بنت

الملك شهرمان. فلما سمع تاج الملوك ذكر اسمها فرح فرحاً شديداً وقال لعزيز: ائتني بالبقجة الفلانية. فاتى بها عزيز وحلّها بين يديه. فقال لها تاج الملوك: انتخبي ما يصلح لها فان هذا شيء لا يوجد عند غيري. فاختارت العجوز شيئاً يساوي الف دينار وقالت: بكم هذا وصارت العجوز تحدثه. فقال لها تاج الملوك: وهل انا اساوم مثلكِ في هذا الثمن الحقير الحمد لله الذي عرفني بكِ: فقالت له العجوز: اسم الله عليك اعوّذ وجهك المليح برب الفلق. انّ الوجه مليح. واللفظ فصيح. ثم قالت لهُ: يا ولدي ما اسمك. فقال: اسمي تاج الملوك. فقالت العجوز: ان هذا اسم الملوك واولاد الملوك وأنت في زي التجار. فقال لها عزيز: من محبته عند والديه واهله ومعزّته عليهم سمّوهُ بهذا الاسم. فقالت العجوز: صدقت. كفاكما الله شرّ العين وشر الاعادي والحساد. ولو فتنت بمحاسنكما الاكباد. ثم اخذت الاقماش ومضت وهي باهتة في حسنه وجماله. وقده واعتداله

(الليلة الثلثون بعد المائة). ولم تزل ماشية حتى دخلت على الست دنيا وقالت لها: يا سيدتي جئت لكِ بقماش مليح. فقالت لها: اريني اياه. فقالت: يا سيدتي ها هو فقلّبيه يا عيني وابصريه. فلما رأتهُ الست دنيا بهتت فيهِ وقالت لها: يا دادتي ان هذا قماش مليح ما رأيتهُ في مدينتنا. فقالت العجوز: يا ستي ان بائعه احسن منهُ. كأنّ رضواناً فتح ابواب الجنان وسها فخرج منها شاب هو الذي يبيع هذا القماش فانهُ اتى مدينتكِ باقمشة مثمنة لاجل الفرجة وهو فتنة لمن يراه. فضحكت الست دنيا من كلام العجوز وقالت: اخزاكِ الله يا عجوز النحس انكِ خرفتِ وما بقي لكِ عقل. ثم قالت: هاتِ القماش حتى انظره نظراً جيداً. فاعطتها اياه. فنظرتهُ ثانياً فرأتهُ قليلاً وثمنه كثير. فاعجبها لانها ما رأت في عمرها مثله. فقالت. والله انهُ قماش مليح. فقالت لها العجوز: يا سيدتي والله

لو رأيتِ صاحبه لعرفتِ انهُ احسن مَن يكون على وجه الارض . فقالت لها الست دنيا : هل كنتِ سألتهِ ان كان لهُ حاجة يعلمنا بها فنقضيها لهُ . فاذهبي اليهِ وسلمي عليه وقولي لهُ : شرفت بقدومك ارضنا ومدينتنا ومهما كان لك من الحوائج قضيناها لك على الرأس والعين. فرجعت العجوز الى تاج الملوك في الوقت . فلما رآها طار قلبهُ من الفرح والسرور وقام لها قائماً على قدميهِ واخذ يدها واجلسها الى جانبه . فلما جلست واستراحت اخبرتهُ بما قالتهُ لها الست دنيا . فلما سمع ذلك فرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ودخل في قلبه سرور وقال في نفسه : قد قضيت حاجتي . ثم قال للعجوز : لعلكِ تاخذين لها من عندي رسالة وتأتيني بجوابها . فقالت : سمعاً وطاعة . فعند ذلك قال لعزيز : أئتني بدواة وقرطاس وقلم من نحاس . فلما اتاه بتلك الادوات اخذ القلم بيده وكتب يطلب خطبتها

(الليلة الحادية والثلثون بعد المائة) . ثم طوى الكتاب وختمه واعطاه للعجوز وقال لها : اوصليهِ الى الست دنيا . فقالت : سمعاً وطاعة . ثم اعطاها الف دينار وقال : يا امي اقبلي هذه هدية مني على سبيل المحبة. فاخذتها منهُ ودعت لهُ وانصرفت . ولم تزل ماشية حتى دخلت على الست دنيا . فلما رأتها قالت لها : يا دادتي اي شيءٍ طلب من الحوائج حتى نقضيها لهُ . فقالت لها : يا سيدتي انهُ قد ارسل معي هذا الكتاب ولا اعلم ما فيهِ. ثم ناولتها الكتاب. فاخذتهُ وقرأته وفهمت معناه ثم قالت : من اين الى اين حتى يراسلني هذا التاجر ويكاتبني . ثم لطمت وجهها وقالت : من اين كنا حتى اتصلنا ووصلنا الى السوقة اوّاه اوّاه . وقالت : والله لولا خوفي من الله لقتلته وصلبته على دكانه. فقالت العجوز : واي شيءٍ في هذا الكتاب حتى انهُ ازعج قلبكِ وغيرَّ

خاطركِ . يا ترى هل فيهِ شكاية مظلمة ام فيهِ طاب ثمن القماش . فقالت لها : ويلكِ ما فيهِ ذلك وما فيهِ الّا انهُ يريد ان يخطبني وهذا كلهُ منكِ والّا فمن اين هذا الشيطان كان يعرفني . فقالت لها العجوز : يا سيدتي انتِ قاعدة في قصركِ العالي وما يصل اليكِ احد ولا الطير الطائر سلامتك وسلامة شبابكِ من اللوم والعتاب وما عليكِ من نبيح الكلاب فانتِ سيدة بنت سيد فلا تؤاخذيني حيث جئت اليكِ بهذا الكتاب ولا اعلم بما فيه . ولكن الرأي ان تردي اليهِ جوابًا وتهدديه فيهِ بالقتل وتنهيه عن هذا الهذيان فانهُ ينتهي ولا يعود الى مثل ذلك . فقالت السيدة دنيا : اخاف ان اكاتبه فيطمع فيَّ . فقالت العجوز : انهُ اذا سمع التهديد والوعيد رجع عما هو فيهِ . فقالت : عليَّ بدواة وقرطاس . وقلم من نحاس . فلما احضروا لها تلك الادوات كتبت هذه الابيات :

انّي نصحتك عما انت طالبهُ فاقصر فانك في هذا على خطرِ
وان رجعت الى هذا الكلام فقد اتاك مني عذابٌ زائد الضررِ
وحق من خلق الانسان من علقٍ ومن انار ضياء الشمس والقمرِ
لئن رجعت الى ما انت ذاكرهُ لاصلبنَّك في جذعٍ من الشجرِ

ثم طوت الكتاب واعطتهُ للعجوز وقالت لها : اعطيهِ اياه وقولي لهُ : كفَّ عن هذا الكلام . فقالت لها : سمعًا وطاعة . ثم اخذت الكتاب وهي فرحانة ومضت الى منزلها وباتت في بيتها . فلما اصبح الصباح توجهت الى دكان تاج الملوك فوجدته في انتظارها . فلما رآها كاد ان يطير من الفرح . فلما قربت منهُ نهض اليها قائمًا واقعدها بجانبه . فاخرجت لهُ الورقة وناولتهُ اياها وقالت لهُ : اقرأ ما فيها . ثم قالت لهُ : ان السيدة دنيا لما قرأت كتابك اغتاظت ولكنني

لاطفتها ومازحتها حتى اضحكتها ورقت لكَ وردّت لك الجواب . فشكرها تاج الملوك على ذلك وأمر عزيزًا ان يعطيها الف دينار . ثم انهُ قرأ الكتاب وفهمه وبكى بكاء شديدًا . فرقّ لهُ قلب العجوز وعظم عليها بكاؤه وشكواه . ثم قالت لهُ : ياولدي وايّ شيء في هذه الورقة حتى ابكاك . فقال لها : انها تهددني بالقتل والصلب وتنهاني عن خطبتها . وان لم اخطبها يكون موتي خيرًا من حياتي . فخذي جواب كتابها ودعيها تفعل ما تريد . فقالت لهُ العجوز : وحياة شبابك لا بدَّ اني اخاطر معك بروحي وابلغك مرادك واوصلك الى ما في خاطرك . فقال لها تاج الملوك : كل ما تفعلينه اجازيكِ عليهِ ويكون في ميزانكِ فانكِ خبيرة بالسياسة . وكل عسير عليك يسير . والله على كل شيء قدير . ثم اخذ ورقة وكتب فيها هذا البيت :

امست تهددني بالقتل وا حزني والقتل لي راحةٌ والموت مقدورُ

ثم انهُ تنفس الصعداء وبكى حتى بكت العجوز . وبعد ذلك اخذت الورقة منهُ وقالت لهُ : طب نفساً وقرَّ عيناً فلا بدَّ ان ابلغك مقصودك

(الليلة الثانية والثلثون بعد المائة) . ثم قامت وتركتهُ وتوجهت الى السيدة دنيا . فرأتها متغيرة اللون من غيظها بمكتوب تاج الملوك . فناولتها الكتاب . فازدادت غيظاً وقالت للعجوز : اما قلت لكِ انهُ يطمع فينا . فقالت لها . وايُّ شيء هذا الكلب حتى يطمع فيكِ . فقالت لها السيدة دنيا : اذهبي اليهِ وقولي لهُ : ان راسلتها بعد ذلك ضربت عنقك . فقالت لها العجوز : اكتبي لهُ هذا الكلام في مكتوب وانا آخذ المكتوب معي لاجل ان يزداد خوفه . فاخذت ورقة وكتبت فيها هذه الابيات :

ايا غافلاً عن حادثات الطوارق وليس الى نيل الوصال بسابقِ

اتزعم يا مغرور ان تدرك السها ‌ ‌ ‌ وما انت للبدر المنير بلاحقِ

فدع عنك هذا القصد خيفة سطوتي ‌ ‌ ‌ بيوم عبوسٍ فيهِ شيب المفارقِ

ثم طوت الكتاب وناولتهُ للعجوز . فاخذتهُ وانطلقت بهِ الى تاج الملوك . فلما رآها قام على قدميهِ وقال : لا اعدمني الله بركة قدومكِ . فقالت لهُ العجوز : خذ جواب مكتوبك . فاخذ الورقة وقرأها وبكى بكاء شديدًا وقال : اني اشتهي من يقتلني الآن حتى استريح فان القتل اهون عليَّ من هذا الامر الذي انا فيهِ . ثم اخذ دواةً وقلماً وقرطاساً وكتب مكتوبًا . ثم طوى الكتاب واعطاه للعجوز وقال لها : لا تؤاخذيني فقد اتعبتكِ بدون فائدة . وأمر عزيزًا ان يدفع لها الف دينار وقال لها : يا امي ان هذه الورقة لا بدّ ان يعقبها كمال الاتصال او كمال الانفصال . فقالت لهُ : يا ولدي والله ما اشتهي لك الَّا الخير ومرادي ان اخطبها لك فانك انت القمر صاحب الانوار الساطعة . وهي الشمس الطالعة . وان لم اجمع بينكما فليس في حياتي فائدة . وانا قد قطعت عمري في المكر والخداع حتى بلغت التسعين من الاعوام فكيف اعجز عن هذا الامر . ثم ودعتهُ وطيَّبت قلبه وانصرفت . ولم تزل تمشي حتى دخلت على السيدة دنيا وقد اخفت الورقة في شعرها . فلما جلست عندها حكَّت رأسها وقالت : يا سيدتي عساكِ ان تفلي شوشتي فان لي زماناً ما دخلت الحمام . فكشفت السيدة دنيا عن مرفقيها وحلَّت شعر العجوز وصارت تفلي شوشتها . فسقطت الورقة من رأسها فرأتها السيدة دنيا فقالت : ما هذه الورقة . فقالت : كأني قعدت على دكان التاجر فتعلقت مني هذه الورقة هاتيها حتى اوديها لهُ وربما يكون فيها حساب يحتاجه . ففتحتها السيدة دنيا وقرأتها وفهمت ما فيها وقالت للعجوز : هذه حيلة من بعض حيلكِ ولولا انكِ ربَّيتِني لبطشت بكِ في هذا الوقت . وقد بلاني الله بهذا التاجر .

وكل ما جرى لي منهُ من تحت راسكِ وما ادري من اي ارض جاءنا هذا ولم يقدر احد من الناس ان يتجاسر عليَّ غيره وانا اخاف ان ينكشف امري وخصوصاً في رجل ما هو من جنسي ولا من اقراني . فاقبلت العجوز عليها وقالت: لا يقدر احد ان يتكلم بهذا الكلام خوفاً من سطوتكِ وهيبة ابيكِ ولا بأس ان تردي لهُ الجواب . فقالت : يا دادتي ان هذا شيطان كيف تجاسر على هذا الكلام ولم يخف من سطوة السلطان وقد تحيرت في امره . فان امرت بقتلهِ فليس بصواب وان تركته ازداد فيَّ تجاسره . فقالت لها العجوز : اكتبي لهُ كتاباً لعلهُ ينزجر . فطلبت ورقة ودواة وقلماً وكتبت لهُ هذه الابيات :

طال العتاب وفرط الجهل اغراكا	فكم بخط يدي في الشعر انهاكا
فان رجعت الى ما انت تذكرهُ	فقد اتاكَ غراب البين ينعاكا
وعن قليل يكون الموت مندفعاً	عليك والدفن تحت الارض مثواكا
وتترك الاهل يا مغرور في ندمٍ	على فراقك طول الدهر تنعاكا

(الليلة الثالثة والثلثون بعد المائة) . ثم طوت الورقة ودفعتها للعجوز . فاخذتها وتوجهت الى تاج الملوك فاعطتهُ اياها . فلما قرأها علم انها قاسية القلب وانهُ لا يصل اليها . فشكا امره الى الوزير . وطلب منهُ حسن التدبير . فقال لهُ الوزير : اعلم انهُ ما بقي شيء يفيد فيها غير انك تكتب لها كتاباً وتدعو عليها فيه . فقال : يا اخي يا عزيز اكتب لها عن لساني مثل ما تعرف . فاخذ عزيز ورقة وكتب هذه الابيات :

يا ربِّ بالخمسة الاشياخ تنقذني	ومن بليت بهِ فاجعلهُ في شجني
فكم ارقُ لها فيما بليت بهِ	وكم تجور على ضعفي وتظلمني
اهيم في غمراتٍ لا انقضاء لها	ولا ارى مسعفاً يا ربِّ يسعفني

ثم ان عزيزًا طوى الكتاب وناولهُ الى تاج الملوك . فلما قرأهُ اعجبه . ثم ناوله للعجوز . فاخذتهُ العجوز وتوجهت بهِ الى ان دخلت على السيدة دنيا فناولتها اياه . فلما قرأتهُ وفهمت مضمونه اغتاظت غيظاً شديدًا وقالت : كل الذي جرى لي من تحت راس هذه العجوز النحس . فصاحت على الجواري والخدم وقالت : امسكوا هذه العجوز الملعونة الماكرة واضربوها بنعالكم . فنزلوا عليها ضربًا بالنعال حتى غشي عليها . فلما افاقت قالت لها : والله يا عجوز السوء لولا خوفي من الله تعالى لقتلتكِ . ثم قالت لهم : اعيدوا عليها الضرب . فضربوها حتى غشي عليها . ثم امرتهم ان يجرُّوها ويرموها خارج الباب . فسحبوها على وجهها ورموها قدام الباب . فلما افاقت قامت تمشي وتقعد حتى وصلت الى منزلها وصبرت الى الصباح

ثم قامت وتمشت حتى اتت الى تاج الملوك واخبرته بجميع ما جرى لها . فصعب عليهِ ذلك وقال لها : يعزّ علينا يا امي ما جرى لكِ ولكن كل شيء بقضاء وقدر . فقالت لهُ : طب نفساً وقرَّ عيناً . فاني لا ازال اسعى حتى ازوجك بهذه الظالمة التي احرقتني بالضرب . فقال لها تاج الملوك : اخبريني ما سبب بغضها للرجال . فقالت : لانها رأت مناماً اوجب ذلك . فقال لها : وما ذلك المنام . فقالت : انها كانت نائمة ذات ليلة فرأت صيَّادًا نصب شركًا في الارض وبذر حوله قمحًا ثم جلس قريباً منهُ . فلم يبقَ شيء من الطيور الَّا وقد اتى الى ذلك الشرك . ورأت في الطيور حمامتين ذكرًا وانثى . فبينما هي تنظر الى الشرك واذا برِجل الذكر تعلقت في الشرك وصار يختبط فنفرت عنهُ جميع الطيور وفرَّت . فرجعت اليهِ امرأته وحامت عليهِ ونزلت . ثم تقدمت الى الشرك والصياد غافل فصارت تنقر العين التي فيها رِجل الذكر وصارت تجذبه بمنقارها حتى خلصت

رجله من الشرك وطارت هي واياه . فجاء بعد ذلك الصياد واصلح الشرك وقعد بعيدًا عنهُ . فلم يمضِ غير ساعة حتى نزلت الطيور وعلق الشرك في الانثى . فنفرت عنها جميع الطيور ومن جملتها الطير الذكر ولم يعد لانثاه . فجاء الصياد واخذ الطيرة الانثى وذبحها . فانتبهت مرعوبة من منامها وقالت : كل ذكر مثل هذا ما فيهِ خير والرجال جميعهم ما عندهم خير للنساء . فلما فرغت من حديثها قال لها تاج الملوك : يا امي اريد ان انظر اليها نظرة واحدة ولو كان في ذلك مماتي . فتحيلي لي بحيلة حتى انظر اليها . فقالت : اعلم ان لها بستانًا تحت قصرها وهو برسم فرجتها وانها تخرج اليهِ في كل شهر مرةً من باب السر . وبعد عشرة ايام يجيء اوان خروجها الى الفرجة . فاذا ارادت الخروج اجيء اليك واعلمك حتى تخرج وتصادفها . واحرص على انك لا تفارق البستان فلعلَّها اذا رأت حسنك وجمالك ترضى بالزواج . فقال : سمعًا وطاعةً . ثم قام من الدكان هو وعزيز واخذا معهما العجوز ومضيا الى منزلها وعرفاه لها

(الليلة الرابعة والثلثون بعد المائة) . ثم ان تاج الملوك قال لعزيز : يا اخي ليس لي حاجة بالدكان وقد قضيت حاجتي منها ووهبتها لك وجميع ما فيها لانك تغربت معي وفارقت بلادك . فقبل عزيز منهُ ذلك . ثم جلسا يتحدثان وصار تاج الملوك يسألهُ عن غريب احواله وما جرى لهُ وصار هو يخبره بما حصل لهُ . وبعد ذلك اقبلا على الوزير واعلماه بما عزم عليهِ تاج الملوك وقالا لهُ : كيف العمل . فقال : قوموا بنا الى البستان . فلبس كل واحد منهم افخر ما عنده وخرجوا وخلفهم ثلثة مماليك وتوجهوا الى البستان فرأوهُ كثير الاشجار غزير الانهار . ورأوا الخولي جالسًا على الباب . فسلموا عليهِ . فردَّ عليهم السلام . فناولهُ الوزير مائة دينار وقال : اشتهي ان تأخذ هذه النفقة وتشتري لنا شيئًا

تأكله فاننا غرباء ومعي هؤلاء الاولاد واردت ان افرجهم . فاخذ البستاني الدنانير وقال لهم : ادخلوا وتفرجوا وجميعهُ ملككم واجلسوا حتى احضر لكم ما تأكلون. ثم توجه الى السوق. ودخل الوزير وتاج الملوك وعزيز داخل البستان بعد ان ذهب البستاني الى السوق . ثم بعد ساعة اتى ومعهُ خروف مشوي وخبز مثل القطن ووضعه بين ايديهم فاكلوا وشربوا . وبعد ذلك احضر لهم حلوى فتحلوا وغسلوا ايديهم وجلسوا يتحدثون . فقال الوزير : اخبرني عن هذا البستان هل هو لك ام انت مستأجره. فقال الشيخ: ما هو لي وانما هو لبنت الملك السيدة دنيا . فقال الوزير : كم لك في كل شهر من الاجرة . فقال : دينار واحد لا غير . فتأمل الوزير في البستان فرأى هناك قصرًا عاليًا الَّا انهُ عتيق . فقال الوزير : يا شيخ اريد ان اعمل هنا خيرًا تذكرني بهِ . فقال : يا سيدي وما تريد ان تفعل من الخير. فقال : خذ هذه الثلثمائة دينار . فلما سمع الخولي بذكر الذهب قال : يا سيدي مهما شئت فافعل. ثم اعطاه الدنانير وقال لهُ : ان شاء الله تعالى نفعل في هذا المحل خيرًا . ثم خرجوا من عنده وتوجهوا الى منزلهم وباتوا تلك الليلة

فلما كان من الغد احضر الوزير مبيضًا ونقاشًا وصائغًا جيدًا واحضر لهم جميع ما يحتاجون اليهِ من الآلات ودخل بهم البستان وامرهم بتبييض ذلك القصر وزخرفته بانواع النقش . ثم أمر باحضار الذهب واللازورد. وقال للنقاش : اعمل في صدر هذا الايوان صورة آدمي صياد كانهُ نصب شركه وقد وقعت فيهِ طيور وحمامة واشتبكت بمنقارها في الشرك . فلما نقش النقاش جانبًا وفرغ من نقشه قال لهُ الوزير : افعل في الجانب الآخر مثل الاول وصوّر صورة الحمامة وحدها في الشرك وان الصياد اخذها ووضع السكين على رقبتها. واعمل في الجانب الآخر

صورة جارح كبير قد قنص ذكر الحمام وانشب فيه مخالبه. ففعل ذلك. فلما فرغوا من هذه الاشياء التي ذكرها الوزير واعطاهم اجرتهم انصرفوا. وانصرف الوزير ومن معهُ وودّعوا البستاني . ثم توجهوا الى منزلهم وجلسوا يتحدثون

هذا ما كان من امر هؤلاء . واما ما كان من امر العجوز فانها انقطعت في بيتها. واشتاقت بنت الملك الى الفرجة في البستان وهي لا تخرج الّا بالعجوز. فارسلت اليها وصالحتها وطيبت خاطرها وقالت: اني اريد ان اخرج الى البستان لا تفرّج على اشجاره واثماره وينشرح صدري بازهاره . فقالت لها العجوز : سمعاً وطاعةً ولكن اريد ان اذهب الى بيتي والبس اثوابي واحضر عندكِ . فقالت لها : اذهبي الى بيتكِ ولا تتأخري عني . فخرجت العجوز من عندها وتوجهت الى تاج الملوك وقالت لهُ : تجهز والبس افخر اثوابك واذهب الى البستان وادخل على البستاني وسلّم عليه ثم اختفِ في البستان . فقال : سمعاً وطاعةً. وجعلت بينها وبينهُ اشارة . ثم توجهت الى السيدة دنيا. وبعد ذهابها قام الوزير وعزيز والبسا تاج الملوك بدلة من افخر ملابس الملوك تساوي خمسة آلاف دينار وشدّا في وسطهِ منطقة من الذهب مرصعة بالجواهر والمعادن . ثم توجهوا الى البستان . فلما وصلوا الى باب البستان وجدوا الخولي جالساً هناك. فلما رآه البستاني نهض لهُ على الاقدام وقابلهُ بالتعظيم والاكرام وفتح لهُ الباب وقال لهُ : ادخل وتفرج في البستان. ولم يعلم البستاني ان بنت الملك تدخل البستان في هذا اليوم. فلما دخل تاج الملوك لم يلبث الّا مقدار ساعة حتى سمع ضجة فلم يشعر الّا والخدم والجواري خرجوا من باب السرّ . فلما رآهم الخولي ذهب الى تاج الملوك واعلمهُ بمجيئها وقال لهُ . يا مولاي كيف يكون العمل وقد اتت ابنة الملك السيدة دنيا. فقال : لا بأس عليك فاني اختفي في بعض مواضع البستان . فاوصاه البستاني

بغاية الاختفاء . ثم تركهُ وراح . فلما دخلت بنت الملك هي وجواريها والعجوز في البستان قالت العجوز لابنة الملك : يا سيدتي اني اقول لكِ على شيء فيهِ راحة لقلبكِ . فقالت السيدة دنيا : قولي ما عندكِ . فقالت العجوز : يا سيدتي ان هؤلاء الخدم لا حاجة بكِ اليهم في هذا الوقت ولا ينشرح صدركِ ما داموا معنا فاصرفيهم عنا . فقالت السيدة دنيا : صدقتِ . ثم صرفتهم . وبعد قليل تمشت فنظرها تاج الملوك . وصارت العجوز تسارقها في الحديث الى ان اوصلتها الى القصر الذي أمر الوزير بنقشه . ثم دخلت ذلك القصر وتفرجت على نقشه وابصرت الطيور والصياد والحمام . فقالت : سبحان الله ان هذه صفة ما رأيتهُ في المنام . وصارت تنظر الى صور الطيور والصياد والشرك وتتعجب . ثم قالت : يا دادتي اني كنت ألوم الرجال وابغضهم ولكن انظري الصياد كيف ذبحت الطيرة الانثى وتخلص الذكر واراد ان يجيء الى الانثى ويخلصها فقابلهُ الجارح وافترسه . وصارت العجوز تتجاهل عليها وتشاغلها بالحديث الى ان قربتا من المكان المختفي فيه تاج الملوك فاشارت اليهِ العجوز ان يتمشى تحت شبابيك القصر . فبينما السيدة دنيا كذلك اذ لاحت منها التفاتة فرأتهُ وتأملت جمالهُ وقده واعتداله . ثم قالت : يا دادتي من اين هذا الشاب المليح . فقالت : لا اعلم بهِ غير اني اظن انهُ ولد ملك عظيم فانهُ بلغ من الحسن النهاية . ومن الجمال الغاية . فقالت العجوز : يا دادتي ان هذا الشاب مليح . فقالت لها العجوز : صدقتِ يا سيدتي . ثم ان العجوز اشارت الى ابن الملك ان يذهب الى بيتهِ . فسار ولم يقف وودع الحولي وانصرف الى منزله . واخبر الوزير وعزيزًا بان العجوز اشارت اليهِ بالانصراف فصارا يصبّرانه ويقولان لهُ : لولا ان العجوز تعلم ان في رجوعك مصلحة ما اشارت عليك بهِ

هذا ما كان من أمر تاج الملوك والوزير وعزيز . واما ما كان من أمر بنت الملك السيدة دنيا فانها قالت للعجوز : اطلب منكِ ان تعملي لي طريقة وتخطبي لي هذا الشاب . فقالت لها العجوز : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم انتِ لا تريدين الرجال فكيف تغيرت بكِ الاحوال . لكن والله ما يصلح لشبابكِ الّا هو . فقالت السيدة دنيا : يا دادتي اسعفيني وساعديني بخطبتهِ ولكِ عندي الف دينار وخلعة بالف دينار . وان لم تسعفيني فاني اغضب عليكِ . فقالت العجوز : امضِ انتِ الى قصركِ وانا اتسبب في اجتماعكما وابذل روحي في مرضاتكما . ثم ان السيدة دنيا توجهت الى قصرها وتوجهت العجوز الى تاج الملوك . فلما رآها نهض لها على الاقدام . وقابلها باعزاز واكرام . واجلسها الى جانبه . فقالت لهُ : ان الحيلة قد تمت . وحكت لهُ ما جرى لها مع السيدة دنيا . فاعطاها الف دينار وحلة بالف دينار فاخذتهما وانصرفت . وما زالت سائرة حتى دخلت على السيدة دنيا . فقالت لها : يا دادتي ما عندكِ من الخبر . فقالت لها : قد عرفت مكانه . ففرحت السيدة دنيا بذلك واعطتها الف دينار وحلة بالف دينار . فاخذتهما وانصرفت الى منزلها و باتت فيهِ

ولما كان الصباح جاءت العجوز واخذت تاج الملوك الى مقصورة الست دنيا . فكان اول ما رآها قال لها : مرادي ان اخبركِ بحقيقتي : فاعلمي اني لست بتاجر بل انا ملك ابن ملك واسم ابي الملك الاعظم سليمان شاه الذي انفذ الوزيرَ رسولاً الى ابيكِ ليخطبكِ لي . فلما بلغكِ الخبر ما رضيتِ . ثم انهُ قصّ عليها قصته من الاول الى الآخر . وليس في الاعادة افادة . واريد الآن ان اتوجه الى ابي ليرسل رسولاً الى ابيكِ ويخطبكِ منهُ ونستريح . فلما سمعت منهُ ذلك الكلام فرحت فرحاً شديداً لانهُ وافق غرضها

ثم اتفق بالامر المقدر انه في ذلك الوقت كان الملك شهرمان جالساً في دست مملكته وبين يديه امراء دولته اذ دخل عليهِ عريف الصياغ وبيده حق كبير فتقدم وفتحه بين يدي الملك واخرج منهُ علبة لطيفة تساوي مائة الف دينار لما فيها من الجواهر واليواقيت والزمرد مما لا يقدر عليهِ احد من ملوك الاقطار . فلما رآها الملك تعجب من حسنها والتفت الى الخادم الكبير وقال لهُ : يا كافور خذ هذه العلبة وامضِ بها الى السيدة دنيا . فاخذها الخادم ومضى حتى وصل الى بنت الملك فوجد السيدة دنيا تتحدث مع تاج الملوك . فلما رأى ذلك تحيَّر في امره ورجع الى الملك . فقال لهُ الملك : هل اعطيت العلبة لسيدتك . فقال له الخادم : خذ العلبة ها هي وانا لا اقدر ان اخفي عنك شيئاً . اعلم اني رأيت عند السيدة دنيا شاباً جميلاً يتحدث معها . فأمر الملك باحضارهما . فلما حضرا بين يديه قال لهما : ما هذه الفعال واشتدَّ بهِ الغيظ فاخذ نمشة وهمَّ ان يضرب تاج الملوك . فرمت السيدة دنيا وجهها عليهِ وقالت لابيها : اقتلني قبله . فنهرها الملك وامرهم ان يمضوا بها الى حجرتها . ثم التفت الى تاج الملوك وقال لهُ : ويلك من اين انت ومن ابوك وما جرَّأك على ان تتحدث مع ابنتي . فقال تاج الملوك : اعلم ايها الملك انك ان قتلتني هلكت وندمت انت ومن في مملكتك . فقال له الملك : ولِمَ ذلك . فقال : اعلم اني ابن الملك سليمان شاه وما تدري الّا وهو قد اقبل عليك بخيله ورجله . فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام اراد ان يؤخر قتله فوضعه في السجن حتى ينظر صحة قوله . وبقي تاج الملوك مدة شهر في الحبس

(الليلة الخامسة والثلثون بعد المائة) . هذا ما كان من امر تاج الملوك والسيدة دنيا . واما ما كان من امر الوزير وعزيز فانهما لما توجه تاج الملوك الى قصر بنت الملك ومكث تلك المدة في الحبس لم يعلما لهُ بخبر وايقنا انهُ هالك

لا محالة . فقال عزيز للوزير : يا والدي ماذا تصنع . فقال الوزير : يا ولدي ان هذا الامر مشكل وان لم نرجع الى ابيه ونعلمه فانهُ يلومنا على ذلك . ثم تجهزا في الوقت والساعة وتوجها الى الارض الخضراء والعمودين وتخت الملك سليمان شاه وسارا يقطعان الاودية في الليل والنهار الى ان دخلا على الملك سليمان شاه واخبراه بما جرى لولده وانهُ من حين دخل قصر بنت الملك لم يعلموا لهُ خبرًا . فعند ذلك قامت عليهِ القيامة . واشتدَّت بهِ الندامة . وأمر ان ينادى في مملكته بالجهاد . ثم اخرج العساكر الى خارج مدينته ونصب لهم الخيام وجلس في سرادقه حتى اجتمعت الجيوش من سائر الاقطار وكانت رعيته تحبهُ لكثرة عدله واحسانه . ثم سار في عسكر سدَّ الافق متوجهًا في طلب ولده تاج الملوك

هذا ما كان من امر هؤلاء . واما ما كان من امر تاج الملوك فانَّ الوزير قال للملك : يا ملك الزمان . الرأي عندي ان تعجل قتل هذا الخائن فانهُ تجاسر على بنات الملوك . فقال الملك للسياف : اذهب واضرب عنقه فانهُ خائن . فذهب السياف واخرجه من الحبس وشدَّ وثاقه ورفع يده وشاور الامراء اولًا وثانيًا وقصد بذلك ان يكون في الامر تأنٍ . فزعق عليهِ الملك وقال لهُ : الى متى تشاور ان شاورت مرة اخرى ضربت عنقك . فرفع السياف يده حتى بان شعر ابطه واراد ان يضرب عنقه

(الليلة السادسة والثلثون بعد المائة) . واذا بزعقات عالية والناس اغلقوا الدكاكين . فقال الملك للسياف : لا تعجل . ثم ارسل من يكشف لهُ الخبر . فمضى الرسول ثم عاد اليهِ وقال لهُ : رأيت عسكرًا كالبحر العجاج . المتلاطم بالامواج . وخيلهم في ركض . وقد ارتجت لهم الارض . وما ادري خبرهم . فاندهش الملك وخاف على ملكه ان ينزع منهُ . ثم التفت الى وزيره وقال لهُ :

اما خرج احد من عسكرنا الى هذا العسكر . فما تمّ كلامهُ الّا وحجابه قد دخلوا عليهِ ومعهم رسل الملك القادم ومن جملتهم الوزير فابتدأهم بالسلام . فنهض لهم قائمًا وقرَّبهم وسألهم عن شأن قدومهم . فنهض الوزير من بينهم وتقدم اليهِ وقال لهُ : اعلم ان الذي نزل بارضك ملك ليس كالملوك المتقدمين . ولا مثل السلاطين السالفين . فقال لهُ الملك : ومَن هو . قال له الوزير : هو صاحب العدل والامان . الذي تحدَّث بعلوّ همته الركبان . السلطان سليمان شاه صاحب الارض الخضراء والعمودين وجبال اصفهان . وهو يحبّ العدل والانصاف . ويكره الجور والاعتساف . ويقول لك : ان ابنهُ عندك . وفي مدينتك . وهو حشاشة قلبه . وثمرة فؤاده . فان وجده سالمًا فهو المقصود . وانت المشكور المحمود . وان كان فقد من بلادك او اصابهُ شيء فابشر بالدمار . وخراب الديار . فانهُ يصير بلدك قفرًا ينعق فيهِ الغراب . وها انا قد بلغتك الرسالة والسلام

فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام من الرسول انزعج فؤاده وخاف على مملكته وزعق على ارباب دولته ووزرائه وحجابه ونوابه . فلما حضروا قال لهم : ويلكم انزلوا وفتشوا على ذلك الغلام وكان تحت يد السياف وقد تغير من كثرة ما حصل لهُ من الفزع . ثم ان الرسول لاحت منهُ التفاتة فوجد ابن ملكه على نطع الدم فعرفهُ وقام ورمى روحهُ عليهِ وكذلك بقية الرسل . ثم تقدموا وحلوا وثاقه وقبلوا يديه ورجليه . ففتح تاج الملوك عينهُ فعرف وزير والده وعرف صاحبه عزيزًا فوقع مغشيًا عليه من شدة فرحته بهما . ثم ان الملك شهرمان صار متحيرًا في امره وخاف خوفًا شديدًا لما تحقق ان مجيءْ هذا العسكر بسبب هذا الغلام . فقام وتمشى الى عند تاج الملوك وقبّل رأسه ودمعت عيناه وقال لهُ : يا ولدي

لا تؤاخذني ولا تؤاخذ المسيء بفعله فارحم شيبتي ولا تخرّب مملكتي . فدنا منه تاج الملوك وقبل يده وقال لهُ : لا بأس عليك وانت عندي بمنزلة والدي ولكن الحذر ان يصيب السيدة دنيا شيء . فقال : يا سيدي لا تخف عليها فما يحصل لها الّا السرور . وصار الملك يعتذر اليه ويطيب خاطر وزير الملك سليمان شاه ووعده بالمال الجزيل على ان يخفي عن الملك ما رآه . ثم ان الملك شهرمان أمر كبراء دولته ان يأخذوا تاج الملوك ويمضوا بهِ الى الحمام ويلبسوه كسوة من خيار ملبوسه ويأتوا بهِ سرعةً . ففعلوا ذلك وادخلوه الحمام والبسوه الكسوة التي افردها لهُ الملك شهرمان . ثم اتوا بهِ الى المجلس . فلما دخل على الملك شهرمان وقف لهُ هو وأوقف لهُ جميع اكابر دولته في الخدمة . ثم ان تاج الملوك جلس يحدّث وزير والده وعزيزًا بما وقع لهُ . فقال لهُ الوزير وعزيز : ونحن في تلك المدة مضينا الى والدك فاخبرناه بانك دخلت سراية بنت الملك ولم تخرج . والتبس علينا امرك . فحين سمع بذلك جهز العساكر . ثم قدمنا هذه الديار وكان بقدومنا غاية الفرج لك والسرور لنا . فقال لهما : لم يزل الخير يجري على ايديكما اولًا وآخرًا . هذا والملك شهرمان دخل على بنته الست دنيا فوجدها تولول وتبكي على تاج الملوك واخذت سيفًا وركزت قبضته في الارض وجعلت ذبابته على راس قلبها وانحنت على السيف ووقفت تقول : لا بدّ ان اقتل نفسي ولا اعيش بعد حبيبي . فلما دخل عليها ابوها ورآها في هذه الحالة صاح عليها وقال لها : يا سيدة بنات الملوك لا تفعلي وارحمي اباكِ واهل بلدتكِ . ثم تقدم اليها وقال : احاشيكِ ان يصيب والدكِ بسببكِ سوء . ثم اعلمها بالقصة ان ابن الملك سليمان شاه يريد زواجها وقال لها : ان امر الخطبة والزواج مفوّض الى رأيكِ . فتبسمت وقالت لهُ : انا ما قلت لك انهُ ابن سلطان . والله لا بدّ ان اخليه يصلبك على خشبة

تساوي درهمين . فقال لها ابوها : يا بنتي ارحميني يرحمك الله . فقالت لهُ : هيا بالعجل . رُح وائتني بهِ بسرعةٍ بلا مهل . فقال لها : على الرأس والعين . ثم رجع من عندها عاجلًا ودخل على تاج الملوك وساره بهذا الكلام وقام هو واياه واتيا اليها . فلما رأت تاج الملوك عانقتهُ بحضرة ابيها وقالت لهُ : اوحشتني . ثم التفتت الى ابيها وقالت : هل رأيت احدًا يفرط في مثل هذه الذات الجميلة . ومع ذلك انهُ ملك ابن ملك ومن الاحرار المصونين عن الرذائل . فعند ذلك خرج الملك شهرمان ومضى الى وزير الملك سليمان شاه ومن بصحبته من الرسل وامرهم ان يعلموا ملكهم ان ولده في خير وسرور . فتوجهوا الى الملك ليعلموهُ بذلك . ثم ان الملك شهرمان أمر باخراج التقادم والعلوفات والضيافات الى عساكر الملك سليمان شاه . فلما اخرجوا جميع ما أمر بهِ اخرج مائة جواد ومائة هجين ومائة مملوك ومائة سريَّة ومائة عبد ومائة جارية وساق الجميع قدامه هديةً . وركب هو في اكابر دولته وخواصه حتى صاروا خارج المدينة . فلما علم السلطان سليمان شاه بذلك قام وتمشى خطوات الى لقائه . وكان الوزير وعزيز اعلماه بالخبر ففرح وقال : الحمد لله الذي بلغ ولدي مناه . ثم ان الملك سليمان شاه ضمَّ الملك شهرمان الى صدره واجلسه بجانبه على السرير وتحادثا وانبسطا مع بعضهما في الكلام . ثم قُدم لهم الطعام فاكلوا حتى اكتفوا . ثم قُدمت لهم الحلويات فتحلوا والفواكه والنقل فتفكهوا وتنقلوا . ولم يكن غير ساعة الّا وتاج الملوك قد اقبل عليهم في زيّ عظيم وزينة . فلما رآه والده قام اليهِ واحتضنه وقبله وقام جميع من كان جالسًا واجلسه الملكان بينهما وجلسوا يتحدثون ساعة . فقال الملك سليمان شاه للملك شهرمان : اني اريد ان اكتب كتاب ولدي على ابنتك على رؤوس الاشهاد ليشتهر ذلك كما هو السنَة . فقال لهُ : السمع والطاعة .

فعند ذلك ارسل الملك شهرمان الى القاضي والشهود فحضروا وكتبوا كتاب تاج الملوك على الست دنيا وفرقت البقاشيش والسكر وانطلق البخور والطيب وكان يوم فرح وسرور وفرحت جميع الاكابر والعساكر بذلك وشرع الملك شهرمان في تجهيز ابنته . ثم ان تاج الملوك قال لوالده : ان هذا الشاب عزيزًا رجل من الكرام وقد خدمني خدمة عظيمة وتعب معي وسافر معي واوصلني الى بغيتي . وصبر معي حتى نلت ما كنت اريد ولهُ الآن معي سنتان وهو مشتت من بلاده وقصدي اننا نهيء لهُ تجارة من هنا ويسافر مجبور الخاطر فان بلاده قريبة . فقال لهُ والده : نعمَ ما رأيت . فعند ذلك هيأوا لهُ مائة حمل من الفخر الكسوة واغلاها واقبل عليهِ تاج الملوك وانعم عليهِ بالمال الجزيل وودعهُ وقال لهُ : يا اخي وصديقي خذ هذه الاحمال واقبلها مني على سبيل الهدية والمحبة وتوجه الى بلادك مع السلامة . فقبلها منهُ وقبل الارض بين يديه وبين يدي والده وودعهم وركب تاج الملوك مع عزيز حتى شيعهُ قدر ثلثة اميال واخذ خاطره واقسم عليهِ ان يرجع بعدها . فقال لهُ عزيز : والله يا سيدي لولا والدتي ما فارقتك ولكن يا سيدي لا تقطع اخبارك عني . فقال لهُ : وهو كذلك . ورجع تاج الملوك . وسافر عزيز حتى وصل الى بلاده . فدخلها ولم يزل سائرًا حتى دخل على امه فوجدها بنت لهُ قبرًا في وسط الدار وصارت تزوره . فلما دخل الدار وجدها قد حلت شعرها ونشرتهُ على القبر وهي تبكي وتقول :

واني لصبَّارٌ على كل حادثٍ ولكنني من خطة البين اجزعُ
ومن ذا يطيق الصبر بعد خليلهِ ومن ذا لوشك البين لا يتضعضعُ

ثم صعدت الزفرات وانشدت هذه الابيات :

ما لي مررت على القبور مسلمًا قبر الحبيب فلم يردَّ جوابي

قال الحبيب وكيف رد جوابكم وانا رهين جنادلٍ وترابِ
اكل التراب محاسني فنسيتكم وحجبت عن اهلي وعن احبابي

فبينما هي كذلك اذا بعزيز اقبل ودخل عليها . فلما رأتهُ وقعت مغشياً عليها من الفرح . فنضح على وجهها الماء . فأفاقت وقامت واخذتهُ في حضنها وضمتهُ وسلّم عليها وسلمت عليه وسألتهُ عن سبب غيابه . فحكى لها عما وقع لهُ من الاول الى الآخر واخبرها ان تاج الملوك اعطاه من المال والكسوة مائة حمل . ففرحت بذلك . واقام عزيز عند والدته في بلدته يبكي على ما وقع لهُ

هذا ما وقع لعزيز . واما ما كان من امر تاج الملوك فان الملك شهرمان شرع في تجهيز ابنته للسفر مع زوجها وابيها فاحضر لهم الزاد والهدايا والتحف فحملوا وساروا وسار معهم الملك شهرمان ثلثة ايام لاجل الوداع . فاقسم عليهِ الملك شاه سليمان بالرجوع فرجع . وما زال تاج الملوك ووالده وزوجته وعساكرهم سائرين في الليل والنهار حتى أشرفوا على مدينتهم . فتواترت الاخبار بقدومهم فزينت لهم المدينة

(الليلة السابعة والثلثون بعد المائة) . ثم دخلوا المدينة وجلس الملك على كرسي مملكته وولده تاج الملوك بجانبه فأعطى ووهب واطلق من كان مسجوناً عنده . ثم عمل لولده عرساً ثانياً واستمرّت بهِ المغنيات والملاهي شهراً كاملًا . ثم دخل تاج الملوك الى مقصورة زوجته بعد ان اجتمع مع ابيهِ وامه وما زالوا في الذ عيش وأهناه حتى اتاهم هادم اللذات

فعند ذلك قال ضوء المكان للوزير دندان : ان مثلك من يشرح القلب الحزين وينادم الملوك . ويسلك في تدبيرهم احسن السلوك . هذا كلهُ وهم محاصرون القسطنطينية حتى مضى عليهم اربع سنين . فاشتاقوا

الى اوطانهم وضجر العساكر وملوا من السهر والحصار . وادامة الحرب في الليل والنهار . فأمر الملك ضوء المكان باحضار بهرام ورستم وتركاش . فلما حضروا قال لهم : اعلموا اننا اقمنا هذه السنين وما بلغنا مراماً بل ازددنا هماً وغماً وقد اتينا لنخلص ثأر الملك عمر بن النعمان فقتل منا اخي شركان فصارت الحسرة حسرتين . والمصيبة مصيبتين . وسبب هذا كلهِ العجوز ذات الدواهي فانها هي التي قتلت السلطان في مملكته . واخذت زوجته الملكة صفية . وما كفاها ذلك حتى عملت الحيلة علينا وذبحت اخي . وقد التزمت وحلفت الايمان العظيمة انهُ لا بدّ من اخذ الثار. فما انتم قائلون فافهموا هذا الخطاب. وردُّوا عليَّ الجواب . فأطرقوا برؤوسهم وقالوا : الرأي للوزير دندان . فعند ذلك تقدم الوزير دندان الى الملك ضوء المكان وقال لهُ : اعلم يا ملك الزمان انهُ ما بقي في اقامتنا فائدة والرأي اننا نرحل الى الاوطان . ونقيم هناك برهة من الزمان . ثم نعود ونغزو الروم . فقال الملك : نعمَ هذا الرأي لان الناس اشتاقوا الى رؤية عيالهم وانا الآخر قد اقلقني الشوق الى ولدي كان ما كان . والى ابنة اخي قضي فكان. لانها بدمشق ولا اعلم ما كان من امرها . فلما سمع العساكر ذلك فرحوا ودعوا للوزير دندان . ثم ان الملك ضوء المكان أمر المنادي ان ينادي بالرحيل بعد ثلثة ايام. فاخذوا في تجهيز احوالهم. وفي اليوم الرابع دقت الكوسات ونشرت الرايات . وتقدم الوزير دندان في مقدم العسكر وسار الملك في وسطهِ وبجانبه الحاجب الكبير وسارت الجيوش . وما زالوا سائرين في الليل والنهار حتى وصلوا الى مدينة بغداد ففرح بقدومهم الناس . وزال عنهم الهم والباس . والتقت الحضَّار بالغيَّاب. وذهب كل امير الى داره وصعد الملك الى قصره ودخل على ولده كان ما كان وقد بلغ من العمر سبع سنين وصار ينزل ويركب . ولما

استراح الملك من السفر دخل الحمام هو وولده كان ما كان ثم رجع وجلس على كرسي مملكته . ووقف الوزير دندان بين يديه ودخل الامراء وخواص الدولة ووقفوا في خدمته . فعند ذلك طلب ضوء المكان صاحبه الوقاد الذي كان احسن اليهِ في غربته فأُحضر . فلما حضر بين يديهِ قام لهُ الملك اعظاماً لحقّه واجلسه الى جانبه وكان الملك قد حدث الوزير بما فعلهُ معهُ من الخير والمعروف فعظمتهُ الامراء وعظمهُ الوزير وكان الوقاد قد غلظ وسمن من الاكل والراحة . وصار عنقهُ كعنق الفيل . ووجههُ كبطن الدرفيل . واضحى طائش العقل لانهُ كان لا يخرج من المكان الذي هو فيهِ . فلم يعرف الملكَ بسيماه . فاقبل عليهِ الملك وبشّ في وجهه وحيّاه اعظم التحيّات وقال لهُ : ما اسرع ما نسيتني . فعند ذلك تنبه الوقاد وامعن فيهِ النظر وتحققه فعرفه وقام واثباً على الاقدام وقال : يا حبيبي من الذي عملك سلطاناً . فضحك عليهِ . ثم اقبل عليهِ الوزير وشرح لهُ القصة وقال لهُ : انهُ كان اخاك وصاحبك والآن صار ملك الارض . ولا بد ان يصل اليك منهُ خيرٌ كثير . وها انا اوصيك . اذا قال لك : تمنَّ عليَّ فلا تتمنَّ الَّا شيئاً عظيماً لانك عنده عزيز . فقال الوقاد : اخاف ان اتمنى شيئاً فلا يسمح لي بهِ او لا يقدر عليهِ . فقال لهُ الوزير : كلما تمنيتهُ يعطيك اياه وما عليك شيء . فقال لهُ : اذاً سأتمنى عليهِ الشيء الذي في خاطري وارجو من الله تعالى ان يسمح لي بهِ . فقال لهُ الوزير : طيّب قلبك . لو طلبت ولاية دمشق موضع اخيهِ لاعطاك وولاك عليها . فعند ذلك قام الوقاد على قدميهِ . فاشار لهُ ضوء المكان ان يجلس . فأبى وقال : معاذ الله قد انقضى ايام قعودي في حضرتك . فقال لهُ السلطان : لا بل هي باقية الى الآن فانك كنت سبباً لحياتي . لو طلبت مني كل ما اردت لاعطيتك اياه . لكن تمنَّ على الله ثم عليَّ . فقال لهُ : يا سيدي

اني اخاف . فقال : لا تخف . فقال : اخاف ان اتمنى شيئاً فلا تسمح لي بهِ .
فقال : وما هو . فضحك السلطان وقال لهُ : لو تمنيت نصف مملكتي لشاركتك
فيها فتمنَّ ما تريد ودع الكلام . قال الوقاد : اخاف . فقال : لا تخف . فقال :
اخاف ان اتمنى شيئاً لا تقدر عليهِ . فعند ذلك غضب السلطان وقال لهُ : تمنَّ
ما اردت . فقال لهُ : اتمنى على الله ثم عليك ان تكتب لي مرسوماً بعرافة جميع
الوقادين الذين بمدينة القدس . فضحك السلطان وجميع من حضر وقال لهُ :
تمنَّ غير هذا . فقال : يا سيدي اما قلت لكَ اني اخاف ان اتمنى شيئاً لا تسمح
لي بهِ او لا تقدر عليهِ . فلكزه الوزير ثانياً وثالثاً . وفي كل مرة يقول : اتمنى عليك .
فقال لهُ السلطان : تمنَّ واسرع . فقال : اتمنى عليك ان تجعلني رئيس الزبّالين في
مدينة القدس او في مدينة دمشق . فانقلب الحاضرون على ظهورهم من الضحك
عليهِ وضربهُ الوزير . فالتفت الوقاد الى الوزير وقال لهُ : اي شيء تكون حتى
تضربني وما لي ذنب فانك انت الذي قلت لي تمنَّ شيئاً عظيماً . ثم قال :
دعوني اسير الى بلادي . فعرف السلطان انهُ يلعب فصبر عليهِ قليلاً . ثم اقبل عليه
وقال لهُ . يا اخي تمنَّ عليَّ شيئاً عظيماً لائقاً بمقامنا . فقال : يا ملك الزمان اني
اتمنَّى على الله ثم على الملك ان تجعلني نائب دمشق موضع اخيك . فقال الملك :
ان الله اعطاك . فقبَّل الارض بين يديه . وامر الملك بوضع كرسي لهُ في مرتبته
وخلع عليه خلعة النيابة وكتب لهُ التوقيع بذلك وختمهُ لهُ وقال للوزير دندان :
ما يروح معهُ غيرك واذا اردت العود وجئت فأحضر معك ابنة اخي قضى فكان
فقال الوزير : سمعاً وطاعة . ثم اخذ الوقاد ونزل بهِ وتجهز للسفر . وأمر الملك
ان يُخرجوا للوقاد خدماً وحشماً وتختاً جديداً وكسوة سلطنة وقال للامراء : من
كان يحبُّني فليكرم هذا ويقدم لهُ هديَّة عظيمة . فقدم لهُ الامراء كل واحد بقدر

همته . وسماه السلطان الزبلكان ولقبهُ بالمجاهد . ولما كملت حوائجه خرج وصحبتهُ الوزير دندان . ثم ذهب الى الملك ليودعه ويطلب منهُ اذناً في السفر . فقام لهُ الملك وعانقهُ واوصاه بالعدل بين الرعية وأمره ان يأخذ الاهبة لجهاد بعد سنتين وودَّع بعضهم بعضاً وسار الملك المجاهد المسمى بالزبلكان بعد ان اوصاه الملك ضوء المكان بالرعية خيرًا وقدم لهُ الامراء المماليك والخدم فبلغوا خمسة آلاف مملوك وركبوا خلفهُ وركب الحاجب الكبير . ومقدَّم الديلم بهرام ومقدم العجم رستم ومقدم العرب تركاش وهم في خدمته وتوديعه . وما زالوا سائرين معهُ ثلثة ايام . ثم عادوا الى بغداد . ولم يزل السلطان الزبلكان والوزير دندان ومن معهم من العساكر سائرين الى ان وصلوا الى دمشق . وكانت الاخبار قد وصلت اليهم على اجنحة الطيور بان الملك ضوء المكان سلطن على دمشق سلطاناً يقال لهُ الزبلكان ولقبهُ بالمجاهد . فلما وصل الى دمشق زينت لهُ المدينة وخرج كل من في دمشق للفرجة ودخل السلطان الى دمشق في موكب عظيم وصعد الى القلعة وجلس على سرير المملكة ووقف الوزير دندان في خدمته يعرّفه منازل الامراء ومراتبهم وهم يدخلون عليهِ ويقبلون يديه ويدعون لهُ . فاقبل عليهم الملك الزبلكان وخلع واعطى ووهب . ثم فتح خزائن الاموال وانفقها على جميع العساكر كبيرًا وصغيرًا وحكم وعدل . وشرع الزبلكان في تجهيز بنت السلطان شركان قضى فكان وجعل لها محفة من الابريسم وجهز الوزير وقدم لهُ شيئاً من المال فابى الوزير دندان وقال لهُ : انت قريب عهد الملك وربما تحتاج الى الاموال وبعد هذا نقبل منك ونرسل اليك نطلب مالاً لجهاد او غير ذلك . ولما تهيأ الوزير دندان للسفر ركب السلطان المجاهد الى وداع الوزير دندان واحضر قضي فكان واركبها في المحفة وارسل معها عشر جوارٍ برسم الخدمة . وبعد ان سافر الوزير دندان رجع الملك

الجاهد الى مملكته ليدبرها واهتم بآلة السلاح وصار ينتظر الوقت الذي يرسل اليهِ فيهِ الملك ضوء المكان

هذا ما كان من امر السلطان الزبلكان . واما ما كان من امر الوزير دندان فانهُ لم يزل يقطع المراحل بقضي فكان حتى وصل الى الرحبة بعد شهر . ثم سار حتى اشرف على بغداد وارسل فاعلم ضوء المكان بقدومه . فركب وخرج الى لقائه . فاراد الوزير دندان ان يترجل . فاقسم عليهِ الملك ضوء المكان ان لا يفعل . فساق جواده حتى جاء الى جانبه وسألهُ عن الزبلكان الجاهد. فاعلمهُ انهُ بخير واعلمه بقدوم قضي فكان بنت اخيهِ شركان. ففرح وقال لهُ : دونك والراحة من تعب السفر ثلاثة ايام . ثم بعد ذلك تعالَ اليَّ . فقال : حبًا وكرامةً ثم ان الوزير توجه الى منزله. وخرج الملك الى قصره ودخل على ابنة اخيهِ قضي فكان وهي ابنة ثماني سنين . فلما رآها فرح بها وحزن على ابيها وفصل لها ثيابًا واعطاها مصاغًا وحليًا وأمر ان يبيتوها مع ابنهِ كان ما كان في مكان واحد . فخرجا اذكى اهل زمانهما واشجع . غير ان قضي فكان اصبحت صاحبة تدبير وعقل وخبرة بعواقب الامور. واصبح كان ما كان سمحًا كريمًا لا يفكر في عاقبة شيء. فكبر الاثنان وصار لهما من العمر عشر سنين وصارت قضي فكان تركب الخيل وتذهب مع ابن عمها في البرّ ويتعلمان الضرب بالسيف والطعن بالرمح حتي بلغ عمر كل منهما اثنتي عشرة سنة . ثم ان الملك انتهت اشغاله للجهاد واكمل الاهبة والاستعداد فاحضر الوزير دندان وقال لهُ : اعلم اني عزمت على شيء اذكره لك واريد اطلاعك عليهِ فاسرع في ردّ الجواب . فقال الوزير دندان : ما هو يا ملك الزمان . قال : عزمت ان اسلطن ولدي كان ما كان وافرح بهِ في حياتي واقاتل قدامه الى ان يدركني الممات فما عندك من الرأي . فقبل الوزير

دندان الارض بين يدي الملك ضوء المكان وقال لهُ : اعلم ايها الملك والسلطان صاحب العصر والاوان . ان ما خطر ببالك مليح . غير انهُ ما هو وقتـه الآن لخصلتين . الاولى ان ولدك كان ما كان صغير السن . والثانيـة ما جرت بهِ العادة ان من سلطن ولده في حياته لا يعيش بعد ذلك الَّا قليلًا وهذا ما عندي من الجواب . فقال : اعلم ايها الوزير اننا نقيم وصياً عليهِ الحاجب الكبير فانهُ صار منا والينا وقد تزوّج اختي وهو في منزلة اخي . فقال لهُ الوزير: افعـل ما بدا لك فنحن مطيعون امرك . فارسـل الملك الى الحـاجب الكبير فاحضره وكذلك اكابر مملكته وقال لهم : ان هذا ولدي كان ما كان قـد علمتم انهُ فارس اهل زمـانه وليس لهُ نظير في حربه وطعانه وقد جعلتهُ سلطاناً عليكم والحاجب الكبير عمه وهو وصيٌّ عليهِ . فقال الحاجب : يا ملك الزمان ما انا الَّا غريس نعمتك . فقال ضوء المكان : ايهـا الحاجب ان ولدي كان ما كان وابنـة اخي قضي فكان اولاد عمّ واني قد زوجتهـا بهِ واشهد الحاضرين على ذلك . ثم نقل لولده من المال ما يعجز عن وصفهِ اللسان . وبعد ذلـك دخل على اخته نزهة الزمان واعلمها بذلك . ففرحت وقالت : ان الاثنـين ولداي ابقاك الله وتعيش لهما انت مدى الزمان . فقال : يا اختي اني قضيت من الدنيا ما بقلبي وأمنت على ولدي لكن ينبغي ان تلاحظيهِ بعينـكِ وتلاحظي أُمه . ثم صار يوصي الحاجب ونزهة الزمان بولده وبنت اخيه وزوجته ليالي واياماً . وقد ايقن بكأس الحمام ولزم الوساد وصار الحاجب يتعاطى احكام العباد والبلاد . وبعد سنة احضر ولده كان ما كان والوزير دندان وقال : يا ولدي ان هـذا الوزير والدك من بعدي واعلم اني راحل من الدار الفانية الى الدار الباقية وقد قضيت غرضي من الدنيا . ولكن بقي في قلبي حسرة يزيلها الله على يديك . فقال ولده :

وما تلك الحسرة يا والدي . فقال : يا ولدي ان اموت ولم آخذ بثأر جدك عمر ابن النعمان وعمك الملك شركان من عجوز يقال لها ذات الدواهي . فان اعطاك الله النصر لا تنم عن اخذ الثأر . وكشف العار . واياك من مكر العجوز . واقبل ما يقوله لك الوزير دندان . لانهُ عماد ملكنا من قديم الزمان . فقبل منهُ ولده ذلك . ثم هملت عيناه بالدموع وازداد بهِ المرض وصار امر المملكة للحاجب صهرهِ وكان رجلًا كبيرًا فصار يحكم ويأمر وينهى . واستمرَّ على ذلك سنة كاملة وضوء المكان مشغول بمرضه ولم تزل تنهكهُ الامراض الى اربع سنين . وقعد الحاجب الكبير بالملك وارتضى به اهل المملكة واكابر الدولة ودعت لهُ جميع البلاد

هذا ما كان من امر ضوء المكان والحاجب . واما ما كان من امر ابن الملك كان ما كان فلم يكن يشتغل الَّا بركوب الخيل واللعب بالرمح والضرب بالنشاب . وكذلك بنت عمه قضى فكان وكانت تخرج هي واياه من اول النهار الى الليل فتدخل هي الى امها ويدخل هو الى امه فيجدها جالسة عند رأس ابيهِ تبكي . فيخدمه بالليل الى الصباح ثم يخرج هو وبنت عمه على عادتهما . وطالت بضوء المكان التوجعات . فبكى وانشد يقول هذه الابيات :

تفانت قوتي ومضى زماني ... وهـا انا قد بقيت كما تراني
فيوم العزّ كنت اعزّ قومي ... واسبقهم الى نيـل الامـاني
ترى قبل الممات ارى وليدي ... يكـون على الورى ملكًا مكاني
ويفتك بالعـداة لأخذ ثارٍ ... بضرب السيف او طعن السنانِ
انا المغبون في هذل وجدٍ ... اذا مولاي لا يشفي جنـاني

فلما فرغ من شعره وضع رأسه على الوسادة فغفلت عينهُ فنـام فرأى في

منامه قائلًا لهُ : ابشر فان ولدك يملأُ البلاد عدلًا ويملكها وتطيعه العباد . فانتبه من منامه مسرورًا من هذه البشارة التي رآها . ثم انهُ بعد ايام قلائل طرقهُ الممات فاصاب اهل بغداد لموته همٌّ عظيم وبكى عليهِ الوضيع والعظيم ومضى عليهِ الزمان كانهُ ما كان . وتغير حال كان ما كان وعزلهُ اهل بغداد وجعلوه هو وعياله في مكان على حدتهم . فلما رأت امُّ كان ما كان ذلك صارت في اذلّ الاحوال فقالت : لا بدّ لي من قصد الحاجب الكبير وارجو من اللطيف الخبير . فقامت من منزلها الى ان اتت الى بيت الحاجب الذي صار سلطانًا فوجدتهُ جالسًا على فراشه . فدخلت الى زوجته نزهة الزمان وبكت بكاء شديدًا وقالت لها : ان الميت ما لهُ صاحب فلا احوجكم الله مدى الدهور والاعوام ولا زلتم تحكمون بالعدل بين الخاص والعام . قد سمعتْ اذناكِ ورأت عيناكِ ما كنا فيهِ من الملك والعزّ والجاه والمال وحسن المعيشة والحال . والآن انقلب علينا الزمان وخاننا الدهر والاوان وقصدنا بالعدوان . واتيت اليكِ قاصدة احسانكِ بعد اسدائي للاحسان . لانهُ اذا مات الرجل ذلت بعدهُ النساء والبنات . ثم انشدت تقول هذه الابيات :

كفاكِ فان الموت مبدي العجائبِ وما غائب الاعمار عنا بغائبِ
وما هذه الايام الّا مراحلٌ مواردها ممزوجةٌ بالمصائبِ
وما ضرَّ قلبي مثل فقد اكارمٍ احاطت بهم مستعظمات النوائبِ

فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام تذكرت اخاها ضوء المكان وابنه كان ما كان فقرّبتها واقبلت عليها وقالت : انا الآن والله غنية وانتِ فقيرة فوالله ما تركنا افتقادكِ الّا خوفة من انكسار قلبكِ لئلّا يخطر ببالكِ ان ما نهديه اليكِ صدقة مع ان جميع ما نحن فيهِ من الخير منكِ ومن زوجكِ فبيتنا بيتكِ ومحلنا

محلكِ ولكِ ما لنا . وعليكِ ما علينا . ثم خلعت عليها ثياباً فاخرة وافردت لها مكاناً في القصر ملاصقاً لمكانها واقامت عندها في عيشة طيبة هي وولدها كان ما كان والبستهُ ثياب الملوك وافردت لهما الجواري برسم خدمتهما

(الليلة الثامنة والثلثون بعد المائة) . ثم ان نزهة الزمان بعد مدة قليلة ذكرت لزوجها حديث زوجة اخيها ضوء المكان . فدمعت عيناه وقال : ان شئتِ ان تنظري الدنيا بعدك فانظريها بعد غيركِ فاكرمي مثواها وأغني فقرها . هذا ما كان من امر نزهة الزمان وزوجها وامر ضوء المكان . واما ما كان من امر كان ما كان وبنت عمه قضي فكان فانهما كبرا وترعرعا حتى صارا كانهما غصنان مثمران . او قمران زاهران . وبلغا من العمر خمسة عشر عاماً وكانت قضي فكان من احسن البنات المخدرات . وقد جمع الله تعالى فيها كل المحاسن . واما كان ما كان فانه كان بديع الجمال . فائق الكمال . ليس لهُ في الوصف والحسن مثال . تلوح الشجاعة بين عينيهِ . وتشهد لهُ ولا تشهد عليه . وتميل القلوب القاسية اليهِ . اكحل الطرف . كامل الوصف : فلما اخضرَّ شاربه وصار لهُ عذار كثرت فيهِ الاشعار

(الليلة التاسعة والثلثون بعد المائة) . ثم ان كان ما كان دخل على جري عادته على عمته نزهة الزمان وسلم عليها . فردَّت عليهِ السلام . فقال لها : يا عمتي متى ينجز السلطان وعده الذي وعد بهِ ابي ان يزوجني ابنته . فقالت لهُ عمته : يا ولدي عندي كلام ما كنت احبّ ان اقولهُ . ولكن اخبرك بهِ رغماً عني . فقال لها : قولي . فقالت : ان اباك الحاجب ابا قضي فكان قد تغيرت نيتهُ فأمر بحجبها عنك . فاذا كان يا ولدي لك عندنا حاجة فانا ارسلها اليك من وراء الباب ولا عدت ترجع الى هنا من هذا الوقت . فلما سمع كلامها قام وخرج ولم

ينطق بحرف واحد ودخل على والدته فاعلمها بما قالته عمته وقال : ومن يأخذها غيري وهي بنت عمي وانا احق بها . فقالت لهُ امه : بطل هذا الكلام واسكت لئلا يصل الخبر الى الملك ساسان فيكون ذلك سبب حرمانك منها وسبب هلاكك وكثرة احزانك ولا يبعثون لنا في هذه الليلة عشاء ناكله ونموت جوعاً ونحن لو كنا في بلد غير هذه لكنا هلكنا من ألم الجوع او ذلّ السؤال . فلما سمع كان ما كان من امّه هذا الكلام زادت حسرته ودمعت عيناه فأنَّ واشتكى وقال لامه : ما بقي لي عند عمتي ولا عند هؤلاء القوم مقام بل اخرج من القصر واسكن في اطراف المدينة . فخرجت بهِ امهُ من القصر فأقاما بجوار قوم صعاليك وصارت امهُ تتردد الى قصر الملك ساسان وتأخذ منهُ ما تقتات بهِ هي واياه

ثم ان قضي فكان اختلت بامّ كان ما كان وقالت لها : يا عمتاه كيف حال ولدكِ . فقالت : يا بنتي انهُ باكي العينْ حزين القلب . فبكت قضي فكان وقالت . ما هجرتهُ لكلامه ولا بغضاً لهُ ولكن خوفاً عليهِ من الاعداء . ولولا عثرات لسانه وخفقان جنانه ما قطع ابي عنهُ احسانه واولاه منعه وحرمانه ولكن ايام الورى دول . والصبر في كل الامور اجمل . ولعلَّ من قضى علينا بالفراق . يمنّ لنا بالتلاق .

فلما سمعت منها امّ كان ما كان ذلك شكرتها ودعت لها وخرجت من عندها واعلمت ولدها كان ما كان بذلك . ثم مضت الايام والليالي حتى مضى لهُ من العمر سبع عشرة سنة . وقد كمل حسنه وتمّ ظرفهُ . فسهر ليلة من الليالي وحدث نفسه وقال : ما لي اسكت على نفسي حتى اذوب وما لي عيب الّا الفقر . ها اني اريد ان ارحل من هذه البلاد واطوف في البراري والقفار فان مقامي في هذه البلاد عذاب ولا لي فيها صديق ولا حبيب يسليني واريد ان اسلي نفسي بالغربة

عن الوطن حتى اموت واستريح من هذا الذلّ والحن . ثم انهُ انشد وجعل يقول هذه الابيات :

دع مهجتي تَرداد في خفقانها ليس التذلل في العدى من شانها
سأسير في الارض الوسيعة منقذًا نفسي وامنحها سوى حرمانها
واعود مسرور الفؤاد منعمًا واقاتل الابطال في ميدانها
ولسوف استاق الغنائم عائدًا واصول مقتدرًا على اقرانها

ثم ان كان ما كان خرج من القصر حافيًا ماشيًا في قميص قصير الاكمام . وعلى راسه لبدة لها سبعة اعوام . وصحبتهُ رغيف ناشف لهُ ثلاثة ايام . وخرج في حندس الظلام واتى الى باب الارج ببغداد فوقف هناك . ولما فُتح باب المدينة كان اول من خرج منهُ كان ما كان وساح على وجهه في القفار ليلًا ونهارًا . ولما اتى الليل طلبتهُ امه فلم تجده ابدًا فضاقت عليها الدنيا باتساعها . ولم تلتذّ بشي من متاعها . فانتظرتهُ اول يوم وثاني يوم وثالث يوم الى ان مضى عشرة ايام فلم تقع لهُ على خبر . فضاق صدرها وصرخت وقالت : يا ولدي يا انيسي هيجتَ احزاني . لقد كان بي ما كفاني . حتى بعدت عن اوطاني . فلا اتمتّع بعدك بطعام . ولا التذّ بمنام . وما بقي لي الّا البكاء والاحزان . يا ولدي من اي البلاد اناديك . واي بلد تأويك . ثم صعدت الزفرات . وانشدت تقول هذه الابيات :

علمنا بأنّا بعد غيبتكم نبلى ومدّت قسيّ للفراق لنا نبلا
وقد خلفوني بعد شدّ رحالهم اعالج كرب الموت اذ قطعوا الرملا
لقد هتفت بي جنح ليل حمامةٌ مطوقة ناحت فقلت لها مهلا
لعمرك لو كانت كمثلي حزينةً لما لبست طوقًا ولا خضبت رجلا
وفارقني الفي فلاقيت بعدهُ دواعي همّ لا تفارقني اصلا

ثم انها امتنعت من الطعام والشراب . وزادت في البكاء والانتحاب . وصار بكاؤها على رؤوس الاشهاد . فابكت العباد والبلاد . وصار الناس يقولون : اين عينك يا ضوء المكان . فترى ما جرى على كان ما كان . وشكوا تحامل الزمان . وقالوا : يا هل ترى ما جرى على كان ما كان حتى بعد عن وطنه وطُرد من المكان وكان ابوه يشبع الجيعان . ويامر بالعدل والامان . وزادت امهُ في البكاء والانان .

(الليلة الاربعون بعد المائة) : ثم ان الملك ساسان وصل اليهِ خبر كان ما كان من الامراء الكبار وقالوا لهُ : انهُ ولد ملكنا ومن ذرّية الملك عمر بن النعمان . وقد بلغنا انهُ تغرَّب عن الاوطان . فلما سمع الملك ساسان كلامهم غضب عليهم وأمر بشنق واحد منهم وعلقهُ . فوقعت هيبته في قلوب بقية الدولة ولم يقدر احد منهم ان يتكلم . ثم ان ساسان تذكر ما صنعه معهُ ضوء المكان من الجميل وانهُ اوصاه بهِ فحزن على كان ما كان وقال : لا بدَّ من التفتيش عليه في سائر البلاد . ثم انهُ احضر تركاش وأمره ان ينتخب مائة فارس ويفتش معهم على كان ما كان . فذهب وغاب عشرة ايام ثم رجع وقال : لم اَطلع لهُ على خبر ولا وقفت لهُ على اثر . فحزن الملك ساسان على ما فعل معهُ . واما امهُ فانها صارت لا يقرّ لها قرار . ولا يطاوعها اصطبار

هذا ما كان من امر هؤلاء . واما ما كان من امر كان ما كان فانهُ لما خرج من بغداد صار متحيرًا في امره ولم يعلم اين يروح . فسار في البرّ ثلثة ايام وحده . فلم يرَ راجلًا ولا فارسًا . فطار رقاده . وزاد سهاده . وتذكر اهله وبلاده . وصار يتقوَّت من نبات الارض ويشرب من انهارها . ويقيل وقت الحرّ في كل قائلةٍ تحت اشجارها . ثم خرج من تلك الطريق الى طريق اخرى

وسار فيها ثلثة ايام وفي اليوم الرابع اشرف على ارض معشبة الفلوات . مخضلّة النبات . مليحة الجنبات . وهذه الارض قد شربت من كاسات الغمام . على اصوات الرعود والحمام . فاخضرَّت جوانبها وطاب فلاها. فتذكر كان ما كان بلاد ابيهِ بغداد فانشد من فرط ما هو فيهِ يقول :

خرجتُ وفي املي عودةٌ ولكنني لست ادري متى

وشرَّدني انني لم اجد سبيلًا الى دفع ما قد اتى

فلما فرغ من شعره بكى ثم مسح دموعه واكل من ذلك النبات ما يتقوَّت بهِ وتوضأ وصلى ما فاته من الفرائض في هذه المدة وجلس يستريح ذلك اليوم بطوله في ذلك المكان . فلما جاء الليل نام ولم يزل نائمًا الى نصف الليل. ثم انتبه فسمع صوت انسان يقول هذه الابيات :

يا حبذا وقت الربيع وزهرهُ طاب الزمان بما اليهِ تسابقُ

يا شارب الصهباء دونك هذه ارض مزخرفةٌ وماءٌ دافقُ

فلما سمع كان ما كان هذه الابيات هاجت بهِ الاشجان . وجرت دموعه على خده كالغدران. وقام ينظر قائل هذا الكلام . فلم يرَ احدًا في جنح الظلام. فزاد وجده وفزع واخذه القلق . ونزل من مكانه الى اسفل الوادي ومشى على شاطئ النهر فسمع صاحب الصوت يصعد الزفرات ويقول هذه الابيات :

ان كنت تضمر ما في الحب اشفاقا فاطلق الدمع يوم البين اطلاقا

بيني وبين احبائي عهود هوًى لنا اليهم اظلُّ الدهر مشتاقا

وهل تعود ليالي الوصل تجمعنا يومًا ويشرح كلٌّ بعض ما لاقى

فلما سمع كان ما كان هذه الاشعار من صاحب ذلك الصوت ثاني مرةٍ ولم يرَ شخصهُ علم ان ذلك القائل حزين مثله. وقد اصابهُ ما اصابه. فقال في نفسه :

هذا يصلح ان يضع رأسهُ الى رأسي واجعلهُ انيساً لي في هذه الغربة . ثم تنحنح ونادى قائلًا : ايها السائر في الليل العاكر . تقرّب مني وقصّ عليَّ قصتك . لعلك تجدني معيناً لك على بليتك . فلما سمع صاحب الصوت ذلك الكلام نادى : ايها المجيب لدعوتي . والسامع لقصتي . من تكون من الفرسان . وهل انت من الانس او الجان . عجّل عليَّ بكلامك . قبل دنوّ حمامك . فقد مضى عليَّ في هذه البريَّة نحو عشرين يوماً لا ارى شخصاً ولا اسمع صوتاً غير صوتك . فلما سمع كان ما كان هذا الكلام قال في نفسه : هذا قصته مثل قصتي فاني انا الآخر لي ايضاً عشرون يوماً وانا سائر لم ارَ شخصاً ولم اسمع صوتاً وقال في نفسه : لا اردّ عليهِ جواباً حتى يطلع النهار ثم سكت . فناداه صاحب الصوت : ايها الداعي ان كنت من الجان فاذهب بسلام . وان كنت انسياً فالبث مليّاً حتى يطلع الفجر والنهار . ويذهب الليل بالاعتكار . ثم لبث المنادي مكانه ولبث كان ما كان مكانه . ولم يزالا يتناشدان الاشعار . ويبكيان بالدموع الغزار . حتى طلع ضوء النهار . وذهب الليل بالاعتكار . فنظر اليهِ كان ما كان فوجدهُ رجلًا من عرب البادية الَّا انهُ شاب في سنه وعليهِ ثياب رثة متقلد سيفاً صدي في جفيره وآثار الحزن عليهِ لائحة . فاتى اليهِ وتقدم وسلم عليهِ . فردَّ البدوي عليهِ السلام وحياه بالاكرام الَّا انهُ احتقره لما رأى من صغر سنه وحالته حالة فقير فقال لهُ : يا فتى من اي القوم انت والى من تنسب من العربان وما قصتك وانت سائر في الليل وهو فعل الابطال . وقد كلمتني في الليل كلاماً لا يتكلم بهِ الَّا كل فارس همام . وبطل ضرغام : والآن روحك في قبضتي ولكني ارحمك لصغر سنك فاجعلك رفيقي وتكون عندي برسم خدمتي . فلما سمع كان ما كان فظاعة كلامه بعد ما ابداه من حسن نظامه علم انهُ احتقره وطمع فيهِ . فقال لهُ بكلام لين فصيح :

يا وجه العرب دعنا من صغر سني واخبرني عن سبب سيرك بالليل في القفار . وانشادك الاشعار . واراك تذكر انني اخدمك فمن تكون انت وما حملك على هذا المقال . فقال لهُ : اسمع يا غلام انا صبَّاح بن رمَّاح بن همام . وقومي من عرب الشام . ولي بنت عمّ اسمها نجمة . وكان عمي وعد ابي ان يزوجني بابنته . ومات والدي وتربيت عند عمي ابي نجمة . فلما كبرتُ انا وكبرت بنت عمي حجبها عني وحجبني عنها لما رآني فقير الحال . قليل المال . فدخلت العرب الكبار . وسادات القبائل والحفت عليه . فاستحى منهم واجاب ان يعطيني بنت عمي ولكنهُ اشترط عليّ في مهرها خمسين رأساً من الخيل وخمسين ناقة عشاريات وخمسين جملاً محملة بُرًّا ومثلها شعيرًا وعشرة عبيد وعشر جوارٍ وحملني ما لا اطيق واكثر عليَّ في الصداق . وها انا مسافر من الشام الى العراق . ولي عشرون يوماً ما نظرت احدًا سواك وعزمت اني ادخل بغداد وانظر من يخرج منها من التجار المياسير الكبار فأخرج في اثرهم . وأُغير على اموالهم . واقتل رجالهم . واسوق جمالهم واحمالهم . فمن تكون انت من الناس . فقال كان ما كان : ان قصتك مثل قصتي غير ان مرضي اخطر من مرضك لان ابنة عمي بنت ملك واهلها لا يكفيهم مني ما ذكرت ولا يرضيهم شيء مثل هذا . فقال صباح : لعلك مهبول كيف تكون من ابناء الملوك وانت ما عليك سمة الملوك . وما انت الَّا صعلوك . فقال : يا وجه العرب لا تستغرب هذا الحال وما فات فات . وان شئت مني البيان فانا كان ما كان . ابن الملك ضوء المكان . ابن الملك عمر بن النعمان . صاحب بغداد وارض خراسان . وقد جار عليَّ الزمان . فمات والدي وتسلطن الملك ساسان . وخرجت من بغداد خفيةً لئلا يراني انسان . فها انا قد اوضحت لك البيان . ولي عشرون يوماً ما رأيت احدًا غيرك . فقصتك مثل قصتي

فلما سمع ذلك صبَّاح صاح: وا فرحتي . فاني بلغت منيتي . وليس لي اليوم كسب غيرك لانك من ذرّية الملوك . وخرجت في زي صعلوك . ولا بد ان اهلك يطلبونك . واذا وجدوك عند احد فبالاموال الجزيلة يفدونك . هيّاً فأدِر كتافك يا غلامي . وامشِ قدامي . فقال كان ما كان: لا تفعل يا اخا العرب . لان اهلي لا يشترونني بفضة ولا ذهب ولا بدرهم نحاس . وانا رجل فقير . ولا معي قليل ولا كثير . فدع عنك هذه الاخلاق . واتخذني من الرفاق . واخرج بنا من ارض العراق . لنجول في نواحي الآفاق . لعلنا نظفر بالمهر والصداق . فلما سمع صبَّاح ذلك الكلام غضب وزاد بهِ الاعجاب وقال لهُ : ويلك اتراجعني في الجواب يا اخسّ الكلاب . أدر كتافك والّا انزلت عليك العذاب . فتبسم كان ما كان وقال لهُ : كيف ادير لك الكتاف . اما عندك انصاف . أما تخشى معايرة العربان . ان تسوق رجلًا مثلي اسيرًا في الذل والهوان . وانت ما اختبرته في الميدان . لتعلم هل هو فارس او جبان . فضحك صبَّاح وقال : يا للعجب انك في سنّ الغلام . ولكنك كبير الكلام . لان هذا القول لا يصدر الّا عن البطل المصدام . فما تريد من انصاف . فقال لهُ كان ما كان : ان كنت تريدني اسيرًا معك وفي خدمتك فارمِ سلاحك وخفف ثيابك وادنو مني وصارعني . فكلُّ من صرع منا صاحبه بلغ منهُ مرامه . وجعله غلامه . فضحك صباح وقال : اظن ان كثرة كلامك تدل على قرب حمامك . ثم نهض ورمى سلاحه وشمّر اذياله ودنا من كان ما كان . فدنا منهُ الآخر وتجاذبا . فوجده البدوي يفوق عنهُ ويرجح عليه كما يرجح القنطار على الدينار . ونظر الى ثبات رجليهِ في الارض فوجدهما كالمأذنتين المؤسستين . او وتدين مدقوقين . او جبلين راسخين . فعرف من نفسه قصر باعه . وندم على الدنو من صراعه . وقال في نفسه : ليتني قاتلتهُ

بسلاحي . ثم ان كان ما كان قبض عليهِ وتمكن منهُ وهزّه . فحسَّ البدوي ان امعاءه تقطعت في بطنه . فصاح : امسك يدك يا غلام . فلم يلتفت الى ما ابداه من الكلام . بل هزّه ورفعه من الارض وقصد بهِ النهر ليرميه فيهِ . فناداه البدوي : يا ايها البطل ما الذي عزمت عليهِ . فقال : اريد ان ارميك في هذا النهر فهو يعبر بك الى دجلة . ودجلة تدخل بك الى نهر عيسى . ونهر عيسى يوصلك الى الفرات . والفرات يلقيك الى بلادك فيراك قومك فيعرفونك . ويعرفون مروءتك وصدق محبتك . فصاح صبَّاح ونادى : يا فارس البطاح . لا تفعل فعل القباح . اطلقني بحيوة آبائك . فعند ذلك وضعهُ كان ما كان في الارض . فلما رأى نفسهُ خالصاً اتى الى سيفه وترسه واخذهما وقعد يشاور نفسه في الغدر بهِ والهجوم عليه . فعرف كان ما كان من عينه ذلك فقال لهُ : قد عرفت ما في قلبك حيث ملكت سيفك وترسك وما لك في الصراع يد طويلة وانت عديم الحيل ولو كنت على فرس تجول . وبسيفك عليَّ تصول . لكنت من زمان مقتول . وانا ابلغك ما تختار . حتى لا يبقى في قلبك انكار . فاعطني الترس واهجم عليَّ بسيفك فاما ان تقتلني واما ان اقتلك . فقال لهُ : دونك ها هو . ورمى لهُ الترس وجرّد سيفه وهجم بهِ على كان ما كان . فتناول الترس بيمينه وصار يدافع بهِ عن نفسهِ . وصار صباح يضربهُ ويقول لهُ : ما بقي الَّا هذه الضربة الفاصلة . فما تخرج الَّا قاتلة . ويأخذها كان ما كان في الترس وتروح ضائعة . ولا يضربهُ لانهُ ما معهُ شيء يضرب بهِ . ولم يزل صباح يضربهُ بالسيف حتى كلَّت يده . وعرف خصمهُ منهُ ذلك فهجم عليهِ واحتضنهُ وهزَّهُ والقاه في الارض وادار اكتافه وكتفهُ بحمائل سيف وجرَّهُ من رجليهِ وقصد بهِ النهر . فناداه صباح : اي شيء تريد ان تصنع بي ايها الشاب وفارس الزمان وبطل الميدان . فقال

لهُ : ألم أقل لك ان قصدي ان ارسلك الى اهلك وقومك في النهر حتى لا يشتغل خاطرك ولا خاطرهم عليك . فتضجر صباح وبكى وصاح وقال : لا تفعل يا فارس الزمان . واطلقني واجعلني لك من بعض الغلمان . ثم بكى واشتكى وانشد يقول :

تغربت عن اهلي فيا طول غربتي ويا ليت شعري هل اموت غريبا
اموت واهلي ليس يعرف مقتلي واودي غريباً لا ازور حبيبا

فرحمهُ كان ما كان وقال لهُ : تعاهدني بالعهود والمواثيق . على انك تكون لي نعمَ الرفيق . وتصحبني في كل طريق . فقال : نعم . وعاهده على ذلك . فاطلقه كان ما كان . فقام صباح واراد ان يقبّل يد كان ما كان فمنعه من ذلك . ثم اخذ جرابه وفتحه واخرج منهُ ثلثة اقراص من الشعير ووضعها قدام كان ما كان وجلس هو واياه على حافة النهر واكل الاثنان مع بعضهما . ولما فرغا من الاكل توضأا وصلّيا وجلسا يتحدثان على ما لقياه من اهلهما ومن صروف الزمان . فقال لهُ كان ما كان : اي محل تقصد . فقال صباح : اقصد بغداد بلدك اقيم بها حتى يمنّ الله عليَّ بالصداق . فقال لهُ : دونك الطريق وها انا هنا . فودعهُ البدوي وطلب طريق بغداد . وقام كان ما كان وقال في نفسه : يا نفسي اي وجه للرجوع مع الفقر والفاقة فلا ارجع خائباً ولا بدَّ لي من الفرج ان شاء الله تعالى . ثم تقدم الى النهر وتوضأ وصلى . فلما سجد ووضع جبهته على التراب نادى ربَّه وقال : اللهمَّ منزل القطر ورازق الدود في الحجر . اسألك ان ترزقني بقدرتك ولطيف رحمتك . ثم فرغ من صلاته وضاق به كل مسلك . فبينما هو جالس يلتفت يميناً وشمالاً واذا بفارس اقبل على جواد وقد اقتعد ظهره وارخى عنانه . فاستوى كان ما كان جالساً . وبعد ساعة وصل اليه الفارس وهو في

آخر نفس وقد ايقن بالفناء لانهُ كان بهِ جرح بالغ . فلما وصل اليهِ جرى دمعهُ على خده مثل افواه القرَب وقال لكان ما كان : يا وجه العرب اتخذني ما عشت لك صديقاً فانك لا تجد مثلي واسقني قليلاً من الماء وان كان شرب الماء لا يصلح للمجروح ولا سيما وقت خروج الدم والروح . وان عشت دفعت لك ما يجبر كسرك وفقرك وان متّ فانت المسعود بحسن نيتك . وكان تحت ذلك الفارس جواد من جياد الخيل يكل عن وصفه اللسان ولهُ قوائم مثل اعمدة الرخام . فلما نظر اليه كان ما كان والى ذلك الحصان اخذه الهيمان وقال في نفسه : ان مثل هذا الحصان لا يوجد في هذا الزمان . ثم انهُ انزل الفارس ورفق بهِ وجرّعه يسيرًا من الماء وصبر عليهِ حتى اخذ الراحة واقبل عليهِ وقال لهُ : من الذي فعل بك هذه الفعال . فقال الفارس : انا اخبرك بحقيقة الحال . انا رجل سلال غيار . طول دهري اسلّ الخيل واختلسها في الليل والنهار . وانا يقال لي غسان . آفة كل حجرة وحصان . وقد سمعت بهذا الحصان في بلاد الروم عند الملك افريدون . وقد سماه بالقاتول ولقبهُ بالمجنون . وقد كنت سافرت الى القسطنطينية من اجله وصرت اراقبه . فبينما انا كذلك اذ خرجت عجوز معظمة عند الروم وامرها عندهم نافذ تسمى شواهي ذات الدواهي عندها الخداع المتناهي ومعها هذا الجواد وصحبتها عشرة عبيد لا غير وهم برسم خدمتها وسياسة الحصان . وقصدتْ هي بغداد وخراسان تريد الدخول على الملك ساسان لتطلب منهُ الصلح والامان . فخرجت في اثرهم طمعاً في الحصان . وما زلت اتتبع آثارهم ولا اقدر ان اصل اليهِ لان العبيد شِداد الحرص عليهِ الى ان وصلوا الى تلك البلاد . وخفت ان يدخلوا مدينة بغداد . فبينما انا اشاور نفسي في سرقة الحصان اذ طلع عليهم غبار حتى سد الاقطار . ثم انكشف ذلك الغبار

عن خمسين فارساً مجتمعين لقطع الطريق على التجار . ومقدمهم بطل كانهُ الضيغم الهراش يقال لهُ كهرداش . ولكنهُ في الحرب كاسد يجعل الابطال كالفراش

(الليلة الحادية والاربعون بعد المائة). ثم اطبق عليهم وصاح بهم وهاش وما كان الّا ساعة حتى ربط العشرة عبيدًا والعجوز . واخذ منهم الحصان وسار فرحان . فقلت في نفسي : ضاع تعبي وما بلغت اربي . ثم صبرت حتى انظر ما يؤول اليهِ الامر. فلما رأت العجوز نفسها في الاسر بكت وقالت للمقدم كهرداش : ايها الفارس الهمام والبطل الضرغام ماذا تصنع بالعجوز والعبيد . وقد بلغت بالحصان ما تريد . ثم انها خادعتهُ بلين الكلام وحلفت انها تسوق لهُ الخيل والانعام فأطلق العبيد واطلقها . ثم سار هو واصحابه وتبعتهم حتى وصلوا الى هذه الديار وانا أُلاحظه واتبعه . فلما وجدت اليهِ سبيلًا سرقته وركبته وأخرجت من مخلاتي سوطًا وضربتهُ . فلما احسوا بي لحقوني واحاطوا بي من كل مكان ورموني بالسهام والسنان وانا ثابت عليه وهو يقاتل عني بيديهِ ورجليه الى ان خرج بي من بينهم مثل السهم الراشق والنجم الطارق . ولكن لما اشتدَّ الكفاح . اصابني بعض الجراح . وقد مضى لي على ظهره ثلثة ايام لم اذق مناماً ولم التذَّ بطعام . وقد ضعفتْ مني القوى وهانت عليَّ الدنيا . وانت احسنت اليَّ . وشفقت عليَّ . واراك عاري الجسد . ظاهر الكمد . ويلوح عليك اثر النعمة . فمن انت ومن اين اقبلت والى اين تريد . فقلت لهُ : انا اسمي كان ما كان ابن الملك ضوء المكان ابن الملك عمر بن النعمان . قد مات والدي وتربيت يتيماً وتولَّى بعده رجل لئيم . وصار ملكاً على الحقير والعظيم . ثم حدثهُ بحديثه من اوله الى آخره . فقال لهُ السلال وقد رقَّ لهُ : انك ذو حسب عظيم . وشرف

جسيم . وسيكون لك شأن . وتصير افرس اهل هذا الزمان . فان قدرت ان تحملني وانت راكب ورائي وتؤديني الى بلادي . يكن لك الشرف في الدنيا والاجر في يوم التنادي . فانهُ ما بقي لي قوة امسك بها نفسي . وان كانت الاخرى فانت بالجواد اولى من غيرك . فقال لهُ كان ما كان: لو قدرت احملك على اكتافي او اقسمتك عمري لفعلت من غير ان آخذ هذا الجواد لاني من اهل المعروف . واحبّ اغاثة الملهوف . وفعل الخير لوجه الله تعالى يدفع سبعين بلاء عن صاحبه . فاعزم على المسير وتوكل على اللطيف الخبير . فاراد ان يحمله على الحصان ويسير متوكلًا على الله المستعان . فقال لهُ : اصبر عليَّ قليلًا . فغمض عينيه وفتح يديه وتلا الشهادتين ثم قال : يا عظيم . اغفر لي الذنب العظيم . فانهُ لا يغفر الذنب العظيم الّا العظيم . وتهيأ للممات وانشد هذه الابيات :

ظلمت العباد وطفت البلاد ... وامضيت عمري بشرب الخمورِ
وخضت السيول لسلّ الخيول ... وهدم الطلول بفعل النكورِ
وامري عظيمٌ وجرمي جسيم ... وقاتول مني تمام الامورِ
واملّت اني انال المنى ... بذاك الحصان فاعيا مسيري
وطولَ الحياة اسلُّ الخيولَ ... فكانت وفاتي عند القديرِ
وآخر امري اني تعبتُ ... لرزق الغريب اليتيم الفقيرِ

فلما فرغ من شعره غمض عينيهِ وفتح فاه وشهق شهقة ففارق الدنيا . فقام كان ما كان وحفر لهُ حفرة وواراه في التراب ثم اتى الى الجواد فقبَّلهُ ومسح وجههُ وفرح فرحًا شديدًا وقال : ما احدٌ حظي بمثل هذا الحصان ولا هو عند الملك ساسان

هذا ما جرى لكان ما كان . واما ما كان من امر الملك ساسان فانهُ

اتته الاخبار ان الوزير دندان خرج من طاعتـه هو ونصف العسكر وحلفوا ان ليس لهم ملك غير كان ما كان . واستوثق الوزير من العسكر بالعهود والايمان . ودخل بهم الى جزائر الهند والبربر و بلاد السودان . واجتمع معهم عساكر مثل البحر الزاخر . لا يعرف لهـا اول من آخر . وعزم الوزير ان يقصد بهم مدينـة بغداد . ويملك تلك البلاد . ويقتل من خالفهُ من العبـاد . واقسم انهُ لا يرد سيف الحرب الى غمده حتى يملك كان ما كان . فلما بلغتهُ هذه الاخبار غرق في بحر الافـكار . وعلم ان الدولة انحرفت عليهِ الصغـار والكبار . فزاد بهِ الغم . وكثر عليهِ الهم . وفتح الخزائن وفرَّق على ارباب دولته الاموال وتمنى ان يقدم عليهِ كان ما كان . ويجذب قلبهُ اليهِ بالملاطفة والاحسان . ويجعلهُ امـيرًا على العساكر الذين لم يزالوا تحت طاعته لتطفئ بهِ شرارة جمرته . ثم ان كان ما كان لما بلغهُ ذلك الخبر من التجار رجع مسرعًا الى بغداد . على ظهر ذلـك الجواد . فبينما الملك ساسان . في اريكته حيران . اذ سمع بقدوم كان ما كان . فاخرج جميع العساكر ووجهاء بغداد لملاقاته . فخرج كل مَن في بغداد ولاقوه ومشوا بين يديه الى القصر يقبلون الاعتـاب . ودخلت الجواري والطواشية الى امـه فبشروها بقدومه . فاتت اليهِ وقبلتهُ بين عينيه . فقـال : يا اماه دعيني امضي الى عمي الملك ساسان . الذي غمرني بالنعمة والاحسان . هذا وقد تحـيرت عقول اهل القصر والدولة في حسن ذلك الحصان وقالوا : ما ملك مثل هذا انسـان . فدخل كان ما كان الى الملك ساسان وسلم عليهِ . فقام لهُ . فقبَّل كان ما كان يديهِ ورجليه وقدم لهُ الحصان هديةً . فرحب بهِ وقال لهُ : اهلًا وسهـلًا بولدي كان ما كان لقد ضاقت بي الدنيا لغيابك والحمد لله على سلامتك . فدعا لهُ كان ما كان . ثم نظر الملك الى هذا الحصـان المسمَّى بالقـاتول فعرف انهُ

الحصان الذي كان رآه من سنة كذا وكذا في حصار الروم مع ابيهِ ضوء المكان حين قتل عمه شركان . وقال لهُ : لو قدر عليهِ ابوك لاشتراه بالف جواد . ولكن الآن عاد العز الى اهله وقد قبلناه ومنّاً لكَ وهبنـــاه . وانت احقّ بهِ من كل انسان . لانك سيد الفرسان . ثم أمر الملك ساسان ان يحضروا لكان ما كان الخلع وقاد لهُ الخيول وافرد لهُ في القصر اكبر الدور . واقبل عليهِ العزّ والسرور واعطاه مالًا جزيلًا واكرمه غاية الاكرام لانهُ كان يخشى عاقبـــة امر الوزير دندان . ففرح بذلك كان ما كان : وزال عنهُ الذل والهوان . ودخل بيتـــه واقبل على امه ففرحت بهِ كثيرًا . ثم اخبرها بما قالهُ الســـلال من ان العجوز ذات الدواهي دخلت ارضهم وهي قاصدة مدينة بغداد وانهـــا هي التي قتلت عمه وجده . ثم قال : لا بدَّ اني آخذ الثار . واكشف عنا العار

(الليلة الثانية والاربعون بعد المائة) . اما قضي فكان فانها فرحت لقدوم كان ما كان واخذت تتشكى من ابيها لانهُ ابى ان يزوجها بابن عمها . فسمعتها الجواري فذهبت جارية منهنَّ الى الملك ساسان واعلمتهُ بذلك . فتوجه اليها وبيده حسام مسلول يريد ان يقتلها . فدخلت عليهِ امها نزهة الزمان وقالت لهُ : بالله لا تفعل بها ضررًا فانك ان فعلت بهـــا ضررًا يشيع الخبر بين الناس وتبقى معيرة عند ملوك الزمان . واعلم ان كان ما كان ما هو الّا ابن ملـــك وانها تربَّت معهُ وانهُ صاحب عرض ومروءة ولا يفعل امرًا يعاب عليهِ . فاصبر ولا تعجل فان اهل القصر وجميع اهل بغداد قد شاع عندهم خبر الوزير دندان انهُ قاد العساكر من جميع البلدان وجاء بهم ليملكوا كان ما كان . فقال لها : لا بدَّ ان ارميه في بليـــة بحيث لا ارض تقلُّه ولا سماء تظلُّه . واني ما انعمت عليـــه وطيَّبت خاطره الّا لاجل اهل مملكتي ودولتي لئلّا يميلوا اليهِ . وسوف ترينَ ما

يكون . ثم تركها وخرج يدبّر اهل ملكه . ويسوس اهل رعيته بحسب سنة الله

هذا ما كان من امر الملك ساسان . واما ما كان من امر كان ما كان فانهُ اقبل على امه في ثاني يوم وقال لها : يا امي اني عزمت على شنّ الغارات وقطع الطرقات وسوق الخيل والنعم والعبيد والمماليك . واذا كثر مالي وحسن حالي خطبت بنت عمي قضي فكان من عمي الملك ساسان . فقالت لهُ : يا ولدي ان اموال الناس غير سائبة لك لان دونها ضرب الصفاح . وطعن الرماح . ورجالاً تأكل السباع . وتوحش البقاع . وتقتنص الاسود . وتصيد الفهود . فقال لها كان ما كان : هيهات ان ارجع عن عزيمتي الّا اذا بلغت منيتي . ثم عوّل كان ما كان على السفر ودخل على امه وودعها ونزل من القصر وتقلد سيفهُ وتعمم وتلثم وركب جواده القاتول وشق المدينة وهو كالبدر حتى وصل الى باب بغداد واذا برفيقه صباح بن رماح خارج من المدينة . فلما رآه جرى في ركابه وحيّاه . فردّ عليه السلام . فقال لهُ صباح : يا اخي كيف صار لك هذا الجواد وهذا السيف والثياب . وانا الى الآن لا املك غير سيفي وترسي . فقال لهُ كان ما كان : ما يرجع الصياد بصيد الّا على قدر نيته . وبعد فراقك بساعة حصلت لي السعادة . وهل لك ان تأتي معي وتخلص النية في صحبتي وتسافر معي في هذه البريّة . فقال : والله ما بقيت اناديك الّا مولاي . ثم جرى قدام الجواد وسيفه على عاتقه وجرابه بين كتفيهِ وكان ما كان وراءهُ وتوغلا في البر اربعة ايام . وهما يأكلان من صيد الغزلان ويشربان من ماء العيون . وفي اليوم الخامس اشرفا على تلٍّ عالٍ تحتهُ مرابع وغدير تسيح فيها ابل وبقرٌ وغنمٌ وخيولٌ ملأت الروابي والبطاح . واولادها الصغار تلعب حول المراح . فلما رأى ذلك كان ما كان زادت بهِ الافراح . وامتلأ صدره بالانشراح . وعوّل على القتال ليأخذ النياق والجمال .

فقال لصباح: انزل بنا على هذا المال الذي عن اهله وحيد . وقاتل معي القريب والبعيد . حتى يكون لك من اخذ المـال نصيب . فقال صباح : يا مولاي ان اصحاب هؤلاء خلقٌ كثيرون وفيهم ابطال من فرسان ورجال وان رمينا ارواحنا في هذا الخطب الجسيم فاننا نكون من هوله على خطر عظيم . وما يرجع احد منا الى اهله سليماً . فضحك كان ما كان وعلم انهُ جبان . فتركهُ وانحـدر من الرابية عازماً على شنّ الغارات . وصاح وترنم وانشد هذه الابيات :

وآل نعمان نحن ذو الهممِ والسادة الضـاربون في القممِ

قومٌ اذا ما الهياج قام لهم قـاموا باسواقـهِ على قدمِ

تنـام عين الفقـير بينهمُ ولا يرى قبح صـورة العـدمِ

وانني ارتجي معـاونةً من مالك الملك باريْ النسمِ

ثم انهُ حمل على تلك النوق مثل الجمل الهائج . وساق جميع الابل والبقر والغنم والخيل قدامه . فتبادرت اليهِ العبيد بالسيوف الصقال . والرماح الطوال. وفي اوائلهم فارس تركي الّا انهُ شديد الحرب والكفاح . عارف باعمال سمر القنا وبيض الصفاح . فحمل على كان ما كان وقـال لهُ : ويلك لو علمت لمن هذا المال . ما فعلت هذه الفعال . اعلم ان هذه الاموال للعصابة الرومية . والابطال البحريّة . والفرقة الجركسية . الذين ما فيهـم الّا كل بطـل عابس . وهم مائة فارس . خرجوا عن طاعة كل سلطان . وقد سُرق منهم حصـان . وحلفوا ان لا يرجعوا من هنا الّا بهِ . فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صاح قائلًا : يا لئام هذا هو الحصان الذي تعنون . وانتم له طالبون . وفي قتالي بسببـهِ انتم راغبون . فبارزوني كلكـم اجمعون . وشأنكم وما تريدون . ثم صرخ بين اذني القـاتول . فخرج عليهم مثل الغول . وعطف على الفارس فطعنه ورماه . واخرج كلاه . ومال على

ثانٍ وثالث ورابع اعدمهم الحياة . فعند ذلك هابته العبيد . فصاح عليهم : يا لئام سوقوا المال والخيول والّا خضبت من دمائكم سناني. فساقوا المال واخذوا في الانطلاق . فانحدر اليهِ صبَاح . واعلن بالصياح . وزادت بهِ الافراح . واذا بغبار طلع وطار. حتى سدّ الاقطار. وبان من تحته مائة فارس. مثل الليوث العوابس. فهرب صباح. وطلع على اعلى الرابية وترك البطاح . وصار يتفرَّج على الكفاح . وقال : ما انا فارس الَّا في اللعب والمزاح . ثم ان المائة الفارس احاطوا بكان ما كان . وداروا بهِ من كل جانب ومكان . فتقدم اليهِ فارس منهم وقال لهُ : الى اين تمضي بهذا المال . فقال لهُ : آخذهُ واذهب بهِ واحرمك منهُ فدونك والقتال . واعلم ان من دونهِ اسدًا اروع . وبطلًا سميدعًا. وسيفًا اينما مال قطع . فلما سمع الفارس ذلك الكلام. نظر اليهِ فوجدهُ فارسًا كالاسد الضرغام. الَّا ان وجههُ كالقمر الطالع ليلة اربعة عشر . والشجاعة تلوح بين عينيهِ . وكان ذلك الفارس هو المقدم على المائة الفارس واسمهُ كهرداش . فقال لكان ما كان: اني اترحم على صغر سنك. فخلّ المال ورح الى حال سبيلك. قبل ان اعجل عليك بضربة تلصق في التراب جبينك . فلما سمع كان ما كان هذا الكلام . صارت نيران غيظه في اضطرام. ونادى : ويلك يا كلب الاعجام تقدم الى الطعن والضراب. فعن قريب تلقى صريعًا على التراب . ثم انهُ جال وصال . ومدَّ واستطال . فلما نظرهُ كهرداش . علم انهُ فارس همام. وبطل ضرغام . وتبين لهُ خطأ ظنهِ وتهيب من كرَّته وقال للذين معهُ : ويلكم ليحمل واحد منكم عليهِ ويظهر لهُ السيف البتار . والرمح الخطار . واعلموا ان قتال الجماعة للواحد عار . ولو كان فارسًا شجاعًا . وقرمًا مناعًا . فعند ذلك حمل عليهِ فارس ضيغم . وتحتهُ جواد ادهم . بتحجيل وغرة كالدرهم . يحير العقل والناظر . كما قال فيهِ الشاعر :

قد جاءكَ المهر الذي ترل الوغى جذلان يخلط ارضهُ بسمائهِ

وكانما لطم الصباح جبينهُ واقتصَّ منهُ فخاض في احشائهِ

فحمل على كان ما كان وابتدر وتجاولا في الحرب برهة من الزمان . وتضاربا ضربًا يحير الافكار . ويغشي الابصار . فسبقهُ كان ما كان بضربة بطلٍ شجاع . فقطَّت منهُ العمامة والمغفر . فمال عن الجواد كانهُ البعير اذا انحدر . ثم تقدم اليهِ الثاني وحمل عليهِ . وكذا الثالث والرابع والخامس . ففعل بهم كالاول . ثم حمل عليهِ الباقون وقد اشتد بهم القلق . وزاد بهم الحرق . فما كان الَّا ساعةٌ حتى التقطهم بسنان الرمح . وجرَّعهم كؤوس الحتف . فلما نظر كهرداش الى هذه الفعال . خاف من الارتحال . وعرف انهُ مقدام ثبت الجنان . واعتقد انهُ اوحد الابطال والفرسان . فقال لكان ما كان : قد وهبت لك دمك ودم اصحابي فخذ من المال ما شئت واذهب الى حال سبيلك فقد رحمتك لحسن ثباتك والحيوة اولى بك . فقال لهُ كان ما كان : لا عدمت مروَّة الكرام . ولكن اترك عنك هذا الكلام . وفز بنفسك ولا تخشَ الملام . ولا تُطمع نفسك في ردّ الغنيمة . واسلك لنجاة نفسك طريقة مستقيمة . فعند ذلك اشتدَّ بكهرداش الغضب . وحصل عنده ما يوجب العطب . فقال لكان ما كان : ويلك لو عرفت من انا ما نطقت بهذا الكلام . في حومة الزحام . فاسأل عني فانا الاسد البطَّاش . المعروف بكهرداش . الذي نهب الملوك الكبار . وقطع الطريق على جميع السفَّار . واخذ اموال التجار . وهذا الحصان الذي تحتك طلبتي واريد ان تعرفني كيف وصلت اليهِ . حتى استوليت عليه . فقال : اعلم ان هذا الجواد كان سائرًا الى عمي الملك ساسان . وقائدتهُ عجوز كبيرة ومعها عشرة عبيد يخدمونها . وانت تعديت عليها واخذتهُ منها ولنا عندها ثأر من جهة جدي

الملك عمر بن النعمان وعمي الملك شركان . فقال شركان : ويلك ومن ابوك .
فقال : اعلم اني كان منا كان بن ضوء المكان بن عمر بن النعمان . فلما سمع
كهرداش هذا الخطاب قال : لا يستنكر عليك الكمال . والجمع بين الفروسية
والجمال . ثم قال له : توجه بأمان . فان اباك كان صاحب فضل علينا واحسان .
فقال لهُ كان ما كان : انا ما اوقرك حتى اقهرك في حومة الميدان . فاغتاظ
البدوي . ثم حمل كل منهما على صاحبه وتصايحا . فسدت لهما الخيل آذانها
ورفعت اذنابها . ولم يزالا يصطدمان حتى ظنَّ كلٌّ منهما ان السماء قد انشقت .
وبعد ذلك تقاتلا ككباش النطاح . واختلفت بينهما طعنات الرماح . فحاوله
كهرداش بطعنة فزاغ عنها كان ما كان . ثم كرَّ عليهِ وطعنه في صدره . فاطلع
السنان من ظهره . وجمع الخيل والاسلاب . وصاح بالعبيد : دونكم والسوق
الشديد . فنزل عند ذلك صباح وجاء الى كان ما كان وقال لهُ : احسنت يا فارس
الزمان اني دعوت لك وقد استجاب ربي دعائي . ثم ان صباحاً قطع راس كهرداش .
فضحك كان ما كان وقال لهُ : ويلك يا صباح كنت اظن انك فارس الحرب
والكفاح . فقال لهُ : لا تنسَ عبدك من هذه الغنيمة . فقال لهُ : لا بدَّ لك فيها
من نصيب . ولكن كن محافظاً على الغنيمة والعبيد . ثم ان كان ما كان سار
متوجهاً الى الديار . ولم يزل سائرًا بالليل والنهار . حتى اشرف على مدينة بغداد .
وعلم بهِ جميع الاجناد . ورأوا ما معهُ من الغنيمة والاموال . وراس كهرداش
على رمح صباح . وعرف التجار راس كهرداش ففرحوا وقالوا : لقد اراح الله
الخلق منهُ لانهُ كان قاطع الطريق . وتعجبوا من قتله ودعوا لقاتله . وأتت اهل
بغداد الى كان ما كان يسألون عما جرى لهُ من الاخبار . فأخبرهم بما جرى .
فهابته جميع الرجال . وخافته الفرسان والابطال . وساق ما معهُ الى ان اوصله

تحت القصر . وركز الرمح الذي عليهِ رأس كهرداش الى الباب . ووهب للناس واعطاهم الخيل والجمال . فاحبهُ اهل بغداد ومالت اليهِ القلوب . ثم اقبل على صباح وانزله في بعض الاماكن الفِساح . واعطاه شيئاً من الغنيمة . ثم دخل على امه واخبرها بما جرى لهُ في سفره

ولما وصل الى الملك خبره قام من مجلسه واختلى بخواصه وقال لهم : اعلموا اني اريد ان ابوح لكم بسري . وابدي لكم مكنون امري . اعلموا ان كان ما كان هو الذي يكون سبباً لانقلاعنا من هذه الاوطان . لانهُ قتل كهرداش مع انهُ لهُ قبائل من الاكراد والاتراك . وأمرنا معهُ آئل الى الهلاك . واكثر جيشنا من اقاربه . وقد علمتم بما فعل الوزير دندان . فانهُ جحد معروفي بعد الاحسان . وخانني في الايمان . وبلغني انه جمع عساكر البلدان . وقصد ان يسلطن كان ما كان . لان السلطنة كانت لابيهِ وجده . ولا شك انهُ قاتلي بلا محالة . فلما سمع خواص مملكته منهُ هذا الكلام قالوا لهُ : ايها الملك انهُ اقلّ من ذلك . ولولا اننا علمنا بانهُ تربيتك لم يُقبل عليهِ منا احد . واعلم اننا بين يديك ان شئت قتله قتلناه . وان شئت بعده ابعدناه . فلما سمع كلامهم قال : ان قتلهُ هو الصواب ولكن لا بدّ من اخذ الميثاق . فتحالفوا على انهم لا بد ان يقتلوا كان ما كان لانهُ اذا اتى الوزير دندان وسمع بقتله تضعف قوته عما هو عازم عليه . فلما اعطوه العهد والميثاق على ذلك اكرمهم غاية الاكرام . ثم دخل الى بيته وقد تفرق عنهُ الرؤساء وامتنعت العساكر من الركوب والنزول حتى يبصروا ما يكون . لانهم رأوا غالب العسكر مع الوزير دندان . ثم ان ذلك الخبر وصل الى قضي فكان فحصل عندها غم زائد وارسلت الى ابن عمها عجوزاً تخبره بالخبر . فلما وصلت اليهِ العجوز سلمت عليه ففرح بها واخبرتهُ بالخبر . فلما

سمع ذلك قال : بلّغي بنت عمي سلامي وقولي لهما ان الارض لله عزَّ وجل يورثها من يشاء من عباده . وما احسن قول القائل :

الملك لله من يظفرْ بنيل منىً يردده قهرًا وتضمن نفسهُ الدركا

لو كان لي او لغيري قدر انملةٍ من البسيطة كان الامر مشتركا

فرجعت العجوز الى قضي فكان واخبرتها بما قالهُ واعلمتها بان كان ما كان اقام بالمدينة . ثم ان الملك ساسان صار ينتظر خروجه من بغداد ليرسل وراءهُ من يقتله . فاتفق انهُ خرج الى الصيد والقنص وخرج صبَّاح معهُ : لانهُ كان لا يفارقهُ ليلًا ولا نهارًا . فاصطاد عشر غزالات وفيهنَّ غزالة صارت تتلفت يمينًا وشمالًا فاطلقها . فقال لهُ صباح : لاي شيء اطلقت هذه الغزالة . فضحك كان ما كان واطلق الباقي وقال له : ان من المروَّة اطلاق الغزالات التي لها اولاد وما تتلفت تلك الغزالة الَّا لان لها اولادًا فاطلقتها واطلقت الباقي في كرامتها . فقال لهُ صباح : اطلقني حتى اروح الى اهلي . فضحك وضربهُ بعقب الرمح على قلبه فوقع على الارض يلتوي كالثعبان . فبينما هما كذلك واذا بغبرة ثائرة وخيلٍ تركض . وبان من تحتها فرسان وشجعان . وسبب ذلك ان الملك ساسان اخبره جماعة ان كان ما كان خرج الى الصيد والقنص فارسل اميرًا من الديلم يقال لهُ جامع ومعهُ عشرون فارسًا ودفع اليهم المال . ثم امرهم ان يقتلوا كان ما كان . فلما قربوا منهُ حملوا عليهِ وحمل عليهم فقتلهم عن آخرهم . ثم ان الملك ساسان ركب وسار ولحق بالعسكر فوجدهم مقتولين فتعجب ورجع . فلما رأى ذلك اقارب القتلى قبضوا عليهِ وشدوا وثاقه

ثم ان كان ما كان توجه من ذلك المكان وتوجه معهُ صباح البدوي . فبينما هو سائر رأى في طريقه شابًا على باب دار فألقى كان ما كان

عليهِ السلام . فرد الشاب عليهِ السلام . ثم دخل الدار وخرج ومعهُ قصعتان . احداهما فيها لبنٌ والثانية فيها ثريد والسمن في جوانبها يموج . ووضع القصعتين قدام كان ما كان وقال لهُ : تفضل علينا بالاكل من زادنا . فامتنع كان ما كان من الاكل : فقال لهُ الشاب : ما لك ايها الانسان لا تأكل . فقال لهُ كان ما كان : انهُ عليَّ نذر . فقال لهُ الشاب : وما سبب نذرك . فقال لهُ كان ما كان : اعلم ان الملك ساسان غصب ملكي ظلماً وعدواناً مع ان ذلك الملك كان لابي وجدي من قبلي فاستولى عليهِ قهراً بعد موت ابي ولم يعتبرني لصغر سني . فنذرت انني لا آكل لاحد زاداً حتى اشفي فؤادي من غريمي . فقال لهُ الشاب : ابشر فقد وفى الله نذرك واعلم انهُ مسجون واظنه يموت قريباً . فقال لهُ كان ما كان : في اي بيت هو معتقل . فقال لهُ : في تلك القبة العالية . فنظر كان ما كان الى قبة عالية . ورأى الناس في تلك القبة يدخلون ولساسان يلطمون . وهو يتجرع غصص المنون . فقام كان ما كان ومشى حتى وصل الى تلك القبة وعاين ما فيها . ثم عاد الى موضعه وقعد على الاكل واكل ما تيسر ووضع ما بقي من اللحم في مذوده . ثم جلس في مكانه ولم يزل جالساً الى ان اظلم الليل ونام الشاب الذي هو ضيفهُ . فذهب كان ما كان الى القبة التي فيها ساسان وكان حولها كلاب تحرسها . فوثب له كلب من الكلاب فرمى لهُ قطعة لحم من الذي في مذوده . وما زال يرمي للكلاب لحماً حتى وصل الى القبة وتوصل الى ان صار عند الملك ساسان ووضع يده على رأسه . فقال لهُ بصوت عالٍ : من انت . فقال : انا كان ما كان الذي سعيت في قتله فاوقعك الله في سوء تدبيرك . اما يكفيك اخذ ملكي وملك ابي وجدي حتى تسعى في قتلي . فحلف ساسان الايمان الباطلة انهُ لم يسعَ في قتله وان هذا الكلام غير صحيح . فصفح عنهُ كان

ما كان وقال لهُ : اتبعني . فقال : لا اقدر ان اخطو خطوة واحدة لضعف قوتي . فقال كان ما كان : اذا كان الامر كذلك تأخذ لنا فرسين ونركب انا وانت ونطلب البرّ . ثم فعل كما قال وركب هو وساسان وسارا الى الصباح . ثم صليا الصبح وسارا . ولم يزالا كذلك حتى وصلا الى بستان فجلسا فيهِ يتحدثان . ثم قام كان ما كان الى ساسان وقال لهُ : هل بقي في قلبك مني امر تكرهه . قال ساسان: لا يا ولدي. ثم اتفقا على انهما يرجعان الى بغداد. فقال صباح البدوي: انا اسبقكما لابشر الناس. فسبق يبشر النساء والرجال. فخرجت اليهِ الناس بالدفوف والمزامير . ولم يبقَ لاهل العصر حديث الّا في كان ما كان . وشهد لهُ الفرسان انهُ اشجع اهل الزمان وقالوا: لا يصح ان يكون سلطاناً علينا الّا كان ما كان ويعود اليهِ ملك جده كما كان. واما ساسان فانهُ دخل على نزهة الزمان. فقالت لهُ : اني ارى الناس ليس لهم حديث الّا في كان ما كان. ويصفونه باوصاف يعجز عنها اللسان. فقال لها : ليس الخبر كالعيان. فاني رأيتهُ ولم ارَ فيهِ صفة من صفات الكمال . وما كل ما يُسمع يقال . ولكن الناس يقلد بعضهم بعضاً في مدحه ومحبته . واجرى الله على ألسنة الناس مدحه حتى مالت اليهِ قلوب اهل بغداد والوزير دندان الغادر الخوان . وقد جمع لهُ عساكر من سائر البلدان. ومن الذي يكون مالك الاقطار. ويرضى ان يكون تحت يد حاكم يتيم ما لهُ مقدار. فقالت لهُ نزهة الزمان : وعلى ماذا عولت . فقال لها : عولت على قتله ويرجع الوزير دندان خائباً في قصده ويدخل تحت امري وطاعتي . ولا يبقى لهُ الّا خدمتي . فقالت لهُ نزهة الزمان : ان الغدر قبيح بالاجانب. فكيف بالاقارب. والصواب ان تزوجهُ ابنتك قضي فكان. وتسمع ما قيل فيما مضى من الزمان :

اذا رفع الزمان عليك شخصاً   وكنت احقّ منهُ ولو تصاعدْ

انلهُ حق رتبته تجده ينيلك ان دنوت وان تباعدْ
ولا تقل الذي تدريه فيهِ تكن ممن عن الحسنى تقاعد

فلما سمع ساسان منها هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قام مغضباً من عندها وقال: لولا ان قتلك عارٌ وشنارٌ لعلوت بالسيف رأسكِ واخمدت انفاسكِ. فقالت: حيث غضبت مني فانا امزح معك. ثم وثبت اليهِ وقبلت راسه ويديه وقالت لهُ: الصواب ما تراه وسوف اتدبر انا وانت في حيلة نقتلهُ بها. فلما سمع منها هذا الكلام فرح وقال لها: عجلي بالحيلة وفرّجي كربتي فلقد ضاق عليَّ باب الحيل. فقالت لهُ: سوف اتحيل لك على اتلاف مهجته. فقال لها: باي شيء. فقالت لهُ: بجاريتنا التي اسمها باكون. فانها في المكر ذات فنون. وكانت هذه الجارية من انحس العجائز. وعدم الخبث في مذهبها غير جائز. وكانت قد ربَّت كان ما كان وقضي فكان. وكان الاول يميل اليها كثيراً لكونها مربيتهُ. فلما سمع الملك ساسان من زوجته هذا الكلام قال: ان هذا الرأي هو الصواب. ثم احضر الجارية باكون وحدثها بما جرى وامرها ان تسعى في قتله ووعدها بكل جميل. فقالت لهُ: امرك مطاع. ولكن اريد يا مولاي ان تعطيني خنجراً قد سُقي بماء الهلاك لاعجل لك باتلافه. فقال لها ساسان: مرحباً بكِ. ثم احضر لها خنجراً يكاد ان يسبق القضاء. وكانت هذه الجارية قد سمعت الحكايات والاشعار. وحفظت النوادر والاخبار. فاخذت الخنجر وخرجت من الدار. مفكرة فيما يكون بهِ الدمار. واتت الى كان ما كان وهو قاعد غائص في بحر الافكار. فقالت لهُ: اعلم اني قدمت اليك لاحدثك بكلام يسليك. وخطاب يرضيك. فقال لها كان ما كان: حدثيني بحديث يفرح بهِ قلبي. ويزول بهِ كربي. فقالت لهُ باكون: حباً وكرامةً. ثم جلست الى جانبه وذلك الخنجر من داخل

اثوابها . فقالت لهُ : اعلم ان اعذب ما سمعت اذني ان رجلاً كان يحب اللهو وقد صرف فيهِ ماله حتى افتقر وصار لا يملك شيئاً . فضاقت عليهِ الدنيا فصار يمشي في الاسواق ويفتش عن شيء يقتات بهِ . فبينما هو ماشٍ واذا بقطعة مسمار شكته في اصبعه فسال دمهُ فقعد ومسح الدم وعصب اصبعه ثم قام وهو يصرخ حتى جاز الى الحمام وخلع ثيابه . فلما صار داخل الحمام وجده نظيفاً فجلس على الفسقية وما زال ينزح الماء على رأسه الى ان تعب

(الليلة الثالثة والاربعون بعد المائة) . ثم خرج الى الحوض البارد فلم يجد احداً . فاختلى بنفسه واخذ قطعة حشيش وبلعها فساحت في مخه فانقلب على الرخام وخيل لهُ الحشيش ان مهتاراً كبيراً يكبسه وعبدين واقفان على رأسه واحد معهُ الطاسة والآخر معهُ آلة الحمام وما يحتاج اليهِ البلاّن . فلما رأى ذلك قال في نفسه : كأنَّ هؤلاء غلطوا فيَّ او من طائفتنا الحشاشين . ثم انهُ مدَّ رجليهِ فتخيل لهُ ان البلان قال لهُ : يا سيدي قد أزف الوقت الى طلوعك واليوم نوبتك . فضحك وقال في نفسه : ما شاء الله يا حشيش . ثم قعد وهو ساكت . فقام البلاّن واخذ بيده وأدار على وسطه مئزراً من الحرير الاسود ومشى العبدان وراءهُ بالطاسات والحوائج ولم يزالوا بهِ حتى ادخلوه الخلوة واطلقوا فيها البخور . فوجدها ملأى من سائر الفواكه والمشموم . وشقوا لهُ بطيخة واجلسوه على كرسي من الابنوس ووقف البلان يغسله والعبدان يصبان الماء . ثم دلكوه دلكاً جيداً وقالوا لهُ : يا مولانا الصاحب نعيم دائم . ثم خرجوا وردّوا عليهِ الباب . فلما تخيل ذلك قام وصار يضحك الى ان غشي عليهِ واستمرّ ساعة يضحك . ثم قال في نفسه : ما بالهم يخاطبونني خطاب الوزير ويقولون : يا مولانا الصاحب . ولعل الامر التبس عليهم في هذه الساعة وبعد ذلك يعرفونني ويشبعونني صكاً في رقبتي . ثم انه

استحمى وفتح الباب فتخيل ان مملوكًا صغيرًا وطواشيًا قد دخلا عليهِ فالمملوك معهُ صرة ففتحها واخرج منها ثلث فوط من الحرير فرمى الاولى على رأسه والاخرى على كتافه وحزمه بالثالثة وقدم لهُ الطواشي قبقابًا فلبسهُ . واقبلت عليهِ مماليك وطواشية وصاروا يسندونهُ . وكل ذلك حصل وهو يضحك الى ان خرج الى الايوان فوجد فرشًا عظيمًا لا يصلح الّا للملوك . وتبادرت اليهِ الغلمان واجلسوه على المرتبة وصاروا يكبسونه حتى غلب عليهِ النوم . فلما نام رأى عظماء المملكة يكرمونه ويجلسونه على التخت الملوكي ويضعون التاج على رأسه . واذا بصوت يقول لهُ : قم انتبه قد جاء الظهر وانت نائم . ففتح عينيهِ فوجد روحه على الحوض البارد وحوله جماعة يضحكون عليه فنهض وتبين لهُ ان كل هذه اضغاث احلام وتخيلات حشيش . فاغتمَّ ونظر الى الذي نبههُ وقال لهُ : لو صبرت حتى يضعوا التاج على راسي . فقال لهُ الناس : ها نحن نتوّج رأسك بالضرب . وصكوه حتى شبع وهو جوعان . قد ذاق طعم السعادة وهو في المنام . فلما سمع كان ما كان من الجارية هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال لباكون : ان هذا حديث عجيب فاني ما سمعت مثل هذه الحكاية فهل عندكِ غيرها . فقالت لهُ : نعم . ثم ان الجارية باكون لم تزل تحدث كان ما كان بمخارف حكايات ونوادر مضحكات حتى غلب عليهِ النوم . ولم تزل تلك الجارية جالسة عند رأسه حتى مضى غالب الليل . فقالت في نفسها : هذا وقت انتهاز الفرصة . ثم نهضت وسلّت الخنجر ووثبت على كان ما كان وارادت ذبحه . واذا بأُمّ كان ما كان دخلت عليها . فلما رأتها باكون قامت لها واستقبلتها . ثم لحقها الخوف فصارت تنتفض كانها اخذتها الحمى . فلما رأتها امّ كان ما كان تعجبت ونبهت ولدها من النوم . فلما استيقظ وجد امهُ جالسة فوق رأسه . وكان السبب في حياته مجيئها . اما سبب مجيء امه

اليهِ فهو ان قضي فكان سمعت الحديث والاتفاق على قتله فقالت لامهِ: الحقي ولدكِ قبل ان تقتلهُ اللعينة باكون . واخبرتها بما جري من اوله الى آخره. فخرجت وهي لا تعقل ولا تنتظر شيئاً حتى دخلت في الساعة التي نام فيها وهمت باكون عليهِ تريد ذبحه . فلما استيقظ قال لامه : لقد جئتِ يا امي في وقت طيب . ثم انهُ التفت الى باكون وقال لها : بحياتي عليكِ هل تعرفين حكاية احسن من الحكايات التي حدثتني بها . فقالت لهُ الجارية : واين ما حدثتك بهِ سابقاً مما احدثك بهِ الآن فانهُ اعذب ولكن احكيهِ لك في غير هذا الوقت . ثم قامت باكون وهي لا تصدق بالنجاة. فقال لها : مع السلامة. ولحت بمكرها ان امهُ عندها خبر بما حصل فذهبت الى حالها. فعند ذلك قالت لهُ والدتهُ . يا ولدي هذه ليلة مباركة حيث نجاك الله تعالى من هذه الملعونة . فقال لها : وكيف ذلك : فاخبرته بالامر من اوله الى آخره . فقال لها: يا والدتي ان الحي ما لهُ قاتل وان قُتل لا يموت . ولكن الأحوط لنا اننا نرحل من عند هؤلاء الاعداء والله يفعل ما يريد . فلما اصبح الصباح خرج كان ما كان من المدينة واجتمع بالوزير دندان . وبعد خروجهِ حصلت امور بين الملك ساسان ونزهة الزمان اوجبت خروج نزهة الزمان ايضاً من المدينة . فاجتمعت بهم واجتمع عليهم جميع ارباب دولة الملك ساسان الذين يميلون اليهم. فجلسوا يدبرون الحيلة فاجمع رأيهم على غزو ملك الروم واخذ الثأر . ثم توجهوا الى غزو الروم ووقعوا في اسر الملك رومزان ملك الروم بعد امور يطول شرحها كما يظهر من السياق

فلما اصبح الصباح امر الملك رومزان ان يحضر كان ما كان والوزير دندان وجماعتهما . فحضروا بين يديه وأجلسهم بجانبه وأمر باحضار الموائد فأحضرت واكلوا وشربوا واطمأنوا بعد ان ايقنوا بالموت لما أمر باحضارهم وقالوا لبعضهم :

انهُ ما ارسل الينا الَّا لانهُ يريد قتلنا. وبعد ان اطمأنوا قال لهم الملك: اني رأيت مناماً وقصصتهُ على الرهبان فقالوا: ما يفسره لك الَّا الوزير دندان. فقال لهُ الوزير: خيرًا رأيت يا ملك الزمان. فقال لهُ: ايها الوزير رأيت اني في حفرة على صفة بئر أسود وكأَنَّ اقواماً يعذبونني. فأردت القيام. فلما نهضت وقعت على اقدامي وما قدرت على الخروج من تلك الحفرة. ثم التفت فرأيت فيها منطقةً من ذهب فمددت يدي لآخذها فلما رفعتها من الارض رأيتها منطقتين. فشددت وسطي بهما فاذا هما قد صارتا منطقة واحدة. وهذا ايها الوزير منامي. والذي رأيتهُ في لذيذ احلامي. فقال لهُ الوزير دندان: اعلم يا مولانا السلطان ان رؤياك تدل على ان لك اخاً او ابن اخ او ابن عمٍ او احدًا يكون من اهلك من دمك ولحمك وعلى كل حال هو من العصب. فلما سمع الملك هذا الكلام نظر الى كان ما كان ونزهة الزمان وقضي فكان والوزير دندان ومن معهم من الاسرى وقال في نفسه: اذا رميت رقاب هؤلاء انقطعت قلوب عسكرهم بهلاك اصحابهم ورجعت الى بلادي عن قريب لئلا يخرج الملك من يدي. ولما صمم على ذلك استدعى بالسياف وامره ان يضرب رقبة كان ما كان من وقته وساعته. واذا بقابلة الملك قد اقبلت في تلك الساعة فقالت لهُ: ايها الملك السعيد على ماذا عولت. فقال لها: عولت على قتل هؤلاء الاسرى الذين في قبضتي وبعد ذلك ارمي رؤوسهم الى اصحابهم ثم احمل انا واصحابي عليهم جملةً واحدة فنقتل الذي نقتله ونهزم الباقي. وتكون هذه وقعة الانفصال وارجع الى بلادي عن قريب قبل ان يحدث بعد الامور امور في مملكتي. فعند ما سمعت منهُ قابلتهُ هذا الكلام اقبلت عليهِ وقالت لهُ بلسان الافرنج: كيف يطيب عليك ان تقتل ابن اخيك واختك وابنة اختك. فلما سمع الملك منها هذا الكلام اغتاظ غيظاً شديدًا وقال لها: يا ملعونة

الم تعلمي ان امي قد قُتلت وان ابي قد مات مسموماً وانتِ قد اعطيتني خرزة وقلتِ لي ان هذه الخرزة كانت لابيك · فلمَ لا تصدُقيني في الحديث · فقالت لهُ : كل ما اخبرتك بهِ صدق ولكن شأني وشأنك عجيب. وامري وامرك غريب · فانني انا اسمي مرجانة واسم امك ابريزة · وكانت ذات حسن وجمال · وشجاعتها تضرب بها الامثال · واشتهرت بالشجاعة بين الابطال : واما ابوك فانهُ الملك عمر بن النعمان · صاحب بغداد وخراسان من غير شك ولا ريب · ولا رجم غيب · وكان قد ارسل ولده شركان الى بعض غزواتهِ صحبة الوزير دندان · وكان منهم الذي قد كان · ثم استضافته امك مدة خمسة ايام في قصرها فبلغ ابوها ذلك الخبر من امه العجوز شواهي. الملقبة بذات الدواهي · وكانت امك قد اسلمت على يد شركان اخيك · فاخذها وتوجه بها الى مدينة بغداد سراً · وكنت انا وريحانة وعشرون جارية معها وكنا قد اسلمنا كلنا على يد الملك شركان · فلما دخلنا على ابيك الملك عمر بن النعمان ورأى امك الملكة ابريزة اتخذها لهُ زوجة فحملت بك · وكان مع امك ثلث خرزات فاعطتهما لابيك · فوهب خرزة لابنته نزهة الزمان · ووهب الثانية لاخيك ضوء المكان· والثالثة لاخيك الملك شركان. فاخذتها منهُ الملكة ابريزة وحفظتها لك. فلما قربت ولادتها اشتاقت امك الى اهلها واطلعتني على سرها · فاجتمعت بعبدٍ اسود يقال لهُ الغضبان · واخبرته بالخبر سرًا ورغبته في ان يسافر معنا · فاخذنا العبد وخرج من المدينة وهرب بنا. وكانت امك قد قربت ولادتها. فلما دخلنا على اوائل بلادنا في مكان منقطع اخذ امك الطلق بولادتك. فحدَّثت العبد نفسهُ بالمنكر · فدنا منها وراودها عن الفاحشة. فصرخت عليهِ صرخة عظيمة وانزعجت منهُ. فمن عظم انزعاجها وضعتك حالًا · وكان في تلك الساعة قد طلع في البرّ من ناحية بلادنا

غبار قد علا وطار حتى سد الاقطار. فخشي العبد على نفسه الهلاك وضرب الملكة ابريزة بسيفه فقتلها من شدة غيظه وركب جواده وتوجه الى حال سبيله . وبعد ما راح العبد انكشف الغبار عن جدك الملك حردوب ملك الروم . فرأى امك ابنته وهي في ذلك المكان قتيلة وعلى الارض جديلة . فصعب ذلك عليهِ وكبر لديه وسألني عن سبب قتلها وعن سبب خروجها خفية من بلاد ابيها . فحكيت لهُ جميع ذلك من الاول الى الآخر. وهذا هو سبب العداوة بين اهل بلاد الروم وبين اهل بلاد بغداد . فعند ذلك احتملنا امك وهي قتيلة ودفناها. وقد احتملتك انا وربيتك وعلقت لك الخرزة التي كانت مع الملكة ابريزة . ولما كبرت وبلغت مبلغ الرجال لم يمكنني ان اخبرك بحقيقة الامر . لانني لو اخبرتك بذلك لثارت بينكم الحروب . وقد امرني جدك بالكتمان ولا قدرة لي على مخالفة امر جدك الملك حردوب ملك الروم . فهذا سبب كتمان الخبر عنك وعدم اعلامك بان اباك الملك عمر بن النعمان . فلما استقللت بالمملكة اخبرتك . وما امكنني ان اعلمك ألا في هذا الوقت يا ملك الزمان . وقد كشفت لك السر والبرهان . وهذا ما عندي من الخبر . وانت برأيك اخبر . وكان الاسرى قد سمعوا من الجارية مرجانة جارية الملك هذا الكلام جميعه . فصاحت نزهة الزمان من وقتها وساعتها صيحة وقالت : هذا الملك رومزان اخي من ابي عمر بن النعمان وامه الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وانا اعرف هذه الجارية مرجانة حق المعرفة . فلما سمع الملك رومزان هذا اخذته الحدة وصار متحيراً في امره واحضر من وقته وساعته نزهة الزمان بين يديه . فلما رآها حنَّ الدم للدم واستخبرها عن قصته . فحكت لهُ القصة . فوافق كلامها كلام مرجانة . فصحَّ عند الملك انهُ من اهل العراق من غير شك ولا ارتياب . وان اباه الملك عمر بن النعمان . فقام

من تلك الساعة وحلّ كتاف اخته نزهة الزمان . فتقدمت اليهِ وقبلت يديه ودمعت عيناها . فبكى الملك لبكائها واخذتهُ حنية الاخوة ومال قلبه الى ابن اخته السلطان كان ما كان وقام ناهضاً على قدميهِ واخذ السيف من يد السياف . فأيقن الاسرى بالهلاك لما رأوا منهُ ذلك . وأمر باحضارهم بين يديه وفكّ وثاقهم وقال لمرجانة : اشرحي حديثكِ الذي شرحتهِ لي لهؤلاء الجماعة . فقالت مرجانة : اعلم ايها الملك ان هذا الشيخ هو الوزير دندان . وهو لي اكبر شاهد لانه يعرف حقيقة الامر . ثم انها اقبلت عليهم من وقتها وساعتها وعلى من حضرهم من ملوك الروم وملوك الافرنج وحدثتهم بذلك الحديث . والملكة نزهة الزمان والوزير دندان ومن معهما من الاسرى يصدقونها على ذلك . وفي آخر الحديث لاحت من الجارية مرجانة التفاتة فرأت الخرزة الثالثة بعينها رفيقة الخرزتين اللتين كانتا مع الملكة ابريزة في رقبة السلطان كان ما كان فعرفتها فصاحت صيحة عظيمة دوى لها الفضاء . وقالت للملك : يا ولدي اعلم انهُ قد زاد في هذه الساعة يقيني لان هذه الخرزة التي في رقبة هذا الاسير نظير الخرزة التي وضعتها في عنقك وهي رفيقتها . وهذا الاسير هو ابن اخيك وهو كان ما كان . ثم ان الجارية مرجانة التفتت الى كان ما كان وقالت لهُ : ارني هذه الخرزة يا ملك الزمان . فنزعها من عنقه وناولها لجارية الملك رومزان . فاخذتها منهُ . ثم سألت نزهة الزمان عن الخرزة الثالثة فاعطتها اياها . فلما صارت الخرزتان في يد الجارية ناولتهما للملك رومزان . فظهر له الحق والبرهان . وتحقق انهُ عمّ السلطان كان ما كان . وان اباه الملك عمر بن النعمان . فقام من وقته وساعته الى الوزير دندان وعانقه . ثم عانق الملك كان ما كان وعلا الصياح بكثرة الافراح

وفي تلك الساعة انتشرت البشائر ودقّت الكوسات والطبول وزمرت الزموز

وزادت الافراح وسمع عساكر العراق والشام ضجيج الروم بالافراح . فركبوا عن آخرهم وركب الملك الزبلكان وقال في نفسه : يا ترى ما سبب هذا الصياح والسرور الذي في عسكر الافرنج والروم . واما عسكر العراق فانهم قد اقبلوا . وعلى القتال عوَّلوا . وصاروا في الميدان . ومقام الحرب والطعان . فالتفت الملك رومزان فرأى العساكر مقبلين وللحروب متهيئين . فسأل عن سبب ذلك . فاخبروه بالخبر . فأمر قضي فكان ابنة اخيه شركان ان تسير من وقتها وساعتها الى عسكر الشام والعراق . وتعلمهم بحصول الاتفاق . وان الملك رومزان ظهر انهُ عمّ السلطان كان ما كان . فسارت قضي فكان بنفسها ونفت عنها الشرور والاحزان حتى وصلت الى الملك الزبلكان وسلمت عليهِ واعلمتهُ بما جرى من الاتفاق . وان الملك رومزان ظهر انهُ عمها وعمّ كان ما كان . وحين اقبلت عليهِ وجدتهُ باكي العين خائفاً على الامراء والاعيان . فشرحت لهُ القصة من اولها الى آخرها . فزادت افراحهم . وزالت اتراحهم . وركب الملك الزبلكان هو وجميع الاكابر والاعيان وسارت قدامهم الملكة قضي فكان حتى اوصلتهم الى سرادق الملك رومزان . فلما دخلوا عليهِ وجدوه جالساً مع ابن اخيهِ السلطان كان ما كان . وقد استشاره هو والوزير دندان في امر الملك الزبلكان . فاتفقوا على انهم يسلمون اليهِ مدينة دمشق الشام ويتركونهُ ملكاً عليها كما كان واما هم فيدخلون الى العراق . فجعلوا الملك الزبلكان عاملاً على دمشق الشام . ثم امروه بالتوجه . فتوجه بعساكره اليها ومشوا معهُ ساعة لاجل الوداع وبعد ذلك رجعوا الى مكانهم . ثم نادوا في العسكر بالرحيل الى بلاد العراق واجتمع العسكران مع بعضهم . ثم ان الملوك قالوا لبعضهم : ما بقيت قلوبنا تستريح ولا يشفى غيظنا الّا بأخذ الثأر وكشف العار بالانتقام من العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي . فعند ذلك سار الملك

رومزان مع خواصه وارباب دولته وفرح السلطان كان ما كان بعمه الملك رومزان ودعا الجارية مرجانة لانها عرفتهما ببعضهما . ثم ساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى ارضهم . فسمع بهم الحاجب الكبير ساسان فطلع وقبل يد الملك رومزان فخلع عليهِ . ثم ان الملك رومزان جلس واجلس ابن اخيهِ السلطان كان ما كان الى جانبه . فقال كان ما كان لعمه الملك رومزان : يا عمّ ما يصلح هذا الملك ألاّ لك . فقال لهُ : معاذ الله ان اعارضك في ملكك . فعند ذلك اشار عليهما الوزير دندان ان يكون الاثنان في الملك سواء وكل واحد يحكم يوماً . فارتضيا بذلك

(الليلة الرابعة والاربعون بعد المائة) . ثم اولموا الولائم وذبحوا الذبائح وزادت بهم الافراح واقاموا على ذلك مدة من الزمان . وبعد تلك المدة بينما هم قاعدون فرحين بهذا الامر واصلاح الشأن اذ ظهر لهم غبار قد علا وطار . حتى سدَّ الاقطار . وقد اتى اليهم من التجار صارخ يستغيث وهو يصيح ويقول : يا ملوك الزمان كيف أُسلب في بلاد الروم وانهب في بلادكم وهي بلاد العدل والامان . فاقبل عليهِ الملك رومزان وسألهُ عن حاله : فقال لهُ : انا تاجر من التجار ومضى علي غيابي عن الاوطان مدة مديدة من الزمان . واستغرقت في البلاد نحو عشرين سنة من الاعوام . وان معي كتاباً من مدينة دمشق كان قد كتبهُ لي المرحوم الملك شركان . وسبب ذلك اني كنت قد اهديتهُ جاريةً . فلما قربتُ من تلك البلاد وكان معي مائة حمل من تحف الهند اتيت بها الى بغداد التي هي حرمكم ومحل امنكم وعدلكم خرجتْ علينا عربان ومعهم اكراد مجتمعة من جميع البلاد فقتلوا رجالي ونهبوا اموالي وهذا شرح حالي . ثم ان التاجر بكى بين يدي الملك رومزان وحوقل واشتكى . فرحمه الملك ورقّ اليه . وكذلك رحمه ابن اخيه الملك كان ما كان وحلفوا انهم يخرجون اليهم . فخرجوا اليهم في مائة فارس كل فارس منهم يعدّ

بين الرجال بألوف. واما ذلك التاجر فسار امامهم يدلهم على الطريق. ولم يزالوا سائرين ذلك النهار وطول الليل الى السحر . حتى اشرفوا على وادٍ غزير الانهار . كثير الاشجار. فوجدوا القوم قد تفرقوا في ذلك الوادي وقسموا بينهم احمال ذلك التاجر وبقي البعض . فاطبق عليهم المائة الفارس واحاطوا بهم من كل مكان . وصاح عليهم الملك رومزان هو وابن اخيهِ كان ما كان . فما كان غير ساعة حتى اسروا الجميع وكانوا نحو ثلثمائة فارس اجتمعوا من اوباش العربان . فلما أسروهم اخذوا ما معهم من مال التاجر وشدوا وثاقهم وذهبوا بهم الى مدينة بغداد. فعند ذلك جلس الملك رومزان هو وابن اخيهِ الملك كان ما كان على تخت واحد مع بعضهما . ثم عرضوا الجميع بين ايديهما وسألاهم عن حالهم وعن كبارهم. فقالوا: ما لنا كبار غير ثلثة اشخاص وهم الذين جمعونا من سائر النواحي والاقطار . فقالا لهم . ميزوهم لنا باعيانهم. فميزوهم لهما . فأمرا بالقبض عليهم واطلاق بقية اصحابهم بعد اخذ جميع ما معهم من الاموال وتسليمه للتاجر . فتفقد التاجر بضاعتهُ وماله فوجده قد هلك ربعهُ . فوعدوه انهم يعوّضون لهُ جميع ما ضاع منهُ . فعند ذلك اخرج التاجر كتابين احدهما بخط شركان والآخر بخط نزهة الزمان. وقد كان هذا التاجر اشترى نزهة الزمان من البدوي وهي بكر وقدمها لاخيها شركان وجرى بينها وبين اخيها ما جرى

ثم ان الملك كان ما كان وقف على الكتابين وعرف خطَ عمّه شركان وسمع حكاية عمته نزهة الزمان فدخل عليها بذلك الكتاب الثاني الذى كانت كتبتهُ للتاجر الذي ضاع منهُ المال واخبرها كان ما كان بقصة التاجر من اولها الى آخرها . فعرفتهُ نزهة الزمان وعرفت خطها واخرجت للتاجر الضيافات ووصت بهِ اخاها الملك رومزان وابن اخيها الملك كان ما كان . فأمر لهُ باموال وعبيد

وغلمان من اجل خدمتهِ . وارسلت اليهِ نزهة الزمان مائة الف درهم من المال وخمسين جملًا من البضائع وقد اتحفتهُ بهدايا وارسلت اليهِ تطلبه . فلما حضر برزت لهُ وسلَّمت عليه واعلمتهُ انها بنت الملك عمر بن النعمان وان اخاها الملك روزان وان ابن اخيها الملك كان ما كان . ففرح التاجر بذلك فرحاً شديداً وهنأها بسلامتها واجتماعها باخيها وقبل يديها وشكرها على فعلها وقال لها : ما ضاع الجميل معك . ثم دخلت الى خدرها واقام التاجر عندهم ثلثة ايام . ثم ودعهم ورحل الى بلاد الشام . وبعد ذلك احضر الملوك الثلثة الاشخاص اللصوص الذين كانوا رؤساء الطريق وسألوهم عن حالهم . فتقدم واحد منهم وقال : اعلموا اني رجل بدوي اقف في الطريق لاخطف الصغار والبنات الابكار . وابيعهم للتجار . ودمت على ذلك مدة من الزمان الى هذه الايام . واغراني الشيطان فاتفقت مع هذين الشقيين على جمع الاوباش من الاعراب والبلدان لاجل نهب الاموال وقطع الطريق على التجار . فقالوا لهُ : احكِ لنا عن اعجب ما رأيت في خطفك الصغار . فقال لهم : اعجب ما جرى لي يا ملوك الزمان انني من مدة اثنتين وعشرين سنة خطفت بنتاً من بنات بيت المقدس ذات يوم من الايام . وكانت تلك البنت ذات حسن وجمال . غير انها كانت خادمة وعليها اثواب خلقة وعلى رأسها قطعة عباءة . فرأيتها قد خرجت من الخان فخطفتها بحيلة في تلك الساعة وحملتها على جمل وسبقت بها . وكان في املي انني اذهب بها الى اهلي في البرّية واجعلها عندي ترعى الجمال وتجمع البعر من الوادي . فبكت بكاء شديداً . فدنوت منها وضربتها ضرباً وجيعاً واخذتها وسرت بها الى مدينة دمشق . فرآها معي تاجر فتحير عقله لما رآها واعجبتهُ فصاحتها واراد اشتراءها مني . ولم يزل يزيد لي في ثمنها حتى بعتها بمائة الف درهم . فعند ما اعطيتها اياه رأيت منها فصاحة عظيمة وبلغني ان التاجر

كساها كسوة مليحة وقدمها الى الملك صاحب دمشق فاعطاه قدر المبلغ الذي دفعه اليَّ مرتين . وهذا يا ملوك الزمان اعجب ما جرى لي. ولعمري ان ذلك الثمن قليل في تلك البنت. فلما سمع الملوك هذه الحكاية تعجبوا . ولما سمعت نزهة الزمان من البدوي ما حكاه صار الضياء في وجهها ظلاماً وصاحت وقالت لاخيها رومزان : ان هذا البدوي هو الذي خطفني من بيت المقدس هذا هو بعينه من غير شكّ. ثم ان نزهة الزمان حكت لهم جميع ما جرى لها معهُ في غربتها من الشدائد والضرب والجوع والذل والهوان . ثم قالت لهم : الآن حلَّ لي قتله . ثم جذبت السيف وقامت الى البدوي لتقتله واذا هو صاح وقال : يا ملوك الزمان لا تدعوها تقتلني حتى احكي ما جرى لي من العجائب. فقال لها ابن اخيها كان ما كان: يا عمتي دعيهِ يحكي لنا حكاية وبعد ذلك فافعلي ما تريدين. فرجعت عنهُ. فقال لهُ الملوك: الآن احكِ لنا حكاية. فقال: يا ملوك الزمان ان حكيت لكم حكاية عجيبة تعفون عني . قالوا: نعم . فابتدأ البدوي يحدثهم باعجب ما وقع لهُ وقال : اعلموا اني من مدة يسيرة ارقتُ ليلةً ارقاً شديداً وصرت اتمنى طلوع النهار . فلما اصبح الصباح قمت من وقتي وساعتي وتقلدت سيفي وركبت جوادي واعتقلت رمحي وخرجت اريد الصيد والقنص . فواجهني جماعة في الطريق فسألوني عن قصدي . فاخبرتهم بهِ . فقالوا : ونحن رفقاؤك . فنزلنا كلنا مع بعضنا . فبينما نحن سائرون واذا بنعامة ظهرت لنا فقصدناها . ففرَت من بين ايدينا وهي فاتحة اجنحتها . ولم تزل شاردة ونحن خلفها الى الظهر حتى رمتنا في بريّة لا نبات فيها ولا ماء . ولم نسمع فيها غير صفير الحيات وزعيق الجانّ وصريخ الغيلان . فلما وصلنا الى ذلك المكان غابت عنا . فلم ندرِ أفي السماء طارت . ام في الارض غارت. فرددنا رؤوس الخيل واردنا الرواح . ثم رأينا ان الرجوع في هذا الوقت

الشديد الحرّ لا خير فيهِ ولا صلاح. وقد اشتدَّ علينا الحرّ وعطشنا عطشاً شديداً ووقفت خيولنا فايقناً بالموت . فبينما نحن كذلك اذ نظرنا من بعيد مرجاً افيح فيهِ غزلان تمرح . وهناك خيمة مضروبة وفي جانب الخيمة حصان مربوط وسنان يلمع على رمح مركوز . فانتعشت نفوسنا من بعد اليأس ورددنا روس خيلنا نحو تلك الخيمة نطلب ذلك المرج والماء وتوجه اليه جميع اصحابي وانا في اولهم. ولم نزل سائرين حتى وصلنا الى ذلك المرج فوقفنا على عين وشربنا وسقينا خيولنا . فاخذتني حمية الجاهلية وقصدت باب ذلك الخباء . فرأيت فيهِ شاباً لا نبات بعارضيهِ وهو كانهُ هلال. وعن يمينه جارية هيفاء كانها قضيب بان. فسلمت على ذلك الشابّ فردّ عليَّ السلام. فقلت : يا اخا العرب اخبرني من أنت وما تكون لك تلك الجارية التي عندك . فأطرق الشابّ راسهُ الى الارض ساعة . ثم رفع راسهُ وقال : اخبرني من أنت وما الخيل التي معك . فقلت : انا حماد بن الفزاري الفارسي الموصوف الذي أُعدّ بين العرب بخمس مائة فارس. ونحن خرجنا من محلنا نريد الصيد والقنص فادركنا العطش فقصدت انا باب تلك الخيمة لعلي اجد عندكم شربة ماء . فلما سمع مني ذلك الكلام التفت الى الجارية وقال : ائتي الى هذا الرجل بالماء وما حضر من الطعام . فقامت الجارية تسحب اذيالها وحجول الذهب تخشخش في رجليها وهي تتعثر في شعرها . وغابت قليلاً ثم اقبلت وفي يدها اليمنى اناء من فضة مملوء ماء بارداً وفي يدها اليسرى قدح ملآن تمرًا ولبناً وما حضر من لحوم الوحوش

ثم قلت للشاب بعد ان اكلت وشربت : يا وجه العرب اعلم اني اوقفتك على حقيقة خبري واريد ان تخبرني بحالك . وتوقفني على حقيقة خبرك . فقال الشاب : اما هذه الجارية فهي اختي . فقلت : اريد ان تزوجني بها طوعاً والّا

اقتلك وآخذها غصباً . فعند ذلك اطرق الشاب رأسهُ الى الارض ساعة . ثم رفع بصره اليَّ وقال لي : لقد صدقت في دعواك انك فارس معروف . وبطل موصوف . وانك اسد البيداء . ولكن ان هجمتم عليَّ غدرًا وقتلتموني قهرًا واخذتم اختي فان هذا يكون عارًا عليكم . وان كنتم على ما ذكرتم من انكم فرسان تعدُّون من الابطال . ولا تبالون بالحرب والنزال . فامهلوني قليلًا حتى البس آلة حربي . واتقلد سيفي . واعتقل رمحي . واركب فرسي . واصير انا واياكم في ميدان الحرب . فان ظفرت بكم اقتلكم عن آخركم . وان ظفرتم بي وقتلتموني فهذه الجارية اختي لكم . فلما سمعت منهُ هذا الكلام قلت لهُ : هذا هو الانصاف . وما عندنا خلاف . ثم رددت رأس جوادي الى خلفي ورجعت الى اصحابي واخبرتهم بالامر ووصفت لهم حسن الشاب وشجاعته وقوة جنانه وكيف يذكر انه يصادم الف فارس . ثم اعلمت اصحابي بجميع ما في الخباء من الاموال والتحف وقلت لهم : اعلموا ان هذا الشاب ما هو منقطع في تلك الارض الَّا لكونهِ ذا شجاعة عظيمة وانا اوصيكم ان كل من قتل هذا الغلام يأخذ اخته . فقالوا : رضينا بذلك . ثم ان اصحابي لبسوا آلة حربهم وركبوا خيلهم وقصدوا الغلام . فوجدوه قد لبس آلة حربه وركب جواده ووثبت اليهِ اخته وتعلقت بركابه وبلَّت برقعها بدموعها وهي تنادي بالويل والثبور من خوفها على اخيها وتنشد هذه الابيات :

الى الله اشكو محنةً وكآبةً ... لعلَّ اله العرش يرهقهم رعبا

يريدون قتلًا يا اخيَّ تعمدًا ... ولا شيء من قبل القتال ولا ذنبا

وقد عرفت ذا الخيل انك فارسٌ ... واشجع مَن حلَّ المشارقَ والغربا

تحامي عن الاخت الذي قلَّ عزمها ... فانت اخوها وهي تدعو لك الربَّا

فلا تترك الاعداء تملك مهجتي ... وتاخذني قهرًا وتأسرني غصبا

ولستَ وحقّ الله ابقى ببلدةٍ اذا لم تكن فيها وان ملئتْ خصبا

واقتل نفسي في هواك محبةً واسكن لحدًا فيهِ افترش التربا

فلما سمع اخوها شعرها بكى بكاء شديدًا وردّ رأس جواده الى اخته واجابها على شعرها بقولهِ :

قفي وانظري مني وقوع عجائبٍ اذا ما التقينا حين اثخنهم ضربا

وان برز الليث المقدم فيهمِ واشجعهم قلبـاً واثبتهم لبّاً

ساسقيه مني ضربةً ثعلبيةً واترك فيهِ الرمح يستغرق الكعبا

وان لم اقاتل عنكِ اختي فليتني قتيلٌ وليت الطير تنهبني نهبـا

اقاتل عنكِ ما استطعت تكرماً وهذا حديثٌ بعدنا يملأ الكتبا

فلما فرغ من شعره قال : يا اختي اسمعي ما اقوله لكِ وما اوصيكِ بهِ . فقالت لهُ : سمعاً وطاعة . فقال لها : ان هلكتُ فاهربي انتِ بنفسكِ . فعند ذلك اطمت وجهها وقالت : معاذ الله يا اخي ان اراك صريعاً . فعند ذلك مدّ الغلام يده اليها وكشف برقعها عن وجهها فقبّلها بين عينيها وودعها . وبعد ذلك التفت الينا وقال لنا : يا فرسان هل انتم ضيفان . او تريدون الضرب والطعان . فان كنتم ضيفاناً فابشروا بالقرى . وان اضمرتم العداوة فليبرز لي منكم فارس بعد فارس في هذا الميدان . ومقام الحرب والطعان . فعند ذلك برز اليهِ فارس شجاع . فقال لهُ الشاب : ما اسمك وما اسم ابيك فاني حالف اني ما اقتل من اسمه موافق لاسمي واسم ابيهِ موافق لاسم ابي . فان كنت بهذا الوصف فقد سلمت اليك الجارية . فقال لهُ الفارس : اسمي بلال . فاجابهُ الشابُ بقوله :

كذبت في قولـك من بلالِ وجئت بالزور وبالمحـالِ

ان كنت شهماً فاستمع مقالي مجندل الابطال في المجالِ

بصارمٍ ماضٍ كما الهلالِ　　فاصبر لطعن مرجف الجبالِ

ثم حملا على بعضهما . فطعنهُ الشابُّ في صدره فخرج السنان من ظهره . ثم برز اليهِ واحد . فقال الشاب :

يا ايها الكلب دخيم الرجسِ　　فاين غالٍ سعرهُ من بخسِ
وانما الليث الكريم الجنسِ　　من لم يبالِ بالوغى بنفسِ

ثم لم يمهله الشابُّ دون ان تركه غريقاً في دمه . ثم نادى الشابُّ : هل من مبارز . فبرز اليهِ واحدٌ . فانطلق على الشاب وجعل يقول :

اليك اقبلت وفي قلبي لهبْ　　منهُ انادي عند صحبي بالحربْ
لما قتلت اليوم سادات العربْ　　فاليوم لا تلقى فكاكاً من طلبْ

فلما سمع الشابُّ كلامه اجابه بقوله :

كذبت بئس انت من شيطانِ　　قد جئت بالزور وبالبهتانِ
اليوم تلقى فاتك السنانِ　　في موقف الحرب وفي الطعانِ

ثم طعنه في صدره فطلع السنان من ظهره . ثم قال: هل من مبارز . فخرج اليهِ الرابع . وسأله الشاب عن اسمه . فقال لهُ الفارس : اسمي هلال . فانشد يقول :

اخطأت اذ اردتَ خوض بحري　　وجئت بالزور وكل الامر
انا الذي تسمع مني شعري　　اختاس النفس ولست تدري

ثم حملا على بعضهما واختلف بينهما ضربتان فكانت ضربة الشاب هي السابقة الى الفارس فقتله . وصار كل من نزل اليهِ يقتله . فلما نظرتُ اصحابي قد قُتلوا قلت في نفسي : ان نزلت اليهِ في الحرب لم اطقه وان هربت ابقى معيرة بين العرب . فلم يمهلني الشابُّ دون ان انقضَّ عليَّ وجذبني بيده فأطاحني من سرجي .

فوقعت مغشياً عليّ ورفع سيفه واراد ان يضرب عنقي. فتعلقت باذياله. فحملني بكفه فصرت معهُ كالعصفور. فلما رأت ذلك الجارية فرحت بفعل اخيها واقبلت عليه وقبلته بين عينيه. ثم انهُ سلمني الى اخته وقال لها: دونكِ واياه واحسني مثواه. لانهُ دخل في ذمامنا. فقبضت الجارية على اطواق درعي وصارت تقودني كما تقود الكلب. وفكت عن اخيها لأمة الحرب. والبستهُ كسوة ونصبت له كرسياً من العاج فجلس عليهِ وقالت لهُ: بيّض الله عرضك وجعلك عدة للنائبات. فاجابها بهذه الابيات:

تقول وقد رأت في الحرب اختي	لوامع غرّتي مثل الشعاعِ
الا لله درُّك من شجاعٍ	تذلُ لحربهِ اسد البقاعِ
فقلت لها سلي الابطال عني	اذا ما فرَّ ارباب القراعِ
انا المعروف في سعدي وجدّي	وعزمي قد علا ايَّ ارتفاعِ
ايا حماد قد نازلت ليثاً	يُريك الموت يسعى كالافاعي

فلما سمعتُ شعره حرت في امري ونظرت الى حالتي وما صرت اليه من الاسر وتصاغرتْ اليّ نفسي. ثم ان الجارية احضرت لاخيها الطعام. فدعاني الى الاكل معهُ. ففرحت وامنت على نفسي من القتل. ولما فرغ اخوها من الاكل احضرت لهُ آنية المدام. ثم ان الشاب اقبل على المدام وشرب حتى شعشع الشراب في رأسه واحمرّ وجهه فالتفت اليَّ وقال لي: ويلك يا حماد هل تعرفني ام لا. فقلت: وعيشك ما ازددت الّا جهلًا. فقال: يا حمّاد انا عباد بن تميم ابن ثعلبة ان الله وهب لك نفسك. وابقى عليك عرسك. ثم حيّاني بقدح شربتهُ وحياني بثانٍ وثالث ورابع فشربت الجميع ونادمني وحلفني اني لا اخونه. فحلفت لهُ الفاً وخمسمائة يمين اني لا اخونه قط بل اكون لهُ معيناً. فعند ذلك أمر اختهُ

ان تأتيني بعشر خلع من الحرير . فأتت بها وافرغتها على بدني وهذه خلعة منها على جسدي . وأمرها ان تأتيني بناقة من احسن النياق . فأتتني بناقة محملة من التحف والزاد . وأمرها ايضاً ان تحضر لي الحصان الاشقر فاحضرته لي . ثم وهب لي جميع ذلك واقمت عندهم ثلثة ايام في اكل وشرب والذي قد اعطانيه موجود عندي الى الآن . وبعد الثلثة الايام قال لي: يا اخي يا حمَّاد اريد ان انام قليلًا لاريح نفسي وقد استأمنتك على نفسي فان رأيت خيلًا ثائرة فلا تفزع منها واعلم انهم من بني ثعلبة يطلبون حربي . ثم توسد سيفه تحت راسه ونام . فلما استغرق في النوم وسوس اليَّ ابليس بقتله فقمت بسرعة وجذبت سيفه من تحت رأسه وضربته ضربة اطاحت راسه عن جثته . فعلمت بي اخته فوثبت من جانب الخباء ورمت نفسها على اخيها وشقت ما عليها من الثياب . وانشدت تقول هذه الابيات :

الى الاهل بلغ ان ذا اشأم الخبرْ ... وما لامرئٍ مما الحكيم قضى مفرْ
وانت صريعٌ يا اخي متجندلٌ ... ووجهك يحكي حسنهُ دورة القمرْ
لقد كان يوم الشوْم يوم لقيتهم ... ورمحك من بعد اطرادٍ قد انكسرْ
وبعدك لا يرتاح لخيل راكبٌ ... ولا تلد الانثى نظيرك من ذكرْ
واصبح حمَّادٌ لكَ اليوم قاتلًا ... وقد خان ايمانًا وبالعهد قد غدرْ
يريد بهذا ان ينال مرادهُ ... لقد كذب الشيطان في كل ما أمرْ

فلما فرغت من شعرها قالت لهُ : ياملعون الجدّين لماذا قتلت اخي وخنته . وكان مراده ان يردك الى بلادك بالزاد والهدايا . وان يزوجني لك في اوَّل الشهر . ثم جذبت سيفًا كان عندها وجعلت قائمه في الارض وطرفه في صدرها وانحنت عليهِ حتى طلع من ظهرها فخرَّت على الارض ميتة . فحزنت عليها وندمت

حيث لاينفعني الندم وبكيت . ثم قمت مسرعاً الى الجباء واخذت ما خفَّ حمله وغلا ثمنه وسرت الى حال سبيــلي . ومن خوفي وعجلتي لم التفت الى احد من اصحابي ولا دفنت الصبية ولا الشاب . وهذه الحكاية اعجب من حكايتي الاولى مع البنت الخادمة التي خطفتها من بيت المقدس

(الليلة الخامسة والاربعون بعد المائة) . فلما سمعت نزهــة الزمان من البدوي هذا الكلام تبدل النور في عينها بالظلام فقامت وجرَّدت السيف وضربت بهِ البدوي حماداً على عاتقهِ فاطلعته من علائقه . فقال لها الحاضرون: لاي شيء استعجلتِ على قتله . فقالت : الحمد لله الذي فسح في اجلي حتى اخذت ثأري بيدي . ثم انها امرت العبيد ان يجرُّوه من رجليه ويرموه للكلاب . وبعــد ذلك اقبلوا على الاثنين الباقيين وكان احدهما عبداً اسود فقالوا لهُ : ما اسمــك انت فاصدقنا في حديثك . قال : انا اسمي الغضبان واخبرهم بما وقع لهُ مع الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وكيف قتلها وهرب . فلم يُتمّ العبــد كلامه حتى رمى الملك رومزان رقبته بالحسام وقال: الحمد لله الذي احياني واخذت ثأر امي بيدي . واخبرهم ان جاريته مرجانة حكَت لهُ عن هذا العبد الذي اسمهُ الغضبان . وبعد ذلك اقبلوا على الثالث وهو الجمال الذي اكتراه اهل بيت المقدس الى حمل ضوء المكان وايصاله الى المارستان الذي في دمشق الشام فذهب بهِ والقــاه في المستوقد وذهب الى حال سبيله . ثم قالوا لهُ : اخبرنا انت بخــبرك واصدق في حديثك . فحــكى لهم جميع ما وقع لهُ مع السلطان ضوء المكان وكيف حملهُ من بيت المقدس وهو ضعيف على ان يوصله الى الشام ويرميه في المارستان . وكيف جاء لهُ اهل بيت المقدس بالدراهم فاخذها وهرب بعد ان رماه على المزبلــة التي بجانب مستوقد الحمام . فلما اتمَّ كلامه اخذ السلطان كان ما كان السيف وضربه

فرمى عنقه وقال : الحمد لله الذي احياني حتى جازيت هذا الخائن بما فعل مع ابي . فانني سمعت هذه الحكاية بعينها من والدي السلطان ضوء المكان . فقال الملوك لبعضهم : ما بقي علينا الّا العجوز شواهي . الملقبة بذات الدواهي . فانها سبب هذه البلايا . حيث اوقعتنا في الرزايا . ومن لنا بها حتى ناخذ الثأر . ونكشف العار . فقال الملك رومزان عمّ الملك كان ما كان . لا بدّ من حضورها . ثم ان الملك رومزان كتب كتاباً من وقته وساعته وارسله الى جدته العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وذكر لها فيهِ انهُ غلب على مملكة دمشق والموصل والعراق . وكسر عسكر المسلمين وأسر ملوكهم . وقال : اريد ان تحضري عندي من كل بدّ انتِ والملكة صفية بنت الملك افريدون ملك القسطنطينية ومن شئتم من اكابر النصارى من غير عسكر . فان البلاد امان لانها صارت تحت ايدينا . فلما وصل اليها الكتاب وقرأتهُ وعرفت خط الملك رومزان فرحت فرحاً شديداً وتجهزت من وقتها وساعتها للسفر هي والملكة صفية ام نزهة الزمان ومن صحبهما ولم تزالا مسافرتين حتى وصلتا الى بغداد . فتقدم الرسول واخبرهم بحضورهما . فقال رومزان : المصلحة تقتضي ان نلبس لبس الافرنج ونقابل العجوز حتى نأمن من خداعها وحيلها . فقالوا : سمعاً وطاعةً . ثم انهم لبسوا لباس الافرنج . فلما رأت ذلك قضي فكان قالت : وحق الرب المعبود لولا اني اعرفكم لقلت انكم افرنج . ثم ان رومزان تقدم امامهم وخرجوا يقابلون العجوز في الف فارس . فلما وقعت العين في العين ترجل رومزان عن جواده وسعى اليها . فلما رأتهُ وعرفتهُ ترجلت اليهِ وعانقتهُ . فقرط بيده على اضلاعها حتى كاد ان يقصفها . فقالت : ما هذا يا ولدي . فلم تتمّ كلامها حتى نزل اليهما كان ما كان والوزير دندان . وزعقت الفرسان على من معهما من الجواري والغلمان . واخذوهم جميعهم ورجعوا الى

بغداد. وامرهم رومزان ان يزينوا بغداد فزينوها ثلثة ايام. ثم اخرجوا العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وعلى رأسهـا طرطور احمر من الخوص مكلل بالاقذار. وقدامها منادٍ ينادي : هذا جزاء من يجترئ على الملوك وعلى اولاد الملوك. ثم صلبوها على باب بغداد. ولما رأى اصحابها ما جرى لها اسلموا كلهم جميعاً

ثم ان كان ما كان وعمه رومزان ونزهة الزمان والوزير دندان تعجبوا لهذه السيرة العجيبة وأمروا الكتّاب ان يؤرخوها في الكتب حتى تقرأ من بعدهم. واقاموا بقية الزمان في الذّ عيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات. ومفرق الجماعات. وهذا آخر ما انتهى الينا من تصاريف الزمان بالملك عمر بن النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وولد ولده كان ما كان وبنته نزهة الزمان وبنتها قضي فكان. ثم ان الملك قال لشهرزاد : اشتهي ان تحكي لي شيئاً من حكاية الطيور. فقالت لها اختها : لم ارَ الملك في طول هذه المدة انشرح صدرهُ غير هذه الليلة وارجو ان تكون عاقبتهُ معكِ محمودة. وكان الملك ادركهُ النوم فنام

حكاية الطيور والوحوش مع ابن آدم

(الليلة السادسة والاربعون بعد المائة). قالت شهرزاد : بلغني ايها الملك السعيد انهُ كان في قديم الزمان. وسالف العصر والاوان. طاووس يأوي الى جانب البحر مع زوجته. وكان ذلك الموضع كثير السباع وفيه من سائر الوحوش. غير انهُ كثير الاشجار والانهار وذلك الطاووس هو وزوجته يأويان الى شجرة من تلك الاشجار ليلاً من خوفهما من الوحوش. ويغدوان في طلب الرزق نهاراً. ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما. فسارا يبغيان موضعاً غير موضعهما يأويان اليه. فبينما هما يفتشان على موضع اذ ظهرت لهما جزيرة كثيرة الاشجار والانهار فنزلا في

تلك الجزيرة وا كلا من اثمارها وشربا من انهارها · فبينما هما كذلك واذا ببطة اقبلت عليهما وهي في شدة الفزع · ولم تزل تسعى حتى اتت الى الشجرة التي عليها الطاووس هو وزوجته فاطمأنت · فلم يشك الطاووس في ان تلك البطة لها حكاية عجيبة . فسألها عن حالها وعن سبب خوفها. فقالت : انني مريضة من الحزن وخوفي من ابن آدم. فالحذر ثم الحذر من بني آدم · فقال لها الطاووس : لا تخافي حيث وصلتِ الينا · فقالت البطة : الحمد لله الذي فرّج عني همي وغمي بقربكما وقد اتيت راغبة في مودتكما · فلما فرغت من كلامها نزلت اليها زوجة الطاووس وقالت لها : اهلًا وسهلًا ومرحبًا لا باس عليكِ · ومن اين يصل الينا ابن آدم ونحن في هذه الجزيرة التي في وسط البحر · فمن البرّ لا يقدر ان يصل الينا · ومن البحر لا يمكن ان يطلع علينا · فابشري وحدثينا بالذي نزل بكِ واعتراكِ من ابن آدم · فقالت البطة : اعلمي ايتها الطاووسة انني في هذه الجزيرة طول عمري آمنة لا ارى مكروهًا . فنمت ليلةً من الليالي فرأيت في منامي صورة ابن آدم وهو يخاطبني واخاطبه · وسمعت قائلًا يقول لي : ايتها البطة احذري من ابن آدم ولا تغترّي بكلامه ولا بما يدخلهُ عليكِ فانهُ كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره فانهُ مخادع ماكر كما قال فيهِ الشاعر :

يُعطيك من طرف اللسان حلاوةً ويروغ منكَ كما يروغ الثعلبُ

واعلمي ان ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من البحار · ويرمي الطير ببندقة من طين . ويوقع الفيل بمكرهِ · وابن آدم لا يسلم احد من شره . ولا ينجو منهُ طير ولا وحش · وقد بلغتك ما سمعته عن ابن آدم · فاستيقظتُ من منامي خائفة مرعوبة وانا الى الآن لا ينشرح صدري خوفًا على نفسي من ابن آدم لئلا يدهمني بحيلته ويصيدني بحبائله . ولم ياتِ عليَّ آخر النهار الّا وقد ضعفت قوتي وبطلت

همتي . ثم اني اشتقت الى الاكل والشرب فخرجت اتمشى وخاطري مكدر وقلبي مقبوض . فلما وصلت الى ذلك الجبل وجدت على باب مغارةٍ شبلًا اصفر اللون . فلما رآني ذلك الشبل فرح بي فرحاً شديدًا واعجبهُ لوني وكوني لطيفة الذات . فصاح عليَّ وقال لي : اقربي مني . فلما قربت منهُ قال لي : ما اسمكِ وما جنسكِ . فقلت لهُ : اسمي بطة وانا من جنس الطيور . ثم قلت لهُ : ما سبب قعودك الى هذا الوقت في هذا المكان . فقال الشبل : سبب ذلك ان والدي الاسد لهُ ايام وهو يحذرني من ابن آدم . فاتفق اني رأيت في هذه الليلة في منامي صورة ابن آدم . ثم ان الشبل حكى لي نظير ما حكيتهُ لكِ . فلما سمعت كلامه قلت لهُ : يا اسد اني قد لجأت اليك في ان تقتل ابن آدم وتجزم رأيك في قتله . فاني اخاف على نفسي منهُ خوفاً شديدًا وازددت خوفاً على خوفي من خوفك من ابن آدم مع انك سلطان الوحوش . وما زلت يا اختي احذر الشبل من ابن آدم واوصيه بقتله حتى قام من وقته وساعته من المكان الذي كان فيهِ وتمشى وتمشيت وراءهُ فقرقع بذنبه على ظهره . ولم يزل يتمشى وانا امشي وراءهُ الى مفرق الطريق . فوجدنا غبرة طارت . وبعد ذلك انكشفت الغبرة فبان من تحتها حمار شارد عريان وهو تارة يقمص ويجري وتارة يتمرَّغ . فلما رآه الاسد صاح عليهِ . فأتى اليهِ خاضعاً . فقال لهُ : ايها الحيوان الخريف العقل ما جنسك وما سبب قدومك الى هذا المكان . فقال له . يا ابن السلطان انا جنسي حمار وسبب قدومي الى هذا المكان هروبي من ابن آدم . فقال لهُ الشبل : وهل انت خائف من ابن ادم ان يقتلك . فقال لهُ الحمار : لا يا ابن السلطان وانما خوفي ان يعمل حيلة عليَّ ويركبني . لان عنده شيئاً يسميهِ البرذعة فيجعلها على ظهري . وشيئاً يسميهِ الحزام فيشدهُ على بطني . وشيئاً يسميهِ الطفر فيجعله تحت ذنبي . وشيئاً يسميهِ اللجام فيجعلهُ في فمي .

ويعمل لي نخاساً ينخسني بهِ ويكلفني ما لا اطيق من الجري . واذا عثرت لعنني . وان نهقت شتمني . وبعد ذلك اذا كبرت ولم اقدر على الجري يجعل لي رحلًا من الخشب ويسلمني الى السقائين فيحمّلون الماء على ظهري من البحر في القرب ونحوها كالجرار . ولا ازال في ذلّ وهوان وتعب حتى اموت فيرمونني فوق التلال للكلاب . فاي شيء اكبر من هذا الهمّ . واي مصيبة اكبر من هذه المصائب . فلما سمعت ايتها الطاووسة كلام الحمار اقشعرّ جسدي من ابن آدم . وقلت للشبل : يا سيدي ان الحمار معذور وقد زادني كلامه رعباً على رعبي . فقال الشبل للحمار : الى اين انت سائر . فقال لهُ الحمار : اني نظرت ابن آدم قبل طلوع الشمس من بعيد ففررت هرباً منهُ وها انا اريد انطلق ولم ازل اجري من شدة خوفي منهُ فعسى اجد لي موضعاً يأويني من ابن آدم الغدار . فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل في ذلك الكلام وهو يريد ان يودعنا ويروح . اذ ظهرت لنا غبرة . فنهق الحمار وصاح ونظر بعينه الى ناحية الغبرة وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن فرس ادهم . بغرّة كالدرهم . وذلك الفرس ظريف الغرة . مليح التحجيل . حسن القوائم والصهيل . ولم يزل يجري حتى وقف بين يدي الشبل ابن الاسد . فلما رآه الشبل استعظمه وقال لهُ : ما جنسك ايها الوحش الجليل وما سبب شرودك في هذا البرّ العريض الطويل . فقال لهُ : يا سيد الوحوش انا فرس من جنس الخيل وسبب شرودي هروبي من ابن آدم . فتعجب الشبل من كلام الفرس وقال لهُ : لا تقل هذا الكلام فانهُ عيب عليك وانت طويل غليظ . وكيف تخاف من ابن آدم مع عظم جثتك وسرعة جريك . وانا مع صغر جسمي قد عزمت على ان ألتقي مع ابن آدم فابطش بهِ وآكل لحمه واسكن روع هذه البطة المسكينة واقرّها في وطنها . وها انت لما اتيت في هذه الساعة قطعت قلبي بكلامك

وارجعتني عما اردت ان افعله . فاذا كنت انت مع عظمك قد قهرك ابن آدم ولم يخف من طولك وعرضك مع انك لو رفصتهُ برجلك لقتلته ولم يقدر عليك بل تسقيهِ كأس الردى . فضحك الفرس لما سمع كلام الشبل وقال : هيهات هيهات ان اغلبه يا ابن الملك فلا يغرك طولي ولا عرضي ولا ضخامتي مع ابن آدم لانه من شدة حيله ومكره يصنع لي شيئاً يقال لهُ الشكال ويضع في اربع قوائمي شكالين من حبال الليف الملفوفة باللباد ويصلبني من رأسي في وتد عالٍ وأبقى واقفاً وانا مصلوب لا اقدر اقعد ولا انام . واذا اراد ان يركبني يعمل لي شيئاً في رجليهِ من الحديد اسمه الركاب . ويضع على ظهري شيئاً يسميه السرج ويشده بحزامين من تحت ابطي . ويضع في فمي شيئاً من الحديد يسميه اللجام . ويضع فيهِ شيئاً من الجلد يسميهِ الصرع . فاذا ركب فوق ظهري على السرج يمسك الصرع بيده ويقودني بهِ . ويهمزني بالركاب فوق خواصري حتى يدميها . ولا تسأل يا ابن السلطان عما اقاسيه من ابن آدم . فاذا كبرت وانتحل ظهري ولم اقدر على سرعة الجري يبيعني للطحان ليدوّرني في الطاحون . فلا ازال دائراً فيها ليلاً ونهاراً الى ان اهرم فيبيعني للجزار فيذبحني ويسلخ جلدي وينتف ذنبي ويبيعهما للغرابلي والمناخلي . ويسلي شحمي . فلما سمع الشبل كلام الفرس ازداد غيظاً وغماً وقال لهُ : متى فارقت ابن آدم . قال : فارقتهُ نصف النهار وهو في اثري . فبينما الشبل يتحدث مع الفرس في هذا الكلام واذا بغبرة ثارت . وبعد ذلك انكشفت الغبرة وبان من تحتها جملٌ هائجٌ وهو يبعبعُ ويخبط برجليهِ في الارض . ولم يزل يفعل كذلك حتى وصل الينا . فلما رآه الشبل كبيراً غليظاً ظنَّ انهُ ابن آدم فاراد الوثوب عليه . فقلت لهُ : يا ابن السلطان ان هذا ما هو ابن آدم وانما هذا جملٌ وكأنهُ هارب من ابن آدم . فبينما انا يا اختي مع الشبل في هذا الكلام

واذا بالجمل تقدم بين ايادي الشبل وسلم عليه . فردّ عليهِ السلام وقال لهُ : ما سبب مجيئك الى هذا المكان . قال : جئت هارباً من ابن آدم . فقال لهُ الشبل : وانت مع عظم خلقتك وطولك وعرضك كيف تخاف من ابن آدم ولو رفصتهُ برجلك رفصة لقتلته . فقال لهُ الجمل : يا ابن السلطان . اعلم ان ابن آدم لهُ دواهي لا تطاق وما يغلبه الّا الموت . لانهُ يضع في انفي خيطاً ويسميهِ خزاماً ويجعل في رأسي مقوداً ويسلمني الى اصغر اولاده فيجرني الولد الصغير بالخيط مع كبري وعظمي ويحملونني اثقل الاحمال ويسافرون بي الاسفار الطوال ويستعملونني في الاشغال الشاقة اناء الليل والنهار . واذا كبرت وشخت او انكسرت فلا يحفظ صحبتي بل يبيعني للجزّار فيذبحني ويبيع جلدي للدباغين ولحمي للطباخين ولا تسأل عما اقاسي من ابن آدم . فقال لهُ الشبل : اي وقت فارقت ابن آدم . قال : فارقتهُ وقت الغروب واظنهُ يأتي عند انصرافي فلا يجدني فيسعى في طلبي . فدعني يا ابن السلطان حتى اهجّ في البراري والقفار . فقال الشبل : تمهل قليلاً يا جمل حتى تنظر كيف افترسه واطعمك من لحمه واهشم عظمه واشرب من دمه . فقال لهُ الجمل : يا ابن السلطان انا خائف عليك من ابن آدم فانهُ مخادع ماكر . ثم انشد قول الشاعر :

اذا حلّ الثقيل بارض قومٍ فما للساكنين سوى الرحيلِ

فبينما الجمل يتحدث مع الشبل في هذا الكلام اذ بغبرة طلعت وبعد ساعة انكشفت عن شيخ قصير رقيق البشرة على كتفه مقطف فيهِ عدّة نجار وعلى رأسه شعبة وثمانية الواح وبيده اطفال صغار وهو يهرول في مشيه . وما زال يمشي حتى قرب من الشبل . فلما رأيتهُ يا اختي وقعت من شدة الخوف . واما الشبل فانهُ قام وتمشى اليهِ ولاقاه . فلما وصل اليه ضحك النجار في وجههِ وقال لهُ بلسان فصيح :

ايها الملك الجليل. صاحب الباع الطويل . اسعد الله مساك ومسعاك . وزاد في شجاعتك وقواك . اجرني مما دهاني. وبشره رماني . لاني ما وجدت لي نصيراً غيرك . ثم ان النجار وقف بين يدي الاسد وبكى وأنَّ واشتكى. فلما سمع الشبل بكاءهُ وشكواه قال لهُ : اجرتك مما تخشاه فمن الذي قد ظلمك وما تكون أنت ايها الوحش الذي ما رأيت عمري مثلك ولا أحسن صورة ولا افصح لساناً منك. فما شأنك . فقال لهُ النجار : يا سيد الوحوش اما انا فنجار واما الذي ظلمني فهو ابن آدم وفي صباح هذه الليلة يكون عندك في هذا المكان . فلما سمع الشبل من النجار هذا الكلام تبدل الضياء في وجههِ بالظلام وشخر ونخر وارتمت عيناه بالشرر وصاح وقال: والله لاسهرنَّ في هذه الليلة الى الصباح ولا ارجع الى والدي حتى ابلغ مقصدي. ثم ان الشبل التفت الى النجار وقال له : اني ارى خطواتك قصيرة ولا اقدر ان اكسر بخاطرك لاني ذو مروءة واظن انك لا تقدر ان تماشي الوحوش . فاخبرني الى اين تذهب . فقال لهُ النجار : اعلم انني رائح الى وزير والدك الفهد . لانهُ لما بلغهُ ان ابن آدم داس هذه الارض خاف على نفسه خوفاً عظيماً وارسل اليَّ رسولاً من الوحوش لاصنع لهُ بيتاً يسكن فيهِ ويأوي اليه ويمنع عنهُ عدوَّه حتى لا يصل اليهِ احد من بني آدم . فلما جاءني الرسول اخذت هذه الالواح وتوجهت اليه . فلما سمع الشبل كلام النجار اخذه الحسد للفهد فقال لهُ: بحياتي لا بدَّ ان تصنع لي هذه الالواح بيتاً قبل ان تصنع للفهد بيته . واذا فرغت من شغلي فامضِ الى الفهد واصنع لهُ ما يريد . فلما سمع النجار من الشبل هذا الكلام قال لهُ : يا سيد الوحوش ما اقدر ان اصنع لك شيئاً الّا اذا صنعت للفهد ما يريد ثم اجيْ الى خدمتك واصنع لك بيتاً يحصنك من عدوّك . فقال له الشبل : والله ما اخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع لي هذه الالواح بيتاً .

ثم ان الشبل همَّ على النجار ووثب عليهِ واراد ان يمزح معهُ فلطشهُ بيـده فرمى المقطف من على كتفه ووقع النجار مغشياً عليه . فضحك الشبل عليـهِ وقال لهُ : ويلك يا نجار انك ضعيف وما لك قوة فانت معذور اذا خفت من ابن آدم . فلما وقع النجـار على ظهرهِ اغتاظ غيظاً شديداً ولكنهُ كتم ذلك عن الشبـل من خوفه منهُ . فقعد النجار على حيله وضحك في وجهه وقال لهُ : ها انا اصنع لك البيت

ثم ان النجار تناول الالواح التي كانت معهُ وسمر البيت وجعلهُ مثل القالب على قياس الشبل وخلى بابهُ مفتوحاً لانهُ جعلهُ على صورة الصندوق وفتح لهُ طاقـة كبيرة وجعل لها غطاء كبيرًا وثقب فيهِ ثقوباً كثيرة واخرج منها مسامير مطرقة وقال للشبل : ادخل في هذا البيت من هذه الطاقة حتى اقيسه عليـك . ففرح الشبـل بذلك واتى الى تلك الطاقة فرآها ضيقة . فقال لهُ النجـار : ادخل وابرك على يديك ورجليك . ففعل الشبل ذلك ودخل الصندوق فبقي ذنبه خارجاً في آخره . فاراد الشبل ان يتأخر الى ورائهِ ويخرج . فقال لهُ النجار : امهل واصـبر حتى انظر هل يسع ذنبك معك . فامتثل الشبـل امره . ثم ان النجار لفَّ ذنب الشبل وحشاه في الصندوق ورد اللوح على الطاقة سريعاً وسمَّره . فصاح الشبل قائلًا : يا نجار ما هذا البيت الضيق الذي صنعته لي دعني اخرج منهُ . فقـال لهُ النجار : هيهات هيهات . لا ينفع الندم على ما فات . انك لا تخرج من هذا المكان . ثم ضحك النجار وقال للشبل : انك وقعت في القفص وما بقي لك خلاص من ضيق الاقفاص يا اخبث الوحوش . فقال : يا اخي ما هذا الخطاب الذي تخاطبني به . فقال لهُ النجار : اعلم يا كلب البرّ انك قد وقعت فيما كنت تخاف منه وقد رماك القدر . ولم ينفعك الحذر . فلما سمع الشبل كلامه يا اختي علم انهُ ابن آدم

الذي حذره منهُ ابوه في اليقظة والهاتف في المنام . واما ايضاً تحققت انهُ هو بلا شكٍّ فيهِ ولا ريب . فخفت منهُ على نفسي خوفاً عظيماً وبعدت عنهُ قليلاً وصرت انتظر ماذا يفعل بالشبل . فرأيت يا اختي ابن آدم حفر حفرةً في ذلك المكان بالقرب من الصندوق الذي فيهِ الشبل ورماه في تلك الحفرة وألقى عليهِ الحطب واحرقه بالنار . فكبر يا اختي خوفي ولي يومان هاربة من ابن آدم وخائفة منهُ

(الليلة السابعة والاربعون بعد المائة) . فلما سمعت الطاووسة من البطة هذا الكلام تعجبت منهُ غاية العجب وقالت : يا اختي انكِ آمنة من ابن آدم لاننا في جزيرة من جزائر البحر ليس لابن آدم فيها مسلك . فاختاري المقام عندنا الى ان يسهل الله امركِ وامرنا . فقالت : اني اخاف ان يطرقني طارق . والقضاء لا ينفك عنهُ آبق . فقالت : اقعدي عندنا وانتِ مثلنا . وما زالت بها حتى قعدت وقالت : يا اختي انتِ تعلمين قلة صبري ولولا اني رأيتكِ هنا ما كنت قعدت . فقالت الطاووسة : ان كان على جبيننا شيء نستوفاه . وان كان دنا اجلنا فمن يخلصنا . ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها واجلها . فبينما هما في هذا الكلام اذ طلعت عليهما غبرة . فعند ذلك صاحت البطة ونزلت البحر وقالت : الحذر الحذر وان لم يكن مفر من القضاء والقدر . فبعد ساعة انكشفت الغبرة وبان من تحتها ظبيٌ . فاطمأنت البطة والطاووسة . ثم قالت للبطة : يا اختي ان الذي نظرتِ وحذرتِ منهُ ظبيٌ وها هو قد اقبل نحونا فليس علينا منهُ بأس . لان الظبي انما يأكل الحشائش من نبات الارض . وكما انتِ من جنس الطير هو الآخر من جنس الوحوش . فاطمئني ولا تهتمي . فان الهم ينحل البدن . فلم تتمَّ الطاووسة كلامها حتى وصل الظبي اليها يستظل تحت ظل الشجرة . فلما رأى الطاووسة والبطة سلم عليهما وقال لهما : اني دخلت الى هذه الجزيرة اليوم

فلم ارَ اكثر منها خصباً ولا احسن منها مسكناً . ثم دعاهما لمرافقته ومصافاته. فلما رأت البطة والطاووسة توّدده اليهما اقبلتا عليهِ ورغبتا في عشرته . فتصادقوا وتحالفوا على ذلك وصار مبيتهم واحدًا ومأ كلهم ومشربهم سواء . ولم يزالوا آمنين آكلين شاربين حتى مرَّت بهم سفينة كانت تائهة في البحر فأرست قريباً منهم . فطلع الناس وتفرقوا في الجزيرة فرأوا اجتماع الظبي والطاووسة والبطة فاقبلوا عليهم . فلما رأتهم الطاووسة صعدت الى الشجرة ثم طارت في الجو . وشرد الظبي في البريَّة . فبقيت البطة مخبلة ولم يزالوا بها حتى صادوها وصاحت قائلة : لم ينفعني الحذر من القضاء والقدر . وانصرفوا بها الى سفينتهم . فلما رأت الطاووسة ما جرى للبطة ارتحلت من الجزيرة وقالت : لا ارى الآفات الَّا مراصدة لكل احد ولولا هذه السفينة ما حصل بيني وبين هذه البطة افتراق . ولقد كانت من خيار الاصدقاء . ثم طارت الطاووسة واجتمعت بالظبي فسلم عليها وهنأَها بالسلامة وسأَلها عن البطة . فقالت له : قد اخذها العدو وكرهتُ المقام في هذه الجزيرة بعدها . ثم بكت على فراق البطة وانشدت تقول :

ان يوم الفراق قطع قلبي قطع الله قلب يوم الفراقِ

ثم قالت ايضاً هذا البيت :

تمنيتُ الوصال يعود يوماً لاخبرهُ بما صنع الفراقُ

فاغتمَّ الظبي غمًّا شديدًا ثم ردَّ عزم الطاووسة عن الرحيل . فاقامت مع الظبي آمنين آكلين شاربين . غير انهما لم يزالا حزينين على فراق البطة . فقال الظبي للطاووسة : يا اختي قد علمتِ ان الناس الذين طلعوا لنا من المركب كانوا سبباً لفراقنا ولهلاك البطة فاحذريهم واحترسي منهم ومن مكر ابن آدم وخداعه . قالت : قد علمت يقيناً انهُ ما قتلها غير تركها التسبيح . ولقد قلت لها : اني اخاف

عليكِ من تركِكِ التسبيح . لان كل شيء خلقهُ الله يسبحه فان غفل عن التسبيح عوقب بهلاكهِ . فلما سمع الظبي كلام الطاووسة قال : احسن الله صورتكِ واقبل على التسبيح لا يفتر عنهُ ساعة . وقد قيل ان تسبيح الظبي : سبحان الديان ذي الجبروت والسلطان

حكاية الراعي العابد

(الليلة الثامنة والاربعون بعد المائة) . قيل ان بعض العبّاد كان يتعبّد في بعض الجبال . وكان يأوي الى ذلك الجبل زوج من الحمام . وكان ذلك العابد قسم قوتهُ نصفين . وجعل نصفهُ لنفسه ونصفهُ لذلك الزوج الحمام . ودعا العابد لهما بكثرة النسل . فكثر نسلهما ولم يكن الحمام يأوي الى سوى الجبل الذي فيهِ العابد . وكان السبب في اجتماع الحمام بالعابد كثرة تسبيح الحمام . وقيل ان الحمام يقول في تسبيحه : سبحان خالق الخلق وقاسم الرزق وباني السماوات وباسط الارضين . ولم يزل ذلك الزوج الحمام في ارغد عيش هو ونسله حتى مات العابد فتشتت شمل الحمام وتفرّق في المدن والقرى والجبال

وقيل : انهُ كان في بعض الجبال رجل من الرعاة وكان صاحب دين وعقل وعفة وكان لهُ اغنامٌ يرعاها وينتفع بألبانها واصوافها . وكان ذلك الجبل الذي يأوي اليهِ الراعي كثير الاشجار والمرعى والسباع . ولم يكن لتلك الوحوش قدرة على الراعي ولا على غنمه . ولم يزل مقيمًا في الجبل مطمئنًا لا يهمّه شيء من امر الدنيا لسعادته واقباله على صلاته وعبادته . فقدر الله انهُ مرض مرضًا شديدًا فدخل العابد في كهف الجبل وصارت الغنم تخرج بالنهار الى مرعاها وتأوي بالليل الى الكهف . فاراد الله تعالى ان يختبر ذلك الراعي ويمتحنهُ في طاعته وصبره فسح

الشيطان فدخل عليهِ شيطان في صورة امرأة حسناء فجلس بين يديه . فلما رأى الراعي تلك المرأة جالسة عنده اقشعرَّ بدنه منها فقال لها : ايتها المرأة ما الذي دعاكِ الى المجيء الى هنا وليس لي حاجة بكِ ولا بيني وبينكِ ما يوجب لدخولكِ عندي . فقالت لهُ : ايها الانسان قد اخترت قربك واحببت وصالك وقد جئتك طائعة واريد ان اقوم معك طول مقامك بهذا الجبل واكون انيسة لك فقد عرضت نفسي عليك لانك تحتاج لخدمة النساء وقد نصحتك فاقبلْ نصحي . فقال لها الراعي : اخرجي عني ايتها المرأة الخداعة الغدارة فلا اركن اليكِ ولا حاجة لي بقربكِ ولا بوصالكِ . لان من رغب فيكِ زهد في الآخرة ومن رغب في الآخرة زهد فيكِ . لانكِ فتنتِ الاولين والآخرين والله تعالى لعباده بالمرصاد والويل لمن ابتلي بصحبتكِ . فقالت لهُ : ايها التائه عن السداد والضال عن طريق الرشاد اقبل بوجهك اليَّ فان من كان قبلك من الحكماء فقد كانوا اكثر منك تجربة واصوب منك رأياً ومع ذلك لم يرفضوا ما رفضت من التمتع بلذائذ الدنيا بل رغبوا فيما زهدت فيهِ . فما اساءهم ذلك في دينهم ولا دنياهم . فارجع عن رأيك تحمد عاقبة امرك . فقال لها الراعي : ان كل ما تقولينه نكرته وكرهته . وجميع ما تبدينه زهدت فيه . لانكِ خدَّاعة غدَّارة لا عهد لكِ ولا وفاء . فكم من قبيح تحت حسنكِ اخفيتهِ . وكم من صالح فتنتهِ وكانت عاقبته الى الندامة والخسران . فارجعي عني ايتها المصلحة نفسها لفساد غيرها . ثم ألقى عباءته على وجههِ حتى لا يرى وجهها واشتغل بذكر ربهِ . فلما رأى الله حسن طاعته طرد الشيطان عنهُ . وكان قريباً من الراعي قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه . فرأى في منامه كأن قائلاً يقول لهُ . ان بالقرب منك في مكان كذا رجلاً صالحاً فاذهب اليهِ وكن تحت طاعته وامره . فلما اصبح الصباح توجه نحوه سائراً .

فلما اشتد عليه الحرّ انتهى الى شجرة عندها عين ماء تجري فاستراح هناك وجلس في ظل تلك الشجرة. فاذا هو بوحوش وطيور اتت الى تلك العين لتشرب منها. فلما رأت العابد جالساً نفرت منهُ ورجعت وشردت . فقال العابد : لا حول ولا قوة الَّا بالله اني لم استرح هنا الَّا لضرر هذه الوحوش والطيور . فقام وقال معاتباً لنفسه : لقد اضرّ بهـذه الحيوانات في هذا اليوم جلوسي في هذا المكان فما العذر بيني وبين خالقي وخالق هذه الطيور والوحوش . فاني كنت سبباً لشرودها عن شربها وعن رزقها ومرعاها. فوا خجلتي من ربي يوم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء . ثم بكى وانشـد يقول هذه الابيات :

أمـا والله لو علم الانامُ ... لِما خلقوا لَمـا غفلوا وناموا

فموتٌ ثم بعثٌ ثم حشرٌ ... وتوبيخٌ واهوالٌ عظـامُ

ونحن اذا نُهينا او أُمرنا ... كاهل الكهف ايقاظٌ نيامُ

ثم بكى على جلوسهِ تحت الشجرة عند العين ومنعه الطيور والوحوش من شربها وولّى سائحًا على وجههِ حتى اتى الى الراعي فدخل اليـهِ وسلم عليه . فردّ عليـهِ السلام وعانقه وبكى . فقال لهُ الراعي : ما الذي اتى بكَ الى هذا المكان الذي لم يدخله احد من الناس عليّ : فقال لهُ العابد : اني رأيت في منامي من يصف لي مكانك ويأمرني ان اسير اليك واسلم عليك فأتيتك ممتثلاً لما أُمرت بهِ . فقبلهُ الراعي وطابت نفسه بصحبته وجلس معهُ في الجبل يعبدان الله في ذلك الغار . فحسنت عبادتهما . ولم يزالا في ذلك المكان يعبدانِ ربهما . ويتقوتان من لحوم الغنم وألبانها متجردين عن المال والبنين الى ان اتاهما اليقين. وهذا آخر حديثهما. فقال الملك : يا شهرزاد لقد زهدتني في ملكي وندَّمتني على ما فرط مني في قتل النساء والبنات . فهل عندكِ شيء من حديث الطيور . قالت : نعم

حكاية طير الماء والسلحف

زعموا ايها الملك ان طيرًا من الطيور طار وعلا الى الجو. ثم انقض على صخرة في وسط الماء وكان الماء جاريًا . فبينما الطير واقف واذا هو برمّة انسان جرّها الماء حتى اسندها الى تلك الصخرة وقد انتفخت وارتفعت . فدنا منها طير الماء وتاملها فرآها رمة ابن آدم. فوجد فيها ضرب سيوف وطعن رماح . فقال طير الماء في نفسه : اظن ان هذا المقتول كان شريرًا فاجتمع عليهِ جماعة فقتلوه واستراحوا منهُ ومن شرّه . ولم يزل طير الماء حائرًا وهو يتعجب. فبينما هو كذلك واذا بنسور وعقبان احاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها . فلما رأى ذلك طير الماء جزع جزعًا شديدًا وقال : لا صبر لي على الاقامة في هذا المكان . ثم طار منهُ يفتش عن موضع يؤويه الى حين تنفد تلك الجيفة وتروح سباع الطيور عنها. ولم يزل طائرًا حتى وجد نهرًا في وسطهِ شجرة . فنزل عليها متغيرًا كئيبًا حزينًا على فراق وطنه وقال في نفسه : ما زالت الاحزان تتبعني وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة وفرحت بها فرحًا شديدًا وقلت: هذا رزق ساقهُ الله اليَّ . فصار فرحي غمًّا . وسروري حزنًا وهمًّا. فاخذتها وافترستها سباع الطيور مني وحالوا بيني وبينها. فكيف ارجو ان اكون سالمًا في هذه الدنيا من الكدر واطمئن اليها . وقد قيل في المثل : الدنيا دار من لا دار لهُ يغترّ بها من لا عقل له ويطمئن اليها بماله وولده وقومه وعشيرته . ولا يزال المغترّ بها راكنًا اليها يختال فوق الارض حتى يصير تحتها . ويحثو عليهِ التراب اعزّ الناس اليهِ واقربهم لديه. وما للفتى خير من الصبر على همومها ومكارهها . وقد فارقت مكاني ووطني وكنت كارهًا لفرقة اخواني واحبائي وخلاني . فبينما هو في فكرته واذا بذكر من

السلاحف قد اقبل منحدرًا في الماء ودنا من طير الماء وسلم عليهِ وقال: يا سيدي ما الذي حجبك وابعدك عن موضعك . قال : حلول الاعداء فيهِ ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوّه . وما احسن قول بعض الشعراء :

اذا حلَّ الثقيل بارض قومٍ فما للساكنين سوى الرحيلِ

فقال لهُ السلحف ان كان الامر كما وصفته والحال مثل ما ذكرته فانا لا ازال بين يديك ولا افارقك لاقضي لك حاجتك وأَني بخدمتك . فانهُ قيل : لا وحشة اشدّ من وحشة الغريب المنقطع عن اهله ووطنه . وقد قيل : ان فرقة الصالحين لا يعدلها شيء من المصائب . واحسن ما يسلي بهِ العاقل نفسهُ الاستئناس في الغربة . والصبر على الرزية والكربة . وارجو ان تحمد صحبتي معك واكون لك خادمًا ومعينًا . فلما سمع طير الماء مقالة السلحف قال لهُ : لقد صدقت في قولك ولعمري اني وجدت للفراق المًا وغمًّا مدة بعدي عن مكاني وفراقي لاخواني وخلاني . لان في الفراق عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر . واذا لم يجد الفتى من يسليهِ من الاصحاب ينقطع عنهُ الخير ابدًا . ويثبت الشرّ سرمدًا . وليس للعاقل الَّا التسلي بالاخوان عن الهموم في جميع الاحوال وملازمة الصبر والتجلد . فانهما خصلتان محمودتان يعينان على المصيبة ونوائب الدهر . ويدفعان الفزع والجزع في كل امر . فقال لهُ السلحف . اياك والجزع فانهُ يفسد عليك عيشك ويذهب مروءتك . وما زالا يتحدثان مع بعضهما الى ان قال طير الماء للسلحف : انا لم ازل اخشى نوائب الزمان . وطوارق الحدثان . فلما سمع السلحف مقالة طير الماء اقبل عليهِ وقبلهُ بين عينيه وقال لهُ : لم تزل جماعة الطير تتبرك بك وتعرف في مشورتك الخير . فكيف تحمل الهمّ والضير . ولم يزل يسكن روع طير الماء حتى اطمأن . ثم ان طير الماء طار الى مكان الجيفة . فلما وصل اليه

لم يرَ من سباع الطير شيئاً ولا من تلك الجيفة الّا عظاماً. فرجع واخبر السلحف بزوال العدو من مكانه وقال لهُ: اعلم اني احب الرجوع الى مكاني لا تملأً بخلاني فانهُ لا صبر للعاقل على فراق وطنه . فأتيا الى ذلك المكان فلم يجدا شيئاً مما يخافان منهُ . فانشد طير الماء يقول :

ولربّ نازلةٍ يضيق لهـا الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت اظنها لا تفرجُ

ثم انهما سكنا في تلك الجزيرة. فبينما طير الماء مسرورٌ آمن اذ ساق القضاء اليهِ بازياً جائعاً فضربهُ بمخلبهِ في بطنه ضربة فقتلهُ . ولم يغنِ عنهُ الحذر عند فراغ الاجل . وسبب قتله غفلته عن التسبيح . قيل : ان تسبيحه سبحان ربنا فيما اغنى وافقر . هذا ما كان من حديث طير الماء وجوارح الطيور. فقال الملك : يا شهرزاد لقد زدتني بحكايتكِ مواعظ واعتباراً. فهل عندكِ شيء من حكايات الوحوش. قالت : نعم

حكاية الثعلب والذئب

اعلم ايها الملك ان ثعلباً وذئباً ألفا وكراً . فكانا يأويان اليهِ مع بعضهما ويبيتان فيه . وكان الذئب قاهراً للثعلب . فلبثا على ذلك مدة من الزمان . فاتفق ان الثعلب اشار على الذئب بالرفق وترك الفساد وقال لهُ : اعلم انك ان دمت على عتوّك ربما سلط الله عليك ابن آدم فانهُ ذو حيل ومكر وخداع. يصيد الطير من الجوّ والحوت من البحر ويقطع الجبال وينقلها من مكان الى مكان . وكل ذلك من حيله ومكره . فعليك بالرفق والانصاف وترك الشر والاعتساف. فانهُ اهنأُ لعيشك . فلم يقبل الذئب قوله واغلظ لهُ الردّ وقال لهُ: ما لك والكلام

في عظيم الامور وجسيمها . ثم لطم الثعلب لطمة فخرّ منها مغشياً عليه . فلما افاق ضحك في وجه الذئب واقبل معتذراً اليهِ من الكلام الشين قائلاً لهُ هذين البيتين :

ان كنتُ قد اذنبت ذنباً سالفاً   في حبكم واتيت شيئاً منكرا
انا تائبٌ عمّا جنيت وعفوكم   يسع المسيْ اذا اتى مستغفرا

فقبل الذئب عذره وكفَّ عنهُ اشراره وقال لهُ : لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك

(الليلة التاسعة والاربعون بعد المائة) . فقال لهُ الثعلب سمعاً وطاعةً . فانا بمعزل عما لا يرضيك . فقد قال الحكيم : لا تقل عما لا تُسأل عنه . ولا تُجب الى ما لا تدعى اليهِ . وذَرِ الذي لا يعنيك الى ما يعنيك . ولا تبذل النصيحة للاشرار فانهم يجازونك عليها شرّاً . وعند هذا تبسم الثعلب في وجه الذئب ولكنهُ اضمر لهُ مكرًا وقال : لا بدَّ ان اسعى واكون سبباً لهلاك هذا الذئب . وصبر على اذى الذئب وقال في نفسه : ان البطر والافتراء يكونان سبباً للهلاك . ويوقعان في الارتباك . فقد قيل : من بطر خسر . ومن جهل ندم . ومن خاف سلم . والانصاف من شيم الاشراف . والآداب اشرف الاكتساب . ومن الرأي مداراة هذا الباغي . ولا بدَّ لهُ من مصرع . ثم ان الثعلب قال لهُ : ان الربَّ يغفر للعبد المذنب ويتوب على عبده ان اقترف الذنوب . وانا عبد ضعيف وقد ارتكبت في نصحك التعسيف . ولو علمتَ بما حصل لي من ألم لطمتك . لعلمت ان الفيل لا يقوم بهِ ولا يقدر عليه . ولكني لا اشتكي من ألم هذه اللطمة بسبب ما حصل لي بها من السرور . فانها وان كانت قد بلغت مني مبلغاً عظيماً فعاقبتها سرور . وقد قال الحكيم : ضرب المؤدب اوله صعب شديد . وآخره

احلى من العسل المصفى . فقال الذئب : قد غفرت ذنبك وأقلت عثرتك . فكن من قوتي على حذر واعترف لي بالعبوديّة فقد علمت قهري لمن عاداني . فسجد لهُ الثعلب وقال لهُ : اطال الله عمرك ولا زلت قاهرًا لمن عاداك . ولم يزل الثعلب خائفًا من الذئب مداريًا مصانعًا لهُ . ثم ان الثعلب اتى الى الكرم يومًا فرأى في حائطه ثلمةً فانكرها وقال في نفسه : ان هذه الثلمة لا بدَّ لها من سبب . وقد قيل في المثل : من رأى خرقًا في الارض فلم يجتنبه وينكص عن الاقدام عليه كان بنفسهِ مغرورًا وللهلاك متعرضًا . وقد اشتهر ان بعض الناس يعمل صورة الثعلب في الكرم ويقدم اليهِ العنب في الاطباق لاجل ان يرى ذلك ثعلب فيتقدم اليهِ فيقع في الهلاك . واني ارى هذه الثلمة مكيدة . وقد قيل في المثل : الحذر نصف الشطارة . ومن الحذر ان ابحث هذه الثلمة وانظر لعلّي اجد عندها مكيدة تؤدي الى التلف . ولا يحملني الطمع على ان القي نفسي في الهلكة . ثم دنا منها وطاف بها وهو محاذر وتأملها فاذا هي حفيرة عظيمة قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذي يفسد الكرم . فقال لنفسه : انكِ نلتِ ما املتِ . ورأى عليها غطاء خفيفًا رقيقًا . فتأخر عنها وقال : الحمد لله لاني حذرتها . وارجو ان يقع فيها عدوي الذئب الذي نغص عيشي . فيخلو لي الكرم واستقلُّ بهِ وحدي واعيش فيه آمنًا . ثم هزَّ رأسهُ وضحك ضحكًا عاليًا وانشد يقول :

ليتني ابصرت هذا م الوقتَ في ذي البئر ذئبا
طالما قد ساء قلبي وسقاني المرّ غصبا
ليتني من بعد ذا م ابقى ويقضي الذئب نحبا
ثم يخلو الكرم منهُ وارى لي فيهِ نهبا

فلما فرغ من شعره انطلق مسرعًا حتى اتى الى الذئب وقال : ان الله سهل

لك الامور الى الكرم بلا تعب . وهذا من سعادتك . فهنيئاً لك بما فتح الله عليك وسهل لك من تلك الغنيمة السائغة والرزق الواسع بلا مشقة . فقال الذئب للثعلب : وما الدليل على ما وصفت . قال : اني انتهيت الى الكرم فوجدت صاحبه قد مات وافترسه الذئب . ودخلت البستان فرأيت الاثمار زاهية على الاشجار . فلم يشك الذئب في قول الثعلب وادركه الشرَه . فقام حتى انتهى الى الثلمة وقد غرَّه الطمع ووقف الثعلب متهافتاً كالميت . وتمثل بهذا البيت :

اتطمع من ليلى بوصلٍ وانما تضرّ بأعناق الرجال المطامعُ

فلما انتهى الذئب الى الثلمة قال له الثعلب : ادخل الى الكرم فقد كفيت مؤنة التسلُّق وهدم حائط البستان . وعلى الله تمام الاحسان . فاقبل الذئب ماشياً يريد الدخول الى الكرم . فلما توسط غطاء الثلمة هوى فيها . فاضطرب الثعلب اضطراباً شديداً من السرور والفرح . وزال عنهُ الهم والترح . وطرب بالنغمات . وانشد هذه الابيات :

رقَّ الزمان لحالتي ورثى لطول تحرُّقي
وانالني ما اشتهي وأزال مما اتقي
فلاصفحنْ عما جنا هُ من الذنوب السبَّقِ
فالذئب ليس لهُ خلا صٌ من هلاك موبقِ
والكرم لي وحدي وما لي من شريكٍ احمقِ

ثم انهُ نظر في الحفرة فرأى الذئب يبكي ندماً وحزناً على نفسه . فبكى الثعلب معهُ . فرفع الذئب رأسهُ الى الثعلب وقال له : أمن رحمتك بكيت يا ابا الحصين . قال : لا والذي قذفك في هذه الحفرة . انما بكيت لطول

عمرك الماضي واسفاً على كونك لم تقع في هذه الثلمة قبل اليوم . ولو وقعت فيها قبل اجتماعي بك لكنت ارحتَ واسترحتَ . ولكن أُبقيت على اجلك المحتوم . ووقتك المعلوم . فقال لهُ الذئب كالمازح : ايها المسيء في فعله رح لوالدتي واخبرها بما حصل لي لعلّها تحتال على خلاصي . فقال لهُ الثعلب : لقد اوقعك في الهلاك شدة طمعك وكثرة حرصك حيث سقطت في حفرة لست منها بسالم . ألم تعلم ايها الذئب الجاهل ان صاحب المثل السائر يقول : من لم يفكر في العواقب . فما الدهر لهُ بصاحب . ولم يأمن المعاطب . فقال الذئب للثعلب : يا ابا الحصين انما كنت تُظهر محبتي وترغب في مودتي . وتخاف من شدة قوتي . فلا تحقد عليَّ بما فعلت معك . فمن قدر وعفا كان اجره على الله . وقد قال الشاعر :

ازرع جميلًا ولو في غير موضعهِ فلا يضيع جميلٌ اينما زرعا
ان الجميل وان طال الزمان بهِ فليس يحصدهُ الّا الذي زرعا

فقال لهُ الثعلب : يا اجهل السباع . واحمق الوحوش في البقاع . هل نسيت تجبرك . وعتوك وتكبرك . وانت لم ترعَ حق المعاشرة . ولم تنتصح بقول الشاعر :

لا تظلمنَّ اذا ما كنت مقتدرًا ان الظلوم على حدٍّ من النقمِ
تنام عينك والمظلوم منتبهٌ يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

فقال لهُ الذئب : يا ابا الحصين لا تؤاخذني بسابق الذنوب . فالعفو من الكرام مطلوب . وصنع المعروف من اعظم الذخائر . وما احسن قول الشاعر :

بادر بخيرٍ اذا ما كنت مقتدرًا فليس في كل حينٍ انت مقتدرُ

ولم يزل الذئب يتذلل للثعلب ويقول لهُ : لعلك تقدر على شيء تخلصني بهِ

من الهلاك . فقال لهُ الثعلب : ايها الذئب الجاهل . المغرور الماكر الغادر . لا تطمع في الخلاص . فان هذا جزاء لقبيح فعلك وقصاص . ثم ضحك بالشدقين . وانشد هذين البيتين :

لا تكثرنَّ خداعي فلن تنال منالا
ما رمت مني محالٌ زرعت فاحصد وبالا

فقال لهُ الذئب : يا حليم السباع انت عندي اوثق من ان تسلمني في هذه الحفرة . ثم بكى واشتكى . وافاض دمع العينين . وانشد هذين البيتين :

يا من اياديه عندي غير واحدةٍ ومن مواهبهُ تنمو عن العددِ
ما نابني من زماني قط نائبةٌ الّا وجدتك فيها آخذاً بيدي

فقال لهُ الثعلب : ايها العدو الاحمق كيف صرت الى التضرع والخشوع . والذلة والخضوع . بعد الانفة والتكبر . والظلم والتجبر . لقد صحبتكَ خائفاً من عدوانك . وتملقت لك لا رغبةً في احسانك . والآن نزلت بك الرجفة . وحلت بك النقمة . وانشد هذين البيتين :

يا ايها الملتمس الخديعهْ وقعت في نيَّتك الشنيعهْ
فذق وبال المحنة الفظيعهْ وكن مع الذئاب في قطيعهْ

فقال لهُ الذئب : ايها الحليم لا تكن بلسان اهل العداوة ناطقاً . وبعينهم محدقاً . وكن وافياً بعهد ائتلافي . قبل ان يفوت وقت التلافي . وقم وتسبب لي في حبل تشدّ طرفه في شجرة وتدلي طرفه الآخر اليَّ حتى اتعلق بهِ لعلّي انجو مما انا فيه وادفع لك جميع ما حوتهُ يدي من الذخائر . فقال لهُ الثعلب : لقد اكثرت من المحاورة فيما ليس فيهِ خلاصك . فلا تطمع في ذلك . فلن تنال مني ما تمسك بهِ نفسك . واذكر ما سلف من سوء فعلك . وما تضمره لي من

الغدر والمكر . واين انت من الرجم بالحجارة . واعلم بان ذاتك للدنيا مفارقة . ومنها زائلة . وعنها راحلة . ثم تصير الى الدمار . وسوء الدار . فبئس القرار . فقال له الذئب : يا ابا الحصين كن قريب الرجوع الى الوداد . ولا تصرّ على ضغائن الاحقاد . واعلم ان من خلص نفساً من الهلاك فقد احياها . ومن احياها فكانما احيا الناس جميعاً . ولا تتبع الفساد فان الحكماء نهوا عنهُ . ولا فساد اظهر من كوني في تلك الحفرة اتجرّع غصص الموت وانظر الى الهلاك . وانت قادر على خلاصي من الارتباك . فجد عليّ بالخلاص وافعل معي جميلًا . فقال لهُ الثعلب : ايها الفظّ الغليظ اني اشبهك في حسن علانيتك وقولك . واقبس قبح نيتك وفعلك بالبازي مع الحجل . فقال الذئب : وكيف ذلك . فقال الثعلب : دخلت يوماً كرماً لآكل من عنبه . فبينما انا فيهِ اذ رأيت بازياً انقض على حجل . فلما اقتنصه انفلت منهُ الحجل ودخل وكره واختفى فيهِ . فتبعه البازي وناداه : ايها الجاهل اني رأيتك في البرّية جائعاً فرحمتك والتقطت لكَ حباً وامسكتك لتأكل . فهربت مني ولم اعرف لهروبك وجهاً الّا الحرمان . فاظهر وخذ ما اتيتك بهِ من الحب فكلهُ هنيئاً مريئاً . فلما سمع الحجل قول البازي صدقهُ وخرج اليه . فانشب مخالبه فيهِ ومكنها منه . فقال لهُ الحجل : هذا الذي ذكرت انك اتيت لي بهِ من البرية وقلت لي : كلهُ هنيئاً مريئاً . فكذبت عليّ . جعل الله ما تأكله من لحمي في جوفك سمّاً قاتلًا . فلما اكلهُ وقع ريشه وسقطت قوته ومات لوقته . ثم قال لهُ الثعلب : اعلم ايها الذئب ان من حفر لاخيهِ قليباً . وقع فيهِ قريباً . وانت غدرت بي اولًا . فقال الذئب للثعلب : دعني من هذا المقال . وضرب الامثال . ولا تذكر لي ما سلف مني من قبيح الفعال . ويكفيني ما انا فيهِ من سوء الحال . لاني قد حصلت في موضع يرثي لي

منهُ العدو فضلًا عن الصديق . واصنع لي حيلة اتخلص بها وكن فيها غياثي وان كان عليك في ذلك مشقة . فقد يتحمل الصديق لصديقه اشدّ النصب . ويخاطر بنفسه فيما فيهِ نجاته من العطب . فقد قيل : ان الصديق الشفيق . خير من الاخ الشقيق . فان تسببتَ في نجاتي ونجوتُ لاجمعنَّ لك من الآلة ما يكون لك عدة . ثم لاعلمنكَ من الحيل الغريبة ما تفتح بهِ الكروم الخصبة . وتجني الاشجار المثمرة . فطب نفسًا وقرَّ عينًا . فقال لهُ الثعلب وهو يضحك : ما احسن ما قالتهُ العلماء في كثير الجهل مثالك . قال الذئب : وما قالت العلماء . قال الثعلب : ذكر العلماء ان الغليظ الجثة الغليظ الطبع يكون بعيدًا من العقل قريبًا من الجهل . واما قولك ايها المغرور الماكر الاحمق : قد يتحمل الصديق المشقة في تخليص صديقه . فصحيح كما ذكرت ولكن عرّفني بجهلك وقلة عقلك كيف اصادقك مع خيانتك . احسبتني لك صديقًا وانا لكَ عدوٌّ شامت . وهذا الكلام اشد من القتل ورشق السهام ان كنت تعقل . واما قولك : تدفع لي من الآلة ما يكون عدة لي وتعلمني من الحيل ما اصل بهِ الى الكروم الخصبة واجتني بهِ الاشجار المثمرة . فما لك ايها المخادع الغادر لا تعرف لك حيلة تتخلص بها من الهلاك . فما ابعدك من المنفعة لنفسك . وما ابعدني من القبول لنصيحتك . فان كان عندك حيلة فتحيل لنفسك في الخلاص من هذا الامر الذي اسأل الله ان يبعد خلاصك منهُ . فانظر ايها الجاهل ان كان عندك حيلة فخلص نفسك بها من القتل قبل ان تبذل التعليم لغيرك . ولكنك مثل انسان نابهُ مرض فأتاه رجل مريض بمثل مرضه ليداويه فقال لهُ : هل لك ان اداويك من مرضك . فقال لهُ الرجل : هلاَّ بدأت بنفسك بالمداواة . فخلاه وانصرف . وانت ايها الذئب الجاهل كذلك . فالزم مكانك واصبر على ما اصابك . فلما سمع الذئب كلام الثعلب علم انهُ لا خير لهُ عنده . فبكى

على نفسه وقال : قد كنت في غفلة من امري فان خلصني الله من هذه الكربة لاتوبنَّ من تجبري على من هو اضعف مني ولالبسنَّ الصوف ولاصعدنَّ على الجبل ذا كرًا الله تعالى خائفًا من عقابه . واعتزل سائر الوحوش ولاطعمنَّ المجاهدين والفقراء . ثم بكى وانتحب . فرقَّ لهُ قلب الثعلب . وكأنهُ لما سمع تضرعه والكلام الذي يدلُّ على توبتهِ من العتوّ والتكبر اخذتهُ الشفقة عليهِ . فوثب من فرحته ووقف على شفير الحفرة . ثم جلس على رجليهِ وادلى ذنبه في الحفرة . فقام الذئب ومدَّ يده الى ذنب الثعلب وجذبهُ اليهِ فصار في الحفرة معهُ . فقال لهُ الذئب : ايها الثعلب القليل الرحمة كيف تشمت بي وقد كنت صاحبي وتحت قهري . وقد وقعت معي في الحفرة وتعجلت لك العقوبة . وقد قالت الحكماء : لو عاير احدكم اخاه برضاع كلبة لارتضعها . وما احسن قول الشاعر :

اذا ما الدهر جرَّ على اناسٍ كلاكلهُ اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

والموت في اجتماع من احسن الاشياء . فلاعجلنَّ قتلك قبل ان ترى قتلي . فقال الثعلب في نفسه . آه آه اني وقعت مع هذا الجبار . وهذا الحال يحتاج الى المكر والخداع . وقد قيل : ان المرأة تصوغ حليها ليوم الزينة . وفي المثل : ما ادخرتكِ يا دمعتي الَّا لشدتي . وان لم اتحيل في امر هذا الوحش الظالم هلكت لا محالة . وما احسن قول الشاعر :

عش بالخداع فانت في زمنٍ بنوهُ كأسد بيشهْ
وأدِر قناة المكر حتى م تستدير رحى المعيشهْ
واجنِ الثمار فان تفتك م فرضَ نفسك بالحشيشهْ

ثم ان الثعلب قال للذئب : لا تعجل عليَّ بالقتل فليس هذا جزائي . فتندم

ايها الوحش الصنديد. صاحب القوة والبأس الشديد. وان تمهلت وامعنت النظر فيما احكيه لك عرفت قصدي الذي قصدته . وان عجلت بقتلي فلا يحصل في يدك شيء. ونموت جميعاً ههنا . فقال لهُ الذئب : ايها الخادع الماكر وما الذي ترجوهُ من سلامتي وسلامتك حتى تسألني التمهل عليك . فاعلمني واخبرني بقصدك الذي قصدتهُ . فقال لهُ الثعلب : اما قصدي الذي قصدتهُ فما ينبغي ان تُحسن عليهِ مجازاتي . لاني لما سمعت ما وعدت من نفسك واعترافك بما سلف منك وتلهفك على ما فاتك من التوبة وفعل الخير وسمعت ما نذرته على نفسك ان نجوت مما انت فيهِ من كف الاذى عن الاصحاب وغيرهم وتركك اكل العنب وسائر الفواكه ولزومك الخشوع وتقليم اظفارك وتكسير انيابك ولبس الصوف وتقريبك القربان لله تعالى اخذتني الشفقة عليك. فان خير القول اصدقه. مع انني كنت على هلاكك حريصاً . فلما سمعت منك توبتك وما نذرتهُ على نفسك ان نجاك الله لزمني لك الخلاص مما انت فيهِ . فأدليت لك ذنبي لكيما تتعلق بهِ وتنجو . فلم تترك الحالة التي انت عليها من العنف والشدة ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك بالرفق بل جذبتني جذبة ظننت منها ان روحي قد خرجت فصرت انا وانت في منزلة الهلاك والموت وما ينجيني وانت الّا شيء. ان قبلتهُ مني خلصت انا وانت وبعد ذلك يجب عليك ان تفي بما نذرتهُ واكون رفيقك . فقال لهُ الذئب : وما الذي اقبلهُ منك . قال لهُ الثعلب : تنهض قائماً ثم اعلو انا فوق رأسك حتى اساوي قريب ظهر الارض فأهمز فاصير فوقها وأخرج انا وآتيك بما تتعلق بهِ وتخلص انت بعد ذلك . فقال لهُ الذئب : لست بقولك واثقاً . لان الحكماء قالوا: من استعمل الثقة في موضع الحقد كان مخطئاً . ومن وثق بغير ثقة كان مغروراً . ومن جرَّب المجرَّب حلت بهِ الندامة وذهبت ايامه

ضياعاً . ومن لم يفرق بين الحالات فيعطي كل حالة حظها بل حمل الاشياء كلها على حالة واحدة قلَّ حظه وكثرت مصائبه . وما احسن قول الشاعر :

لا يكن ظنك الَّا سيئاً ان سوء الظن من اقوى الفطنْ
ما رمى الانسان في مهلكةٍ مثل فعل الخير والظن الحسنْ

وقول الآخر :

الزم يقينك سوء الظن تنجُ بهِ من عاش مستيقظاً قلَّت مصائبهُ
والقَ العدوَّ بوجهٍ باسمٍ طلقٍ وانصب لهُ في الحشا جيشاً يحاربهُ

وقول الآخر :

اعدى عدوّك ادنى من وثقت بهِ فحاذر الناس واصحبهم على دخلِ
وحسن ظنك بالايام معجزةٌ فظنَّ شرّاً وكن منها على وجلِ

فقال لهُ الثعلب : ان سوء الظن ليس بمحمود في كل حال . وحسن الظن من شيم الكمال . وعاقبته النجاة من الاهوال . وينبغي لك ايها الذئب ان تعمل حيلة على النجاة مما انت فيهِ ونسلم جميعاً خير من موتنا . فارجع عن سوء الظن والحقد . لانك ان احسنت الظن فالامر على وجهين . اما ان آتيك بما تتعلق بهِ وتنجو مما انت فيهِ . واما ان اغدر بك فاخلص وادعك . وهذا مما لا يمكن فاني لا آمن ان أُبتلى بشيء مما ابتليت بهِ فيكون ذلك عقوبة الغدر . وقد قيل في الامثال : الوفاء مليح . والغدر قبيح . فينبغي ان تثق بي فاني لم اكن جاهلاً بحوادث الدهر . فلا تؤخر حيلة خلاصنا فالامر اضيق من ان نطيل فيهِ الكلام . فقال الذئب : اني مع قلة ثقتي بوفائك قد عرفت ما في خاطرك من انك اردت خلاصي لما سمعت من توبتي فقلت في نفسي : ان كان محقّاً فيما زعم فانهُ يستدرك ما افسد . وان كان مبطلاً فجزاؤه على ربه . وها انا اقبل منك ما اشرت به عليَّ

فان غدرت بي كان الغدر سبباً لهلاكك. ثم ان الذئب انتصب قائماً في الحفرة
واخذ الثعلب على اكتافه حتى ساوى بهِ ظاهر الارض . فقفز الثعلب عن اكتاف
الذئب فصار على وجه الارض . فلما صار خارج الحفرة وقع مغشياً عليه . فقال
لهُ الذئب : يا خليلي لا تغفل عن امري ولا تؤخر خلاصي . فضحك الثعلب وقهقه
وقال : ايها المغرور لم يوقعني في يديك الا عقوبة المزح معك والسخرية بك. وذلك
اني لما سمعت توبتك التي لا تُصدَّق استخفني الفرح فطربت ورقصت فتدلى
ذنبي في الحفرة فجذبتني فوقعت عندك. ثم انقذني الله تعالى منك. فما لي لا اكون
عوناً على هلاكك لانك من حزب الشيطان . واني رأيت البارحة في منامي اني
ارقص في عرسك . فقصصت الرؤيا على معبر فقال لي : انك تقع في ورطة
وتنجو منها . فعلمت ان وقوعي في يدك ونجاتي هو تأويل رؤياي وانت تعلم ايها
المغرور الجاهل اني عدوك . فكيف تطمع بقلة عقلك وجهلك في انقاذي اياك
مع ما سمعت من غلظ كلامي وكيف اسعى في نجاتك . وقد قالت العلماء : ان
في موت الفاجر راحة للناس وتطهيراً للارض . ولولا مخافتي ان احتمل من الالم
في الوفاء لك ما هو اعظم من ألم الغدر لتدبرت في خلاصك . فلما سمع الذئب
كلام الثعلب عضَّ على كفه ندماً

(الليلة الموفية للخمسين بعد المائة) . ثم لين له الكلام ولم يجد بداً من
ذلك فلم تُجدِهِ الملاطفة شيئاً . فقال له بلسان خافت : انكم معاشر الثعالب من
احلى القوم لساناً والطفها مزاحاً وهذا منك مزاح . ولكن ما كل وقت يحسن
اللعب والمزاح . فقال الثعلب : ايها الجاهل ان للمزاح حداً لا يجاوزه صاحبه .
فلا تظن ان الله يمكنك مني بعد ان انقذني من يديك . فقال له الذئب : انك
لجدير ان ترغب في خلاصي لما بيننا من سابق المؤاخاة والصحبة . وان خلصتني

فلا بدَّ ان احسن مكافأتك . فقال الثعلب : ان الحكماء قالوا : لا تؤاخِ الجاهل الفاجر. فانهُ يشينك. ولا يزينك . ولا تؤاخِ الكذاب. فانهُ ان بدا منك خيرٌ اخفاه . وان بدا منك شرّ افشاه . وقالت الحكماء : لكل شيء حيلة الّا الموت. ويصلح كل شيء الّا فساد الجوهر . وقد يُدفع كل شيء الّا القدر . واما من جهة المكافأة التي زعمت اني استحقها منك فاني شبهتك في مكافأتك بالحية الهاربة من الحاوي اذ رآها رجل وهي مرعوبة فقال لها : ما شأنكِ ايتها الحية. فقالت : هربت من الحاوي فانهُ يطلبني ولئن انجيتني منهُ واخفيتني عندك لاحسننَّ مكافأتك واصنع معك كل جميلٍ . فأخذها اغتناماً للاجر وطمعاً في المكافأة فادخلها في جيبه . فلما فات الحاوي ومضى الى حال سبيله وزال عن الحية ما كانت تخافه قال لها الرجل : اين المكافأة فقد انجيتكِ مما تخافين وتحذرين . فقالت لهُ الحية : اخبرني في اي عضو وفي اي موضع انهشك فقد علمتَ اننا لا نتجاوز هذه المكافأة : ثم نهشتهُ نهشة مات منها . وانت ايها الاحمق شبهتك بتلك الحية مع ذلك الرجل . اما سمعت قول الشاعر :

لا تأمننَّ فتىً اسكنتَ مهجتهُ غيظاً وتحسب ان الغيظ قد زالا
ان الافاعي وان لانت ملامسها تُبدي انعطافاً وتخفي السمَّ قتَّالا

فقال لهُ الذئب : ايها الفصيح . صاحب الوجه المليح . لا تجهل حالي وخوف الناس مني . وقد علمت اني اهجم على الحصون واقلع الكروم . فافعل ما امرتك بهِ وقم لي قيام العبد بسيده . فقال لهُ الثعلب : ايها الاحمق الجاهل المحاول بالباطل اني تعجبت من حمقك وصلابة وجهك فيما تأمرني بهِ من خدمتك والقيام بين يديك حتى كانني عبدك اشتريتني بمالك . فسوف ترى ما يحلُّ بك من شدخ رأسك بالحجارة . وكسر انيابك الغدارة . ثم وقف الثعلب فوق تلّ يشرف على

الكرم . فصاح على اهل الكرم ولم يزل يصيح حتى نبههم وبصروا بهِ واقبلوا عليهِ بجمعهم مسرعين . فثبت لهم الثعلب حتى قربوا منهُ ومن الحفيرة التي فيها الذئب . ثم ولّى الثعلب هاربًا . فنظر اصحاب الكرم في الحفيرة فرأوا الذئب فيها . فمالوا عليهِ بالحجارة الثقال . ولم يزالوا يضربونه بالحجارة والخشب ويطعنونه باسنة الرماح حتى قتلوه وانصرفوا . فرجع الثعلب الى تلك الحفرة ووقف على مقتل الذئب فرأه ميتًا فحرَّك رأسه من شدة الفرحات . وجعل ينشد هذه الابيات :

اودى الزمان بنفس الذئب فاختُطفت ... بعدًا وسحقًا لها من مهجة تلفتْ

فكم سعيت ابا سرحان في تلفي ... فاليوم حلت بك الآفات واكتنفتْ

وقعت في حفرةٍ ما حلها احدٌ ... الّا وفيها رياح الموت قد عصفتْ

ثم ان الثعلب اقام بالكرم وحده مطمئنًا لا يخاف ضررًا الى ان اتاه الموت . وهذا ما كان من حديث الذئب

حكاية الفأرة وبنت عرس

ومما يحكى انَّ فأرة وبنت عرس كانا ينزلان منزلاً لدهقان . وكان ذلك الدهقان فقيرًا . وقد مرض بعض اصدقائه فوصف لهُ الطبيب السمسم المقشور . فأعطى قدرًا من السمسم لذلك الدهقان الفقير ليقشره لهُ . فأتى بهِ الى زوجته وأمرها باصلاحه . فبلّتهُ ونشرته وخففتهُ واصلحته . فلما عاينت بنت عرس السمسم اتت اليهِ ولم تزل تنقل من ذلك السمسم الى حجرها طول يومها حتى نقلت اكثره . وجاءت المرأة فرأت نقصان السمسم واضحًا فوقفت تتعجب . فجلست ترصد من يأتي اليهِ حتى تعلم سبب نقصانه . فنزلت بنت عرس لتنقل منهُ على عادتها فرأت

المرأة جالسة فعلمت انها ترصدها فقالت في نفسها : ان لهذا الفعل عواقب ذميمة واني اخشى من تلك المرأة ان تكون لي بالمرصاد . ومن لم ينظر في العواقب فما الدهر لهُ بصاحب. ولا بدَّ لي ان اعمل عملًا حسنًا اظهر بهِ براءتي واغسل بهِ جميع ما عملته من القبيح . فجعلت تنقل من ذلك السمسم الذي في بيتها وتخرجه وتجيء بهِ وتضعه على السمسم. فوافتها المرأة ورأتها وهي تفعل ذلك فقالت في نفسها : ما هذه سبب نقصه لانها تأتي بهِ من جحر الذي اختلسه وتضعه على بعضه . وقد احسنت الينا في ردّ السمسم . وما جزاء من احسن ألا ان يحسن اليهِ . وليست هذه آفة في السمسم . ولكن لا ازال ارصده حتى يقع واعلم من هو . فعلمت بنت عرس ما خطر ببال تلك المرأة فانطلقت الى الفأرة وقالت لها : يا اختي انهُ لا خير فيمن لا يراعي المجاورة ولا يثبت على المودّة . فقالت الفأرة : نعم يا خليلتي وأنعم بكِ وبجواركِ . فما سبب هذا الكلام . قالت بنت عرس : ان ربّ البيت اتى بسمسم فأكل منهُ هو وعياله وشبعوا واستغنوا عنهُ وتركوه كثيرًا . وقد اخذ منهُ كل ذي روح . فلو اخذتِ انتِ الاخرى كنتِ احقّ بهِ ممن اخذ منهُ . فاعجب الفأرة ذلك وزقزقت ورقصت ولعبت آذانها وذنبها وغرّها الطمع في السمسم . فقامت من وقتها وخرجت من بيتها فرأت السمسم مجففًا مقشورًا يلمع من البياض والمرأة جالسة ترصده . فلم تفكر الفأرة في عاقبة الامر وكانت المرأة قد استعدت بهراوة . فلم تتمالك الفأرة نفسها الى ان دخلت في السمسم وخالطتهُ وعاشت فيه وصارت تأكل منهُ. فضربتها المرأة بتلك الهراوة فشجت رأسها . وكان سبب هلاكها الطمع وغفلتها عن عواقب الامور

فقال الملك : يا شهرزاد والله ان هذه احدوثة مليحة فهل عندكِ حديث في حسن الصداقة وحفظها عند الشدة في التخلص من الهلكة. قالت : نعم

حكاية السنور والغراب

بلغني ان غراباً وسنوراً كانا متآخيين . فبينما هما تحت شجرة على تلك الحالة اذ رأيا نمرًا مقبلًا على تلك الشجرة التي كانا تحتها . ولم يعلما بهِ حتى صار قريباً من الشجرة . فطار الغراب الى اعلى الشجرة وبقي السنور متحيرًا . فقال للغراب : يا خليلي هل عندك حيلة في خلاصي كما هو الرجاء فيك . فقال لهُ الغراب : انما تُلتمس الاخوان عند الحاجة اليهم في الحيلة عند نزول المكروه بهم . وما احسن قول الشاعر :

ان صديق الحق من كان معكْ ومن يضرُّ نفسهُ لينفعكْ
ومن اذا ريبُ الزمان صدعكْ شتت فيك نفسهُ ليجمعكْ

وكان قريباً من الشجرة رعاةٌ معهم كلاب . فذهب الغراب حتى ضرب بجناحهِ وجه الارض ونعق وصاح . ثم تقدم اليهم وضرب بجناحه وجه بعض الكلاب وارتفع قليلًا وتبعتهُ الكلاب وصارت في اثره . فرفع الراعي رأسهُ فرأى طائرًا يطير قريباً من الارض ويقع فتبعه . وصار الغراب لا يطير الَّا بقدر النجاة والخلاص من الكلاب ويطمعها في ان تفترسه . ثم ارتفع قليلًا وتبعتهُ الكلاب حتى انتهى الى الشجرة التي تحتها النمر . فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليهِ فولّى هارباً . وكان يظن انهُ يأكل القط فنجا منهُ ذلك القط بحيلة صاحبه الغراب . فهذه الحكاية ايها الملك تدل على ان مودة اخوان الصفا تخلص وتنجي من الهلكات والوقوع في المعاطب

حكاية الثعلب والغراب

وحكي ان ثعلباً سكن في بيت من الجبل . وكان كلما ولد ولداً واشتد ولده اكله من الجوع . وان لم يأكل ولده وخلاه وقعد عنده يحفظه ويحرسه مات من الجوع واضرَّ بهِ ذلك . وكان يأوي الى ذروة ذلك الجبل غراب . فقال الثعلب في نفسه : اريد ان اعقد بيني وبين هذا الغراب مودة واجعله لي مونساً على الوحدة معاوناً على طلب الرزق لانهُ يقدر من ذلك على ما لا اقدر عليه . فدنا الثعلب من الغراب حتى صار قريباً منهُ بحيث يسمع كلامه . فسلم عليهِ ثم قال لهُ : يا جاري ان للجار المسلم على الجار المسلم حقين حقَّ الجيرة وحق الاسلام . واعلم يا خليلي بانك جاري ولك عليَّ حق يجب قضاؤه . وخصوصاً مع طول المجاورة . وان في صدري وديعة من محبتك دعتني الى ملاطفتك . وبعثتني على التماس اخوَّتك . فما عندك من الجواب . فقال الغراب للثعلب : ان خير القول اصدقه . وربما تتحدث في لسانك بما ليس في قلبك . واخشى ان تكون اخوَّتك في اللسان ظاهراً وعداوتك في القلب باطناً . لانك آكل وانا مأكول . فوجب لنا التباين في المحبة والمواصلة . فما الذي دعاك الى طلب ما لا تُدرِك وارادة ما لا يكون . وانت من جنس الوحش وانا من جنس الطير . وهذه الاخوَّة لا تتم ولا تصح . فقال لهُ الثعلب : ان من علم موضع الاجلاء فاحسن الاختيار فيما يختاره منها ربما يصل الى منافع الاخوان . وقد احببت قربك واخترت الانس بك ليكون بعضنا عوناً لبعض على اغراضنا ويعقب مودتنا النجاح . وعندي حكايات في حسن الصداقة ان اردت ان احكيها حكيتها لك . فقال الغراب : قد اذنت لك في ان تبثها فقل وحدثني بها حتى اسمعها وأعيها واعرف المراد منها . فقال لهُ

الثعلب : اسمع يا خليلي . يحكى عن برغوث وفأرة ما يستدل بهِ على ما ذكرته لك . فقال الغراب : وكيف كان ذلك . فقال الثعلب :

حكاية البرغوث والفأرة

زعموا ان فأرة كانت في بيت رجل من التجار عظيم التجارة كثير المال . فأوى البرغوث ليلةً الى فراش ذلك التاجر فوجد لهُ بدنًا ناعمًا . وكان البرغوث عطشانَ فشرب من دمه . فوجد التاجر من البرغوث المًا فاستيقظ من النوم فجلس قاعدًا ونادى لجواريه وبعض اتباعه . فاسرعوا اليهِ وشمروا عن ايديهم يطوفون على البرغوث . فلما احسَّ البرغوث بالطلب ولَّى هاربًا . فصادف جحر الفأرة فدخله . فلما رأتهُ الفأرة قالت لهُ : ما الذي ادخلك عليَّ ولست من جوهري ولا من جنسي ولستَ بآمنٍ من الغلظة عليك . ولا المنازعة اليك ولا مضارتك . فقال لها البرغوث . اني هربت في منزلكِ وفزت بنفسي من القتل واتيتكِ مستجيرًا بكِ ولا طمع لي في بيتكِ ولا يلحقكِ مني شرٌّ يدعوكِ الى الخروج من منزلكِ واني ارجو ان اكافئكِ على احسانكِ اليَّ بكل جميل . وسوف تجدين وتحمدين عاقبة ما اقول لك

(الليلة الحادية والخمسون بعد المائة) . فلما سمعت الفأرة كلام البرغوث قالت : اذا كان الكلام على ما رسمت واخبرت فاطمئنَّ هنا وما عليك الَّا مطر السلامة . ولا تجد الَّا ما يسرُّك ولا يصيبك الَّا ما يصيبني . وقد بذلت لك مودتي ولا تندم على ما فاتك من دم التاجر ولا تأسف على قوتك منهُ وارضَ بما تيسر لكَ ببلغةٍ من العيش فان ذلك اسلم لك . وقد سمعت ايها البرغوث بعض الشعراء من الوعاظ يقول هذه الابيات :

سلكت القناعة والإنفرادَ وقضيت دهري بما إتفق
بكسرة خبزٍ وشربة ماء وملحٍ جريش ٍ وثوب ٍ خلق
فان يسّر الله في عيشتي والّا قنعت بما قد رزق

فلما سمع البرغوث كلام الفأرة قال . يا اختي قد سمعت وصيتكِ . وانا منقادٌ الى طاعتكِ ولا قوة لي على مخالفتكِ الى ان ينقضي العمر بتلك النية الحسنة . فقالت له الفأرة : كفى بصدق المودة صلاح النية . فاتصل الودّ وانعقد بينهما . وكان البرغوث بعد ذلك يأوي الى فراش التاجر ولا يتجاوز بُلغته ويأوي بالنهار مع الفأرة في مسكنها . فاتفق ان التاجر جاء ليلة الى منزله بدنانير كثيرة فجعل يقلّبها . فلما سمعت الفأرة صوت الدنانير اطلعت رأسها من جحرها وجعلت تنظر اليها حتى وضعها التاجر تحت وسادةٍ ونام . فقالت الفأرة للبرغوث : اما ترى الفرصة الممكنة والحظ العظيم فهل عندك حيلة توصلنا الى بلوغ الغرض من تلك الدنانير . فقال البرغوث : انهُ لا يحسن لمن طلب الغرض الّا ان يكون قادرًا عليهِ فان كان ضعيفًا عنهُ وقع فيما يحذره ولم يدرك مراده مع الضعف وان استحكمت قوة المحتال . كالعصفور الذي يلتقط الحب فيقع في الشبكة فيقتنصه صائده . وليس لكِ قوة على اخذ الدنانير ولا على اخراجها من البيت وانا لا طاقة لي على ذلك بل ولا اقدر ولا على حمل دينار واحد منها . فانتِ وشأنكِ بالدنانير . فقالت لهُ الفأرة : اني اعددت في جحري هذا سبعين منفذًا اخرج منهُ اذا طلبت الخروج واعددت للذخائر موضعاً حريزًا . وان تحيلت انت واخرجته من البيت فلست اشكُّ في الظفر . ان ساعدني القدر . فقال لها البرغوث : قد التزمت لكِ باخراجه من البيت . ثم انطلق البرغوث الى فراش التاجر ولدغهُ لدغة مفزعة لم يكن تقدم منهُ للتاجر مثلها . وتنحى البرغوث الى موضع يأمن فيهِ على نفسه من التاجر .

فانتبه التاجر يطلبه فلم يجده فرقد على جنبه الآخر . فلدغه البرغوث لدغة اشد من الاولى . فقلق التاجر وفارق مضجعه وخرج الى مصطبة على باب داره فنام هناك ولم ينتبه الى الصباح ثم ان الفأرة اقبلت على نقل الدنانير حتى لم تترك منها شيئاً . فلما اصبح الصباح صار التاجر يتّهم الناس ويظن الظنون

ثم قال الثعلب للغراب : واعلم اني لم اقل لك هذا الكلام ايها الغراب البصير . العاقل الخبير . الّا لاجل ان يصل اليك جزاء احسانك اليَّ كما وصل للفأرة جزاء احسانها الى البرغوث . فانظر كيف جازاها وكافأها باحسن المكافأة . فقال الغراب : ان شاء المحسن يحسن او لا يحسن . وليس الاحسان واجباً لمن التمس صلةً بقطيعة . وان احسنت اليك مع كونك عدوي اكون قد تسببت في قطيعة نفسي . وانت ايها الثعلب ذو مكرٍ وخداع . ومَن شيمته المكر والخديعة لا يؤمن على عهد . ومن لا يؤمن على عهد لا أمان لهُ . وقد بلغني عنك من قريب انك غدرت بصاحب لك وهو الذئب ومكرت بهِ حتى اهلكته بغدرك وحيلتك وفعلت بهِ هذه الامور مع انهُ من جنسك . وقد صحبته مدة مديدة فما ابقيت عليهِ . فكيف اثق منك بنصيحة . واذا كان هذا فعالك مع صاحبك الذي من جنسك فكيف يكون فعلك مع عدوك الذي من غير جنسك . وما مثالك معي غير مثال الصقر مع ضواري الطير . فقال الثعلب : وكيف ذلك : فقال الغراب :

حكاية الصقر مع ضواري الطير

(الليلة الثانية والخمسون بعد المائة) . زعموا ان صقراً كان جباراً عنيداً في ايام شبيبته . وكانت تفزع منهُ سباع الطير وسباع البرّ ولا يسلم من

شره احد . وله وقائع كثيرة في ظلمه وتجبره . وكان دأب هذا الصقر الاذى لسائر الطيور . فلما مرّت عليه السنون ضعفت قوته وانهدّ حيله وجاع واشتدّ جهده بعد فقد قوته . فأجمع رأيه على ان يأتي مجمع الطير فيأكل ما يفضل منها . فعند ذلك صار قوته بالحيلة بعد القوة والشدة . وانت كذلك ايها الثعلب ان عدمت قوتك ما عدمت خداعك . ولست اشك في ان ما تطلبه من صحبتي حيلة على قوتك فلا كنت ممن يطرح ويضع يده في يدك . لان الله اعطاني قوةً في جناحي وحذرًا في نفسي وبصرًا في عيني . واعلم ان من تشبه باقوى منهُ تعب وربما هلك . وانا اخاف عليك ان تشبهت بمن هو اقوى منك ان يجري لك ما جرى للعصفور . فقال لهُ الثعلب : وايُّ شيء جرى للعصفور فبالله عليك ان تحدثني بحديثه

حكاية العصفور والعقاب

قال الغراب : بلغني ان عصفورًا كان طائرًا بمراح غنم . فنظر الى هذا المراح ووقف يتأمل فيهِ واذا بعقابٍ كبيرٍ انقضّ على رميس من صغار اولاد الغنم فاختطفه بين مخالبه وطار . فلما رآه العصفور رفرف بجناحه وقال : انا افعل مثل ما فعل هذا . واعجبتهُ نفسه وتشبه بمن هو اكبر منه . فطار لوقته وانقضّ على كبش سمين لهُ صوف كثير وقد تلبد صوفه من رقاده على بوله وروثه وصار صوفه مثل الدبق . فلما انقضَّ على ظهره صفق بجناحيه فاشتبكت رجلاه في الصوف . فاراد ان يطير فلم يستطع ان يخلص نفسهُ . وقد حصل كل هذا والراعي ينظر ما جرى من العقاب اولاً وما جرى للعصفور ثانيًا . فجاء الراعي الى العصفور غضبان فقبضه ونتف ريش اجنحته وربط في رجليهِ خيطًا واتى به الى اولاده ورماه لهم .

فقال بعض الاولاد : ما هذا · فقال : هذا تشبه بمن هو اعلى منه فهلك · وانت كذلك ايها الثعلب احذرك ان تتشبه بمن هو اقوى منك فتهلك . هذا ما عندي من الكلام · فاذهب عني بسلام . فلما يئس الثعلب من مصادقة الغراب رجع من حزنه يئنّ . وقرع للندامة سنًا على سنّ . فلما سمع الغراب بكاءهُ وأنه . ورأى كآبته وحزنه قال : ايها الثعلب ما نابك · حتى قرعت نابك · قال لهُ الثعلب : انما قرعت سني. لاني رأيتك اخدع مني . ثم انهُ ولّى هاربًا وارتدّ راجعًا ولجحره طالبًا . وهذا ما كان حديثهما ايها الملك . فقال الملك : يا شهرزاد ما احسن هذه الحكايات واطيبها . هل عندكِ شيء مثلها من الموعظات

حكاية القنفذ والورَشان

قالت : يحكى ان قنفذًا اتخذ مسكنًا بجانب نخلة وكان قد الفها الورشان وزوجته وعششا فيها وسكنا بها في عيشٍ رغيد . فقال القنفذ في نفسه : ان الورَشان وزوجته يأكلان من ثمر النخلة وانا لا اجد الى ذلك سبيلًا. ولكن لا بدّ من استعمال الحيلة عليهما . ثم حفر في اسفل النخلة بيتًا واتخذه مسكنًا لهُ ولزوجته واتخذ جانبه مسجدًا وانفرد فيهِ واظهر النسك والعبادة وترك الدنيا . فكان الورشان يراه متعبدًا مصليًا · فرقّ لهُ من شدة زهده وقال لهُ : كم سنة وانت هكذا . فقال : من مدة ثلثين سنة . قال : ما طعامك · قال : ما يسقط من النخلة . قال : ما لباسك . قال : شوك انتفع بخشونته . فقال : وكيف اخترت مكانك هذا على غيره · قال : اخترته على غير طريق لاجل ان ارشد الضالّ واعلم الجاهل · قال لهُ الورشان : كنت اظن انك على غير هذه الحالة

ولكني الآن رغبت فيما عندك . فقال القنفذ : اني اخشى ان يكون قولك ضد فعلك فتكون كالزارع الذي لما جاء وقت الزرع قصَّر في بذره وقال : اني اخشى ان لا تبلّغني الايام امنيَّتي فاكون قد بدأت باضاعة المال وسرعة البذر . فلما جاء وقت الحصاد ورأى الناس وهم يحصدون ندم على ما فاته من تخلفه ومات اسفًا وحزنًا . فقال الورشان للقنفذ . وماذا اصنع حتى اتخلص من علائق الدنيا وانقطع الى عبادة ربي . فقال لهُ القنفذ : خذ في الاستعداد للمعاد . والقناعة بالكفاف من الزاد . فقال الورشان : كيف لي بذلك وانا طائر لا استطيع ان اتجاوز النخلة التي فيها قوتي ولو استطعت ذلك ما عرفت موضعًا استقرّ فيه . فقال القنفذ : يمكنك ان تنثر من ثمر النخلة ما يكفيك مؤنة عام انت وزوجتك وتسكن في وكر تحت النخلة لالتماس حسن ارشادك ثم مل الى ما نثرتهُ من الثمر فانقلهُ جميعه وادخره قوتًا للعدم . واذا فرغت الثمار وطال عليك المطال صر الى كفاف من العيش . فقال الورشان : جزاك الله خيرًا بحسن النية حيث ذكرتني بالمعاد . وهديتني الى الرشاد

ثم تعب الورشان وزوجته في طرح الثمر حتى لم يبقَ في النخلة شيء . فوجد القنفذ ما يأكل وفرح بهِ وملأ مسكنهُ من الثمر وادخره لقوته وقال في نفسه : ان الورشان هو وزوجته اذا احتاجا الى مؤنتهما طلباها مني وطمعا فيما عندي وركنا الى تزهدي وورعي . فاذا سمعا نصيحتي ووعظي دنوا مني فاقتنصهما وآكلهما ويخلو لي هذا المكان وكلما تساقط من ثمر النخلة يكفيني . ثم ان الورَشان نزل هو وزوجته من فوق النخلة بعد ان نثرا ما عليها من الثمر فوجدا القنفذ قد نقل جميع ذلك الى حجره . فقال لهُ الورشان : ايها القنفذ الصالح . والواعظ الناصح . انَّا لم نجد للثمر اثرًا . ولا نعرف لقوتنا غيره ثمرًا . فقال : لعلهُ طارت بهِ الرياح . والاعراض

عن الرزق الى الرازق عين الفلاح . فالذي شقّ الاشداق . لا يتركها بلا ارزاق .
وما زال يعظهما بتلك المواعظ . ويظهر لهما الورع بزخرف الملافظ . حتى ركنا
اليهِ . واقبلا عليهِ . ودخلا باب وكره . وأمنا من مكره . فوثب الى الباب .
وقرع الانياب . فلما رأى الورشان منهُ الخديعة لائحة قال لهُ : اين الليلة من
البارحة . اما تعلم ان للمظلومين ناصرًا . فاياك والمكر والخديعة لئلا يصيبك ما
اصاب الخداعَين اللذين مكرا بالتاجر . فقال القنفذ : وكيف ذلك

حكاية التاجر والرجلين الماكرَين

قال الورشان : بلغني ان تاجرًا من مدينة يقال لها سنده كان ذا مال واسع .
فشدَّ احمالاً وجهز متاعًا وخرج بهِ الى بعض المدن ليبيعهُ فيها . فتبعهُ رجلان
من المكرة فحملا ما حضرهما من مالٍ ومتاعٍ واظهرا للتاجر انهما من التجار
وسارا معهُ . فلما نزلا اول منزل اتفقا على المكر بهِ واخذ ما معه . ثم ان كل
واحد منهما اضمر المكر لصاحبه والغدر بهِ . وقال كل واحد منهما في نفسه : لو
غدرتُ بصاحبي لصفا لي الوقت واخذت جميع هذا المال . ثم اضمرا لبعضهما
على نية فاسدة واخذ كل منهما طعامًا وجعل فيه سمًّا . وفعل الآخر مثله
في طعامه وقدم كل واحد منهما طعامه لصاحبه . فأكلا من ذلك فماتا جميعًا .
وكانا يجلسان مع التاجر ويحدثانه . فلما غابا عنهُ وابطأا عليهِ فتش عنهما ليعرف
خبرهما فوجدهما ميتين . فعلم انهما كانا محتالين وارادا المكر بهِ فعاد مكرهما عليهما .
وسلم التاجر واخذ ما كان معهما . فقال الملك : لقد نبهتني يا شهرزاد على كل
شيء كنت غافلًا عنهُ أفلا تزيديني من هذه الامثال . قالت :

حكاية القرد والرجل السارق

بلغني ايها الملك ان رجلًا كان عنده قرد . وكان ذلك الرجل سارقًا لا يدخل الى سوق من اسواق المدينة التي هو فيها الّا وينصرف منهُ بكسب عظيم . فاتفق يومًا ان رجلًا حمل اثوابًا مقطعة ليبيعها وصار ينادي عليها في السوق فلا يسومها احد . وكان لا يعرضها على احد الّا ويمتنع من شرائها . فاتفق ان السارق الذي معهُ القرد رأى الشخص الذي معهُ الثياب المقطعة وكان قد وضعها في بقجة وجلس يستريح من التعب . فلعب القرد قدامه حتى اشغله بالفرجة عليهِ واختلس منهُ تلك البقجة . ثم اخذ القرد وذهب الى مكانٍ خالٍ وفتح البقجة ورأى تلك الثياب المقطعة فوضعها في بقجة نفيسة وذهب بها الى سوق آخر وعرض البقجة للبيع بما فيها واشترط ان لا تفتح ورغب الناس فيها لقلة الثمن . فرآها رجلٌ واعجبتهُ نفاستها فاشتراها بهذا الشرط فانصرف بها الى منزله وظنَّ انهُ اصاب . فلما رأت زوجته ذلك قالت : ما هذا . قال : متاع نفيس اشتريته بدون القيمة لابيعه وآخذ فائدته . فقالت لهُ : ايها المغبون أيباع هذا المتاع باقل من قيمته الّا اذا كان مسروقًا . اما تعلم ان من اشترى شيئًا ولم يعاينه كان مخطئًا وكان مثله كمثل الحائك . فقال لها : وما قصة الحائك . قالت :

حكاية الحائك

بلغني ان حائكًا كان في بعض القرى وكان يعمل فلا ينال القوت الّا بجهد . فاتفق ان رجلًا من الاغنياء بالقرب من قريته صنع وليمةً فدعا الناس اليها . وحضر الحائك فرأى الناس الذين عليهم الثياب الناعمة يقدم لهم الاطعمة الفاخرة وصاحب

المنزل يعظمهم لما رأى من حسن زيهم . فقال الحائك في نفسه : لو بدلت هذه الصنعة بصناعة اخف موءنة منها وارفع رتبة واكثر اجرة لجمعت مالاً كثيراً واشتريت ثياباً فاخرة وارتفع شأني وعظمت في اعين الناس وصرت مثل هؤلاء القوم . ثم انهُ نظر الى بعض اهل الملاعب الحاضرين في الوليمة وقد قام وصعد على سور عالٍ مرتفع شاهق ثم رمى بنفسه منهُ الى الارض ونهض قائماً . فقال الحائك في نفسه : لا بدَّ ان اعمل مثل ما عمل هذا ولا اعجز عنهُ ثم قام وصعد على السور ورمى نفسه . فلما وصل الى الارض اندقت عنقه فمات من ساعته . وانما اخبرتك بذلك لتجعل اكلك من الوجه الذي تعلم بهِ وتحيط بهِ علماً ولئلا يدخلك الشره فترغب فيما ليس من شأنك . فقال لها زوجها : ما كل عالم يسلم بعلمه . ولا كلّ جاهل يعطب بجهله . وقد رأيت الحاوي الخبير بالحيات العالم بها ربما نهشتهُ الحية فتقتله وقد يظفر بها الذي لا معرفة لهُ بها ولا علم عنده باحوالها . ثم انهُ خالف زوجته واشترى المتاع واخذ في تلك العادة . فصار يشتري من السارقين بدون القيمة الى ان وقع في تهمة فهلك فيها . وكان في زمنه عصفور يأتي كل يوم الى ملك من ملوك الطيور ولم يزل غادياً ورائحاً عنده بحيث كان اول داخل عليهِ وآخر خارج من عنده . فاتفق ان جماعة من الطيور اجتمعوا في جبل عالٍ من الجبال . فقال بعضهم لبعض : انَّا قد كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ولا بدَّ لنا من ملك ينظر في امورنا فتجتمع كلمتنا ويزول الاختلاف عنا . فمرَّ بهم ذلك العصفور فاشار عليهم بتمليك الطاووس وهو الملك الذي يتردد اليهِ . فاختاروا الطاووس وجعلوه عليهم ملكاً . فاحسن اليهم وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره . فكان تارة يترك الملازمة وينظر في الامور . ثم ان العصفور غاب يوماً عن الطاووس فقلق قلقاً عظيماً . فبينما هو كذلك اذ دخل عليهِ العصفور . فقال

لهُ : ما الذي أخَّرك وانت اقرب الاتباع الينا واعزهم علينا . فقال العصفور : رأيت امرًا واشتبه عليَّ فتخوفت منهُ . فقال لهُ الطاووس : ما الذي رأيت . قال العصفور : رأيت رجلًا معهُ شبكة قد نصبها عند وكري وثبت اوتادها وبذر في وسطها حبًّا وقعد بعيدًا عنها . فجلست انظر ما يفعل . فبينما انا كذلك واذا بكركيٍّ هو وزوجته قد ساقهما القضاء والقدر حتى سقطا في وسط الشبكة وصارا يصرخان . فقام الصياد واخذهما . فأزعجني ذلك . وهذا سبب غيابي عنك يا ملك الزمان وما بقيت اسكن هذا الوكر حذرًا من الشبكة . فقال لهُ الطاووس : لا ترحل من مكانك فلا ينفعك الحذر من القدر . فامتثل امره وقال : سأصبر ولا ارحل طاعة للملك . ولم يزل العصفور حذرًا على نفسه . واخذ الطعام الى الطاووس فاكل حتى اكتفى وتناول على الطعام الماء وذهب العصفور . فبينما هو في بعض الايام شاخص واذا بعصفورين يقتتلان في الارض . فقال في نفسه : كيف اكون وزير الملك وارى العصافير تقتتل في جواري . والله لاصلحنَّ بينهما . ثم ذهب اليهما ليصلح بينهما . فقلب الصياد الشبكة على الجميع فوقع ذلك العصفور في وسطها . فقام اليهِ الصياد واخذه ودفعه الى صاحبه وقال لهُ : استوثق بهِ فانهُ سمين ولم ارَ احسن منهُ . فقال العصفور في نفسه : قد وقعت فيما كنت اخاف منهُ وما كان أمنني الَّا الطاووس ولم ينفعني الحذر من نزول القدر . فلا مفرَّ من القضاء للمحاذر . وما احسن قول الشاعر :

ما لا يكون فلا يكون بحيلةٍ ابدًا وما هو كائنٌ فيكونُ
سيكون ما هو كائنٌ في وقتهِ واخو الجهالة دائمًا مغبونُ

فقال الملك : يا شهرزاد زيديني من هذا الحديث . فقالت . في الليلة القابلة ان ابقاني الملك اعزَّه الله

قالت لها اختها دينازاد : يا اختاه ما احسن حديثك وما الطفهُ واطربه . قالت : واين هذا كله من حكاية النائم واليقظان . فانها اغرب واعجب . فقال السلطان : وما قصة النائم واليقظان



حكاية النائم واليقظان

قالت : بلغني يا ملك الزمان انهُ كان رجلٌ تاجرٌ في خلافة هارون الرشيد . وكان لهُ ولد اسمهُ ابو الحسن الخليع . فمات والده وخلَّف لهُ مالًا عظيمًا . فقسم مالهُ شطرين فادَّخر النصف وتصرف في النصف الآخر . وصار يعاشر الاغنياء واولاد التجار ويقبل على الأكل والشرب حتى فني ماله وفقد جميع ما معهُ . فعندها توجه الى اصحابه وعشرائه وندمائه وعرض لهم امره وأظهر لهم قلة ما بيده من المال . فلم يلتفت اليهِ احد منهم . فعاد الى امه وقد انكسر خاطره وحكى لها ما جرى لهُ وما قابلهُ بهِ اصحابه من الاساءة وقلة المعروف . فقالت لهُ امه : يا ابا الحسن اولاد هذا الزمان كذا . ان كان معك شيء قربوك . وان لم يكن معك شيء ابعدوك . فتوجعت لهُ . وجعل يتأوَّه وجرت دموعه وانشد يقول :

ان قلَّ مالي فلا خلٌّ يصاحبني او زاد مالي فكل الناس خلاَّني

كم من صديق لاجل المال صاحبني وآخر عند فقد المال عاداني

(الليلة الثالثة والخمسون بعد المائة) . ثم انهُ وثب الى المكان الذي ادَّخر فيهِ شطر المال الباقي وعاش فيهِ عيشًا طيبًا وحلف انهُ لا يعاشر احدًا بعد ذلك من الذين يعرفهم ولا يعاشر الَّا الاجنبي ولا يعاشره الَّا ليلة واحدة فاذا اصبح فلا يعود يعرفه بعدها . وصار كل ليلة يجلس على الجسر وينظر كل من يجوز

بهِ . فاذا رآه غريباً توجه هو واياه الى منزله فينادمه تلك الليلة الى الصباح ثم يصرفه ولا يرجع يسلم عليه ولا يقربه ولا يدعوه . فصار يفعل هذا مدة سنة كاملة . (قال) فبينما هو يوماً جالس على الجسر كعادته ينتظر من يقدم عليه حتى يأخذه وينام عنده واذا بالخليفة ومسرور سيَّاف نقمته مختفيان كعادتهما . فنظرهما ابو الحسن . وقام واقفاً وهو لا يعرفهما وقال لهما : هل لكما ان تذهبا معي الى موضعي فتأكلا ما حضر وتشربا ما تيسر وهو خبز مشبَّق ولحم معرَّق ونبيذ مروَّق . فامتنع الخليفة من ذلك . فاقسم عليهِ وقال لهُ : بالله عليك يا سيدي امشِ معي فانت ضيفي الليلة ولا تخيب فيك املي . وما زال يلحّ عليهِ حتى اجابه الى سؤله . ففرح ابو الحسن ومشى قدامه وما فتئ يحادثه حتى اتى وهو معهُ الى قاعته فدخل واقعد غلامه على الباب . فلما جلس الخليفة اتاه ابو الحسن بشيء من الأكل فأكل وابو الحسن يأكل معهُ حتى يطيب لهُ الأكل . ثم انهُ رفع السفرة وغسلا ايديهما وجلس الخليفة . فقدم ابو الحسن آنية الشراب وجلس الى جانبه وصار يملأ ويشرب ثم يملأ لضيفه ويسقيهِ ويحادثه . فاعجب الخليفة كرمه وحسن فعالهِ فقال لهِ : يا فتى من انت عرفني بنفسك حتى اكافئك على احسانك . فتبسم ابو الحسن وقال لهُ : يا سيدي هيهات ان يرجع ما فات . وان احضر معك وقتاً غير هذا من الاوقات . فقال الخليفة : ولِمَ ذلك ولما لا تعلمني بحالك . فقال ابو الحسن : اعلم يا سيدي ان حكايتي عجيبة وان هذا الامر لهُ سبب . فقال الخليفة : وما هو السبب . فقال لهُ ابو الحسن : للسبب ذَنب . فضحك الخليفة من قوله

(الليلة الرابعة والخمسون بعد المائة) . فقال ابو الحسن : اني ابيّن لك ذلك بحكاية الحرفوش والطباخ . اعلم يا سيدي ان بعض الحرافيش اصبح

يوماً من بعض الايام لايملك شيئاً وضاقت عليهِ الدنيا وعيل صبره ونام . فلم يزل نائماً حتى احرقتهُ الشمس وطلعت الرغوة على فمه . فقام وهو مفلس ليس معهُ ولا درهم واحد . فاجتاز على دكان طباخ وقد نصب ذلك الطباخ فيها قدوراً وقد راقت ادهانها وفاحت ابازيرها والطباخ واقف وراء تلك القدور وقد مسح ميزانه وغسل زباديه وكنس الدكان ورشها . فجاء اليهِ الخرفوش وسلم عليهِ ودخل الدكان وقال للطباخ : زن لي بنصف درهم لحماً وربع درهم طعاماً وربع درهم خبزاً . فوزن لهُ الطباخ . ودخل الخرفوش فحطَّ الطباخ قدامه الطعام فاكل حتى اتى على الجميع ولحس الزبدية وبقي حائراً لا يدري ما يفعل مع الطباخ في ثمن ما اكله . وصار يدور بعينيهِ على كل شيء في الدكان وهو يتلفت . واذا هو بجاور مكبوب على فمه فرفعه عن الارض فوجد تحته ذَنَب فرس طريًا ودمه ينتثر منهُ . فعلم ان الطباخ يخلط اللحم بلحم الخيل . فلما اطَّلع على هذه الزلَّة فرح بها وغسل يديه وطأطأ برأسه ثم خرج . فلما رآه الطباخ انهُ ولَّى من غير ان يدفع لهُ ثمن طعامه صاح : قف يا صدام يا هجام . فوقف الخرفوش والتفت اليهِ وقال لهُ : انت تصيح عليَّ وتنادي بهذا الكلام يا شيطان . فاغتاظ الطباخ ونزل من الدكان وقال : ما هو بقولك يا اكال اللحم والطعام . والخبز والادام . كيف تخرج بسلام . كأنَّ الشيء ما كان . ولا تدفع عليهِ اثمان . فقال لهُ الخرفوش : تكذب يا ابن اللئام . فصاح الطباخ وتعلق باطواق الخرفوش وقال : يا مسلمون هذا استفتاحي في هذا النهار . أم كيف يأكل هذا طعامي ولا يعطيني شيئاً . فاجتمعت الناس عليهما ولاموا الحرفوش وقالوا لهُ : اعطه ثمن ما اكلته . فقال اعطيتهُ درهماً من قبل ما ادخل الدكان . فقال الطباخ : ان كنت اعطيتني بارة جعل الله كل شيء ابيعه في هذا النهار عليَّ حراماً . والله انهُ ما اعطاني شيئاً بل انهُ اكل طعامي

وخرج وراح ولم يعطني شيئاً. فقال الحرفوش : بل اعطيتك درهماً. وشتم الطباخ. فردَّ عليهِ الطباخ . فلكمهُ الحرفوش . فتماسكا وتقابضا وتخاصما . فلما رآهما الناس اقبلوا عليهما وقالوا لهما: ما هذا الضرب الذي انتما فيهِ وما سببه. فقال الحرفوش : اي والله لهُ سبب والسبب ذَنَب . . . . فقال الطباخ: اي والله ذكرتني الآن بك وبدرهمك . نعم والله اعطاني درهماً . ارجع وخذ بقية درهمك . وفهم الطباخ السبب عند ذكر الذنَب . وانا يا اخي حكايتي لها سبب كما قلت لك . فضحك الخليفة عليهِ وقال : والله ما هذه الَّا حكاية لطيفة . فاحكِ انت حكايتك واذكر السبب. فقال : حباً وكرامةً

(الليلة الخامسة والخمسون بعد المائة). اعلم يا ضيفي ان اسمي ابو الحسن الخارج . وقد مات والدي وخلف لي مالًا جزيلًا فقسمتهُ شطرين وجزأتهُ نصفين فادخرت النصف الواحد واقبلت بالنصف الثاني على الاصحاب . ومعاشرة الندماء والاحباب واولاد التجار . وما خليت احداً حتى نادمتهُ ونادمني وانفقت جميع مالي على الاصحاب والعشرة . وما تبقَّى معي من ذلك المال شيء . فتوجهت الى الاصحاب والندماء الذين افنيت مالي عليهم لعلهم يرقُّون لحالي . وذهبت الى جميعهم فما وجدت في احد منهم نفعاً ولا كسر في وجهي رغيفاً . فبكيت على نفسي واقبلت على امي وشكوت لها حالي . فقالت لي : العشراء هكذا ان كان معك شيء قدموك وآكلوك . وان لم يكن معك شيء ابعدوك وطردوك . فعند ذلك اخرجت نصف مالي الثاني وآليت على نفسي اني ما بقيت انادم احداً غير ليلة واحدة ثم انقطع عنهُ فلا اعود اسلّم عليه ولا التفت اليه . وهذا ما اردت بقولي لك: هيهات ان يرجع ما فات لاني ما بقيت اجتمع بكَ غير هذه الليلة . فلما سمع الخليفة ذلك ضحك ضحكاً شديداً وقال : والله يا اخي

انك معذور في هـذا الامر . اما انا فان شاء الله لا انقطع عنك . فقـال لهُ ابو الحسن : أما قلت لك يا نديمي هيهات ان يرجع ما فات فاني ما عدت اطيل صحبة الاخوان ولا انادم احدًا الَّا ليلةً واحدة

(الليـلة السادسة والخمسون بعد المائة) . ثم وُضعت المائدة للخليفـة وقدموا عليها صحن اوز محشي وكفة كماجة وجلس ابو الحسن وقطع ولقم الخليفـة وما زالا يأْكلان حتى اكتفيا . ثم قدم الطست والابريق والاشنان فغسلا ايديهما . وبعد ذلك اوقد لهُ ثلاث شمعات وثلاث قناديل وفرشت سفرة المدام . واحضر نبيذ ًصفيًّ مروّق معتق مطيب رائحتهُ كالمسك الاذفر وملأَ الكاس الاول وقال : يا نديمي قد رفع الاحتشام من بيننا بدستورك عبدك عندك لا بليت بفقدك . وشربهُ وملأَ الكاس الثاني وناوله لضيفه . فاعجب الخليفـة فعاله وحسن اقواله وقال في نفسه : والله لاكافينَّـهُ على ذلك . ثم ان ابا الحسن ملأَ القدح وناوله للخليفة وقبلهُ وانشأَ يقول هذه الابيات :

لو فهمنا قدومكم لشربنا ... مهجة القلب ام سواد العيونِ

وفرشنـا صدورنا للقاكم ... وجعلنا المسير فوق الجفونِ

فلما سمع الخليفة شعره قبل الكاس من يده وشربهُ وناولهُ اياه . فأَخذه ابو الحسن وملأَ وشرب ثم ملأَ وناول الخليفة وانشد يقول هذه الابيات :

حضوركمُ لنـا شرفُ ... ونحن بذاك نعـترفُ

فان غبتم فلا عوضٌ ... لنا عنكم ولا خلفُ

ولم يزالا يشربان ويتنادمان الى نصف الليل . فقـال لهُ الخليفة : يا اخي هل في خاطرك شهوة تريد ان تقضيها او حسرة تريد ان تمضيها . فقال : والله ما في قلبي حسرة الَّا اني اتولَّى الامر والنهي حتى اعمل ما في خاطري . فقال لهُ

الخليفـة : يا الله يا الله يا اخي قل لي ما في خاطرك . قال : كنت اشتهي من الله ان انتقم من جيراني . فان بجواري محلاً فيه اربعة شيوخ . فاذا جاءني ضيف يتثاقلون عليَّ ويغلظون الكلام ويهددوني بانهم يشكوني لامير المؤمنين وقد جاروا عليَّ كثيراً فاني اتمنى على الله تعالى حكم يوم واحد حتى اضرب كل واحد منهم اربعمائة سوط وذلك امام محلهم وابعث منادياً في مدينة بغـداد ينادي عليهم : هذا جزاء واقـلّ جزاء لمن يبغض الناس ويكدر عليهم مسراتهم . وهذا الذى اريده لا غير . فقال لهُ الخليفة : يعطيك الله ما تطلب . هيا بنا نشرب ودعنا نقوم قرب الصباح وفي الليلة القادمة اتعشى عندك . فقال ابو الحسن : هيهات . ثم ان الخليفة ملأ قدحاً وجعل فيـهِ قطعة بنج اقريطشي وناوله لابي الحسن وقال لهُ : بحياتى عليك يا اخي اشرب هذا القدح من يدي . فقال ابو الحسن : اي وحياتك اشربه من يدك . فلما اخذه وشربه وقع على الارض مثـل القتيل . فخرج الخليفة وقال لغلامه مسرور : ادخل الى هذا الصبي صاحب المـنزل واحمله . واذا خرجت اغلق الباب وائتني بهِ الى القصر . ثم مضى ودخل مسرور وحمـل ابا الحسن واغلق البـاب وتبع مولاه . ولم يزل ماشياً حتى اتى بهِ الى القصر وقد تهور الليل وصاحت الديوك ودخل القصر وابو الحسن على اكتافه . فوضعهُ بين يدي امير المؤمنين وهو يضحك عليهِ . ثم ارسل فدعا جعفراً البرمكي . فلـما حضر بين يديه قال لهُ : اعرف هذا الشاب واذا رأيتهُ غداً جالسـاً في منصبي وعلى سرير خلافتي متـوشحاً بحلتي فقف في خدمتـه واوص الامراء والكبراء واهل دولتي وخواص مملكتي ان يقفوا في خدمتـه ويمتثلوا ما يأمرهم بهِ . اما انت فاذا اوصاك بشيء فافعلهُ واسمع منهُ ولا تخالفه ذلك اليوم الطالع . فامتثل جعفر الامر بالسمع والطاعة وانصرف . ودخل الخليفة الى جواري القصر فاقبلنَ اليهِ . فقال

لهنَّ : هــذا النائم اذا استيقظ غدًا من منامه فقبلنَ الارض بين يديه وخدمنهُ ودرنَ حواليه والبسنهُ حلة الملك واخدمنهُ خدمة الخلافة ولا تنكرنَ من حاله شيئاً وقلنَ لهُ: انت الخليفة. ثم اوصاهنَّ بما يقلنَ لهُ وما يفعلنَ معهُ. ودخل في مكان محجوب عنهُ وارخى عليه سترًا ونام

هذا ما كان من امر الخليفة . واما ما كان من امر ابي الحسن فانهُ ما زال يغطّ في نومهِ الى ان طلع الصباح وقرب اشراق الشمس . فأتت اليـهِ خادمة فقالت لهُ : يا مولانا صلاة الصبح . فلما سمع كلام الخـادمة ضحك وفتح عينيهِ ودار بعينيهِ في القصر فنظر الى قصر قد دهنت حيطانه بالذهب واللازورد وسقفهُ منقط بذهب احمر ودائره بيوت مسبول على ابوابها ستائر حرير مزركش بالذهب واواني ذهب وصيني وبلور وفرش وبسط ممـدودة . وجوارٍ وخدم . ومماليك وحشم . وغلمان ووصائف وولدان. فتحير ابو الحسن في عقله وقال: والله هل انا في اليقظة او انا في المنام . او هذه الجنة ودار السلام . فغمض عينيـهِ ونام . فقال الخادم: يا سيدي ما هذه عادتك يا امير المؤمنين. ثم ان بقية جواري القصر جميعًا اتينَ اليهِ واقعدنهُ على حيله فوجد روحه على فراش علوه من الارض قدر ذراع . وكله محشوٌ بالقز . فأجلسنهُ عليهِ واسندنهُ بمخدة . فنظر الى القصر والى كبره ورأى الخدم والجواري في خدمته وفوق رأسه . فضحك على نفسه وقال : والله ما كأني في اليقظة وما انا نائم . ثم انهُ قام وقعد والجواري يضحكنَ عليـهِ ويسترنَ منهُ . فتحير في عقله وعضَّ على اصبعـه فتألم فصرخ وتأوه. والخليفـة ينظر اليهِ من حيث لا يراه ويضحك . فالتفت ابو الحسن الى جارية وصاح اليها فاتتهُ . فقال لها : بستر الله يا جارية انا امير المؤمنين . فقـالت : اي نعم وستر الله انت في هذا الوقت امير المؤمنين . فقال : تـكذبين : ثم نظر الى الخـادم

الكبير فنـاداه . فاتاه وقبل الارض بين يديه وقال : نعم يا امير المؤمنين . فقال : ومن هو امير المؤمنين . فقال : انت . قال : كذبت

(الليلة السابعة والخمسون بعد المائة) . ثم اقبل على طواشي آخر فقال لهُ : يا كبيري بستر الله انا امير المؤمنين . فقال : اي والله يا سيدي انت في هذا الوقت امير المؤمنين وسلطـان العالمين . فضحك ابو الحسن على نفسه وخُولط في عقله وتحير مما رأى وقال : البارحة كنت ابا الحسن فـكيف صرت اليوم امير المؤمنين . فتقدم اليهِ الخادم الكبير وقال : يا امير المؤمنين بسم الله حواليك انت امير المؤمنين وسلطان السلاطين . ثم دار من حوله الجواري والخدم وهـو يتعجب مما جرى له فقدم لهُ المملوك شمشكاً مطبوعاً بالابريسم والحرير الاخضر مرصعاً بالذهب الاحمر . فاخذه ابو الحسن ووضعه في كمه . فصاح المملوك وقال : يا الله يا الله يا سيدي هذا شمشك مداس لرجليك حتى تدخل بيت الخلاء . فخجل ابو الحسن ورماه من كمه ولبسهُ في رجله . والخليفة قد مات من الضحك عليهِ . ومشى المملوك قدامه الى بيت الراحة فدخل ابو الحسن وقضى حاجته وخرج الى القصر . فقدمت له الجواري طستاً من الذهب وابريقاً من الفضة وصببنَ على يديه الماء وتوضأ . وبسطنَ لهُ سجادة ليصلي فصار يركع ويسجد عشرين ركعة وهو يحسب ويقـول في نفسه : والله ما انا الّا امير المؤمنـين من حق والّا فما هذا منام والمنـام ما يجري فيهِ هذا المجرى جميعه . ثم انهُ حقق وجزم في نفسه انهُ امير المؤمنين فسلم وفرغ من صلاته . فدارت بهِ المماليك والجواري بالبقج الحرير والقماش . ثم البسـوه خلعة الخلافة واعطوه في يده النمشة وخرج الخادم الكبير قدامه والمماليك الصغار وراءه . ثم رفعوا الستارة وجلس في القصر ومجلس الحـكم وسرير الخلافة ورأى الستائر والاربعين باباً والعجلي والرقاشي وعبادان وجديم وابا اسحق النديم . ونظر الى سيوف محدبة .

وليوث محدقة . وصماصم مذهبة . وقسي موترة . وعجم وعرب . وترك وديلم . وامراء ووزراء . واجناد وكبراء . وارباب الدولة . واصحاب الصولة . وقد ظهرت لهُ الدولة العباسية . والهيبة النبوية . فجلس على كرسي الخلافة ووضع النمشة في حجره . واقبل الجميع يقبلون الارض بين يديه يدعون لهُ بطول العمر والبقاء . وتقدم جعفر البرمكي وقبل الارض وقال : جعل الله الجنة مأواك والنار مثوىً لأعداك . ولا عاداك جار . ولا خمدت لك انوار نار . يا خليفة الامصار . وحاكم الاقطار . فزعق عليهِ ابو الحسن وقال لهُ : يا كلب بني برمك . انزل الساعة انت ووالي المدينة الى المحل الفلاني الى الدرب الفلاني وادفع مائة دينار الى والدة ابي الحسن الخليع واقرئها مني السلام وامسك الاربعة المشايخ واضرب كل واحد منهم اربعمائة سوط واركبهم على الدواب ودُر بهم المدينة جميعها وابعدهم الى محلة غير هذه المدينة وأمر المنادي ينادي عليهم : هذا جزاء واقل جزاء من يكثر كلامه ويشوش جيرانه وينغص عليهم لذتهم واكلهم وشربهم

(الليلة الثامنة والخمسون بعد المائة) . فقبَّل جعفر الارض بين يديه وامتثل الامر بالطاعة . ثم انهُ نزل من قدام ابي الحسن الخليع الى المدينة وفعل ما امره بهِ . ثم ان ابا الحسن اقام في الخلافة يأخذ ويعطي ويأمر وينهي وينفذ كلامه الى آخر النهار . ثم اذن بالانصراف فانصرفت الامراء وارباب الدولة لاشغالهم واتتهُ الخدم ودعوا لهُ بالبقاء وطول الدوام ومشوا في خدمته ورفعوا الستر ودخل الى القصر فوجد شموعاً تتوقد وقناديل تشتعل ومغنيات تضرب . فحار في عقله وقال : وانا والله امير المؤمنين حقًّا . فلما اقبل قامت الجواري اليهِ واطلعنهُ على الايوان وقدمنَ اليهِ مائدة عظيمة من افخر الطعام . فاكل منها جهده وطاقته حتى

اكتفى . وزعق على جارية وقال لها : ما اسمكِ . فقالت : اسمي مسكة : وقال لاخرى : ما اسمكِ . فقالت : طرفة . وقال لاخرى : ما اسمكِ . قالت : اسمي تحفة . وصار يسأل عن اسامي الجواري واحدة بعد واحدة . وقام من ذلك المقام وانتقل الى مجلس الشراب فوجده كامل النظام ووجد عشرة اطباق كبار وعليها من جميع الفواكه والخيرات ومن جميع اصناف الحلاوات . فجلس واكل منها على حسب الكفاية . ثم وجد ثلثة اجواق من الجواري المغنيات . ثم انهُ جلس وجلست الجواري ووقفت الوصيفات والمماليك والخدم والغلمان والولدان . ثم غنت الجواري وصوتنَ بسائر الالحان . فاجابهنّ ذلك المكان بطيب الالحان . وزعقت المواصيل وخرجت بتلك العيدان . فتخيل في ذلك الوقت ابو الحسن انهُ في الجنان وطاب قلبهُ وانشرح . ولعب وزاد بهِ الفرح . وخلع على تلك الجواري ووهب . هذا كلهُ والخليفة يتفرج عليهِ ويضحك . فلما انتصف الليل أمر الخليفة جارية من تلك الجواري ان ترمي قطعة بنج في القدح وتسقيه لابي الحسن . ففعلت الجارية ما امرها الخليفة وناولت القدح لابي الحسن . فلما شربهُ سبق رأسهُ رجليهِ . فخرج الخليفة من خلف الستارة وهو يضحك . ثم صاح على الغلام الذي جاء بهِ وقال لهُ : ارجع هذا مكانه . فحمله الغلام الى قاعته ووضعه فيها وخرج من عنده وقفل عليهِ باب القاعة ورجع الغلام الى الخليفة . ونام الخليفة الى الصباح

(الليله التاسعة والخمسون بعد المائة) . اما ابو الحسن فانهُ ما زال نائماً الى ان اصبح الله تعالى بالصباح . فاستفاق وهو يصيح : يا تفاحة يا راحة القلوب . يا مسكة يا تحفة . ولم يزل يصيح على الجواري حتى سمعتهُ امه يصيح على الجواري فقامت واتت اليهِ وقالت لهُ : اسم الله حواليك قم يا ولدي يا ابا الحسن انت تحلم . ففتح عينيهِ فوجد عند رأسه عجوزاً فنهض وقال لها : من تكوني . فقالت لهُ : انا

امك. فقال لها: تكذبين يا عجوز النحس انا امير المؤمنين . فصرخت امهُ وقالت لهُ : سلامة عقلك يا ولدي اسكت لئلا تروح ارواحنا وينهب مالك ان سمع احد هذا الكلام واوصله الى الخليفة . فقام من نومه ورأى امه وهو في قاعته. فخولط في عقله وقال : والله يا امي انا في منامي رأيت نفسي في قصر والجواري والمماليك حولي وفي خدمتي وجلست على سرير الخلافة وحكمت . والله يا امي هذا الذي رأيتهُ. وحقًّا ما كان في المنام . ثم تفكر في نفسه ساعة من الزمان وقال : صحيحٌ انا ابو الحسن الخليع والذي رأيتهُ انما هو في منام واني صرت خليفة وحكمت وامرت ونهيت . ثم انهُ افتكر وقال: مؤكد ما هو منام وما انا الَّا الخليفة وقد اعطيت وخلعت .فقالت لهُ امهُ : يا ولدي اياك ان تفسد عقلك فيأخذونك الى المارستان وتبقى شهرةً .فان الذي رأيتهُ انما هو من الشيطان وهو اضغاث احلام. وان الشيطان يلعب بعقل الانسان احيانًا بسائر الحالات

ثم ان امهُ قالت لهُ: يا ولدي هل كان عندك ليلة امس احد. فافتكر ابو الحسن وقال : نعم كان عندي واحد نائم واخبرتهُ بحالي وحكيت لهُ قصتي . ولا شك انهُ كان من الشياطين وانا يا امي كما صدقتِ انا ابو الحسن الخليع . فقالت لهُ امه: يا ولدي ابشر بكل خير فان امس جاء الوزير جعفر البرمكي وضرب المشايخ الذين في جوارنا كل واحد خمسمائة سوط وقد اخرجوهم من المدينة ونادوا عليهم: هذا جزاء واقلّ جزاء من يريد اذيَّة جيرانه وينكد عليهم معيشتهم . وارسل لي مائة دينار وارسل يسلم عليَّ . فصاح ابو الحسن الخليع وقال لها : يا عجوز النحس تكابريني وتقولين لي اني لست امير المؤمنين . انا الذي امرت جعفرًا البرمكي بضرب المشايخ وبعقابهم وان ينادي عليهم. وانا الذي ارسلت لك المائة دينارًا وارسلت اسلم عليكِ . وانا امير المؤمنين من حقّ يا عجوز النحس.

وانتِ كذابة قد خرفتني . ثم قام الى امه وضربها بعصاً من اللوز حتى صرخت : يا مسلمين . وهو يثقل عليها الضرب حتى سمعت الناس صراخها فاتوها وابو الحسن يضربها ويقول لها : يا عجوز النحس ما انا امير المؤمنين انتِ سحرتني

(الليلة الستون بعد المائة) . فلما سمع الناس كلامه قالوا : هذا مجنون ولم يشكوا في جنونه . ثم انهم دخلوا عليهِ ومسكوه وكتفوه واخذوه الى المارستان . فقال العرفشي : ما يكون هذا الشاب . فقالوا لهُ : هذا مجنون . فقال ابو الحسن : والله يكذبون عليَّ وما انا مجنون انما انا امير المؤمنين . فقال العرفشي : ما كذب الّا انت يا انحس المجانين . ثم عراه من ثيابه وعمل في رقبته زنجيرًا ثقيلًا وربطه في شباك عالٍ وصار يضربه الضرب المبرِّح في النهار وفي الليل . ولم يزل على هذا الحال مدة عشرة ايام . فاتت اليهِ امهُ وقالت لهُ : يا ولدي يا ابا الحسن ارجع الى عقلك : هذا فعل الشيطان . فقال ابو الحسن لامهِ . صدقتِ يا امي واشهدي عليَّ اني تائب عن هذا الكلام ورجعت عن جنوني فخلصيني فاني قد اشرفت على الهلاك . فخرجت امهُ الى العرفشي وخلصتهُ واتى الى قاعته

(الليلة الحادية والستون بعد المائة) . فلما كان تمام الشهر اشتاق ابو الحسن الخليع الى شرب المدام وعاد الى عادته في فرش قاعته وهيأ الطعام واحضر المدام وخرج الى الجسر وجلس ينتظر احدًا ينادمه على جاري عادته . واذا بالخليفة جاز عليهِ . فلم يسلم عليهِ ابو الحسن وقال : لا اهلًا ولا سهلًا بالوافدين . ما انتم الّا شياطين . فاقبل عليهِ الخليفة وقال لهُ : يا اخي اما قلت لك اني اعود اليك . فقال ابو الحسن : ليس لي بك حاجة فان المثل يقول : بعدي عن حبي اجمل لي واحسن . عين لا تنظر قلب لا يحزن . وانا يا اخي ليلة جئتني وتنادمت انا واياك فكأني جاءني الشيطان ووسوسني تلك

الليلة . فقال الخليفة: ومن هو الشيطان . فقال لهُ ابو الحسن: انت. فتبسم الخليفة وجلس عنده وتلطف معهُ بالكلام وقال لهُ : يا اخي انا لما خرجت من عندك نسيت الباب مفتوحاً فلعل الشيطان دخل عليك . فقال ابو الحسن: لا تسأل عمَّا جرى لي. فما الذي خطر لكَ حتى خليت الباب مفتوحاً ودخل عليَّ الشيطان وجرى لي معهُ كذا وكذا. وذكر ابو الحسن الخليع للخليفة جميع ما جرى لهُ من الاول الى الآخر. وليس في الاعادة افادة. فصار الخليفة يضحك ويخفي ضحكه

ثم ان الخليفة قال لابي الحسن: الحمد لله الذي ازال عنك ما تكره ورأيتك بخير . فقال لهُ ابو الحسن : ما بقيت اتخذك نديمي ولا جليسي فان المثل يقول : من عثر في حجر وعاد اليهِ كان اللوم والعتب عليهِ . وانت يا اخي ما بقيت انادمك ولا اعمل معك مصاحبة فاني ما رأيت لك كعباً مباركاً عليَّ . فقال الخليفة وقد لاطفه واثنى عليهِ: اني ضيفك ولا ترد الضيف . فأخذه ابو الحسن ودخل بهِ القاعة وقدم لهُ الطعام وآنسهُ بالكلام . ثم انهُ حكى للخليفة جميع ما جرى لهُ . فأخذ الخليفة يغرب في الضحك. ثم رفع سفرة الطعام وقدم سفرة المدام وملأ قدحاً واحتساه ثلاثاً ثم ملأه واعطاه للخليفة وقال: يا نديمي عبدك عندك ولا يصعب عليك فلا تنغبن ولا تغبني وانشد يقول :

لا زلت اشربها والليل معتكر حتى اكب الكرى رأسي على قدحي
سلافةٌ كشعاع الشمس بهجتها تنفي الهموم بانواع من الفرحِ

فلما سمع الخليفة شعره وما قاله من الابيات طرب من ذلك طرباً شديداً واخذ القدح وشربه وما زالا يشربان ويتنادمان حتى دارت الخمرة في رؤوسهما . فقال ابو الحسن للخليفة : يا نديمي حقًّا انا حائر في امري وكاني كنت امير المؤمنين وحكمت واعطيت ووهبت . صحيح يا اخي ما هو منام . فقال لهُ الخليفة :

هذا اضغاث احلام . ثم ان الخليفة دسَّ قطعة من البنج في القدح وقال : بحياتي تشرب هذا القدح . فقال لهُ ابو الحسن : اني اشربه من يدك

(الليلة الثانية والستون بعد المائة) . فاعجب الخليفة افعاله وصفاته وحسن طباعه وصدقه وقال في نفسه : حقًّا لاجعلنَّ هذا نديمي وجليسي . ثم انَّ ابا الحسن اخذ القدح من يد الخليفة وشربه . و لمَّا شربهُ واستقرَّ في بطنه سبق رأسه رجليه . فقام الخليفة من وقته وقال للغلام : احمله وانتِ بهِ الى قصر الخلافة . فحملهُ الغلام وجعله بين يدي الخليفة . فأمر الخليفة الجواري والمماليك ان يدوروا حواليه . وقد اختفى الخليفة في مكان لا يراه فيهِ ابو الحسن . فأمر الخليفة جارية من الجواري ان تأخذ العود وتضرب عند رأس ابي الحسن وتفعل كذلك سائر الجواري بآلاتهنَّ . فضرب الجميع . فاستفاق ابو الحسن آخر الليل فسمع صوت العود وضرب المواصيل وغناء الجواري . ففتح عينيهِ فوجد نفسهُ في القصر والجواري والخدام حوله . فقال ابو الحسن : لا حول ولا قوة الّا بالله العليّ العظيم . حقًّا انا خائف من المارستان وما قاسيت فيهِ اول مرة . وما ادراك ان الشيطان جاءني مثل اول مرة . اللهمَّ اخزِ الشيطان . ثم ان ابا الحسن غمض عينيهِ وغطى رأسه وصار يضحك قليلًا . ويرفع رأسه فيجد القصر موقدًا والجواري تغني . ثم ان خادمًا من الخدام قعد عند رأسه وقال لهُ : اجلس يا امير المؤمنين وانظر الى قصرك وجواريك . فقال ابو الحسن : بستر الله انا امير المؤمنين بالحق او انتم تكذبون . فاني البارحة ما خرجت ولا حكمت بل شربت ونمت وهذا الخادم جاء يقيمني . فعند ذلك قام ابو الحسن وجلس . ثم انهُ افتكر في جميع ما جرى لهُ مع امه وكيف ضربها وكيف دخل الى المارستان ورأى آثار الضرب الذي ضربهُ اياه العرفشي صاحب المارستان فتحير في امره وتفكر في نفسه

وقال : والله ما اعرف كيف حالي وما الذي جرى لي ومن اتى بي الى هذا المكان

(الليلة الثالثة والستون بعد المائة) . ثم انهُ التفت الى جارية من الجواري وقال لها : من هو انا . فقالت : امير المؤمنين . فقال لها : تكذبين يا نكبة. فان كنت امير المؤمنين عضّي اصبعي . فجاءت اليهِ الجارية وعضت اصبعه عضًا قويًا . فقال لها : يكفي . ثم انهُ قال للخادم الكبير . من انا . قال : انت امير المؤمنين . فتركهُ ابو الحسن وقد خولط في عقله وحار في امره . ثم اقبل على مملوك صغير وقال لهُ : عضني في اذني . وطأطأ لهُ وحط اذنه في فم المملوك . وكان المملوك صغيرًا لا يعقل فطبق باسنانه على اذن ابي الحسن حتى كاد يقطعها . وكان المملوك لا يعرف العربية فبقي كلما يقول لهُ يكفي يعتقد المملوك انهُ يقول لهُ : قرّط فيقوي عضته ويكزّ باسنانه على اذنه . فاما الخليفة فانهُ أُغمي عليهِ من كثرة الضحك . ثم افاق الخليفة وخرج وقال لهُ : ويلك يا ابا الحسن قتلتني من الضحك . فالتفت اليهِ فعرفه فقال : والله انت قتلتني وقتلت امي وقتلت المشايخ الذين في جوارنا . فقرّبهُ الخليفة وانعم عليه وزوّجهُ وامسكه عنده في القصر وجعله من خواص ندمائه وقدمه الخليفة على العشرة ندماء وهم : العجلى والرقاشي وعبدان وحسن والفرزدق واللوز والسكر وعمر الترتيس وابو نواس وابو اسحق النديم وابو الحسن الخليع . ولكل واحد منهم حكاية تذكر في غير هذا الكتاب

(الليلة الرابعة والستون بعد المائة) . وقد صار ابو الحسن ذا حظوةٍ ومقربًا عند الخليفة فوق الجميع حتى انهُ كان يجلس مع الخليفة والسيدة زبيدة بنت القاسم وتزوج خزندارتها وكان اسمها نزهة الفؤاد فاقام معها ابو الحسن الخليع في اكل وشرب وعيشة طيبة الى ان ذهب جميع ما معهُ . فقال لها ابو الحسن : يا نزهة الفؤاد . فقالت : لبيك . قال : اني اريد ان اعمل حيلة على الخليفة وانتِ تعملين

حيلة على السيدة زبيدة ونأخذ منهما في ساعة مائتي دينار وشقتين حريرًا. فقالت له : اصنع ما تريده

(الليلة الخامسة والستون بعد المائة). اما نزهة الفؤاد فقالت لابي الحسن الخليع : وما تصنع . قال : أنا نتماوت وهي حيلة . فاموت انا قبلكِ واتمدّد فانشري عليَّ فوطة حرير وافردي عمامتي عليَّ واربطي اصابع رجلي وحطي على قلبي سكينًا وقليلًا من الملح ثم انشري شعركِ وروحي الى سيدتكِ زبيدة واشرطي ثوبكِ والطمي وجهكِ واصرخي . فتقول لكِ : ما لكِ . فقولي لها : يعيش رأسكِ في ابي الحسن الخليع انهُ قد مات . فانها تحزن عليَّ وتبكي وتأمر الخزندارية ان تعطيكِ مائة دينار وشقة حرير وتقول لكِ : روحي جهزيه واخرجيه . فخذي منها المائة دينارًا والشقة وتعالي . واذا جئتِ اقوم انا وترقدين انتِ مكاني واروح انا للخليفة واقول له : يعيش رأسك في نزهة الفؤاد واشرط ثوبي وانتف لحيتي . فيحزن عليكِ ويقول لخزنداره : اعطِ ابا الحسن مائة دينار وشقة حرير . ويقول لي : رح جهزها واخرجها . فاجيُ اليك . ففرحت نزهة الفؤاد وقالت : صحيح ان هذه الحيلة جيدة . ثم انها غمَّضت عينيهِ وربطت رجليهِ وغطتهُ بالفوطة وفعلت ما قالهُ سيدها . ثم انها شرطت ثوبها وكشفت راسها وحلَّت شعرها ودخلت على السيدة زبيدة وهي تصيح وتبكي . فلما رأتها السيدة زبيدة على تلك الحالة قالت لها : ما هذا الحال ما قضيتكِ وما ابكاكِ . فقالت نزهة الفؤاد وهي تبكي وتصيح : يا سيدتي يعيش رأسكِ في ابي الحسن الخليع فانهُ قد مات . فحزنت عليهِ الست زبيدة وقالت : مسكين ابو الحسن الخليع . وبكت عليهِ ساعة . ثم ان السيدة زبيدة أمرت الخزندارة ان تعطي نزهة الفؤاد مائة دينار وشقة حرير وقالت : يا نزهة الفؤاد روحي جهزيهِ واخرجيهِ

فاخذت المائة الدينـار والشقة الحرير وراحت الى منزلها وهي فرحانة ودخلت على ابي الحسن واعلمتهُ بما وقع لها. فقام وفرح وشدَّ وسطه ورقص واخذ المائة دينارًا والشقة

(الليلة السادسة والستون بعد المائة) . ثم انهُ مدّد نزهة الفؤاد وفعـل بها كما فعلت بهِ . وأخذ ثوبه فشقهُ ونتف لحيته ومزَّق عمامته ولم يزل يجري حتى دخل على الخليفة وهو في مجلس حكمه وهو على تلك الحالة . فقال لهُ الخليفة : ما قضيتك يا ابا الحسن . فبكى وقال : لا كان نديمك ولا كانت ساعته . فقال لهُ الخليفة : اخبرني . فقال : يعيش رأسـك يا سيدي في نزهة الفؤاد . فقـال الخليفة : لا اله الّا الله. وضرب كفًا على كفٍ . ثم ان الخليفـة سلّى ابا الحسن وقال لهُ: لا تحزن انا اعطيك سرية غيرها. وأمر الخزندار ان يعطيه مائة دينـار وشقة حرير . فاعطاه الخزندار ما رسم بهِ الخليفة. وقال لهُ : رح جهزها واعمل لها خرجة مليحة . فاخذ ما اعطاه وجاء الى منزله وهو فرحان ودخل الى نزهة الفؤاد فقال لها . قومي فقد تمَّ لنا المراد. فقامت وحط لها المائة دينـارًا والشقة الحرير ففرحت . ثم انهما اخذا يتحدثان ويضحكان على بعضهما

(الليلة السابعة والستون بعد المائة) . واما الخليفة فانهُ لمـا انصرف من عنده ابو الحسن وراح يجهز نزهة الفؤاد حزن عليهـا وصرف الديوان وقام يتعكز على مسرور سياف النقمة ودخل يعزّي السيدة زبيدة في جاريتها فوجدها جالسةً تبكي وهي تنتظر قدوم الخليفة حتى تعزيه في ابي الحسن الخليع . فقال الخليفة : يعيش راسكِ في جاريتكِ نزهة الفؤاد . فقالت لهُ : يا سيدي سلامة جاريتي . تعيش انت وتبقى في نديمك ابي الحسن الخليع فانهُ مات . فتبسم الخليفـة وقال لخادمه : يا مسرور ان النساء قليلات العقل . بالله عليك أما كان ابو الحسن عندي

في هـذه الساعة . فقالت السيدة زبيدة وقد ضحكت من قلب الغيظ : أما تدع مزحك اما يكفي موت ابي الحسن حتى انك تموّت جاريتي ونعدم الاثنين وتجعلني قليلة العقل . فقال الخليفـة : ان نزهة الفؤاد هي التي ماتت. قـالت السيدة زبيدة : وحقًا ما كان عندك ولا رأيتهُ. وما كان عندي في هذه الساعة الّا نزهة الفؤاد وهي حزينة باكية مقطعة الثياب . وقد صبَّرتها واعطيتها مائة دينار وشقة حرير . وانا كنت انتظرك حتى اعزيك في نديمك ابي الحسن الخليع. فضحك الخليفة وقال : ما مات الّا نزهة الفؤاد . فقالت لهُ السيدة زبيدة: لا يا سيدي ما مات الّا ابو الحسن. فاغتاظ الخليفة ونضَّ العرق الهاشمي من بين عينيهِ وصرخ على مسرور السياف وقال لهُ : اخرج ورح الى بيت ابي الحسن الخليع وانظر من مات. فخرج مسرور يجري . فقال الخليفة للسيدة زبيدة : تراهنيني . فقالت لهُ: نعم اراهن فانا اقول ان ابا الحسن قد مات . فقـال الخليفة : وانا اراهن واقول انهُ ما مات الّا نزهة الفؤاد . والرهان بيني وبينكِ بستـان النزهة الى قصركِ وقصر التماثيل. ثم انهما قعدا ينتظران مسرورًا الى حين يرجع بالخبر . واما مسرور فانهُ ما زال يجري حتي دخل الى زقاق ابي الحسن الخليع

(الليلة الثامنة والستون بعد المائة) . وكان ابو الحسن قاعدًا متكئًا على الشباك فلاحت منهُ التفاتة فنظر مسرورًا وهو يجري في الزقاق . فقـال لنزهة الفؤاد : كانَّ الخليفة لما خرجتُ من عنده صرف الديوان ودخل الى السيدة زبيده يعزيها . فقامت هي وعزَّتهُ وقالت لهُ : عظم الله اجرك في ابي الحسن الخليع . فقال لها الخليفة : ما مات الّا نزهة الفؤاد يعيش رأسكِ فيها . فقالت لهُ هي : ما مات الّا ابو الحسن الخليع نديمك . فقال لها : ما مات الّا نزهة الفؤاد . فتكابرا . فاغتاظ الخليفة وتراهنا وقد بعث مسرورًا السياف ينظر من مات .

فالاولى انكِ ترقدين حتى ينظركِ فيذهب ويعلم الخليفة ويصدّق قولي. فتمددت نزهة الفؤاد وغطاها ابو الحسن بازارها وقعد عند رأسها يبكي . واذا بمسرور الخادم طلع الى بيت ابي الحسن وسلم عليهِ ورأى نزهة الفؤاد وهي ممدودة . فكشف عن وجهها وقال: لا اله الّا الله ماتت اختنا نزهة الفؤاد. ما كان اسرع القضاء. الله يرحمكِ ويبرئ ذمتك. ثم انهُ رجع وحكى ما جرى بين يدي الخليفة والسيدة زبيدة وهو يضحك . فقال لهُ الخليفة : يا ملعون ما هذا وقت ضحك اخبرنا من مات منهما . فقال مسرور للخليفة: والله يا سيدي ان ابا الحسن طيب وما مات الّا نزهة الفؤاد . فقال الخليفة لزبيدة : ضيعتِ قصركِ في لعبكِ . وضحك عليها ثم قال : يا مسرور احكِ لها كيف رأيت . فقال لها : صحيح يا سيدتي. فاني بقيت اجري حتى دخلت على ابي الحسن في بيته فوجدت نزهة الفؤاد نائمة ميتة وابا الحسن جالساً عند رأسها يبكي . فسلمت عليه وعزيته وجلست جنبه . وكشفت وجه نزهة الفؤاد فرأيتها ميتة ووجهها منتفخاً . فقلت لهُ : اخرجها لنصلي عليها . فاجاب : نعم . وقد جئت لاعلمكم وخليتهُ يجهزها . فضحك الخليفة وقال : قل لسيدتك القليلة العقل . فلما سمعت السيدة زبيدة كلام مسرور اغتاظت وقالت : ما قليل العقل الّا من يصدق عبدًا . وشتمتهُ والخليفة يضحك

(الليلة التاسعة والستون بعد المائة) . ثم ان مسرورًا قال للخليفة : صدق من قال : ان النساء ناقصات العقل والدين . فقالت السيدة زبيدة : يا امير المؤمنين انت تلعب وتمزح معي وهذا العبد يتلاعب عليَّ لاجل خاطرك . لكن انا ارسل وابصر من مات منهما . فصاحت زبيدة على عجوز قهرمانة وقالت لها : امضي الى بيت نزهة الفؤاد وابصري من مات بسرعة ولا تبطئي .

فخرجت العجوز تجري والخليفة ومسرور يضحكان . ولم تزل العجوز تجري حتى دخلت الزقاق . فرآها ابو الحسن فعرفها . فقال لزوجته : يا نزهة الفؤاد كأنّ السيدة زبيدة ارسلت تنظر من مات وانها ما صدقت قول مسرور في موتكِ فانها ارسلت العجوز القهرمانة لتكشف الخبر . فصار الموت لي اولى لاجل صدقكِ عند السيدة زبيدة . ثم ان ابا الحسن تمدد ورقد وغطتهُ نزهة الفؤاد وربطت عينيه ورجليه وجلست عند رأسه تبكي . فدخلت العجوز عليهما فرأت نزهة الفؤاد جالسة عند راس ابي الحسن وهي تبكي وتعدّد . ثم ان نزهة الفؤاد لما رأت العجوز صرخت وقالت للعجوز : انظري ما جرى عليّ وقد مات ابو الحسن وخلاني وحيدة فريدة . وصرخت وقطعت اثوابها وقالت للعجوز : يا امي ما كان احسنه . فقالت لها العجوز : حقاً انكِ معذورة لانكِ كنتِ تعودتِه وتعودكِ . ثم ان العجوز علمت ما كان من امر مسرور مع الخليفة والسيدة زبيدة فقالت لنزهة الفؤاد : ان مسرور يكاد يرمي الفتنة بين الخليفة وبين السيدة زبيدة . فقالت لها نزهة الفؤاد : وما هي الفتنة يا امي . فقالت العجوز : يا بنتي قد جاء مسرور الى الخليفة والسيدة زبيدة واخبرهما عنكِ انكِ متِّ وان ابا الحسن طيب . فقالت لها نزهة الفؤاد : يا خالتي فاني انا كنت عند سيدتي في هذا الوقت وقد اعطتني مائة دينار وشقة حرير . وانظري حالي وما جرى لي وانا حائرة فكيف اعمل وانا وحيدة فريدة . ياليتني انا مت وعاش هو . ثم بكت وبكت معها العجوز . ثم ان العجوز تقدمت وكشفت وجه ابي الحسن فنظرت عينيهِ مربوطتين منتفختين من الرباط فغطته . ثم ان العجوز عزّت نزهة الفؤاد وخرجت من عندها وهي تجري حتى دخلت على السيدة زبيدة وحكت لها الحكاية . فقالت لها السيدة زبيدة وقد ضحكت : قولي للخليفة الذي يظنني قليلة العقل وناقصة الدين

(الليلة الموفية للسبعين بعد المائة) . فقال مسرور : ان هذه العجوز تكذب وانا رأيت ابا الحسن طيباً ونزهة الفؤاد راقدة ميتة. فقالت لهُ العجوز: انت الذي تكذب وتريد ان ترمي الفتنة بين الخليفة وبين السيدة زبيدة. فقال مسرور: ما يكذب ألا انتِ يا عجوز النحس وسيدتكِ تصدقكِ وهي خرفانة. فصاحت بهِ السيدة زبيدة وقد احتدمت منهُ ومن كلامه وبكت . فقال لها الخليفة : انا اكذب وخادمي يكذب وانتِ تكذبين وجاريتكِ تكذب . والصواب عندي اننا نصير نحن الاربعة حتى نبصر من الذي يصدق منا . فقال مسرور : قوموا بنا حتى اعمل في هذه العجوز النحس الاعمال المشؤومة واضربها على كذبها. فقالت لهُ العجوز: يا خرفان أعقلك مثل عقلي انما عقلك مثل عقل الدجاجة. فاغتاظ مسرور من كلامها واراد ان يبطش بالعجوز . فقالت لهُ السيدة زبيدة وقد دفعته عنها : في هذه الساعة يبين صدقها من صدقك وكذبها من كذبك. وقام الاربعة وتراهنوا مع بعضهم وخرجوا يتمشون من باب القصر الى ان دخلوا باب ابي الحسن . فنظرهم ابو الحسن وقال لزوجته نزهة الفؤاد : حقاً ما كل مرةً تسلم الجرةً . كأنَّ العجوز راحت وحكت لسيدتها واعلمتها بحالنا وانها تخاصمت مع مسرور الخادم وقد تراهنوا على موتنا وقد اتوا الينا الاربعة الخليفة والخادم والسيدة زبيدة والعجوز . فانتبهت نزهة الفؤاد من الرقاد وقالت : كيف يكون العمل . فقال لها ابو الحسن : نعمل ارواحنا ميتين معاً ونتمدَّد ونقطع النفس. فسمعت منهُ وتمدَّد الاثنان وربطا رجليهما وغمَّضا اعينهما وقد قطعا النفس ورقدا وتغطيا بالازار

(الليلة الحادية والسبعون بعد المائة) . فدخل الخليفة وزبيدة ومسرور والعجوز . فلما دخلوا الى بيت ابي الحسن الخليع وجدوه مع زوجته ممدَّدين ميتين

فلما رأتهما السيدة زبيدة قالت: ما زالوا يتشأمون على جاريتي حتى ماتت. ولكن اظن انهُ صعب عليها موت ابي الحسن فماتت بعده. فقال الخليفة: لا تسابقيني في الحديث والكلام فانها ماتت قبل ابي الحسن. فان ابا الحسن جاء اليَّ وهو مقطع الحوائج منتوف اللحية وهو يدق على صدره بطوبتين واعطيته مائة دينار وشقة حرير وقلت لهُ: رح اخرجها وانا اعطيك غيرها سرية احسن منها وتكون عوضاً عنها. والظاهر انها ما هانت عليهِ فمات بعدها. وانا الذي غلبتكِ واخذت رهنكِ. فقالت السيدة زبيدة للخليفة كلاماً كثيراً وكثر بينهما الكلام. فجلس الخليفة عند رأس الاثنين وقال: بحق تربة رسول الله (صلعم) وتربة آبائي واجدادي وددت لو يعلمني احد من مات منهما قبل رفيقه فاعطيه الف دينار. فلما سمع ابو الحسن كلام الخليفة اسرع في القيام ونط وقال: انا الذي مت قبلُ يا امير المومنين. هات الالف الدينار وبرّ باليمين التي اقسمت بها. ثم ان نزهة الفؤاد قامت ووقفت على حيلها بين يدي الخليفة والسيدة زبيدة. ففرحوا بذلك وبسلامتهما. وعاتبت زبيدة جاريتها وفرحت بسلامتها. ثم ان الخليفة والسيدة زبيدة هنآهما بالسلامة من الموت وعلما ان هذه الموتة حيلة لاجل اخذ الذهب. فقالت السيدة زبيدة لنزهة الفؤاد: كنتِ طلبتِ مني ما تريدين بغير هذا الوجه ولا احرقتِ قلبي عليكِ. قالت نزهة الفؤاد: اني استحيت يا سيدتي. واما الخليفة فانهُ غشي عليهِ من الضحك وقال: يا ابا الحسن لم تزل خليعاً وتعمل العجائب والغرائب. فقال لهُ ابو الحسن: يا امير المؤمنين فان هذه الحيلة عملتها لما نفد المال الذي اعطيتنيه واني قد استحييت ان اطلب منك ثانيةً. وانا لما كنت وحدي ما كنت امسك على مال. وقد زوَّجتني هذه الجارية التي معي. فاني لو ملكت مالك جميعهُ لاهلكته. ولما فرغ جميع ما في يدي عملت هذه الحيلة حتى اخذت منك

هذه المائة دينارًا والشقة الحرير . وجميع ذلك صدقات مولانا فعجل عليَّ الآن بالالف دينارًا وبرّ بقسمك فضحك الخليفة والسيدة زبيدة وعادا الى القصر واعطى الخليفة ابا الحسن الالف دينارًا وقال له : خذها حلوان سلامتك من الموت. وكذلك السيدة زبيدة أعطت نزهة الفؤاد الف دينار وقالت لها : خذيها حلوان السلامة من الموت . ثم ان الخليفة زاد لابي الحسن في الجامكية والجراية. ولم يزل ابو الحسن وزوجته في فرح وسرور الى ان اتاهما هادم اللذات. ومفرق الجماعات. ومخرب القصور والدور. ومعمر القبور .وما هذا باعجب من حكاية قمر الزمان ابن الملك شهرمان . فقال لها الملك : وكيف ذلك

حكاية الملك شهرمان وابنه

(الليلة الثانية والسبعون بعد المائة) . قالت : بلغني ايها الملك السعيد انهُ كان في قديم الزمان .وسالف العصر والاوان. ملك يسمَّى الملك شهرمان. وكان صاحب عسكر عظيم وخدم واعوان. الَّا انهُ كان قد كبر سنه ورقَّ عظمه ولم يرزق ولدًا فتفكر في نفسه وحزن وقلق وشكا ذلك لبعض وزرائه وقال: اني اخاف اذا مت ان يضيع الملك لاني لا اجد من يتولَّاه بعدي من ولدي . فقال له ذلك الوزير: لعلَّ الله يحدث بعد ذلك امرًا. فتوكل على الله ايها الملك وابتهل اليه . فقام الملك وتوضأ وصلى ركعتين ودعى الله تعالى بنية صادقة . فرزقهُ الله ولدًا ذكرًا كانهُ البدر ليلة تمامه فسماه قمر الزمان . وفرح بهِ غاية الفرح ونادى بالزينة. فزينت المدينة سبعة ايام ودقت الطبول واقبلت البشائر ورتبت له المراضع والقوابل وتربَّى في العزّ والدلال حتى صار له من العمر خمس عشرة سنة. وكان فائقًا في الحسن والجمال . والقد والاعتدال . وكان ابوه يحبُّهُ ولا يقدر ان يفارقه

ليلًا ولا نهارًا . فشكى ابوه لبعض وزرائه زيادة حبه لهُ وقال : ايها الوزير اني خائف على ولدي قمر الزمان . من طوارق الدهر والحدثان . واريد ان ازوجه في حياتي . فقال لهُ الوزير : اعلم ايها الملك ان الزواج من مكارم الاخلاق والصواب ان تزوج ولدك في حياتك قبل ان تسلطنه . فعند ذلك قال الملك شهرمان : عليَّ بولدي قمر الزمان . فحضر واطرق برأسه الى الارض حياء من ابيهِ . فقال لهُ ابوه : يا قمر الزمان اني اريد ان ازوجك وافرح بك في حياتي . فقال لهُ : يا ابي اعلم انهُ ما لي في الزواج رغبة لاني وجدت في مكر النساء وغدرهنَّ كتبًا وكلامًا كثيرًا كما قال الشاعر :

فان تسألوني بالنساء فانني   خبيرٌ باحوال النساء طبيبُ
اذا شاب رأس المرء او قلَّ مالهُ   فليس لهُ من ودهنَّ نصيبُ

وقال الآخر :

اعصِ النساء فتلك الطاعة الحسنهْ   فلن يفوز فتىً يعطي النسا رسنهْ
يعقنَهُ عن كمالٍ في فضائلهِ   ولو سعى طالبًا للعلم الف سنهْ

ولما فرغ من شعره قال : يا ابي ان الزواج شيء لا افعله ابدًا ولو سُقيت كأس الردى

(الليلة الثالثة والسبعون بعد المائة) . فلما سمع السلطان شهرمان من ولده هذا الكلام صار الضياء في وجههِ ظلامًا واغتمَّ غمًّا شديدًا على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان لهُ فيما اشار عليهِ بهِ من امر الزواج . ومن شدة محبته لهُ لم يرضَ ان يكرّر عليهِ هذا الكلام ولم يغضبه بل اقبل عليهِ واكرمه ولاطفه بكل ما يجلب المحبة الى القلب . كل ذلك وقمر الزمان كل يوم يزداد حسنًا وجمالاً . وظرفًا ودلالاً . فصبر الملك شهرمان على ولده سنة كاملة فوجده قد

كمل بالفصاحة والملاحة. وصار فتنة في الجمال. وروضة في الكمال. عذب الكلام. يخجل وجهه بدر التمام. صاحب قدّ واعتدال. وظرف ودلال. كانهُ غصن بان. او قضيب خيزران. ينوب خده عن الورد وشقائق النعمان. وقده عن غصن البان. ظريف الشمائل. كما قال فيهِ القائل:

بـدا فقالوا تبارك اللهُ جلَّ الذي صاغهُ وسوَّاهُ
في ريقهِ شهدةٌ مذوبةٌ وانعقـد الدرَ في ثنـاياهُ
مكملًا بالجمال منفردًا كل الورى في جمالهِ تاهوا
قدكتب الحسن فوق وجنتهِ اشهـد ان لا مليح الَّا هو

فلما تكاملت سنة اخرى لقمر الزمان دعاه والده اليهِ وقال لهُ: يا ولدي اما تسمع مني. فوقع قمر الزمان على الارض بين يدي والده هيبةً واستحى منـهُ وقال لهُ: كيف لا اسمع منك وقد امرني الله بطاعتك وان لا اعصيك. فقال لهُ الملك شهرمان: يا ولـدي اعلم اني اريد ان ازوجك وافرح بك في حياتي واسلطنك في مملكتي قبل مماتي. فلما سمع من ابيهِ ذلك اطرق رأسه ساعة. ثم رفع رأسه وقال: يا ابتِ هذا شيء لا افعله ابدًا ولو سقيت كأس الردى. وانا اعلم يقينًا ان الله تعالى فرض عليَّ طاعتك. فبـالله عليك لا تكلفني في امر الزواج ولا تظن اني اتزوج طول عمري لانني قرأت كتبًا للمتقدمين والمتـأخرين واطلعت على ما وقع لهم من النساء من الفتن والآفات. ومكرهنَّ غير المتناهي. وما يحدث عنهنَّ من الدواهي. وما احسن قول الشاعر:

من كادهُ العاهراتُ فلا يرى من خلاصِ
ولو بنى الف حصنٍ مشيدة بالرصاصِ
فليس يجدي بنـاها ولا تفيد الصياصي

ان النسا خائنات ٌ لكل دانٍ وقاصِ
مخضبات ٌ بنانٍ مضفرات ٌ عقاصِ
مكحلات جفونٍ مجرّعات غصاصِ

فلما سمع الملك شهرمان من ولده قمر الزمان هذا الكلام . وفهم الشعر والنظام . لم يردّ عليهِ جوابًا من فرط محبته لهُ وزادهُ من انعامه واكرامه . وانفض ذلك المجلس من تلك الساعة

(الليلة الرابعة والسبعون بعد المائة) . وبعد انفضاض المجلس دعا الملك بوزيره واختلى به وقال لهُ : ايها الوزير اخبرني ما الذي افعله في ولدي قمر الزمان من قضية الزواج فاني استشرتك في زواجه فانت الذي اشرت عليَّ بزواجه قبل ان اسلطنه . فذكرت لهُ الزواج مرارًا فخالفني . فأشر عليَّ الآن ايها الوزير ما الذي افعلهُ . فقال لهُ الوزير : ايها الملك اصبر عليهِ سنة اخرى فاذا اردت ان تكلمه بعدها في هذا الامر فلا تكلمهُ سرًّا وانما كلمه في يوم حكومة ويكون جميع الامراء والوزراء حاضرين وجميع العساكر واقفين . فاذا اجتمع هؤلاء فارسل الى ولدك قمر الزمان في تلك الساعة واحضره . فاذا حضر فقل لهُ على امر الزواج بحضرة الوزراء وارباب الدولة واصحاب الصولة . فانهُ لا بدَّ يستحي منهم ولا يقدر ان يخالفك بحضرتهم . فلما سمع الملك شهرمان من وزيره هذا الكلام فرح فرحًا شديدًا واستصوب رأيه في ذلك وخلع عليهِ خلعة سنية . وصبر الملك شهرمان على ولده قمر الزمان سنة . وكلما مرَّ عليهِ يوم من الايام يزداد حسنًا وجمالًا وبهجة وكمالًا حتى بلغ من العمر قريبًا من عشرين سنة . والبسهُ الله حلة الجمال وتوَّجه بتاج الكمال

(الليلة الخامسة والسبعون بعد المائة) . ثم ان الملك شهرمان سمع

كلام الوزير وصبر سنة اخرى حتى حصل يوم موسم وجاء يوم حكومة وتكامل فيهِ مجلس الملك بالامراء والوزراء وارباب الدولة والعساكر واصحاب الصولة . ثم انهُ ارسل الى ولده قمر الزمان . فلما حضر قبل الارض بين يدي ابيهِ ثلث مرات . ووقف بالاحتشام قدام ابيه . فقال لهُ ابوه : اعلم يا ولدي اني ما ارسلت اليك وما احضرتك هذه المرة قدام هذا المجلس وجميع اهل الدولة حاضرون بين ايدينا الّا لاجل ان آمرك بامر فلا تخالفني فيهِ وذلك ان تتزوج لاني اشتهي ان ازوجك بابنة ملك من الملوك وافرح بك قبل موتي . فلما سمع قمر الزمان من ابيهِ ذلك اطرق برأسه الى الارض ساعة . ثم رفع رأسه الى ابيهِ وقد لحقهُ في تلك الساعة جنون الصبا وجهل الشبيبة وقال لهُ : اما انا فلا اتزوج ابدًا ولو سقيت كأس الردى . واما انت فرجل كبير السن صغير العقل . أليس انك سألتني قبل هذا اليوم مرتين غير هذه المرة في شأن الزواج وانا لا اجيبك الى ذلك . ثم ان قمر الزمان شمر عن ذراعيهِ قدام ابيهِ وهو في غيظه وتكلم مع ابيهِ بكلام كثير وازعج خاطره . فخجل ابوه واستحى لانهُ حصل ذلك قدام ارباب دولته والعساكر الحاضرين في الموسم . ثم ان الملك شهرمان لحقتهُ شهامة الملك فصرخ على ولده فارعبه وصرخ على المماليك الذين قدامه وقال لهم : امسكوه . فتسابقت اليهِ المماليك فمسكوه واحضروه قدامه . فأمرهم ان يكتفوه . فكتّفوه وقدَّموه بين يدي الملك وهو مطرق رأسه من الخوف والوجل . وتكالل جبينه ووجهه بالعرق واشتدّ بهِ الحياء والخجل

(الليلة السادسة والسبعون بعد المائة) . فعند ذلك شتمهُ ابوهُ وسبَّهُ وقال لهُ : ويلك يا قليل الادب . كيف يكون هذا جوابك لي بين عساكري وجيوشي . ولكن انت الى الآن ما ادَّبك احد . اما تعلم ان هذا الامر الذي

صدر منك لو صدر من عامي من العوام لكان ذلك قبيحاً منهُ . ثم ان الملك أمر المماليك ان يحلّوا كتافه ويحبسوه في برج من ابراج القلعة . فعند ذلك اخذوه ودخلوا بهِ الى برج عتيق فيهِ قاعة خربة وفي وسط القاعة بئر خربة عتيقة فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا لقمر الزمان فيها سريرًا وفرشوا لهُ على السرير طراحة ونطعاً ووضعوا لهُ مخدة واتوا لهُ بفانوس كبير وشمعة لان ذلك المكان كان مظلماً في النهار . ثم ان المماليك ادخلوا قمر الزمان في ذلك المكان وجعلوا على باب القاعة خادماً . فعند ذلك طلع قمر الزمان فوق ذلك السرير وهو منكسر الخاطر حزين الفؤاد وقد عاتب نفسه وندم على ما جرى منهُ في حق والده حيث لا ينفعه الندم وقال : لعن الله الزواج والبنات والنساء الخائنات . فياليتني سمعت من والدي وتزوجت . فلو فعلت ذلك كان احسن لي من هذا السجن

هذا ما كان من امر قمر الزمان . واما ما كان من امر ابيهِ فانهُ اقام على كرسي مملكته بقية اليوم الى وقت الغروب . ثم خلا بالوزير فقال لهُ : اعلم ايها الوزير انك كنت السبب في هذا كلهِ الذي جرى بيني وبين ولدي حيث اشرت عليَّ بما اشرت فما الذي تشير بهِ عليَّ ان افعله الآن . فقال لهُ الوزير : ايها الملك دع ولدك في السجن مدة خمسة عشر يوماً ثم احضره بين يديك وأمره بالزواج فانهُ لا يخالفك ابدًا

(الليلة السابعة والسبعون بعد المائة) . فقبل الملك رأي الوزير في ذلك ونام تلك الليلة وهو مشتغل القلب على ولده لانهُ كان يحبه محبة عظيمة حيث لم يكن لهُ ولد سواه . وكان الملك شهرمان كل ليلة لا يجيئهُ نوم الّا اذا وضع ذراعه تحت رقبة قمر الزمان ونام . فبات الملك تلك الليلة متشوش الخاطر من اجله . وصار يتقلب من جنب الى جنب كأَنهُ نائم على جمر الغضا . ولحقه الوسواس

ولم يأخذه نوم في تلك الليلة بطولها . وذرفت عيناه بالدموع وانشد يقول :

لقد طال ليلي والوشاة هجوعُ　　وناهيك قلبًا بالفراق مروعُ

اقول وليلي زاد بالهمّ طولهُ　　اما لكَ يا ضوء الصباح رجوعُ

وقول الآخر :

لما رأيت النجم ساهٍ طرفهُ　　والقطب قد القى عليهِ سباتا

وبنات نعشٍ في الحداد سوافرًا　　ايقنت ان صباحهم قد ماتا

هذا ما كان من امر الملك شهرمان . واما ما كان من امر قمر الزمان فانهُ لما دخل عليهِ الليل قدم لهُ الخادم الفانوس وأوقد لهُ شمعة وجعلها في شمعدان وقدم لهُ شيئًا من المأكل . فأكل قليلًا . وصار قمر الزمان يعاتب نفسهُ على ما اساء الادب في حق ابيهِ وقال لنفسه : يا نفسي ألم تعلمي ان ابن آدم رهين لسانه وان لسان الآدمي هو الذي يوقعه في المهالك . ثم ذرفت عيناه بالدموع وبكى على ما صدر منهُ من فؤاد موجوع . وقلب مصدوع . وندم على ما وقع منهُ في حق ابيهِ غاية الندم وانشد يقول :

يموت الفتى من عثرةٍ من لسانهِ　　وليس يموت المرء من عثرة الرِجلِ

فعثرتهُ من فيهِ ترمي برأسهِ　　وعثرته بالرجل تبرا على مهلِ

ثم ان قمر الزمان لما فرغ من الاكل طلب ان يغسل يديه . فغسل لهُ المملوك يديه من الطعام

(الليلة الثامنة والسبعون بعد المائة) . ثم قام وتوضأ وصلى المغرب والعشاء وجلس على السرير يقرأ القرآن . فقرأ البقرة وآل عمران وياسين والرحمن وتبارك الملك والاخلاص والمعوذتين وختم بالدعاء . وتحصن واستعاذ بالله ونام على السرير فوق طرّاحة من الاطلس النفيس لها وجهان وهي محشوّة بالخزّ العراقي وتحت

راسه مخدة محشوة بريش النعام . وحين اراد النوم تجرَّد من ثيابه وخلع لباسه ونام في قميص مشمع رفيع . وكان على رأسه مقنع مروزي ازرق . فصار قمر الزمان تلك الساعة في هذه الليلة كأنهُ البدر اذا بدر . ليلة اربعة عشر . ثم تغطى بملاءة من حرير ونام والفانوس موقد تحت رجليهِ والشمعة موقدة فوق رأسه . ولم يزل نائمًا الى ثلث الليل الاول . ولم يعلم ما خبيء لهُ في الغيب . وما قدره عليهِ علَّام الغيب . وكان بالامر المقدر والقضاء المتحتم ان هذا البرج وهذه القاعة كانا عتيقين مهجورين من مدة سنين . وفي تلك القاعة بئر روماني معمور بجنيةٍ ساكنة فيهِ وهي من ذرية ابليس اللعين واسمها ميمونة ابنة الدمرياط احد ملوك الجان المشهورين

(الليلة التاسعة والسبعون بعد المائة) . فلما استمرَّ قمر الزمان نائمًا الى ثلث الليل الاول طلعت تلك العفريتة من البئر الروماني وقصدت السماء لاستراق السمع . فلما صارت في اعلى البئر رأت نورًا يشتعل في البرج على خلاف العادة . وكانت تلك العفريتة مقيمة في ذلك المكان مدة مديدة من السنين . فقالت في نفسها : انا ما عهدت هنا شيئًا من ذلك . فلما رأت النور تعجبت من هذا الامر غاية العجب . وخطر ببالها انهُ لا بدَّ لذلك من سبب . ثم قصدت ناحية ذلك النور فوجدتهُ خارجًا من القاعة . فدخلت اليها فوجدت الخادم نائمًا على باب القاعة . ولما دخلت القاعة وجدت سريرًا منصوبًا وعليهِ هيئة انسان نائم وشمعة موقدة عند رأسه . وفانوس موقد عند رجليه . فتعجبت العفريتة ميمونة من ذلك النور وتقدمت اليهِ قليلًا قليلًا وارخت اجنحتها ووقفت على السرير وكشفت الملاءة عن وجه قمر الزمان ونظرت اليهِ . فبهتت في حسنه وجماله ساعة زمانية وقد وجدت ضوء وجهه غالبًا على نور الشمعة فصار وجههُ يتلألأُ نورًا . فلما رأتهُ

العفريتة ميمونة بنت الدمرياط سبحت الله وقالت : تبارك الله احسن الخالقين . وكانت تلك العفريتة من الجن المؤمنين . فاستمرت ساعة وهي تنظر الى وجه قمر الزمان وتوحد الله وتغبطه على حسنه وجماله. وقالت في نفسها : اني لا اضرهُ ولا اترك احدًا يؤذيه ومن كل سوء افديه . فان هذا الوجه المليح لا يستحق الَّا النظر اليهِ والتسبيح . ولكن كيف هان على اهله انهم حطوه في هذا المكان الخراب . فلو طلع لهُ احد من مردتنا في هذه الساعة لعطبهُ. ثم ان تلك العفريتة ارخت الملاءة على وجهه وغطتهُ وفتحت اجنحتها وطارت الى ناحية السماء وطلعت من دور تلك القاعة . ولم تزل طائرة في الهواء وصاعدة في الجوّ الى ان قربت من سماء الدنيا . واذا بها سمعت خفق اجنحة طائرة في الهواء . فقصدت ناحية تلك الاجنحة فدنت منها فوجدتهُ عفريتًا يقال لهُ دهنش. فانقضَّت عليهِ انقضاض الباشق . فلما احسَّ بها دهنش وعرف انها ميمونة بنت ملك الجنّ خاف منها وارتعدت فرائصه فاستجار بها وقال لها : اقسم عليكِ بالاسم الاعظم المكرم والطلسم الاكرم المنقوش على خاتم سليمان ان ترفقي بي ولا تؤذيني . فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام حنَّ قلبها عليهِ وقالت لهُ : لقد اقسمت عليَّ يا ملعون بقسمٍ عظيم ولكن لا اعتقك حتى تخبرني من اين مجيئك في هذه الساعة . فقال لها : ايتها السيدة اعلمي ان مجيئي من آخر بلاد الصين ومن داخل الجزائر . واخبركِ باعجوبة رأيتها في هذه الليلة . فان وجدتِ كلامي صحيحًا فاتركيني اروح الى حال سبيلي واكتبي لي بخطكِ وثيقة اني عتيقكِ حتى لا يعارضني احد من ارهاط الجنّ الطيارة العلويَّة والسفلية والغواصة . قالت لهُ ميمونة : فما الذي رأيتهُ هذه الليلة يا كذاب يا ملعون. فاخبرني ولا تكذب عليَّ وانت تريد ان تفلت مني بكذبك . وانا اقسم بحق النقش المكتوب على فصّ خاتم سليمان بن داود عليهما

السلام ان لم يكن كلامك صحيحا نتفت ريشك بيدي ومزّقت جلدك وكسرت عظمك . فقال لها العفريت دهنش بن شمهورش الطيّار : رضيت يا سيدتي بهذا الشرط .

(الليلة الموفية للثمانين بعد المائة) . ثم قال : اعلمي يا سيدتي اني قد خرجت في هذه الليلة من الجزائر الداخلة في بلاد الصين وهي بلاد الملك الغيور . صاحب الجزائر والبحور . والسبعة قصور . فرأيت لذلك الملك بنتاً لم يخلق الله في زمانها احسن منها واني لا اقدر ان اصفها لكِ فان لساني يعجز عن وصفها كما ينبغي . فلما سمعت ميمونة وصف تلك الصبية وحسنها وجمالها تعجبت . فقال لها دهنش : وان ابا تلك الصبيـة ملك جبار . فارس كرّار . خوّاض الغامع في الليل والنهار . لا يهاب الموت ولا يخاف الفوت . لانهُ جائر ظلوم . وقاهر غشوم . وهو صاحب جيوش وعساكر . واقاليم وجزائر . ومدن ودور . واسمـهُ الملك الغيور . صاحب الجزائر والبحور . والسبعة قصور . وكان يحبُّ ابنته هذه الصبية التي وصفتها لكِ حبًّا شديدًا . ومن محبته لها جلب اموال سائر الملوك وبنى لها بذلك سبعة قصور كل قصر من جنس مخصوص . القصر الاوَّل من البلور . والثـاني من الرخام . والثالث من الحـديد الصيني . والقصر الرابع من المعادن والجواهر . والقصر الخامس من الخزف والجزع الملون والفصوص . والقصر السادس من الفضة . والقصر السابع من الذهب . وملأ السبعة قصور من انواع الفرش الفاخر من الحرير واواني الذهب والفضـة وجميع الآلات من كل ما تحتاج اليهِ الملوك . وأمر ابنته ان تسكن في كل قصر مدة من السنة ثم تنتقل منهُ الى قصر غيره . واسمها الملكة بدور

(الليلة الحادية والثانون بعد المـائة) . فلما اشتهر حسنها . وشاع في

البلاد ذكرها . ارسل سائر الملوك الى ابيها يخطبونها منهُ . فشاورها وراودها في امر الزواج فكرهت ذلك وقالت لابيها : يا والدي ليس لي غرض في الزواج ابدًا فاني سيدة وحاكمة وملكة . احكم على الناس ولا اريد احد يحكم عليَّ . وكانت كلما امتنعت من الزواج زادت رغبة الخطَّاب فيها . فعند ذلك ارسل جميع ملوك جزائر الصين الجوانية لابيها الهدايا والتحف وكاتبوه في امر زواجها . فكرر عليها ابوها المشاورة في امر الزواج مرارًا عديدة . فخالفتهُ وسفهت رأيه وغضبت منهُ وقالت لهُ : يا ابي ان ذكرت لي الزواج مرَّة اخرى دخلت البيت واخذت السيف وغرزت قائمهُ في الارض وادخلت حدَّهُ في بطني واتكأت عليهِ حتى يخرج من ظهري واقتل نفسي . فلما سمع ابوها منها هذا الكلام صار الضياء في وجههِ ظلامًا واحترق قلبه عليها غاية الاحتراق وخشي ان تقتل نفسها وحار في امرها وفي امر الملوك الذين خطبوها . فقال لها : ان كان لا بدَّ من عدم زواجك فامتنعي من الدخول والخروج . ثم ان اباها ادخلها البيت وحجبها فيهِ ورسم عليها عشر عجائز قهرمانات ومنعها من ان تذهب الى السبعة قصور واظهر انهُ غضبان عليها وارسل فكاتب الملوك جميعهم واعلمهم انها أُصيبت بجنون في عقلها واخبرهم انها محجوبة من سنة . ثم ان العفريت دهنشًا قال للعفريتة ميمونة : اقسمت عليكِ يا سيدتي ان ترجعي معي وتنظري حسنها وجمالها وقدَّها واعتدالها . وبعد هذا ان شئتِ ان تعاقبيني او تأسريني فافعلي فان الامر امركِ والنهي نهيكِ . ثم ان العفريت دهنشًا اطرق برأسه الى الارض وخفض اجنحته الى الارض . فقالت لهُ العفريتة ميمونة بعد ان ضحكت من كلامه وبصقت في وجهه : اي شيء هذه البنت التي تقول عنها . افوه افوه والله اني حسبت ان معك امرًا عجيبًا او خبرًا غريبًا . اما انا فاني رأيت انسانًا في هذه الليلة لو

رأيتهُ ولو في المنام لغشي عليك . فقال لها دهنش : وما حكاية هذا الغلام

(الليلة الثانية والثمانون بعد المائة) . فقالت لهُ : اعلم يا دهنش ان هذا الغلام قد جرى لهُ مثل ما جرى للبنت التي ذكرتها وامره ابوه بالزواج مراراً عديدة فأبى . فلما خالف اباه غضب عليهِ وسجنه في البرج الذي انا ساكنة فيهِ فطلعتُ في هذه الليلة فرأيتهُ . فقال لها دهنش : يا سيدتي اريني هذا الغلام لانظر هل هو احسن من الملكة بدور ام لا . لاني ما اظن انهُ يوجد في هذا الزمان مثلها . فقالت لهُ العفريتة : تكذب يا ملعون يا انحس المردة واحقر الشياطين فانا اتحقق انهُ لا يوجد لهذا الغلام مثيل في هذه الديار . فقال لها العفريت : بالله عليكِ يا سيدتي امضي معي وانظري الملكة بدور وارجع معكِ وانظر الغلام الذي تذكرين . فقالت لهُ ميمونة : لا بدَّ من ذلك لانك شيطان مكار ولكن لا اجيء معك ولا تجيء انت معي الَّا ان يكون ذلك برهن وشرط وهو انهُ ان كانت البنت التي انت تغالي فيها احسن من الغلام الذي ذكرتهُ فان ذلك الرهن والشرط يكون لك عليَّ . وان كان هو احسن فان ذلك الرهن يكون لي عليك . فقال لها العفريت دهنش : يا سيدتي قبلت منكِ هذا الشرط ورضيت بهِ . تعالي معي الى الجزائر . فقالت لهُ ميمونة : لا لانَّ موضع الغلام اقرب من موضع البنت . وها هو تحتنا فانحدر معي لتنظرهُ ونروح بعد ذلك الى البنت . فقال لها دهنش : السمع والطاعة . ثم انحدرا الى اسفل فنزلا في دور القاعة التي في البرج واوقفت ميمونة دهنشاً بجنب السرير ومدت يدها ورفعت ملاءة الحرير عن وجه قمر الزمان ابن الملك شهرمان فسطع وجههُ ولمع واشرق وزها . فنظرت ميمونة اليهِ والتفتت من وقتها وساعتها الى دهنش وقالت لهُ : انظر يا ملعون ولا تكن اقبح مجنون . فعند ذلك نظر اليهِ دهنش واستمرَّ يتأمل فيهِ ساعة . ثم حرَّك رأسه

وقال لميمونة: والله يا سيدتي انكِ معذورة. ولكن هذا الغلام اشبه الخلق بالبنت التي اخبرتكِ عنها في الحسن والجمال والبهجة والكمال. وكلاهما كأنهما قد أُفرغا في قالب الجمال معاً

(الليلة الثالثة والثمانون بعد المائة). فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاماً ولطمتهُ بجناحها على رأسه لطمة قويَّة كادت ان تقضي عليهِ من شدتها وقالت لهُ: اقسم عليك يا ملعون ان تطير في هذه الساعة وتحمل البنت وتأتي بها سريعاً الى هذا المكان حتى نقابل الاثنين وننظر فيهما وهما نائمان فيظهر لنا أيهما املح واحسن من صاحبه. وان لم تفعل ما امرتك بهِ في هذه الساعة يا ملعون احرقتك بناري. ورميت عليك شراري. ومزقتك قطعاً قطعاً ورميتك في البراري. وجعلتك عبرة للمقيم والساري. فقال لها دهنش: يا سيدتي لكِ عليَّ ذلك وانا اعرف ان البنت املح واحلى. ثم ان العفريت دهنش طار من وقته وساعته وطارت ميمونة معهُ من اجل المحافظة عليهِ. فغابا ساعة زمانية. ثم اقبلا الاثنان بعد ذلك وهما حاملان تلك الصبية وعليها ثوب بندقي رفيع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدائع التطريزات. ولم يزل دهنش وميمونة حاملين تلك الصبية حتى وضعاها قبالة الغلام قمر الزمان. ثم انهما كشفا عن وجوه الاثنين فكانا اشبه الناس ببعضهما فكأنهما توأمان او اخوان منفردان. وصار دهنش وميمونة ينظران اليهما. فقال دهنش: والله طيب يا سيدتي ان البنت احسن. فقالت له ميمونة: بل الصبي احسن. ويلك يا دهنش انت اعمى القلب والعين ما تفرق بين الغث والسمين. هل تخفي الحق. اما تنظر الى حسنه وجماله. وقده واعتداله

(الليلة الرابعة والثمانون بعد المائة). ثم انهما لم يزالا يتعارضان ويتناظران

مع بعضهما في الكلام حتى صرخت ميمونة على دهنش وارادت ان تبطش به.
فذلل لها ورقق كلامه وقال لها : تعالي نطلب من يفصل الحكم بيننا ونعتمد
على ما يقولهُ. فقالت لهُ ميمونة : رضيت بذلك . ثم دقت بكفها الارض فطلع
منها عفريت اعور احدب اجرب وعيناه مشقوقتان في وجهه بالطول وفي رأسه سبعة
قرون ولهُ اربع ذوائب من الشعر مسترسلة الى كعبيه ويداه مثل المداري ورجلاه
مثل الصواري . ولهُ اظفار مثل اظفار الاسد. وحوافر مثل حوافر الحمار الوحشي.
فلما طلع ذلك العفريت ورأى ميمونة قبَّل الارض بين يديها ووقف مكتفًا وقال
لها : ما حاجتكِ يا سيدتي يا بنت الملك . فقالت لهُ : يا قشقش اني اريد ان
تحكم بيني وبين هذا الملعون دهنش . ثم انها حكت لهُ القصة من اولها الى آخرها.
فعندها نظر العفريت قشقش الى وجه ذلك الصبي ووجه تلك الصبية فرآهما
في الحسن والجمال متشابهين وفي الملاحة متساويين فاخذه العجب من ذلك الحسن
البديع والجمال العظيم والتفت الى ميمونة ودهنش وقال لهما : والله ان اردتما الحق
فاني اقول ان الاثنين سواء في الحسن والجمال والبهجة والكمال

(الليلة الخامسة والثمانون بعد المائة) . فقالت ميمونة : هذا القول هو
الصواب . وقال دهنش : رضيت بهذا الحكم . والرأي عندي ان نخطب
الابنة للشابّ . فانتبه عند ذلك قمر الزمان فنظر الملكة بدور. وكان قد رأى في
منامه ان اباه قد خطب لهُ ابنة بديعة في الحسن. فلما رأى الملكة بدور دهش من
جمالها وقال : ان صدق منامي فهذه الصبية هي التي يريد والدي زواجي بها .
ومضى لي ثلاث سنين وانا امتنع من ذلك . ثم ان قمر الزمان قال في نفسه :
ربما والدي لما غضب عليَّ وحبسني في هذا الموضع جاء اليَّ بهذه العروسة حتى
يمتحنني . فان شاء الله ان جاء الصبح اقول لابي ان يزوجني بها . وها انا الآن

آخذ لي منها شيئاً يكون امارة عندي وتذكرة . ثم ان قمر الزمان رفع كف الصبية واخذ خاتمها من خنصرها وهو يساوي جملة من المال لان فصّه كان من نفيس الجواهر . وبعد ان نزعه من خنصر الملكة بدور لبسه في خنصره وتنحى ونام . فقالت ميمونة الجنية لدهنش وقشقش : أرأيتما قمر الزمان وما اعظم ادبه . فهذا من كمال محاسنه

ثم ان الملكة بدور انتبهت ففتحت عينيها واستوت قاعدة . فرأت قمر الزمان وهو يغطّ في نومهِ . فلما رأتهُ اخذها العجب وقالت في نفسها : وا فضيحتاه ان هذا الشاب غريب لا اعرفهُ ما بالهُ راقداً في مخدعي . ثم نظرت اليهِ بعيونها وحققت النظر فيهِ وبحسنه وجماله ثم قالت : انهُ شاب مليح مثل القمر . فلو علمت ان هذا الشاب هو الذي خطبني من ابي ما رددتهُ بل كنت اتزوجه . ولا بدّ ان اطلبه غداً من ابي . ثم تفقدت خاتمها فلم تجده وفتشت عليهِ فرأتهُ في خنصر قمر الزمان . فارادت هي ايضاً ان تأخذ علامةً فنزعت خاتم قمر الزمان من اصبعه ووضعتهُ في اصبعها عوضاً عن خاتمها ونامت الى الصباح . فالتفتت حينئذٍ ميمونة الى دهنش وقالت لهُ : قد تمّت الخطبة ولا يناسب هذه الصبية الّا مثل هذا الصبي . وها انا قد عفوت عنك . ثم كتبت لهُ ورقة بالعتق . والتفتت الى قشقش وقالت لهُ : ادخل مع دهنش واحمل السيدة بدور الى مكانها لان الليل قد مضى ولم يبقَ منهُ الّا القليل . فقال : سمعاً وطاعة . فحملاها وطارا بها واوصلاها الى مكانها وارقداها في فراشها وتوجها الى حال سبيلهما . وكذلك فعلت ميمونة . فلما انشقّ الفجر انتبه قمر الزمان من منامه . فالتفت يميناً وشمالاً فلم يجد الصبية فقال في نفسه : ما هذا الامر كان ابي يرغبني في الزواج بالصبية التي كانت عندي ثم اخذها سرّاً لاجل ان تزداد رغبتي في

الزواج . ثم انهُ صرخ على الخادم الذي هو نائم على البـاب وقال لهُ : ويلك يا صواب قم على حيلك

(الليلة السادسة والثمانون بعد المائة) . فقام الخادم وهو طائش العقـل من النوم وقدم الطست والابريق . فقام قمر الزمان وتوضأ وصلى الصبح وجلس يسبح الله تعالى . ثم نظر الى الخادم فوجده واقفاً في خدمته بين يديه فقـال لهُ : ويلك يا صواب اين الصبية . فقال لهُ الخادم : ايّ صبية . قال : الصبية التي كانت عندي . فقال الخادم : والله ما كان عندك صبيـة ولا غيرهـا . ومن اين دخلت الصبية وانا نائم على الباب وهو مقفول . والله يا سيـدي ما دخل عليك ذكر ولا انثى . فقال لهُ قمر الزمان : تكذب يا عبد النحس . وهل وصل من قدرك انك تخادعني ولا تخبرني اين ذهبت الصبيـة ولا تعلمني بالذي اخذها من عندي . فقـال الطواشي وقد ارتعج منهُ : والله يا سيـدي ما رأيت صبية ولا صبياً . فغضب قمر الزمان من كلام الخادم وقال لهُ : يا ملعون ان ابي علمك المكر. تعالَ اليّ . فتقدم الخادم الى قمر الزمان. فمسـك قمر الزمان باطواقه وضرب بهِ الارض . ثم برك عليهِ ورفسه برجله وخنقه حتى غشي عليهِ ثم رفعـه بعد ذلك وربطه في رشاء البئر وادلاه الى ان وصل الى المـاء وارخاه . وكانت تلك الايام ايام برد وشتاء قاطع فغطس الخادم في الماء . ثم نشـله قمر الزمان وارخاه ثانياً . وما زال يغطس ذلك الخادم في الماء وينشله منهُ والخادم يستغيث ويصرخ ويصيح وقمر الزمان يقول لهُ : والله يا ملعون ما اخرجك من هذه البـئر حتى تعلمني بخبر هذه الصبية وقضيتها ومن الذي اخذها

(الليلة السابعة والثمانون بعد المائة) . فقال لهُ العبد بعد ما عاين الموت : يا سيدي اطلقني وانا احكي لكَ الصحيح واخبرك بالخبر . فعنـد ذلك جذبهُ من

البئر واخرجه وهو غائب عن الوجود من شدة ما قاساه من البرد والعذاب والخوف من الغرق والضرب . وصار يرتعد مثل القصبة في الريح العاصف واشتبكت اسنانه ببعضها وابتلّت ثيابه وتلوث بدنهُ وتشطب من حيطان البئر وصار في حالة شنيعة . فعند ذلك شفق عليهِ قمر الزمان . فلما رأى الخادم نفسه على وجه الارض قال لهُ : يا سيدي دعني اروح واقلع ثيابي واعصرها وانشرها في الشمس والبس غيرها ثم احضر اليك سريعاً واخبرك بالخبر الصحيح . فقال لهُ قمر الزمان : يا عبد السوء لولا انك عاينت الموت ما اقررت بالحق وما قلت ذلك. فاخرج لقضاء اغراضك وعد اليَّ سريعاً واخبرني على الصحيح. فعند ذلك خرج العبد وهو لا يصدق بالنجاة. ولم يزل يجري ويقع ويقوم الى ان دخل على الملك شهرمان ابي قمر الزمان . فرآه جالساً والوزير بجانبه وهما يتحدثان في امر قمر الزمان والملك يقول للوزير : اني لم انم هذه الليلة من اشتغال قلبي على ولدي قمر الزمان واني اخاف ان يحصل لهُ ضرر في هذا البرج العتيق واي شيء كان في سجنه من المصلحة . فقال لهُ الوزير : لا تخف عليهِ والله لا يصيبه شيء ابداً فاتركهُ مسجوناً شهر زمان حتى تلين عريكته وتنكسر نفسه ويهدأ خلقه. فبينما هما في الكلام واذا بالخادم دخل عليهما وهما في تلك الحالة. فانزعج الملك منهُ . فقال لهُ الخادم : يا مولانا السلطان ان ولدك طار عقله وصار مجنوناً وقد فعل بي كذا وكذا حتى صرت كما تراني وهو يدَّعي ان صبية كانت عنده وذهبت بخفية ويسألني ان اعرفه بمكانها واخبره بخبرها وبمن اخذها . وانا ما رأيت لا صبية ولا صبياً والباب طول الليل مغلق وانا نائم على الباب والمفتاح تحت رأسي وفتحت لهُ في الصبح بيدي . فلما سمع الملك شهرمان هذا الكلام عن ولده قمر الزمان صرخ قائلاً : وا ولداه. وغضب على الوزير الذي كان سبباً في هذه الامور غضباً شديداً

وقال له : قم اكشف لي خبر ولدي وانظر ما جرى في عقله . فقام الوزير وخرج وهو يتعثر في اذياله من خوفه من سطوة الملك وراح مع الخادم الى البرج وكانت الشمس قد طلعت . فدخل الوزير على قمر الزمان فوجده جالساً على السرير يقرأ القرآن . فسلم عليهِ الوزير وجلس الى جانبه وقال له : يا سيدي ان هذا الخادم السوء اخبرنا بخبر شوَّش علينا وازعجنا فاغتاظ الملك من ذلك . فقال له قمر الزمان : وما الذي قال لكم عني حتى شوَّش على ابي وفي الحقيقة هو ما شوَّش ألا عليَّ . فقال لهُ الوزير : انهُ جاء الينا بحالة منكرة واخبر والدك خبرًا اترَّهك عنهُ وكذب علينا بما لا ينبغي ان يذكر في شأنك . فسلامة شبابك وسلامة عقلك الرجيح ولسانك الفصيح وحاشا ان يظهر منك قبيح . فقال له قمر الزمان : ايها الوزير فايّ شيء قالهُ هذا العبد النحس عني . فقال له الوزير : انهُ اخبرنا ان عقلك ذهب وقلتَ له انهُ كان عندك صبية وكلفتهُ ان يخبرك اين ذهبت وعذَّبته على ذلك

(الليلة الثامنة والثانون بعد المائة) . فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام اغتاظ غيظاً شديدًا وقال للوزير : تبيَّن لي انكم علمتم الخادم الفعل الذي صدر منهُ ومنعتموه من ان يخبرني بامر الصبية التي كانت عندنا . وانت ايها الوزير اعقل من الخادم فاخبرني في هذه الساعة اين ذهبت الصبية . فانتم الذين ارسلتموها اليَّ . فلما انتبهتُ ما وجدتها فاين هي الآن . فقال له الوزير : ياسيدي قمر الزمان اسم الله حواليك والله ما ارسلنا لك في هذه الليلة احدًا . وقد نمت وحدك والباب مقفول عليك والخادم نائم من خلف الباب وما اتى اليك صبية ولا غيرها . فثبّت عقلك وارجع اليهِ يا سيدي ولا تشغل خاطرك . فقال له قمر الزمان وقد اغتاظ من كلامه : ايها الوزير ان تلك الصبية انا ارضاها زوجة لي .

فتعجب الوزير من كلام قمر الزمان وقال له: هل انت رأيت تلك الصبية في هذه الليلة بعينك في اليقظة ام في المنام. فقال له قمر الزمان: يا ايها الشيخ اتظنّ اني رأيتها باذني . انما رأيتها بعيوني في اليقظة. وانما انتم قد علّمتموها واوصيتموها انها لا تكلمني. ثم انتبهت من منامي فلم اجدها. فقال له الوزير: يا سيدي قمر الزمان ربما تكون انت رأيت هذا الامر في المنام فيكون اضغاث احلام او تخيلات من اكل مختلف الطعام . او وسوسة من الشياطين اللئام . فقال له قمر الزمان: يا ايها الشيخ النحس كيف تهزأ بي وتقول لي: لعل هذا اضغاث احلام. مع ان هذا الخادم كان قد اقرّ لي بتلك الصبية وقال لي: في هذه الساعة اعود اليك واخبرك بقصتها . ثم ان قمر الزمان قام من وقته وساعته وتقدم الى الوزير وقبض لحيته في يده وكانت لحيته طويلة فاخذها قمر الزمان ولفها على يده وجذبه منها فرماه من فوق السرير والقاه على الارض. فشعر الوزير ان روحه طلعت من شدّة نتف لحيته . وما زال قمر الزمان يرفس الوزير برجليه ويلكمه في صدره وعلى اضلاعه ويصفعه على قفاه بيديه حتى كاد ان يهلكه . فقال الوزير في نفسه: اذا كان العبد الخادم خلص نفسه من هذا الصبي المجنون بكذبة فانا اولى بذلك منهُ واخلص نفسي انا الآخر بكذبة والّا يهلكني . فها انا اكذب واخلص نفسي منهُ فانهُ مجنون ولا شك في جنونه . ثم ان الوزير التفت الى قمر الزمان وقال له: يا سيدي لا تؤاخذني فان والدك قد اوصاني ان اكتم عنك خبر هذه الصبية وانا الآن عجزت وتألمت من الضرب لاني رجل كبير وليس لي جلد ولا قوّة على تحمل الضرب. فتمهل عليّ قليلًا حتى احدثك واخبرك بقصّة الصبية . فعند ما سمع منهُ ذلك رفع عنهُ الضرب وقال له: لاي سبب لم تخبرني بخبر تلك الصبية الّا بعد الاهانة والضرب فقم يا شيخ النحس واحك لي خبرها. فقال له الوزير:

هل تسأل عن تلك الصبية صاحبة الوجه المليح والقد الرجيح . فقال لهُ قمر الزمان : نعم اخبرني ايها الوزير من الذي اتى بها اليَّ ومن الذي اخذها في الليل واين ذهبت هي في هذه الساعة حتى اروح انا اليها بنفسي . فان كان ابي الملك شهرمان فعل معي هذه الفعال وامتحنني بتلك الصبية المليحة من اجل زواجها فانا رضيت ان اتزوج بها واريح نفسي من هذا . فانهُ ما فعل معي هذا الامر كلهُ الّا من اجل امتناعي من الزواج . فها انا راضٍ بالزواج ها انا راضٍ بهِ فاعلم والدي بذلك ايها الوزير واشر عليهِ ان يزوجني بتلك الصبية فاني لا اريد سواها وقلبي لا يحب الّا اياها . فقم واسرع الى ابي وأشر اليهِ بتعجيل زواجي ثم عد اليَّ بالجواب في هذه الساعة . فقال لهُ الوزير : نعم . وما صدق انهُ يخلص من يديه . ثم قام من عنده وخرج من البرج وهو يمشي ويعثر من شدة الخوف والفزع ولم يزل يجري الى ان دخل على الملك شهرمان

(الليلة التاسعة والثمانون بعد المائة) . فلما وصل اليهِ قال لهُ الملك : ايها الوزير ما الذي دهاك . ومن الذي بشرّه رماك . وما لي اراك في ارتباك . حتى جئت مرعوباً . فقال لهُ : ايها الملك اني قد جئتك ببشارة . فقال لهُ الملك : وما هي . قال لهُ : اعلم ان ولدك قمر الزمان قد ذهب عقله وحصل لهُ جنون . فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء في وجههِ ظلاماً وقال لهُ : ايها الوزير أوضح لي صفة جنونه . قال لهُ : يا سيدي سمعاً وطاعة . ثم اعلمه انهُ قد جرى منهُ كذا وكذا واخبره بما تمَّ لهُ معهُ . فقال لهُ الملك : أبشر ايها الوزير فاني اعطيك في نظير بشارتك اياي بجنون ولدي ضرب رقبتك وزوال النعمة عنك يا انحس الوزراء وانجس الامراء لاني اعلم انك سبب جنون ولدي بمشورتك ورأيك الفاسد التعيس الذي اشرت بهِ عليَّ في الاول والآخر . والله ان كان يأتي على

ولدي شيء من الضرر او الجنون لاسمرنّك على القبة واذيقنك النكبة . ثم ان الملك نهض قائماً على اقدامه واتى بالوزير الى البرج ودخل بهِ على قمر الزمان. فلما وصلا اليهِ وثب قمر الزمان على الاقدام ونزل سريعاً من فوق السرير الذي هو جالس عليهِ وقبَّل يدي والده وتأخر وراءهُ واطرق برأسه الى الارض وهو مكتف اليدين قدام ابيه . ولم يزل كذلك ساعة زمانية. وبعد ذلك رفع رأسه الى والده وفرّت الدموع من عينيهِ وسالت على خديه وانشد يقول :

ان كنت قد اذنبت ذنباً سالفاً   في حقكم واتيت شيئاً منكرا
انا تائبٌ عمّا جنيت وعفوكم   يسع المسيء اذا اتى مستغفرا

فعند ذلك قام الملك وعانق ولده قمر الزمان وقبله بين عينيه واجلسه الى جانبه فوق السرير والتفت الى الوزير ونظر اليهِ بعين الغضب وقال لهُ : يا كلب الوزراء كيف تقول ان ولدي قمر الزمان هو كذا وكذا وترعب قلبي عليه . ثم التفت الملك الى ولده وقال لهُ : يا ولدي ما اسم هذا اليوم . فقال له: يا والدي هذا يوم السبت وغداً يوم الاحد وبعده يوم الاثنين وبعده الثلثاء وبعده الاربعاء وبعده الخميس وبعده الجمعة . فقال لهُ الملك : يا ولدي يا قمر الزمان الحمد لله على سلامة عقلك . ما اسم هذا الشهر الذي علينا بالعربي . فقال : اسمهُ ذو القعدة ويليه ذو الحجّة وبعده محرَّم وبعده صفر وبعده شهر ربيع الاول وبعده شهر ربيع الآخر وبعده جمادى الاولى وبعده جمادى الاخرى وبعده رجب وبعده شعبان وبعده رمضان وبعده شوال . ففرح بذلك الملك فرحاً شديداً وبصق في وجه الوزير وقال لهُ : يا شيخ السوء كيف تزعم ان ولدي قد جنّ وما جنّ الّا انت . فعند ذلك حرّك الوزير رأسه واراد ان يتكلم . ثم خطر بباله ان يتمهل قليلًا لينظر ماذا يكون . ثم ان الملك قال لولده: يا ولدي اي شيء هذا الكلام

الذي تكلمت بهِ للخادم والوزير حيث قلت لهما انهُ كان عندك صبية . فما شأن هذه الصبية التي ذكرتها . فضحك قمر الزمان من كلام ابيهِ وقال له : يا ابي اعلم انهُ ما بقي لي قوة تتحمل السخرية فلا تزيدوا عليَّ ولا كلمة واحدة فقد ضاق خلقي مما تفعلونه معي . واعلم يا ابي علماً يقيناً اني قد رضيت بالزواج ولكن بشرط ان تزوّجني تلك الصبية التي كانت عندي . فاني اتحقق انك انت الذي ارسلتها اليَّ وشوّقتني اليها وقبل الصبح اخذتها من عندي

(الليلة الموفية للتسعين بعد المائة) . فقال الملك : اسم الله حواليك يا ولدي سلامة عقلك من الجنون . فاي شيء هذه الصبية التي تزعم انت اني ارسلتها اليك في هذه الليلة ثم ارسلت اخذتها من عندك قبل الصباح . فوالله يا ولدي ليس لي علم بهذا الامر . فبالله عليك ان تخبرني هل ان ذلك اضغاث احلام او تخيلات طعام . فانك بتَّ في هذه الليلة وانت مشغول الخاطر بالزواج وموسوس بذكره . فلعن الله الزواج وساعته ولعن من اشار بهِ . فلا شك ولا ريب انك متكدّر المزاج من جهة الزواج . ومن ثم رأيت في المنام ان صبية اتت عندك وانت تعتقد في نفسك انك رأيتها في اليقظة . وهذا كلهُ يا ولدي اضغاث احلام . فقال لهُ قمر الزمان : دع عنك هذا الكلام واحلف لي بالله الخالق العلام قاصم الجبابرة ومبيد الاكاسرة انهُ لم يكن عندك خبر بالصبية ومحلها . فقال لهُ الملك : وحق الله العظيم اله موسى وابراهيم . انهُ لم يكن لي علم بذلك ولا عندي منهُ خبر وانما ذلك اضغاث احلام رأيتهُ أنت في المنام

(الليلة الحادية والتسعون بعد المائة) . فقال قمر الزمان لوالده : انا اضرب لك مثلاً يبين لك ان هذا كان في اليقظة . واني اسألك هل اتفق لاحد انهُ رأى نفسه في المنام يقاتل وقد قاتل قتالاً شديداً وبعد ذلك استيقظ من

منامه فوجد في يده سيفاً ملوثاً بالدم . فقال لهُ والده : لا والله يا ولدي لم يتفق هذا . فقال قمر الزمان لوالده : انا اخبرك بما حصل لي وهو اني رأيت في هذه الليلة كاني استيقظت من منامي نصف الليل فوجدت بنتاً واخذت خاتمها ولبستهُ في اصبعي وقلعتُ خاتمي ولبستهُ في اصبعها وظننت انك ترغبني في الزواج . وبعد ذلك انتبهت من منامي في وجه الصبح فلم اجد للصبية اثرًا ولا وقفت لها على خبر . وجرى لي مع الخادم والوزير ما جرى . فكيف يكون هذا الامر مناماً وكذباً . وامر الخاتم صحيح . ولولا الخاتم كنت اظن انه منام . وهذا خاتمها في خنصري . فانظر ايها الملك الى الخاتم كم يساوي . ثم ان قمر الزمان ناول الخاتم لابيهِ فاخذه وتأمله وقلبهُ . ثم التفت الى ولده وقال لهُ : ان لهذا الخاتم نبأً عظيماً وخبرًا جسيماً . وان الذي اتفق لك في هذه الليلة مع تلك الصبية امر مشكل ولا اعلم من اين دخل علينا هذا الدخيل . وما سبب هذه الفتنة كلها الَّا الوزير . فبالله عليك يا ولدي اصبر حتى يفرج الله عنك هذه الكربة ويأتيك بالفرج العظيم فان بعض الشعراء قال :

عسى ولعلَّ الدهر يلوي عنانهُ ويأتي بخيرٍ فالزمان غيورُ
وتسعد آمالي وتقضى حوائجي وتحدث من بعد الامور امورُ

فيا ولدي اني تحققت في هذه الساعة انهُ ما بكَ جنون . ولكن قصتك غريبة لا يجليها عنك الَّا الله تعالى . فقال له قمر الزمان : بالله يا والدي انك تفعل معي جميلًا وتفحص لي عن هذه الصبية وتعجل بقدومها والَّا متَ كمدًا ولم يدرِ بموتي احد . ثم قال الوزير للملك : يا ملك العصر والاوان الى متى انت تقعد عند ولدك وانت محجوب عن العساكر فربما ينفسد عليك نظام مملكتك بسبب بعدك عن ارباب دولتك . والعاقل اذا كان بجسمه جراحات مختلفة فليداو

الاخطر منها . والرأي عندي ان تنقل ولدك من هذا المكان الى القصر الذي في السراية المطل على البحر وتنقطع عند ولدك فيهِ . وتجعل للديوان والموكب في كل جمعة يومين . يوم الخميس ويوم الاثنين . فيدخل عليك فيهما الامراء والوزراء والحجاب والنواب وارباب الدولة وخواص المملكة وبقية العسكر والرعية ويعرضون عليك احوالهم . فاقضِ لهم حوائجهم واحكم بينهم وخذ واعطِ معهم وأمر وانهِ بينهم . وبقية الجمعة تكون عند ولدك قمر الزمان . ولا تزل على هذه الحالة حتى يفرج الله عنك وعنهُ . ولا تأمن ايها الملك من نوائب الزمان وطوارق الحدثان . فان العاقل دائمًا محاذر . وما احسن قول الشاعر :

حسَّنت ظنك بالايام اذ حسنتْ ولم تخف سوء ما يأتي بهِ القدرُ
وسالمتك الليالي فاغتررت بهـا وعند صفو الليالي يحدث الكدرُ
يا معشر الناس من كان الزمان لهُ مساعدًا فليكن من رأيه الحذرُ

(الليلة الثانية والتسعون بعد المائة) . فلما سمع السلطان من الوزير هذا الكلام رآه صوابًا ونصيحة لهُ في مصلحته . فأثر فيهِ وخاف ان ينفسد عليه نظـام الملك فنهض من وقته وساعتــه وأمر بتحويل ولده من ذلك المكان الى القصر الذي في السراية المطل على البحر . وهذا القصر كان في وسط البحر يمشون اليه على ممشاة عرضها عشرون ذراعًا . وبدائر القصر شبابيك مطـلة على البحر وارضه مفروشة بالرخام الملون وسقفه مدهون بانواع الادهان الفاخرهـا ومنقوش بالذهب واللازورد . ففرشوا لقمر الزمان فيــهِ فرش الحرير الفاخر والبسط المطرزة والبسوا حيطـانه خاص الديباج وارخوا عليهِ الستارات المكللـة بالجواهر واجلسوا فيهِ قمر الزمان على سرير من العرعر . مكلل بالدر والجوهر . فجلس قمر الزمـان عليهِ . الَّا انهُ من شدة اشتغاله بالصبية تغير لونه ونحــل جسمه وصار لا ياكل

ولا يشرب ولا ينام واصبح كالمريض مضى عليه عشرون سنة . فجلس والده عند رأسه وحزن عليه حزناً عظيماً وصار الملك في كل يوم اثنين ويوم خميس يأذن في دخول الامراء والحجاب والنواب وارباب الدولة والعساكر والرعية في ذلك القصر. فيدخلون عليه ويؤدون وظائف الخدمة ويقيمون عنده الى آخر النهار. ثم ينصرفون الى حال سبيلهم . ثم يدخل الملك الى ولده في ذلك المكان ولا يفارقه ليلاً ولا نهاراً . ولم يزل على تلك الحالة مدة ايام وليالٍ من الزمان

هذا ما كان من امر قمر الزمان ابن الملك شهرمان . واما ما كان من امر الملكة بدور . بنت الملك الغيور . صاحب الجزائر والسبعة قصور . فان الجن لما حملوها ووضعوها في فراشها لم تزل نائمة الى ان طلع الفجر. فانتبهت من منامها وجلست على حيلها والتفتت يميناً وشمالاً فلم ترَ الشاب الذي كان عندها فرجف فؤادها وزال عقلها وصرخت صرخة عظيمة فاستيقظ جميع جواريها والقوابل والقهرمانات ودخلنَ عليها . فتقدمت اليها كبيرتهنَّ وقالت لها: ياسيدتي ما الذي اصابكِ . فقالت لها : ايتها العجوز النحس اين الشاب المليح الذي كان عندي . فاخبريني اين راح . فلما سمعت منها القهرمانة هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاماً وخافت من بأسها خوفاً عظيماً وقالت : يا سيدتي بدور اي شيء هذا الكلام القبيح . فقالت الملكة بدور : ويلكِ يا عجوز النحس اين الشاب المليح . صاحب الوجه الصبيح . والقد الرجيح . والعيون السود . والحواجب المقرونة . فقالت : والله ما رأيت شاباً ولا غيره . فبالله يا سيدتي لا تمزحي هذا المزاح الخارج عن الحد فتروح ارواحنا . وربما يبلغ اباكِ هذا المزاح فمن يخلصنا من يده

(الليلة الثالثة والتسعون بعد المائة) . فقالت لها الملكة بدور : كان

عندي غلام وهو من احسن الناس وجهاً . فقالت لها القهرمانة : سلامة عقلكِ ما كان احد عندكِ . فعند ذلك نظرت بدور الى يدها فوجدت خاتم قمر الزمان في اصبعها ولم تجد خاتمها . فقالت للقهرمانة : ويلكِ يا خائنة اتكذبين عليَّ وتقولين ما كان احد عندي وتحلفين لي بالله باطلاً . فقالت القهرمانة : والله ما كذبت عليكِ ولا حلفت باطلاً . فاغتاظت منها الملكة بدور واستلّت سيفاً كان عندها وضربت بهِ القهرمانة فقتلتها. فعند ذلك صاح الخدم والجواري والسراري عليها وراحوا الى ابيها واعلموهُ بحالها . فأتى الملك الى ابنته بدور من وقته وساعته وقال لها : يا بنتي ما خبركِ . فقالت : يا ابي اين الشاب الذي كان عندي . وطار عقلها من دماغها وصارت تلتفت يميناً وشمالاً ثم شقت ثوبها . فلما رأى ابوها تلك الفعال . امر الجواري ان يمسكوها فمسكوها وقيدوها وجعلوا في رقبتها سلسلة من حديد وربطوها في الشباك الذي في القصر وتركوها

هذا ما كان من امر الملكة بدور . واما ما كان من امر ابيها الملك الغيور فانهُ لما رأى ما جرى على ابنته الملكة بدور ضاقت عليهِ الدنيا لانهُ كان يحبها وما هان عليهِ امرها . فعند ذلك احضر الحكماء والمنجمين واصحاب الاقلام وقال لهم : كل من ابرأ بنتي مما هي فيهِ زوَّجته بها واعطيته نصف مملكتي . ومن تقدم اليها ولم يبرئها اضرب عنقه واعلق رأسه على باب قصرها . فصار كل من دخل اليها من دون ان يبرئها يَضرب عنقه ويعلق رأسه على باب القصر الى ان قطع من اجلها اربعين رأساً من رؤوس الحكماء . وصلب اربعين رجلاً من المنجمين . فتوقفت جميع الناس عنها وعجزت جميع الحكماء عن دوائها وأشكلت حكايتها على اهل العلوم وارباب الاقلام . ثم ان الملكة بدور لما زاد بها الوجد بكت حتى مرضت عيناها وتغيرت وجنتاها واستمرت على هذا الحال ثلث سنين . وكان لها اخ من

الرضاع يسمى مرزوان وكان سافر الى اقصى البلاد وغاب عنها تلك المدة بطولها وكان يحبها محبة زائدة على محبة الاخوة . فلما حضر دخل على والدته وسألها عن اخته الملكة بدور . فقالت لهُ : يا ولدي ان اختك حصل لها جنون ومضى عليها ثلث سنين وفي رقبتها سلسلة من حديد وعجزت جميع اهل الطب واهل الحكمة عن دوائها . فلما سمع مرزوان هذا الكلام قال : لا بدَّ من دخولي عليها لعلي اعرف ما بها واقدر على دوائها . فلما سمعت امه كلامه قالت : لا بدَّ من دخولك عليها ولكن تمهل الى غدٍ حتى اتحيل في امرك . ثم ان امه ترجلت الى قصر السيدة بدور واجتمعت بالخادم الموكل بالباب واهدت لهُ هديَّة وقالت لهُ : ان لي بنتاً وقد تربت مع السيدة بدور وقد زوَّجتها ولما جرى لسيدتك ما جرى صار خاطرها متعلقاً بها وانا اقصد من فضلك ان تأتي بنتي اليها ساعة ثم ترجع من حيث جاءت ولا يعلم بها احد . فقال الخادم: لا يمكن ذلك الَّا في الليل فبعد ان يأتي السلطان ينظر ابنته ويخرج فادخلي انتِ وابنتكِ . فقبَّلت العجوز يد الخادم وخرجت الى بيتها فصبرت الى ثاني يوم العشاء . فلما جاء وقته قامت من وقتها وساعتها واخذت ولدها مرزوان والبستهُ ثوبًا من ثياب النساء وجعلت يده في يدها وادخلتهُ القصر . وما زالت تمشي بهِ حتى اوصلتهُ الى الخادم بعد انصراف السلطان من عند بنته . فلما رآها الخادم قام واقفاً وقال لها : ادخلي ولا تطيلي القعود . فلما دخلت العجوز بولدها رأى مرزوان السيدة بدور في تلك الحالة فسلم عليها بعد ان كشفت عنهُ امه ثياب النساء . فأخرج مرزوان الكتب التي معهُ وأوقد شمعته وقرأ بعض اقسام . فنظرت اليه السيدة بدور فعرفتهُ وقالت له : يا اخي انت كنت سافرت وانقطعت اخبارك عنَّا . فقال لها : صحيح ولكن ردَّني الله بالسلام . واردت السفر ثانياً فما ردَّني عنهُ الَّا هذا الخبر

الذي سمعتهُ عنكِ فاحترق قلبي عليكِ وجئت لعلي اخلصكِ مما انتِ فيهِ. فقالت لهُ : يا اخي هل انت تظنُّ ان الذي اعتراني جنون . قال : نعم . قالت : لا والله وانما هو كما قال الشاعر :

نعم جننتُ فهاتوا من جننتُ بهِ ان كان يشفي جنوني لا تلوموني

فعند ذلك علم مرزوان ان لها قصة. فقال لها : احكي لي قصتكِ وما اصابكِ لعله يكون بيدي شيء افعله ويكون فيهِ خلاصكِ

(الليلة الرابعة والتسعون بعد المائة) . فقالت لهُ السيدة بدور يا اخي اسمع قصتي . وذلك اني استيقظت من منامي ليلة في الثلث الاخير من الليل وجلست على حيلي فنظرت الى جانبي شابًّا احسن ما يكون من الشباب يكلُّ عن وصفه اللسان. كانهُ غصن بان. او قضيب خيزران . فظننت ان ابي هو الذي امره بهذا الامر ليمتحنني بهِ لانهُ راودني عن الزواج لما خطبني منهُ الملوك فأبيت . فهذا الظن هو الذي منعني من ان انبههُ . فلما اصبحت رأيت بيدي خاتمه عوضًا عن خاتمي الذي اخذه مني . فهذه حكايتي وسبب جنوني . وانا يا اخي قد تعلق قلبي بهِ من حين رؤيته ومن كثرة محبتي لهُ لم اذق طعم المنام . وما لي شغل غير الدموع والبكاء وانشاد الاشعار بالليل والنهار . ثم افاضت العبرات وقالت لمرزوان : انظر يا اخي ما الذي تعمل معي في الذي اعتراني . فاطرق مرزوان رأسه الى الارض ساعة وهو يتعجب وما يدري ما يفعل . ثم رفع رأسه وقال لها : ان حكاية هذا الشاب اعيت فكري ولكن ادور في جميع البلاد وافتش على دوائكِ لعل الله يجعله على يدي . ولكن اصبري ولا تجزعي

ثم ان مرزوان ودعها ودعا لها بالثبات وخرج من عندها وتمشى الى بيت والدته . فنام تلك الليلة . فلما اصبح تجهز للسفر فسافر . ولم يزل مسافرًا من

مدينة الى مدينة ومن جزيرة الى جزيرة مدة شهر كامل حتى دخل الى مدينة يقال لها الطيرب ومشى يستنشق الاخبار من الناس لعلهُ يجد دواء الملكة بدور . وكان كل ما يدخل مدينة او يمرّ بها يسمع ان الملكة بدور بنت الملك الغيور قد حصل لها جنون . الى ان وصل الى مدينة الطيرب فسمع خبر قمر الزمان ابن الملك شهرمان بانهُ مريض وانهُ اعتراه وسواس وجنون . فسأل مرزوان عن اسم مدينته . فقالوا لهُ : انهُ في الجزائر الخالدات وهي من مدينتنا هذه مسيرة شهر كامل في البحر واما في البرّ فستة اشهر . فنزل مرزوان في مركب كان متوجهاً الى الجزائر الخالدات . فطاب لهُ الريح مدة شهر فاشرفوا على الجزائر الخالدات . ولما اشرفوا عليها ولم يبقَ لهم الّا الوصول الى الساحل اذا بريح عاصف خرج عليهم ورمى الصواري ومزّق القماش ووقعت القلوع في البحر وانقلب المركب بجميع ما فيهِ

(الليلة الخامسة والتسعون بعد المائة) . فعند ذلك اشتغل كل واحد بنفسه . واما مرزوان فان الموج قذفهُ حتى اوصله الى تحت قصر الملك الذي فيهِ قمر الزمان . واتفق بالامر المقدر انهُ في هذا اليوم يجتمع على الملك شهرمان اهل دولته وارباب مملكته للخدمة . وكان الملك جالساً ورأس ولده قمر الزمان في حجره . وكان قد مضى عليهِ يومان ما تكلم ولا اكل ولا شرب . وصار انحف من المغزل . وكان الوزير واقفاً عند رجليهِ قريب الشباك المطل على البحر . فرفع الوزير بصره فرأى مرزوان قد اشرف على الهلاك من التيار وصار على آخر نفَس . فرقَّ عليهِ قلب الوزير فتقرَّب الى الملك وقال لهُ : استأذنك ايها الملك في ان انزل الى ساحة القصر وافتح بابها لانقذ انساناً قد اشرف على الغرق في البحر واخرجه من الضيق الى الفرج . ولعلّ الله بسبب ذلك يخلص ولدك مما

هو فيه . فقال لهُ الملك: ايها الوزير يكفي ما جرى على ولدي منك وبسببك.
وربما انك اذا اخرجت هذا الغريق يطلع على احوالنا وينظر الى ولدي وهو في
هذه الحالة فيشمت بي . ولكن اقسم بالله ان خرج هذا الغريق ونظر الى ولدي
وخرج يتحدث مع احد باسرارنا لاضربنَّ رقبتك قبله لانك ايها الوزير سبب ما
جرى لنا اولاً وآخرًا. فافعل ما بدا لكَ . فنهض الوزير وفتح باب سرّ القصر
النافذ الى البحر ونزل في المشاة عشرين خطوة . ثم خرج الى البحر فرأى مرزوان
مشرفًا على الموت . فمدَّ الوزير يده اليهِ ومسكه من شعر رأسه وجذبهُ منه . فخرج
من البحر وهو في حال العدم وقد امتلأ بطنهُ ماء وبرزت عيناه . فصبر الوزير
عليهِ حتى ردَّت روحه اليه . ثم نزع عنهُ ثيابه والبسهُ ثيابًا غيرها وعممهُ بعمامة
من عمائم غلمانه وقال لهُ : اعلم اني كنت سببًا لنجاتك من الغرق فلا تكن انت
سببًا لموتي

(الليلة السادسة والتسعون بعد المائة) . فقال مرزوان: وكيف ذلك.
قال الوزير : لانك في هذه الساعة تمشي بين امراء ووزراء جميعهم ساكتون
لا يتكلمون لاجل قمر الزمان ابن السلطان . فلما سمع مرزوان ذكر قمر الزمان عرفهُ
لانهُ كان يسمع بحديثه في البلاد وأتى في طلبه ولكنهُ تجاهل وقال للوزير :
ومَن قمر الزمان . فقال الوزير : هو ابن السلطان شهرمان وهو ضعيف ملقىً
على الفراش ليس لهُ قرار ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام لا بالليل ولا بالنهار
وقد اشرف على الموت ويئسنا من حياته وايقنا بوفاته . واياك ان تطيل النظر
اليهِ او تنظر الى غير الموضع الذي تحط فيهِ رجلك والّا تروح روحك وروحي .
فقال لهُ : بالله عليك ايها الوزير ارجو من تفضلاتك ان تخبرني عن هذا الشاب
الذي وصفتهُ لي ما سبب هذا الامر الذي هو فيهِ . فقال لهُ الوزير : لا اعلم لهُ

سبباً الا ان والده من منذ ثلث سنين سألهُ ان يتزوج فأبى. فغضب عليهِ وسجنه. فاصبح وهو يزعم انهُ كان نائماً فرأى صبيـة بارعة الجمال. يعجز عن وصف حسنها اللسان . وذكر لنا انهُ نزع خاتمها من اصبعها ولبسهُ والبسها خاتمه ونحن لا نعرف باطن هذه القضية. فبالله يا ولدي اذا صعدت معي الى القصر لا تنظر الى ابن الملك ورُحْ الى حال سبيلك فان السلطان قلبهُ ملآن عليَّ غيظاً . فقال مرزوان في نفسه : والله ان هذا هو المطلوب . ثم صعد مرزوان وراء الوزير الى ان وصل الى القصر . فجلس الوزير تحت رجلي قمر الزمان واما مرزوان فانهُ لم يكن لهُ دأب الَّا انهُ مشى حتى وقف قدام قمر الزمان ونظر اليهِ . فمات الوزير في جلده من الخوف وصار ينظر الى مرزوان ويغمزه ليروح الى حال سبيله ومرزوان يتغافل وينظر الى قمر الزمان

(الليلة السابعة والتسعون بعد المائة) . فتحقق وعلم انهُ هو المطلوب. ثم قال : سبحان الله الذي جعل قدّه مثل قدها . وخده كخدها . ولونه كلونها. ففتح قمر الزمان عينيهِ وصغى باذنيهِ الى كلامه . فلما رآه مرزوان صاغياً الى ما يلقيهِ من الكلمات انشد يقول هذه الابيات :

اراك طروبـاً ذا شجاً وترنمِ	تميـل الى ذكر المحاسن بالفمِ
اصابك شوقٌ ام رُميت باسهمٍ	فما هذه الَّا سجيـة من رُمي
ألا فاسقني كاسات خمرٍ وغنِّ لي	بذكر سليمى والرباب وتنعمِ
فلا تحسبوا اني قُتلت بصـارمٍ	ولكن لحاظٌ قد رمتني باسهمِ
فلو قبل مبكاها بكيت صبابةً	لكنت شفيت النفس قبل التندمِ
ولكن بكت قبلي فهيَّج لي البكا	بكاها فقلت الفضـل للمتقدمِ
بكيت على من زين الحسن وجهها	وليس لها مثلٌ بعربٍ واعجمِ

لها علم لقمانٍ وصورة يوسفٍ ونغمة داودٍ وعفَّة مريمٍ
ولي حزن يعقوبٍ وحسرة يونسٍ وبلوة ايوبٍ وقصة آدمٍ

فلما انشد مرزوان هذه الابيات كانت على قلب قمر الزمان بردًا وسلامًا وتنهد ودار اسانه في فمه وقال لوالده : يا ابي دع هذا الشاب يأتي ويجلس الى جانبي

(الليلة الثامنة والتسعون بعد المائة) . فلما سمع السلطان من ولده قمر الزمان ذاك فرح فرحًا شديدًا بعد ان كان قلبهُ تغير من جهة مرزوان واضمر في نفسه انهُ لا بدَّ ان يرمي رقبته . ولكنهُ لما سمع ولده يتكلم زال ما بهِ ونهض قائمًا وجذب الغلام مرزوان واجلسه بجانب قمر الزمان واقبل الملك على مرزوان وقال لهُ : الحمد لله على سلامتك . فقال لهُ : سلم الله ولدك . ودعا للملك . فقال لهُ الملك : من ايّ البلاد انت . قال : من الجزائر الجوانية من بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور . فقال لهُ الملك شهرمان : عسى ان يكون قدومك مباركًا على ولدي وينجيهِ الله مما هو فيه . فقال : ان شاء الله تعالى ما يكون الّا الخير . ثم ان مرزوان أقبل على قمر الزمان وقال لهُ في اذنه في غفلة الملك واهل الدولة : يا سيدي شدَّ روحك وقوِّ قلبك وقرّ عينًا فان التي صرت من اجلها هكذا لا تسأل عما هي فيهِ من اجلك . ولكنك كتمت امرك فضعفت . واما هي فانها اظهرت امرها فقالوا : انها جنَّت . وهي الآن مسجونة وفي رقبتها سلسلة من الحديد وهي في اسوإ حال . وان شاء الله تعالى يكون دواؤكما على يدي . فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام ردَّت روحهُ اليهِ واشتدَّ قلبه وحصل عنده نشاط واشار الى ابيهِ ان يجلسه . فكاد الملك ان يطير من الفرح ونهض الى ولده واجلسه . فجلس قمر الزمان .

فنفض الملك المنديل من خوفه على ولده فانصرفت جميع الامراء والوزراء . ووضع لهُ مخدتين لجلس متكئاً . وأمر الملك ان يطيَّب القصر بالزعفران . ثم أمر بزينة المدينة وقال لمرزوان : والله يا ولدي ان طلعتك سعيدة مباركة . ثم اكرمه غاية الاكرام وطلب له الملك الطعام فقدموه لهُ . فتقدم مرزوان وقال لقمر الزمان : تقدم كلْ معي . فطاوعهُ وتقدم واكل معهُ . كلُّ هذا والملك يدعو لمرزوان ويقول : ما احسن قدومك يا ولدي . فلما رأى الملك اكل ولده زاد بهِ الفرح والسرور وخرج من وقته واخبر امَّه واهل القصر . فضربت البشائر في القصر لسلامة قمر الزمان . ونادى الملك بالزينة فزينت المدينة وفرحت الناس وكان يوماً عظيماً . ثم ان مرزوان بات تلك الليلة عند قمر الزمان وبات الملك عندهما من فرحته وهو مسرور بشفاء ولده

(الليلة التاسعة والتسعون بعد المائة) . فلما اصبح الصباح وانصرف الملك شهرمان وخلا مرزوان بقمر الزمان حدثه بالقصة من اولها الى آخرها وقال لهُ : اعلم انني اعرف التي اسمها السيدة بدور بنت الملك الغيور . ثم حدثهُ بما جرى للسيدة بدور من الاول الى الآخر واخبره بفرط محبتها لهُ وقال لهُ : جميع ما جرى لك مع ابيك جرى لها مع ابيها . وانت من غير شك حبيبها وهي حبيبتك . فشدَّ عزمك وقوِّ قلبك . فها انا اوصلك اليها واجمع بينك وبينها قريباً واعمل معكما كما قال الشاعر :

اذا صديقٌ صدَّ عن الفهِ ولم يزل في فرط اعراضِ
ألفت وصلًا بين شخصيهما كانني مسمار مقراضِ

ولم يزل مرزوان يقوّي قمر الزمان ويشجعه ويسليه ويحثُّه على الاكل والشرب حتى اكل الطعام وشرب الشراب وردت روحه اليه وعادت اليهِ قوته ونجا مما

كان فيهِ . كل ذلك ومرزوان يسليهِ بالاشعار والحكايات حتى ان قمر الزمان وقف على حيله وطلب ان يروح الى الحمام . فاخذه مرزوان بيده ودخلا الى الحمام فغسلا ابدانهما وتنظفا .

(الليلة الموفية للمائتين) . وأمر والده باطلاق المحابيس فرحاً بذلك وخلع الخلع السنية على ارباب دولتهِ وتصدق على الفقراء وأمر بزينة البلد فزينت المدينة سبعة ايام . ثم ان مرزوان قال لقمر الزمان : اعلم يا سيدي اني ما جئت من عند السيدة بدور الّا لهذا الامر وهو سبب سفري لاجل ان اخلصها مما هي فيه . وما بقي لنا الّا اننا ندبر حيلة في ذهابنا اليها . والرأي عندي انك في غدٍ تستأذن والدك في ان تخرج الى الصيد وتأخذ معك خرجاً ملآناً من المال وتركب الجواد وتأخذ معك جنيباً . وانا اركب معك . وقل لوالدك : اني اريد ان اتفرج في البرية واتصيد وانظر الفضاء وابيت هناك ليلة واحدة . فاذا خرجنا ذهبنا الى حالنا . ولا تخلِّ احدًا يتبعنا من الخدم . فقال قمر الزمان : نِعمَ هذا الرأي . وفرح بذلك فرحاً شديدًا واشتدَّ ظهره ودخل على والده فاخبره بذلك . فأذن لهُ والده في الخروج الى الصيد وقال لهُ : يا ولدي وانا لا اكره ذلك ولكن لا تبتْ الّا ليلة واحدة وفي غدٍ تأتي وتحضر اليَّ فانك تعلم انهُ ما يطيب لي عيش الّا بكَ . وانني ما صدقت انك شفيت مما كنت فيهِ وانت عندي كما قال الشاعر :

ولو ان لي في كل يومٍ وليلةٍ بساط سليمانٍ وملك الاكاسرهْ
لما ساويا عندي جناح بعوضةٍ اذا لم تكن عيني لشخصك ناظرهْ

ثم ان الملك جهز ولده قمر الزمان وجهز معهُ مرزوان وأمر ان يهيأ لهما اربعة من الخيل وهجين برسم المال وجمل يحمل الماء والزاد . ومنع قمرُ الزمان ان

يخرج معهُ احد في خدمته . فودَّعه ابوهُ وضمه الى صدره وقبَّله وقال لهُ : سألتك بالله لا تغب عني غير ليلة واحدة وحرام عليَّ المنام فيها فاني كما قال الشاعر :

وصالك عندي نعيمٌ نعيمْ وصبري عنكَ اليمٌ اليمْ
فديتكَ ان كان ذنبي الهوى اليكَ فذنبي عظيمٌ عظيمْ
أعندك مثليَ نارُ الجوى فاصلي بذاك عذاب الجحيمْ

فقال : يا ابي ان شاء الله لا ابيت غير ليلة . ثم ودعهُ وانصرف . وخرج قمر الزمان ومرزوان وركبا الخيل ومعهما الهجين عليهِ المال . والجمل عليهِ الماء والزاد . واستقبلا البرّ

(الليلة الاولى بعد المائتين) . وسافرا من اول النهار الى المساء ونزلا واكلا وشربا واطعما دوابهما واستراحا ساعةً ثم ركبا وسارا . وما زالا سائرين مدةً ثلثة ايام وفي رابع يوم بان لهما مكان متسع فيهِ غاب فنزلا فيهِ . فاخذ مرزوان جملًا وفرسًا وذبحهما وقطع لحمهما قطعًا ونجر عظمهما واخذ من قمر الزمان قميصه ولباسه وقطعهما قطعًا ولوثهما بدم الفرس واخذ جبة قمر الزمان ومزقها ولوثها بالدم ورماها في مفرق الطريق . ثم اكلا وشربا وركبا وسافرا . فسألهُ قمر الزمان عما فعله وقال لهُ : ما هذا يا اخي الذي فعلتهُ وماذا يفيد ذلك . فقال لهُ : اعلم ان والدك الملك شهرمان اذا غبنا عنهُ ليلة بعد الليلة التي اخذنا بها منهُ الاذن ولم نحضر لهُ فيها يركب ويسافر في اثرنا فاذا وصل الى هذا الدم الذي فعلته ورأى قميصك ولباسك مقطعًا وعليهِ الدم فيظن في نفسه انهُ جرى لك امر من قطاع الطريق او وحوش البرّ فينقطع رجاؤهُ منك ويرجع الى المدينة ونبلغ بهذه الحيلة ما نريد . فقال قمر الزمان : والله ان هذه حيلة مليحة . نعمَ ما فعلت . ثم انهما سارا اياماً وليالي . كل ذلك وقمر الزمان يشتكي

اذا انفرد بنفسه ويبكي . الى ان استبشر بقرب الديار . فانشد يقول هذه الاشعار:

اتجفو محبًا ما سلا عنك ساعةً   وترهد فيهِ بعد ما كنت راغبا
وما كان لي ذنبٌ فأستوجب الجفا   وان كان لي ذنبٌ فقد جئتُ تائبا
ومن عجبِ الايام انك هاجري   وما زالت الايام تُبدي العجائبا

فلما فرغ قمر الزمان من شعره قال لهُ مرزوان : انظر هذه جزائر الملك الغيور قد لاحت . ففرح قمر الزمان فرحًا شديدًا وشكر مرزوان على فعله وقبّل بين عينيه وضمَّه الى صدره

(الليلة الثانية بعد المائتين) . فلما وصلا الى الجزائر دخلا المدينة وانزله مرزوان في خان واستراحا ثلثة ايام من السفر . وبعد ذلك اخذ مرزوان قمر الزمان ودخل بهِ الحمام وألبسهُ لبس التجار وعمل لهُ تخت رمل من ذهب وعمل لهُ عدَّة وعمل لهُ اسطرلابًا من فضة مطليًا بالذهب وقال لهُ : قم يا مولاي وقفْ تحت قصر الملك ونادِ : انا الحاسب انا الكاتب انا الذي اعرف المطلوب والطالب انا الحكيم الماهر انا المنجم الباهر فاين الطالب . فان الملك اذا سمعك يرسل اليك ويدخل بك على ابنته الملكة بدور . فاذا دخلت عليها قل لهُ : اعطني مهلة ثلاثة ايام فان طابت زوجني بها . وان لم تطب افعل بي كما فعلت بالذين قبلي . فانهُ يقبل منك ذلك . فاذا صرت عندها عرّفها بنفسك فانها تشتدُّ اذ تراك ويزول ما بها من الجنون وهي تطيب في ليلة . فأطعمها واسقها ويفرح ابوها بسلامتها ويزوجك بها ويقاسمك في ملكه لانهُ شرط على نفسه هذا الشرط . والسلام

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام قال لهُ: لا عُدمت فضلك . واخذ منهُ العدة وخرج من الخان وسار الى ان وقف تحت قصر الملك الغيور ونادى : انا

الكاتب الحاسب . انا الذي اعرف المطلوب والطالب . انا الذي افتح الكتاب واحسب الحساب وافسر الاحلام واخط باقلام المطالب فأين الطالب . فلما سمع اهل المدينة هذا الكلام جاءوا اليهِ لان لهم مدة ما رأوا كاتبًا ولا منجمًا . فوقفوا حوله وصاروا يتأملونه . فرأوه على غاية من الجمال . واللطف والظرف والكمال . فوقفوا يتعجبون من حسنه وجماله . وقدّه واعتداله . فتقدم اليهِ واحد وقال لهُ : بالله عليك ايها الشاب المليح . صاحب اللسان الفصيح . لا تخاطر بنفسك وترمي روحك في الهلاك طمعًا في زواج الملكة بدور بنت الملك الغيور . وانظر بعينك الى هذه الروس المعلقة فان اصحابها كلهم قُتلوا بسبب ذلك . فلم يلتفت قمر الزمان الى كلامه ونادى باعلى صوته : انا الحكيم الكاتب انا المنجم الحاسب . فصار كل من اهل البلد ينهاه عن هذا الفعل

(الليلة الثالثة بعد المائتين) . فلم يلتفت اليهم ابدًا وقال في نفسه : ما يعلم الشوق الَّا من يكابده وصار ينادي باعلى صوته : انا الحكيم انا المنجم . فاغتاظ جميع اهل المدينة منهُ وقالوا لهُ : ما انت الّا شاب بليد مكابر احمق . ارحم شبابك وصغر سنّك وحسنك وجمالك . فصاح قمر الزمان وقال : انا المنجم والحاسب فهل من طالب . فبينما قمر الزمان ينادي والناس ينهونه اذ سمع صوته الملك الغيور وسمع ضجة الناس . فقال الملك للوزير : انزل وأتنا بهذا المنجم . فنزل الوزير سريعًا واخذ قمر الزمان من وسط الناس واصعده الى الملك . فلما صار بين يدي الملك الغيور قبل الارض وانشد يقول :

ثمانيةٌ في المجد حزت جميعها ... فلا زال خدامًا بهنَّ لكَ الدهرُ
يقينك والتقوى ومجدك والندى ... ولفظك والمعنى وعزُّك والنصرُ

فلما نظر الملك الغيور اليهِ اجلسه الى جانبه واقبل عليهِ وقال لهُ : بالله

يا ولدي ان لم تكن منجماً فلا تخاطر بنفسك ولا تدخل على شرطي . فاني شرطت على نفسي ان كل من دخل على بنتي ولم يبرئها مما اصابها ضربت عنقه . وكل من ابرأها زوجته بها . فلا يغرنّك حسنك وجمالك . والله ان لم تبرئها لاضربنّ عنقك . فقال قمر الزمان : لك ذلك وانا راضٍ وعندي علم هذا قبل ان آتيك . فأشهد عليه الملكُ الغيور القضاةَ وسلّمه الى الخادم وقال له : اوصل هذا الى الملكة بدور . فمسكهُ الخادم بيده ومشى بهِ في الدهليز . فسابقه قمر الزمان . فصار الخادم يجري ويقول له : ويلك لا تستعجل على هلاك نفسك فاني ما رأيت منجماً يستعجل على هلاك نفسه غيرك . ولكنك لا تعرف اي شيء قدامك من الدواهي . فأعرض قمر الزمان بوجهه عن الخادم . ثم انشد يقول هذه الابيات :

انا عارفٌ بصفات حسنك جاهلُ　　متحيرٌ لم ادرِ ما انا قائلُ

لو قلت شمساً كان حسنك لم يغب　　عن ناظري ان الشموس اوافلُ

كملت محاسنك التي في وصفها　　عجز البليغ وحار فيها القائلْ

(الليلة الرابعة بعد المائتين) . ثم ان الخادم اوقف قمر الزمان خلف الستارة التي على الباب . فقال له قمر الزمان : ايّ الحالتين احبُّ اليك . ان اداوي سيدتك وابرئها من هنا . او ادخل اليها فابرئها من داخل الستارة . فتعجب الخادم من كلامه وقال له : ان ابرأتها من هنا كان ذلك زيادة في فضلك . فعند ذلك جلس قمر الزمان خلف الستارة واخرج الدواة والقلم واخذ ورقة وكتب فيها :

ارسلت خاتمكِ الذي استبدلتهُ　　يوم الوصال فأرسلي لي خاتمي

ثم ان قمر الزمان جعل خاتم السيدة بدور في طيّ الورقة وناولها للخادم . فاخذها منهُ ودخل بها على سيدته

فاخذتها من يد الخادم وفتحتها فوجدت خاتمها فيها بعينه . فقرأت الورقة فلما عرفت المقصود عرفته فطار عقلها من الفرح وانشرح صدرها واتسع . ومن فرط المسرات . انشدت هذه الابيات :

ولقد ندمت على تفرُّق شملنا ندماً وفاض الدمع من اجفاني
ونذرت ان عاد الزمان يلمّنا ما عدت اذكر فرقةً بلساني
هجم السرور عليَّ حتى انهُ من عظم ما قد سرَّني ابكاني
يا عين صار الدمع منكِ سجيةً تبكين من فرحٍ ومن احزانِ

(الليلة الخامسة بعد المائتين) . فلما فرغت من شعرها قامت من وقتها واتكأت بقوتها على الغل الحديد فقطعتهُ من رقبتها وقطعت السلاسل وخرجت من خلف الستارة وقالت : يا سيدي هل هذه يقظة ام منام . وهل قد منَّ الله علينا بالقرب بعد البعاد . فالحمد لله على جمع شملنا بعد اليأس . فلما رآها الخادم على تلك الحالة ذهب يجري حتى وصل الى الملك الغيور . فقبل الارض بين يديه وقال لهُ : يا مولاي اعلم ان هذا المنجم شيخ المنجمين واعلمهم . فانهُ داوى ابنتك وهو واقف خلف الستارة ولم يدخل عليها . فقال لهُ الملك : انظر جيداً اصحيح هذا الخبر . فقال لهُ الخادم : يا سيدي قمْ وانظر اليها كيف وجدتْ فيها قوةً حتى قطعت السلاسل من الحديد وخرجت الى المنجم . فعند ذلك قام الملك الغيور ودخل على بنته . فلما رأتهُ نهضت قائمة وغطت رأسها وانشدت هذين البيتين :

لا احبُّ السواك من اجل اني ان ذكرت السواكَ قلت سوا كا

ان ذكرتُ الاراكَ قلت اراكا   واحبُّ الاراكَ من اجل اني

فعند ذلك فرح ابوها بسلامتها حتى كاد ان يطير من الفرح وقبلها بين عينيها لانهُ كان يحبُّها محبة عظيمة . واقبل الملك الغيور على قمر الزمان وسأله عن حاله وقال لهُ : من ايّ البلاد انت . فاخبره قمر الزمان بنسبه وشأنه واعلمه ان والده الملك شهرمان . ثم ان قمر الزمان قصَّ عليهِ القصة من اولها الى آخرها . واخبره بجميع ما اتفق لهُ مع السيدة بدور وكيف اخذ الخاتم من اصبعها والبسها خاتمه . فتعجب الملك الغيور من ذلك وقال لهُ : ان حكايتكما ينبغي ان تؤرخ في الكتب وتقرأ بعدكما جيلًا بعد جيل . ثم ان الملك الغيور احضر من وقته القضاة والشهود وكتب كتاب السيدة بدور على قمر الزمان وامر بتزيين المدينة سبعة ايام . ثم مدُّوا السماط والاطعمة وعملت الافراح وتزينت المدينة وجميع العساكر بافخر الثياب واقبلت البشائر ودقت الطبول وفرح الملك الغيور بعافية ابنته

ثم ان الملك عمل وليمة وجمع فيها جميع اهل الجزائر الجوانية والبرانية وقدم لهم الاسمطة والطعام الفاخر وامتدت الموائد مدة شهر كامل . وبعد ان انتظم شأن قمر الزمان وبلغ اربه ومكث في هذا الحال مع السيدة بدور مدة تفكر في والده الملك شهرمان فرآه في المنام وهو يقول لهُ : يا ولدي أهكذا تفعل معي هذه الفعال . وانشده في النوم هذين البيتين :

لقد راعني بدر الدجى بصدودهِ   ووكّل اجفاني برعي كواكبهْ
فيا كبدي مهلًا عساه يعود لي   ويا مهجتي صبرًا على ما كواكِ بهْ

(الليلة السادسة بعد المائتين) . ثم ان قمر الزمان لما رأى والده في المنام وهو يعاتبه اصبح مغمومًا حزينًا . فسألتهُ السيدة بدور . فأخبرها بما رآه في المنام .

فدخلت هي واياه على والدها واعلماه بذلك واستأذناه في السفر. فأذن له بالسفر . فقالت له الملكة بدور : يا والدي انا لا اصبر على فراقه . فقال لها والدها : سافري معهُ . واذن لها في الاقامة معه سنة كاملة وبعدها تأتي لتزور والدها في كل عام مرة . فقبَّلت يد ابيها وكذلك قمر الزمان . ثم شرع الملك الغيور في تجهيز ابنته وزوجها وهيأ لهما المؤونة وأدوات السفر واخرج لهما الخيول المسوَّمة. وأخرج لابنته محفَّة وحمل لهما البغال والهجن واستخدم لهما العبيد والرجال واخرج لهما كلما يحتاجان اليهِ في السفر . وفي يوم المسير ودَّع الملك الغيور قمر الزمان وخلع عليهِ عشر خلع سنية من الذهب مرصعة بالجواهر وقدم لهُ عشرة خيول وعشر نياق وخزنة مال وأوصاه بابنته السيدة بدور وخرج معهما الى اقصى الجزائر . ثم ودَّع قمر الزمان ودخل على ابنته السيدة بدور وهي في المحفَّة فودعها وصار يبكي . ثم خرج من عند ابنته واتى الى زوجها قمر الزمان فصار يودّعه ويقبله . ثم فارقهما ورجع الى مملكته بعسكره . فسار قمر الزمان وزوجته ومن معهما من الاتباع اول يوم وثاني يوم والثالث والرابع . ولم يزالوا مسافرين مدة شهر كامل حتى نزلوا في مرج واسع الفلا كثير الكلا . فأكلوا وشربوا واستراحوا. ونامت السيدة بدور. فدخل قمر الزمان فوجدها نائمة .ورأى فصًا احمر مثل العندم مربوطًا فوق قلبها لحلّهُ ونظر فيهِ فرأى عليهِ اسماء منقوشة بكتابة لا تقرأ . فتعجب قمر الزمان وقال في نفسه : لولا ان هذا الفص أمر عظيم عندها ما ربطتهُ هذه الربطة على قلبها وما خبأتهُ في اعزّ مكان عندها حتى لا تفارقه .فيا ترى ماذا تصنع بهذا وما السرّ الذي هو فيه

(الليلة السابعة بعد المائتين) . ثم اخذه وخرج من الخيمة ليبصره في النور وصار يتأمل فيهِ وهو في يده . واذا بطائر انقضَّ على قمر الزمان وخطف

القصّ من يده وطار بهِ وحطّ بهِ على الارض . فخاف قمر الزمان على القصّ وجرى خلف الطائر . فصار الطائر يجري على قدر جري قمر الزمان . فلم يزل قمر الزمان يتبعهُ من محل الى محل ومن تل الى تل الى ان دخل الليل واظلم الجوّ . فنام الطائر على شجرة عالية . فوقف قمر الزمان تحتها وصار متحيرًا وقد زهقت روحه من الجوع والتعب وحسّ انهُ هالك واراد ان يرجع فما عرف الموضع الذي جاء منهُ وكان قد هجم عليهِ الظلام . فقال : لا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم . ثم نام تحت الشجرة التي فوقها الطائر الى الصباح . ثم انتبه قمر الزمان من نومه فرأى الطائر قد انتبه وطار من فوق الشجرة . فمشى قمر الزمان خلفه . وصار ذلك الطائر يطير قليلًا بقدر مشي قمر الزمان . فتبسم قمر الزمان وقال : يا لله ان هذا الطائر كان بالامس يطير بقدر جريتي وفي هذا اليوم علم اني اصبحت تعبانًا لا اقدر اجري فصار يطير على قدر مشيتي . والله ان هذا عجيب . ولكن لا بد ان اتبع هذا الطائر فاما ان يقودني هذا الطائر لحياتي او لمماتي . فانا اتبعه اينما يتوجه لانهُ على كل حال لا يقيم الّا في البلاد العامرة . ثم ان قمر الزمان جعل يمشي تحت الطائر والطائر يبيت في كل ليلة على شجرة . ولم يزل تابعهُ مدة عشرة ايام وقمر الزمان يتقوّت من نبات الارض ويشرب من انهارها . وبعد عشرة ايام اشرف على مدينة عامرة . فطار الطائر مثل لمح البصر ودخل تلك المدينة وغاب عن قمر الزمان ولم يعرف خبره ولا يعلم اين ذهب . فتعجب قمر الزمان وقال : الحمد لله الذي سلمني حتى وصلت الى هذه المدينة . ثم جلس على نهر وغسل يديه ورجليه ووجهه واستراح ساعة . فتذكر ما كان فيهِ من الراحة والهناء واجتماع الشمل . ونظر الى ما هو فيهِ من التعب والهمّ والغربة . والجوع والفرقة . ففاضت دموعه وانشد يقول :

اخفيت ما القاه منك وقد ظهرْ والنوم من عيني تبدل بالسهر
ناديت لما اوهنت قلبي الفكرْ يا دهر لا تبقي عليَّ ولا تــذرْ
ها مهجتي بين المشقَّة والخطرْ

(الليلة الثامنة بعد المائتين) . ثم ان قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح قام يمشي قليلًا قليــلًا حتى دخل المدينة وهو لا يعلم اين يتوجه . فشقَّ المدينة من اولها الى آخرها . وكان قد دخل من باب البرّ ولم يزل يمشي حتى خرج من باب البحر . فلم يقابله احد من اهلها . وكانت مدينة على شاطئ البحر . ثم انهُ بعد ان خرج من باب البحر مشى ولم يزل ماشيًا حتى وصل الى بساتين المدينة واشجارها . فدخل بين الاشجار ومشى فاتى الى بستان فوقف على بابه . فخرج اليــهِ الخولي فسلم عليه . فرد عليهِ السلام . فرحب بهِ الخولي وقال لهُ : الحمــد لله لانك اتيت سالمًا من اهل هذه المدينة . فادخلْ الى هذا البستان سريعًا قبل ان يراك احد من اهلها . فعند ذلك دخل قمر الزمان الى ذلك البستــان وهو ذاهل العقل وقال للخولي : ما حكاية اهل هذه المدينة وما خبرهم . فقال لهُ : اعلم ان اهل هذه المدينة كلهم مجوس . فبالله عليك اخبرني كيف اتيت الى هذا المكان وما سبب مجيئك الى بلادنا . فاخبر قمر الزمــان الخولي بجميع ما جرى لهُ من اوله الى آخره . فتعجب الخولي غاية العجب وقال لهُ : اعلم يا ولدي ان بــلاد الاسلام بعيدة من هنا وبينها وبيننا اربعة اشهر في البحر واما في البرّ فسنة كاملة . وان عندنا مركبًا تقلع وتسافر كل سنة ببضائع الى اول بلاد الاسلام وتسير من هنا الى بحر جزائر الابنوس ومنها الى الجزائر الخالدات التي ملكها الملك شهرمان . فعند ذلك تفكر قمر الزمان في نفسه ساعة وعلم انهُ لا يوافقه الَّا ان يستخدم في البستان عند الخولي ويكون عنده مرابعًا . فقال للخولي : هل تقبلني عنــدك في

هذا البستان . فقال لهُ : سمعاً وطاعةً . فعلمهُ الحولي تحويل الماء على بيوت الاشجار . فصار قمر الزمان يحوّل الماء ويقطع الحشيش بالفأس . والبسهُ الحولي ثوباً قصيراً ازرق الى ركبتيهِ وصار عنده يسقي الاشجار . ويبكي بدموع غزار . ولا يقرّ لهُ قرار . بالليل ولا بالنهار . من اجل غربته وبعده عن زوجته . وجعل يترنم بالاشعار . فمن جملة ذلك هذه الابيات :

لنا عندكم وعدٌ فهلاً وفيتمُ وقلتم لنا قولاً فهلّا فعلتمُ
فيا ايها الاحباب في السخط والرضى على كل حالٍ انتمُ القصد انتمُ
ولي عند بعض الناس قلبٌ معذبٌ فيا ليتهُ يرثي لحالي ويرحمُ
وما كل عينٍ مثل عيني قريحةٌ ولا كل قلبٍ مثل قلبي متيمُ
ظلمتم وقلتم انما الحب ظالمٌ صدقتم كذا كان الحديث صدقتمُ

هذا ما كان وما جرى لقمر الزمان ابن الملك شهرمان . واما ما كان من امر زوجته الملكة بدور بنت الملك الغيور فانها لما انتبهت من نومها طلبت زوجها قمر الزمان فلم تجده فافتقدت الفصّ فوجدتهُ معدوماً . فقالت في نفسها : يا الله اين زوجي . كانهُ اخذ الفصّ وراح وهو لا يعلم السرّ الذي هو فيهِ . فيا ترى اين ذهب . ولكن لا بدّ لهُ من امر عجيب اقتضى رواحه . ولولا ذلك ما كان يقدر ان يفارقني ساعة . فلعن الله الفصّ ولعن ساعته . ثم ان الملكة بدور تفكرت وقالت في نفسها : ان خرجت الى الحاشية واعلمتهم بفقد زوجي يطمعون فيَّ . ولكن لا بدّ من الحيلة . فقامت ولبست ثياباً من ثياب زوجها قمر الزمان ولبست عمامة كعمامته ولبست الخف وضربت لها لثاماً وحطت في محفتها جارية وخرجت من خيمتها ونادت على الغلمان : قدموا لها الجواد . فركبت وامرت بشدّ الاحمال فشدّت . وأمرت بالرحيل فسافروا . واخفت امرها . فلم يشك احد انها قمر الزمان

لانها كانت تشبههُ في قوامه ووجهه. وما زالت مسافرة هي واتباعها اياماً وليالي حتى اشرفت على مدينة مطلّة على البحر المالح فنزلت بظاهرها وضربت خيامها في ذلك المكان لاجل الاستراحة . ثم سألت عن هذه المدينة فقيل لها : هذه مدينة الابنوس. وملكها الملك ارمانوس. ولهُ بنت اسمها حيوة النفوس

(الليلة التاسعة بعد المائتين) . فنزلت على ظاهر مدينة الابنوس لاجل الاستراحة . وارسل الملك ارمانوس رسولاً من عنده يكشف لهُ خبر هذا الملك النازل على ظاهر مدينته . فلما وصل اليهم الرسول سألهم فاخبروه انهُ ابن ملك تاه عن الطريق وهو قاصد الجزائر الخالدات للملك شهرمان . فعاد الرسول الى الملك ارمانوس واخبره بالخبر . فلما سمع الملك ارمانوس هذا الكلام نزل في خواص دولته الى مقابلته . فلما قدم على الخيام ترجلت الملكة بدور وترجل الملك ارمانوس وسلما على بعضهما واخذها ودخل بها الى مدينته وطلع بها الى قصره . وأمر بمدّ السماطات وموائد الاطعمة والمآكل وأمر بنقل جيش الملكة بدور الى دار الضيافة . فمكثوا هناك ثلثة ايام. وبعد ذلك اقبل الملك على الملكة بدور وهي لابسة حلة من الحرير مطرزة بالذهب المرصع بالجواهر وقال لها : يا ولدي اعلم اني صرت شيخاً كبيراً هرماً. وعمري ما رزقت ولداً غير بنت وهي تشبهك في الحسن والجمال. وانا الآن عجزت عن تدبير المملكة فهي لك يا ولدي. فان كانت ارضي هذه تعجبك وتقيم بها وتسكن بلادي فانا ازوجك بها واعطيك مملكتي واستريح انا. فاطرقت الملكة بدور برأسها وعرق جبينها من الحياء وقالت في نفسها : كيف يكون العمل وانا امرأة وان لم ارضَ وسرت من عنده لم آمن من شرّه فربما يرسل ورائي جيشاً يقتلني . وان اطعتهُ ربما افتضح . الا تكفيني مصيبتي . اني فقدت قمر الزمان ولم اعرف لهُ خبراً وما لي خلاص ألا اني اسكت وارضى

واقيم عنده حتى يقضي الله امرًا كان مفعولًا فانهُ على كل شيء قدير

ثم ان الملكة بدور رفعت رأسها واذعنت للملك ارمانوس بالسمع والطاعة . ففرح الملك بذلك وأمر المنادي ان ينادي في جزائر الابنوس بالفرح والزينة وجمع الحجّاب والنوّاب والامراء والوزراء وارباب دولته وقضاة مدينته وعزل نفسه من الملك وسلطن الملكة بدور والبسها ثوب الملك ودخلت الامراء جميعاً على الملكة بدور وهم لا يشكّون في انها شاب . وصار كل من نظر اليها منهم جميعاً يتعجب لفرط حسنها وجمالها . فلما تسلطنت ودقّت لها البشائر بالسرور وجلست على كرسيها شرع الملك ارمانوس في تجهيز ابنته حيوة النفوس . وبعد ايام قلائل ادخلوا الملكة بدور على حيوة النفوس فكانتا كانهما قمران في وقت طلعا او شمسان قد اجتمعا . فردّوا عليهما الابواب وارخوا الستائر بعد ان اوقدوا لهما الشموع وفرشوا لهما الفرش . فعند ذلك جلست السيدة بدور مع السيدة حيوة النفوس فتذكرت قمر الزمان . واشتدت بها الاحزان على فراقه وغيابه وانشدت تقول :

يا غائبين وقلبي زائد القلقِ	لم يبقَ من بينكم في الجسم من رمقِ
وكان لي مقلةٌ تشكو السهاد وقد	اذابها الدمع ياليت السهاد بقي
لما رحلتم اقام الصبُّ بعدكمُ	لكن سلوا عنهُ ماذا في البعاد لقي
لولا جفوني وقد فاضت مدامعها	توقدت عرصات الارض من حرقي
اشكو الى الله احبابًا عدمتهمُ	لم يرحموا صبوتي فيهم ولا قلقي

ثم ان الملكة بدور لما فرغت من انشادها نهضت من وقتها وساعتها وتوضأت ولم تزل تصلي حتى نامت حيوة النفوس . فنامت هي بناحية من الغرفة الى الصباح . فلما طلع النهار دخل الملك وزوجتهُ الى ابنتهما وسألاها عن حالها . فاخبرتهما بما رأت وما سمعتهُ من الشعر

هذا ما كان من امر حياة النفوس وابويها . واما ما كان من امر الملكة بدور فانها خرجت وجلست على كرسي المملكة وخرجت اليها الامراء وجميع الرؤساء وارباب الدولة وهنأوها بالملك وقبّلوا الارض بين يديها ودعوا لها . فتبسمت واقبلت عليهم وخلعت عليهم وزادت في اكرام الامراء وارباب الدولة واقطاعهم والجيوش . فاحبُّوها ودعا لها جميع الخلق بدوام الملك وهم يعتقدون انها شابٌ . فأَمرت ونهت وحكمت واطلقت من في الحبوس وابطلت المكوس . ولم تزل قاعدة في مجلس الحكومة الى ان دخل الليل . فدخلت الى المكان الذي اعدّ لها . فوجدت حيوة النفوس جالسة فجلست بجانبها وقبلتها بين عينيها وانشدت تقول هذه الابيات :

قد صار سرّي بالدموع علانيهْ ... ونحول جسمي في الغرام علانيهْ
اخفي الهوى ويذيعهُ يوم النوى ... حالي على الواشين ليست خافيهْ
يا راحلين عن الحمى خلّفتمُ ... جسمي بكم مضنىً ونفسي باليهْ
وسكنتمُ غور الحشا فنواظري ... تجري مدامعها وعيني داميهْ
وانا فداء الغائبين بمهجتي ... ابداً واشواقي اليهم باديهْ
لي مقلةٌ انسانها في حبّهم ... رفض الكرى ودموعها متواليهْ
ظنّ العدى مني عليه تجلداً ... هيهات ما اذني اليهم واعيهْ
خابت ظنونهمُ عليَّ وانما ... قمر الزمان بهِ انال امانيهْ
جمع الفضائل ما حواها قبلهُ ... احدٌ سواهُ في العصور الخاليهْ
انسى الانام بجودهِ وبعفوهِ ... كرم ابن زائدةٍ وحلم معاويهْ
لولا الاطالة والقريض مقصرٌ ... عن وصف حسنك لم ادع من قافيه

ثم ان الملكة بدور نهضت قائمة على اقدامها ومسحت دموعها وتوضأت

وصلّت . ولم تزل تصلي الى ان غلب النوم على حيوة النفوس فنامت . ورقدت الملكة بدور في ناحية الى الصباح . ثم قامت وصلت الصبح وجلست على كرسي المملكة وأمرت ونهت وحكمت وعدلت

هذا ما كان من امرها . واما ما كان من امر الملك ارمانوس فانهُ دخل على ابنته وسألها عن حالهـا فاخبرتهُ بجميع ما جرى لها وانشدتهُ الشعر الذي قالتهُ الملكة بدور . ثم قالت : يا ابي ما رأيت احدًا اكثر عقلًا وعبـادةً من زوجي فانهُ يبكي ويتنهد . فقال لها ابوها : يا بنتي اصبري عليه فما بقي غير هذا التدبير وهو ان اخلعه من الملك وانفيهِ عن بلادنا . فاتفق مع ابنتـه على هذا الكلام واضمر على هذا الرأي

(الليلة العاشرة بعد المائتين) . فلما اقبل الليل قامت الملكة بدور من دست المملكة الى القصر ودخلت المكان الذي هو معدٌّ لها . فرأت الشمع موقدًا وحيوة النفوس جالسةً . فتذكرت زوجها وما جرى لهما من الفرقة بينهما في تلك المدة اليسيرة فبكت وتنهدت ووالت الزفرات . وانشدت تقول هذه الابيات :

قسمًا لقد ملأت احاديثي الفضا كالشمس مشرقةً على ذات الغضا
نطقت اشارتهُ فاشكل فهمها فلذاك شوقي في المزيد وما انقضى
ابغضت حسن الصبر مذ احببتهُ ارأيت صبًا في الصبابة مبغضـا

فلما فرغت من انشادها ارادت ان تقوم الى الصلوة . واذا بحياة النفوس مسكتها وقالت لها : يا سيدي اما تستحي من والدي وما فعل معك من الجميل . فلما سمعت منها ذلك الكلام جلست في مكانها وقالت : يا حبيبتي ما الذي تقولينه . قالت : الذي اقولهُ اني ما رأيت احدًا معجبًا بنفسه مثلـك . ولكن انا ما قلت هذا الكلام الّا خيفةً عليكَ من الملـك ارمانوس فانهُ اضمر ان ينزعك من

المملكة ويسفرك من بلاده. وربما يزداد بهِ الغيظ فيقتلك . وانا يا سيدي رحمتك ونصحتك والرأي رأيك . فلما سمعت الملكة بدور منها ذلك الكلام اطرقت برأسها الى الارض وحارت في امرها . ثم قالت في نفسها : ان خالفته هلكت . وان اطعته افتضحت . ولكن انا في هذه الساعة ملكة على جزائر الابنوس كلها وهي تحت حكمي وما أجتمع انا وقمر الزمان الّا في هذا الموضع . لانهُ ليس لهُ طريق الى بلاده الّا من جزائر الابنوس . واني صرت حائرة وفوَّضت امري الى الله فهو نعمَ المدبر . ثم ان الملكة بدور حكت لها على ما جرى لها من الابتداء الى الانتهاء وقالت لها : سألتكِ بالله الّا ما سترتِ عليَّ واخفيتِ امري حتى يجمعني الله بقمر الزمان وبعد ذلك يكون ما يكون

(الليلة الحادية عشرة بعد المائتين) . فسمعت حياة النفوس كلامها وتعجبت من قصتها غاية العجب ورقّت لها ودعت لها بجمع شملها وقالت لها : يا اختي لا تخافي ولا تفزعي واصبري الى ان يقضي الله امرًا كان مفعولاً . ثم ان حياة النفوس انشدت تقول :

السرُّ عندي في بيتٍ لهُ غلقٌ قد ضاع مفتاحهُ والبيت مختومُ

ما يكتم السرَّ الّا كل ذي ثقةٍ والسرّ عند خيار الناس مكتومُ

فلما فرغت من شعرها قالت لها : يا اختي ان صدور الاحرار . قبور الاسرار . وانا لا افشي لك سرًّا . واما الملكة بدور فانها لما اصبحت قامت وصلت الصبح ثم توجهت الى دار الحكومة وجلست على كرسي المملكة وحكمت بين الناس . اما الملك ارمانوس فاخبرتهُ ابنتهُ بانها قد اصطلحت مع زوجها واتفقا معًا . ففرح بذلك واتسع صدره وانشرح وأولم وليمة عظيمة . ولم يزالوا على تلك الحالة مدة من الزمان

هذا ما كان من امرهما . واما ما كان من امر الملك شهرمان فانهُ بعد خروج ولده للصيد والقنص هو ومرزوان كما تقدَّم صبر حتى اقبل الليل عليهِ بعد خروجهما . فلم يجئ ولده . فلم ينمْ تلك الليلة . وطال عليه الليل وقلق غاية القلق وزاد وجده وما صدق ان الفجر يطلع . فلما اصبح انتظر ولده الى نصف النهار . فلم يجئ فخسَّ قلبه بالفراق والتهب على ولده بالاشفاق وقال : وا ولداه . ثم بكى حتى بلَّ ثيابه بالدموع . وانشد من قلب مصدوع :

ما زلت معترضاً على اهل الهوى حتى بُليت بحلوهِ وبمرّهِ
وشربت كأس صدودهِ متجرّعاً وذللت فيهِ لعبدهِ ولحرّهِ
نذر الزمان بان يفرّق شملنا والآن قد اوفى الزمان بنذرهِ

فلما فرغ من شعره مسح دموعه ونادى في عسكره بالرحيل . والحث على السفر الطويل . فركب الجيش جميعه وخرج السلطان وهو محترق القلب على ولده قمر الزمان . وقلبهُ بالحزن ملآن . وجدّوا في سيرهم . وفرّق الملك جيشه يميناً وشمالاً واماماً وخلفاً ستَّ فرق وقال لهم : الاجتماع غداً عند مفرق الطريق . فعند ذلك تفرّقت الجيوش والعساكر وسافروا . ولم يزالوا مسافرين بقية النهار الى ان جنَّ الليل . فساروا جميع الليل الى نصف النهار حتى وصلوا الى مفرق اربع طرق . فلم يعرفوا اي طريق سلكها . ثم رأوا اثر اقمشة مقطعة ورأوا اللحم مقطعاً ونظروا اثر الدم باقياً وشاهدوا كل قطعة من الثياب واللحم في ناحيــة . فلما رأى الملك شهرمان ذلك صرخ صرخة عظيمة من صميم قلبه وقال : وا ولداه . ولطم على وجهه ونتف لحيته ومزّق اثوابه وايقن بموت ولده وزاد في البكاء والنحيب . وبكت لبكائه العساكر . وكلهم ايقنوا بهلاك قمر الزمان وحثوا على رؤوسهم التراب . ودخل عليهم الليل وهم في بكاء ونحيب حتى اشرفوا على الهلاك . واحترق

قلب الملك بلهيب الزفرات . وانشد هذه الابيات :

لا تعذلوا المحزون في احزانهِ فلقد كفاهُ الوجد من اشجانهِ

يبكي لفرط تأسفٍ وتوجعٍ وغرامهُ ينبيك عن نيرانهِ

يا سعد من لمتيمٍ حلف الضنى ان لا يُزيل الدمع من اجفانهِ

يبدي الغرام لفقد بدرٍ زاهرٍ بضيائهِ يزهو على اقرانهِ

ولقد سقاه الموت كاساً مُترعاً يوم الرحيل فشطَّ عن اوطانهِ

ترك الديار وسار عنّاً للبلى لم يحظَ بالتوديع من اخوانهِ

ولقد رماني بالبعاد وبالجفا والصدّ والتبريح من هجرانهِ

ولقد مضى عنّاً وسار مودعاً لما حباهُ ربّهُ بجنانهِ

(الليلة الثانية عشرة بعد المائتين)• فلما فرغ الملك شهرمان من انشاده رجع بجيوشه الى مدينته وايقن بهلاك ولده وعلم انهُ عدا عليهِ وافترسه إما وحش وإما قاطع طريق . ثم نادى في الجزائر الخالدات ان يلبسوا السواد من الاحزان على ولده قمر الزمان . وعمل لهُ بيتاً وسماه بيت الاحزان • وصار كل يوم خميس واثنين يحكم في مملكته بين عسكره ورعيته وبقيــة الجمعة يدخل الى بيت الحزن ويبكي على ولده ويرثيه بالاشعار • فمن ذلك قوله :

فيوم الاماني يوم قربكمُ مني ويوم المنايا يوم اعراضكم عني

اذا بتُّ مرعوباً اهدّد بالردى فوصلكمُ عندي الذّ من الامنِ

ومن ذلك قولهُ :

نفسي الفداء لظاعنين رحيلهم انكى وافسد في القلوب وعاثا

فليقضِ عدّتهُ السرور فانني طلّقت بعدهمُ النعيم ثلاثا

هذا ما كان من امر الملك شهرمان • واما ما كان من امر الملكة بدور

بنت الملك الغيور فانها صارت ملكة في بلاد الابنوس وصار الناس يشيرون اليها بالبنان ويقولون هذا صهر الملك ارمانوس. وكل ليلة تبكي وتشتكي وحشة زوجها قمر الزمان وهي تبكي وتصف لحياة النفوس حسنه وجماله . وتنشد وتقول :

الله اعلم اني بعد فرقتكم   بكيت حتى استلفت الدمع بالدينِ
وقال لي عاذلي إصبر تنالهمُ   فقلت يا عاذلي ألصبر من اينِ

هذا ما كان من امر السيدة بدور . واما ما كان من امر قمر الزمان فانه اقام عند الخولي في البستان مدة من الزمان وهو يبكي بالليل والنهار. وينشد الاشعار . ويتحسر على اوقات الهنا. وليالي المنى . والخولي يقول له : في آخر السنة يسير المركب الى بلاد المسلمين . ولم يزل قمر الزمان على تلك الحالة الى ان رأى الناس مجتمعين على بعضهم. فتعجب من ذلك. فدخل عليهِ الخولي وقال له : يا ولدي بطِّل الشغل في هذا اليوم ولا تحوّل الماء الى الاشجار لان هذا اليوم عيد والناس فيهِ يزور بعضهم بعضاً . فاسترح واجعل بالك الى الغيط. فاني اريد ان ابصر لك مركباً . فما بقي الّا القليل حتى ارسلك الى بلاد المسلمين . ثم ان الخولي خرج من البستان. وبقي قمر الزمان وحده وتفكر في حاله فانكسر خاطره وجرت دموعه . ثم ان قمر الزمان بكى بكاء شديدًا حتى غشي عليه . فلما افاق قام يتمشى في البستان . وهو متفكر فيما فعل فيه الزمان. وطول البعد والهجران. وعقلهُ ولهان. فعثر فوقع على وجهه فجاءت جبهته على جدر شجرة فبطحتهُ وجرى منهُ الدم واختلط بدموعه . فمسح دمه ونشف دموعه وشدّ جبهته بخرقة وقام يتمشى في ذلك البستان وهو في فكره ذاهل العقل. فنظر بعينه الى شجرة فوقها طائران يتخاصمان . فقام احدهما الى الآخر ونقره في رقبته فخلصها من جثتهِ واخذ رأسه وطار بهِ ووقع المقتول في الارض قدام قمر الزمان . فبينما هو كذلك

واذا بطائرين كبيرين قد انقضا عليهِ ووقف احدهما عنـد رأسه والآخر عند ذنبه وارخيا اجنحتهما ومناقيرهما عليهِ ومدّا اعناقهما اليه وبكيا. فبكى قمر الزمان على فراق زوجته وتذكر والده حين رأى الطائرين يبكيان على صاحبهما

(الليلة الثالثة عشرة بعد المائتين). ثم ان قمر الزمان نظر الى الطائرين فرآهما قد حفرا حفرةً ودفنا الطائر المقتول فيهـا وطارا الى الجوّ وغابا ساعة ثم عادا ومعهما الطائر القاتل. فنزلا بهِ على قبر المقتول وبركا على القـاتل حتى قتلاهُ وشقّا جوفه واخرجا امعاءهُ وأراقا دمه على قبر الطائر المقتول. ثم نترا لحمه ومزّقا جلده واخرجا ما في جوفه وفرّقاه الى اماكن متفرقة. هذا كلهُ جرى وقمر الزمان ينظر ويتعجب. فلاحت منهُ التفاتة الى الموضع الذي قتلا فيهِ الطائر فوجد شيئـاً يلمع. فدنا منهُ فوجده حوصلة الطائر. فاخذها وفتحها فوجد فيهـا الفصّ الذي كان سبب فراقه من زوجته. فلما رآه وعرفه وقع على الارض مغشيا عليهِ من فرحه. فلما افاق قال: الحمد لله هـذه علامة الخير وبشارة الاجتماع بزوجتي. ثم تأملهُ ومرَّ بهِ على عينه وربطه على ذراعه واستبشر بالخير وقام يتمشى ينتظر الخولي الى الليل فلم يأتِ. فبات قمر الزمان في موضعه الى الصباح. ثم قام الى شغله وشدَّ وسطه بحبل من الليف واخذ الفاس والقفة وشقّ في البستان. فأتى الى شجرة خروب وضرب الفاس في جذرها فطنّت الضربة فكشف التراب عن موضعها فوجد طابقاً ففتحهُ. ووجد باباً وسلماً فنزل فيه. فوجد قاعة قديمة من عهد عاد وثمود وهذه القاعة منقورة من الحجر ولها دوائر سماويات ووجدها مملوءة من الذهب الاحمر الوهاج. فقال في نفسه: لقد ذهب التعب وجاء الفرج والسرور

(الليلة الرابعة عشرة بعد المائتين). ثم ان قمر الزمان طلع من المكان الى ظاهر البستان وردَّ الطابق كما كان ورجع الى البستان وحوَّل المـاء على

الاشجار الى آخر النهار . فجاء الخولي وقال لهُ : يا ولدي ابشر برجوعك الى الاوطان فان التجار تجهزوا للسفر والمركب بعد ثلثة ايام مسافر الى مدينة الابنوس . وهي اول مدينة من مدائن المسلمين . فاذا وصلت اليها تسافر في البرّ ستة اشهر حتى تصل الى الجزائر الخالدات التي فيها الملك شهرمان . ففرح بذلك قمر الزمان وانشد يقول :

لا تهجروا من لا تعوَّد هجركم وتعذبوا بصدودكم من لا جنا
غيري اذا طال البعاد سلاكمُ وتغيرت احوالهُ ألا انا

ثم ان قمر الزمان قبَّل يد الخولي وقال لهُ : يا والدي كما انك بشرتني فانا الآخر ابشرك ببشارة عظيمة . ثم انهُ اخبرهُ بخبر القاعة التي رآها . ففرح الخولي وقال لهُ : يا ولدي اني في هذا البستان من ثمانين عاماً ما وقفت على شيء . وانت لك عندي دون السنة وقد رأيت هذا الامر فهو رزقك وسبب زوال عكسك ومعين لك على وصولك الى اهلك وجمع شملك بمن تحبّ . فقال قمر الزمان : لا بدَّ من القسمة بيني وبينك . ثم اخذ الخولي ودخل بهِ الى ذلك المكان وأراه الذهب وكان في عشرين خابية . فاخذ عشرة والخولي عشرة . فقال لهُ الخولي : يا ولدي عبِّ لك امطاراً من الزيتون العصافيري الذي في هذا البستان فانهُ معدوم في غير بلادنا وتجلبه التجار الى جميع البلدان. واخلطه مع الذهب ولبسهم واجعل الذهب في الامطار والزيتون فوق الذهب . ثم سدّها وخذها معك في المركب . فقام قمر الزمان من وقته وساعته وعبى خمسين مطراً ووضع الذهب فيها وسدَّ عليهِ ولبَّس عليهم بعد ان جعل الزيتون فوق الذهب وحطَّ الفصَّ معهُ في مطر . وجلس هو والخولي يتحدثان . وايقن بجمع شمله وقربه من اهله. وقال في نفسه : اذا وصلت الى جزيرة الابنوس اسافر منها الى بلاد ابي واسأل عن

زوجتي بدور فيا ترى هل رجعت الى بلادها او سافرت الى بلاد ابي او حدث لها حادث في الطريق. ثم انشد :

اقاموا الوجد في قلبي وساروا وقد شطت بمن اهوى الديارُ
نأت عني الربوع وساكنوها وقد بعد المزار فلا مزارُ
وبان تجلدي من حيث بانوا وفارقني هجوعٌ واصطبارُ
ومذ ساروا سرى عني سروري وقد عدم القرار فلا قرارُ
واجروا بالفراق دموع عيني فادمعها ببينهم غزارُ
اذا ما اشتقتُ يوماً ان اراهم وزاد بهم حنيني وانتظارُ
أمثّل شخصهم في وسط قلبي غرامٌ واشتياقٌ وادّكارُ

ثم جلس قمر الزمان ينتظر انقضاء الايام وحكى للخولي حكاية الطيور وما وقع بينها . فتعجب الخولي من ذلك . ثم ناما الى الصباح . فاصبح الخولي ضعيفاً واستمرّ على ضعفه يومين وفي ثالث يوم اشتدّ بهِ الضعف حتى يئسوا من حياته . فحزن عليهِ قمر الزمان حزناً كثيراً . فبينما هو كذلك واذا بالرئيس والبحرية معهُ قد اقبلوا وسألوا عن الخولي . فاخبرهم انهُ ضعيف. فقالوا : اين الشابّ الذي يريد السفر معنا الي جزيرة الابنوس . فقال لهم قمر الزمان : هو المملوك الذي بين ايديكم . ثم أمرهم بتحويل الامطار الى المركب فنقلوها الى المركب وقالوا لقمر الزمان : اسرع فان الريح قد طابت . فقال لهم : سمعاً وطاعة . ثم نقل زادهُ الى المركب ورجع الى الخولي يودّعه فوجده في النزع . فجلس عند رأسه حتى فارقت روحه جسده فغمّضه وجهزه وواراه في التراب الى رحمة الله تعالى . ثم توجه وجاء الى المركب فوجده ارخى القلوع وسار . ولم يزل يشقّ البحر حتى غاب عن عينه . فصار قمر الزمان مدهوشاً حيراناً لا يردّ جواباً ولا

يبدي خطاباً . ثم رجع الى البستان فجلس مهموماً مغموماً يحثو التراب على رأسه ويلطم على وجهه

(الليلة الخامسة عشرة بعد المائتين) . ثم ان قمر الزمان استأجر البستان من صاحبه واقام تحت يده رجلاً يعاونه على سقي الشجر . وتوجه الى الطابق ونزل الى القاعة وعبى الذهب الباقي في خمسين مطرًا ورمى فوقه الزيتون . وسأل عن المركب . فقالوا لهُ: انهُ لا يسافر الَّا في كل سنة مرة واحدة . فزاد بهِ الوسواس وتحسر على ما جرى لهُ لاسيما انهُ فقد الفصّ الذي هو للملكة بدور . فصار يبكي بالليل والنهار . وينشد الاشعار

هذا ما كان من قمر الزمان . واما ما كان من امر المركب فانهُ طابت لهُ الريح ووصل الى جزيرة الابنوس . وكان بالامر المقدر ان الملكة بدور كانت جالسة في الشباك المطل على البحر . فنظرت الى المركب وقد ارسى في الساحل . فخفق فؤادها وركبت هي والامراء والحجاب والنواب وجاءت الى الساحل ووقفت على المركب . وصاروا ينقلون البضائع الى المخازن . فاحضرت الرئيس وسألتهُ عما معهُ . فقال : ايها الملك معي في هذا المركب من العقاقير والاكحال والسفوفات والادهان والمراهم والاموال والبضائع النفيسة والاقمشة الفاخرة والانطاع اليمنيَّة ما يعجز عن حمله الجمال والبغال . ومن اصناف العطر والبهار ومن العود القاقلي والتمر الهندي والزيتون العصافيري ما يندر وجوده في هذه البلاد . فلما سمعت الملكة بدور بذكر الزيتون العصافيري اشتهى قلبها ذلك وقالت لصاحب المركب: كم معك من الزيتون . قال: معي خمسون مطرًا ملآنة. ولكن صاحبها ما حضر معنا . والملك يأخذ ما اشتهاه منها . فقالت : اخرجوها اليَّ في البرّ لانظر اليها. فصاح الرئيس على البحريَّة فطلعوا بالخمسين مطرًا . ففتحت واحدًا ونظرت الزيتون

وقالت : انا آخذ هذه الخمسين مطرًا واعطيكم ثمنها مهما كان . فقال الرئيس: هذا مالهُ في بلادنا قيمة والذي عباها تأخر عنا وهو رجل فقير . فقالت : وما مقدار ثمنها هنا . فقال : الف درهم . قالت : انا آخذها بالف درهم . وأمرت بنقلها الى القصر . فلما جاء الليل أمرت باحضار مطر واحد . فكشفتهُ وما في البيت الَّا هي وحياة النفوس . ثم حطت بين يديها طبقًا وقلبت المطر فيهِ فنزل في الطبق كوم ذهب احمر . فقالت للسيدة حياة النفوس : ما هذا الَّا ذهب . ثم انها احضرت الجميع واختبرتها فوجدتها كلها ذهبًا والزيتون كلهُ لم يملأ مطرًا واحدًا . وفتشت في الذهب فوجدت الفصَّ فيهِ . فاخذتهُ وتأملتهُ واذا هو الفصَّ الذي كان مربوطًا على قلبها واخذه قمر الزمان . فلما تحققتهُ صاحت من فرحتها وخرَّت مغشيًا عليها

(الليلة السادسة عشرة بعد المائتين) . فلما افاقت قالت في نفسها : ان هذا الفص كان سبب فراقي من زوجي قمر الزمان ولكن هذا بشير الخير . ثم اعلمت السيدة حياة النفوس بان وجوده بشارة الاجتماع . فلما اصبح الصباح جلست على كرسي المملكة واحضرت رئيس المركب . فلما حضر قبل الارض بين يديها . فقالت : اين تركت صاحب هذا الزيتون . قال : يا ملك الزمان تركناه في بلاد المجوس وهو خولي بستان . فقالت لهُ : ان لم تأتِ بهِ فلا تعلم ما يجري عليك وعلى مركبك من الضرر . ثم أمرت بالختم على مخازن التجار وقالت لهم : ان صاحب هذا الزيتون غريمي ولي عليهِ دين وان لم تأتوا بهِ لاقتلنكم جميعًا وانهب تجارتكم . فأقبلوا على الرئيس ووعدوه باجرة مركبه ويرجع ثاني مرة . وقالوا لهُ : خلصنا من هذا الظالم الغاشم . فنزل الرئيس في المركب وحلَّ قلوعها وكتب الله لهُ السلامة حتى دخل الجزيرة في الليل وطلع الى البستان . وكان قمر الزمان

قد طال عليهِ الليل وتذكر زوجته وجلس يبكي على ما جرى لهُ وانشد يقول :

وليلٍ كواكبهُ لا تسير ولا هوَ ممن يطيق بَراحا
كيوم القيامة في طولهِ على من يراقب فيهِ الصباحا

ثم ان الرئيس دقَّ الباب على قمر الزمان . ففتح الباب وخرج اليهِ . فحملهُ البحرية ونزلوا بهِ الى المركب وحلّوا القلوع وساروا . ولم يزالوا سائرين اياماً وليالي وقمر الزمان لايعلم ما سبب ذلك . فسألهم عن السبب . فقالوا لهُ : انت غريم الملك صاحب جزائر الابنوس صهر الملك ارمانوس وقد سرقت مالهُ يا منحوس . فقال : والله عمري ما دخلت هذه البلاد ولا اعرفها . فساروا بهِ حتى اشرفوا على جزائر الابنوس وصعدوا بهِ على الملكة بدور . فلما رأتهُ عرفتهُ وقالت : دعوه عند الخدام ليدخلوا بهِ الحمام . وافرجت عن التجار وخلعت على الرئيس خلعة تساوي عشرة آلاف دينار . ودخلت تلك الليلة في القصر واعلمت حياة النفوس بذلك وقالت لها : اكتمي الخبر حتى ابلغ مرادي واعمل عملًا يؤرخ ويقرأ بعدنا على الملوك والرعايا . وحين أمرت ان يدخلوا بقمر الزمان الحمام دخلوا بهِ الحمام والبسوه لبس الملوك . ولما طلع قمر الزمان من الحمام صار كأنهُ غصن بان . او كوكب يخجل بطلعته القمران وردت روحه اليه . ثم توجه اليها ودخل القصر . فلما نظرتهُ صبرت قلبها حتى يتمَّ مرادها وانعمت عليهِ بمماليك وخدم وجمال وبغال واعطتهُ خزانة مال . ولم تزل ترقّي قمر الزمان من درجة الى درجة حتى جعلتهُ خازنداراً وسلمت اليهِ الاموال واقبلت عليهِ وقرَّبتهُ منها واعلمت الامراء بمنزلته فاحبوه جميعهم . وصارت الملكة بدور كل يوم تزيد لهُ في المرتبات وقمر الزمان لايعرف سبب تعظيمها له . ومن كثرة الاموال صار يهب ويتكرم ويخدم الملك ارمانوس حتى احبهُ . وكذلك احبتهُ الامراء والخواص والعوام وصاروا يحلفون

بحياته . كل ذلك وقمر الزمان يتعجب من تعظيم الملكة بدور لهُ ويقول في نفسه : والله ان هذه المحبة لا بدَّ لها من سبب وربما يكون هذا الملك انما يكرمني هذا الاكرام الزائد لاجل غرض. فلا بد ان استأذنه واسافر من بلاده . ثم انهُ توجه الى الملكة بدور وقال لها : ايها الملك انك اكرمتني اكراماً زائدًا ومن تمام الاكرام ان تأذن لي في السفر وتأخذ مني جميع ما انعمت بهِ عليَّ . فتبسمت الملكة بدور وقالت لهُ : ما حملك على طلب الاسفار واقتحام الاخطار . وانت في غاية الاكرام وتزايد الانعام . فقال لها قمر الزمان : ايها الملك ان هذا الاكرام اذا لم يكن لهُ سبب فانهُ من اعجب العجب . خصوصاً وقد اوليتني من المراتب ما حقهُ ان يكون للشيوخ الكبار مع انني من الاطفال الصغار . فضحكت الملكة بدور حتى استلقت وقالت لهُ : يا حبيبي ما اسرع ما نسيت ليالي بتناها . وعرفتهُ بنفسها . فعرف انها زوجته الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور . فهطلت على خدوده دموع الفرح

ثم ان الملكة بدور اخبرت قمر الزمان بجميع ما جرى لها من الاول الى الآخر . وكذلك هو اخبرها بجميع ما جرى لهُ . وبعد ذلك ارسلت الملكة بدور الى الملك ارمانوس والد الملكة حياة النفوس واخبرتهُ بحقيقة امرها وانها زوجة قمر الزمان واخبرتهُ بقصتهما وبسبب افتراقهما من بعضهما . فلما سمع الملك ارمانوس صاحب جزائر الابنوس قصة الملكة بدور بنت الملك الغيور تعجب منها غاية العجب . وأمر ان يكتبوها بماء الذهب . ثم التفت الى قمر الزمان وقال لهُ : يا ابن الملك هل لك ان تصاهرني وتتزوج بنتي حياة النفوس . فقال لهُ : حتى اشاور الملكة بدور . فان لها عليَّ فضلاً غير محصور . فلما شاورها قالت لهُ : نعمَ هذا الرأي فتزوجها واكون انا لها جارية لان لها عليَّ معروفاً واحساناً . وخيراً

وامتناناً. وخصوصاً نحن في محلها وقد غمرنا احسان ابيها

(الليلة السابعة عشرة بعد المائتين). فلما رأى قمر الزمان ان الملكة بدور مائلة الى ذلك ولم يكن عندها غيرة من حياة النفوس اتفق معها على هذا الامر واخبر الملك ارمانوس بما قالتهُ الملكة بدور من انها تحبّ ذلك وتكون جارية لحياة النفوس . فلما سمع الملك ارمانوس هذا الكلام من قمر الزمان فرح فرحاً شديدًا . ثم خرج وجلس على كرسي مملكتـــه واحضر جميع الوزراء والامراء والحجاب وارباب الدولة واخبرهم بقصة قمر الزمان وزوجته الملكة بدور من الاول الى الآخر. وانهُ يريد ان يزوّج ابنته حياة النفوس لقمر الزمان ويجعله سلطاناً عليهم عوضاً عن زوجته الملكة بدور. فقالوا جميعاً : حيث كان قمر الزمان هو زوج الملكة بدور التي كانت سلطاناً علينا قبلـــهُ ونحن نظنّ انها صهر ملكنا ارمانوس فكلّنا نرضاه سلطاناً علينا ونكون لهُ خدماً ولا نخرج عن طاعته . ففرح الملك ارمانوس بذلك فرحاً شديدًا . ثم احضر القضاة والشهود ورؤساء الدولة وعقد عقد قمر الزمان على ابنتـــه الملكة حياة النفوس . ثم انهُ اقام الافراح وأولم الولائم الفاخرة وخلع الخلع السنية على جميع الامراء ورؤساء العساكر وتصدق على الفقراء والمساكين واطلق جميع المحابيس . واستبشر العالم بسلطنة الملك قمر الزمان وصاروا يدعون لهُ بدوام العزّ والاقبال والسعادة والاجلال

ثم ان قمر الزمان لما صار ساطاناً عليهم ازال المكوس . واطلق من بقي في الحبوس . وسار فيهم سيرة حميدة واقام مع زوجتـــه على هناء وسرور . ووفاء وحبور . ولم يزل على ذلك مدة من الزمان . وقد انجلت عنهُ الهموم والاحزان . ونسي اباه الملك شهرمان . وما كان لهُ عنده من عزّ وسلطان . حتى رزقه الله تعالى من زوجتيهِ بولدين ذكرين مثل القمرين النيّرين . اكبرهمـــا من الملكة

بدور وكان اسمهُ الملك الامجد . واصغرهما من الملكة حياة النفوس واسمهُ الملك الاسعد . وكان الاسعد اجمل من اخيهِ الامجد . ثم انهما تربيا في العزّ والدلال . والادب والكمال . وتعلما الخط والعلم والسياسة والفروسية حتى صارا في غاية الكمال . ونهاية الحسن والجمال . وافتتن بهما النساء والرجال . وصار لهما من العمر نحو سبعة عشر عاماً . وهما متلازمان فيأكلان سواء ويشربان سواء ولا يفترقان عن بعضهما ساعة من الساعات . ولا وقتاً من الاوقات . وجميع الناس تحسدهما على ذلك . ولما بلغا مبلغ الرجال . واتصفا بالكمال . صار ابوهما اذا سافر يجلسهما على التعاقب في مجلس الحكم فيحكم كل واحد منهما يوماً بين الناس . واتفق بالقدر المبرم . والقضاء المحتم . ان محبة الاسعد الذي هو ابن حياة النفوس وقعت في قلب الملكة بدور زوجة ابيهِ . وان محبة الامجد الذي هو ابن الملكة بدور وقعت في قلب حياة النفوس زوجة ابيهِ . فصارت كل واحدة من المرأتين تلاعب ابن ضرّتها . واذا رأت ذلك امهُ تظن انهُ من الشفقة ومحبة الامهات لاولادها . وتمكن العشق من قلوب المرأتين وافتتنتا بالولدين . فصارت كل واحدة منهما اذا دخل عليها ابن ضرتها تودّ انهُ لا يفارقها . ولما طال عليهما المطال . ولم تجدا سبيلاً الى الوصال . امتنعتا من الشراب والطعام . وهجرتا لذيذ المنام . ثم ان الملك توجه الى الصيد والقنص وأمر ولديه ان يجلسا في موضعه للحكم كل واحد منهما يوماً على عادتهما

(الليلة الثامنة عشرة بعد المائتين) . فجلس للحكم في اليوم الاول الامجد ابن الملكة بدور فأمر ونهى وولى وعزل واعطى ومنع . فكتبت لهُ الملكة حياة النفوس امُّ الاسعد مكتوباً تستعطفه فيهِ وتوضح لهُ انها متعلقة بهِ ومتعشقة فيهِ . وتكشف لهُ الغطاء وتعلمه انها تريد وصاله

ثم ان الملكة حياة النفوس لفّت تلك الورقة في رقعة من غالي الحرير مضمخة بالمسك والعبير. ووضعت معها جدائل شعرها التي تستغرق الاموال بسعرها. ثم لفتها بمنديل واعطتها لخادم وأمرتهُ ان يوصلها الى الملك الامجد. فسار ذلك الخادم وهو لا يعلم ما خفي لهُ في الغيب. وعلّام الغيوب يدبر الامور كيف يشاء. فلما دخل الخادم على الملك الامجد قبَّل الارض بين يديه وناوله المنديل وبلّغه الرسالة. فتناول الملك الامجد المنديل من الخادم وفتحه فرأى الورقة ففتحها وقرأها. فلما فهم معناها علم ان امرأة ابيهِ في عينها الخيانة وقد خانت اباه الملك قمر الزمان في نفسها . فغضب غضبًا شديدًا وذمَّ النساء على فعلهنَّ وقال : لعن الله النساء الخائنات الناقصات عقلًا ودينًا . ثم انهُ جرَّد سيفه وقال للخادم : ويلك يا عبد السوء أتحمل المراسلة المشتملة على الخيانة من زوجة سيدك. والله انهُ لا خير فيك يا اسود اللون والصحيفة. يا قبيح المنظر والطبيعة السخيفة. ثم ضربهُ بالسيف في عنقه فعزل رأسه عن جثته وطوى المنديل على ما فيهِ ووضعه في جيبه. ثم دخل على امه واعلمها بما جرى وسبَّها وشتمها وقال: كلكنَّ انحس من بعضكنَّ. والله العظيم لولا اني اخاف اساءة الادب في حق والدي قمر الزمان واخي الملك الاسعد لادخلنَّ عليها واضربنَّ عنقها كما ضربت عنق خادمها . ثم انهُ خرج من عند امه الملكة بدور وهو في غاية الغيظ . فلما بلغ الملكة حياة النفوس زوجة ابيهِ ما فعل بخادمها سبَّتهُ ودعت عليهِ واضمرت لهُ المكر . فبات الملك الامجد في تلك الليلة ضعيفًا من الغيظ والقهر والفكر ولم يلذَّ لهُ اكل ولا شرب ولا منام . فلما اصبح الصباح خرج اخوه الملك الاسعد وجلس في مجلس ابيهِ الملك قمر الزمان ليحكم بين الناس وقد اصبحت امهُ حياة النفوس ضعيفة بسبب ما سمعتهُ عن الملك الامجد من قتله للخادم . ثم ان الملك الاسعد لما جلس للحكم في ذلك اليوم حكم وعدل وولى

وعزل. وأمر ونهى واعطى ووهب . ولم يزل جالساً في مجلس الحكم الى قرب العصر. ثم ان الملكة بدور امّ الملك الامجد ارسلت الى عجوز من العجائز الماكرات واطلعتها على ما في قلبها واخذت ورقة لتكتب فيها مراسلة للملك الاسعد ابن زوجها وتشكو اليهِ كثرة محبتهـا لهُ ووجدها بهِ

(الليلة التاسعة عشرة بعد المائتين). ثم ان الملكة بـدور ضمخت ورقة الرسالة بالمسك الاذفر ولفتها في جدائل شعرها وهي من الحرير العراقي وشراريبها من قضبان الزمرُّد الاخضر مرصعة بالدر والجوهر . ثم سلمتها الى العجوز وأمرتها ان تعطيها للملك الاسعد ابن زوجهـا الملك قمر الزمان . فذهبت العجوز من اجل خاطرها ودخلت على الملك الاسعد من وقتها وساعتها وكان في خلوة عند دخولها . فناولتهُ الورقة بما فيها وقد وقفت ساعة زمانية تنتظر ردّ الجواب . فعند ذلك قرأ الملك الاسعد الورقة وفهم ما فيها . ثم بعد ذلك لفَّ الورقة في الجدائل ووضعها في جيبه وغضب غضباً شديدًا ما عليهِ من مزيد ولعن النساء الخائنات . ثم انهُ نهض واستلَّ السيف من غمده وضرب رقبة العجوز فعزل رأسهـا عن جثتها . وبعد ذلك قام وتمشى حتى دخل على امه حياة النفوس فوجدها راقدة في الفراش ضعيفة بسبب ما جرى لها من الملك الامجد فشتمها الملك الاسعد ولعنها. ثم خرج من عندها فاجتمع باخيهِ الملك الامجد . وحكى لهُ جميع ما جرى لهُ مع امه الملكة بدور . واخبره بانهُ قتل العجوز التي جاءت اليهِ بالرسالة . ثم قال لهُ : والله يا اخي لولا حيائي منك لكنت دخلت في هذه الساعة اليها وقطعت رأسهـا من بين كتفيها . فقال لهُ اخوهُ الملك الامجد : والله يا اخي انهُ قد جرى لي بالامس لما جلست على كرسي المملكة مثل ما جرى لك في هذا اليوم فان امك ارسلت اليَّ رسالة بمثل مضمون هذا الكلام . ثم اخبره بجميع ما جرى لهُ مع امه

الملكة حياة النفوس وقال لهُ : والله يا اخي لولا حياني منك لدخلت اليهما وفعلت بها مثل ما فعلت بالخادم. ثم انهما باتا يتحدثان بقية تلك الليلة ويلعنان النساء الخائنات . ثم تواصيا بكتمان هذا الامر لئلَّا يسمع ابوهما الملك قمر الزمان فيقتل المرأتين . ولم يزالا في غمّ تلك الليلة الى الصباح

فلما اصبح الصباح اقبل الملك بجيشه من الصيد وجلس ساعة على كرسي المملكة . ثم صعد الى قصره وصرف الامراء الى حال سبيلهم. وقام ودخل القصر فوجد زوجتيهِ راقدتين على الفراش وهما في غاية الضعف وقد عملتا لولديهما مكيدة واتفقتا على تضييع ارواحهما لانهما قد فضحتا انفسهما معهما وقد خشيتا ان تصيرا تحت ذلتهما . فلما رآهما الملك على تلك الحالة قال لهما : ما لكما . فقامتا اليهِ وقبَّلتا يديه وعكستا عليهِ المسألة وقالتا لهُ : اعلم ايها الملك ان ولديك اللذين قد تربَّيا في نعمتك قد خاناك في زوجتيك واركباك العار . فلما سمع قمر الزمان من نسائهِ هذا الكلام صار الضياء في وجههِ ظلاماً واغتاظ غيظاً شديداً حتى طار عقلهُ من شدة الغيظ وقال لنسائهِ : أوضحا لي هذه القضية . فقالت لهُ الملكة بدور : اعلم يا ملك الزمان ان ولدك الاسعد بن حياة النفوس لهُ مدة من الايام وهو يراسلني ويكاتبني وانا انهاه عن ذلك ولم ينتبه . فلما سافرت انت هجم عليَّ وطلب مني القبيح والسيف في يده مسلول . فضرب بهِ خادمي فقتلهُ . ثم انها اخذت في البكاء والنحيب وقالت لهُ : ان لم تخلّص حقي منهُ ايها الملك قتلت نفسي بيدي وليس لي حاجة بالحياة في الدنيا بعد هذا الطلب القبيح. واخبرتهُ حياة النفوس وهي مخنوعة بالبكاء ايضاً بمثل ما اخبرته بهِ ضرَّتها بدور وقالت لهُ : ان لم تأخذ حقي منهُ اعلمت ابي الملك ارمانوس بذلك . ثم ان المرأتين بكتا قدام زوجهما الملك قمر الزمان بكاء شديداً . فلما رأى الملك بكاء زوجتيهِ

الاثنتين وسمع كلامهما اعتقد ان كلامهما صدق فغضب غضباً شديدًا ما عليهِ من مزيد . فقام وهمَّ ان يهجم على ولديهِ الاثنين ليقتلهما . فلقيه عمه الملك ارمانوس وقد كان داخلًا في تلك الساعة ليسلّم عليهِ لما علم انه قد اتى من الصيد. فرآه والسيف مشهور في يده والدم يقطر من انوفه من شدة غيظه . فسألهُ عمّا بهِ . فاخبره بجميع ما جرى من ولديهِ الامجد والاسعد . ثم قال لهُ : وها انا ذاهب لاقتلهما اقبح قتلة وامثل بهما اقبح مثلة

(الليلة الموفية للعشرين بعد المائتين) . فقال لهُ عمه الملك ارمانوس وقد اغتاظ عليهما ايضاً : ونعمَ ما تفعل يا ولدي فلا بارك الله فيهما ولا في اولاد تفعل هذه الفعال في حق ابيهما . ولكن يا ولدي صاحب المثل يقول : من لم ينظر في العواقب . فما الدهر لهُ بصاحب . وهما ولداك على كل حال وينبغي ان لا تقتلهما بيدك فتشرب غصتهما وتندم بعد ذلك على قتلهما حيث لا ينفعك الندم. بل ارسلهما مع احد من المماليك ليقتلهما في البرّية وهما غائبان عن عينيك. كما قيل في المثل : بعدي عن حبيبي اجمل واحسن . عين لا تنظر وقلب لا يحزن . فلما سمع الملك قمر الزمان من عمه الملك ارمانوس هذا الكلام رآه صوابًا . فاغمد سيفه ورجع وجلس على سرير مملكته ودعا خازنداره وكان شيخًا كبيرًا عارفًا بالامور وتقلّبات الدهور وقال لهُ : ادخل الى ولديَّ الامجد والاسعد وكتّفهما كتافًا جيدًا واجعلهما في صندوقين واحملهما على بغل واركب انت واخرج بهما الى وسط البرّية واذبحهما واملأ لي قنينتين من دمهما وأتني بهما عاجلًا . فقال لهُ الخازندار : سمعًا وطاعةً . ثم نهض من وقته وساعته وتوجه الى الاسعد والامجد فصادفهما في الطريق وهما خارجان من دهليز القصر وقد لبسا قماشهما وافخر ثيابهما وارادا التوجه الى والدهما الملك قمر الزمان ليسلّما عليهِ ويهنئاه

بالسلامة في قدومه من الصيد . فلما رآهما الخازندار قبض عليهما وقال لهما : يا ولديَّ اعلما انني عبد مأمور وانَّ اباكما قد امرني بامر. فهل انتما طائعان لامره. قالا : نعم . فعند ذلك تقدم اليهما الخازندار وكتَّفهما ووضعهما في صندوقين وحملهما على ظهر بغل وخرج بهما من المدينة . ولم يزل سائرًا بهما في البرية الى قريب الظهر . فانزلهما في مكان قفر موحشٍ ونزل عن فرسه وحطَّ الصندوقين عن ظهر البغل وفتحهما واخرج الامجد والاسعد منهما . فلما نظر اليهما بكى بكاء شديدًا على حسنهما وجمالهما. وبعد ذلك جرَّد سيفه وقال لهما: والله يا سيديَّ انهُ يعزّ عليَّ ان افعل بكما فعلًا قبيحًا ولكن انا معذور في هذه الامور لانني عبدٌ مأمور . وقد أمرني والدكما الملك قمر الزمان بضرب رقابكما . فقالا لهُ : ايها الامير افعل ما امرك بهِ الملك فنحن صابران على ما قدره الله عزّ وجل علينا وانت في حلّ من دمائنا . ثم انهما تعانقا وودَّعا بعضهما وقال الاسعد للخازندار : بالله عليك يا عمّ لا تجرّعني غصة اخي ولا تسقني حسرته بل اقتلني انا قبله ليكون ذلك اهون عليَّ . وقال الامجد للخازندار مثل ما قال الاسعد واستعطف الخازندار ان يقتله قبل اخيهِ بقوله : انَّ اخي اصغر مني فلا تذقني لوعته. ثم بكى كل منهما بكاء شديدًا ما عليهِ من مزيد وبكى الخازندار لبكائهما

(الليلة الحادية والعشرون بعد المائتين) . ثم ان الاخوين تعانقا وودَّعا بعضهما وقال احدهما للآخر : ان هذا كلهُ من كيد الخائنتين امي وامك. وهذا جزاء ما جرى مني في حق امك وجزاء ما جرى منك في حقّ امي . فلا حول ولا قوة الَّا بالله العلي العظيم . انَّا لله وانَّا اليهِ راجعون . ثم ان الاسعد اعتنق اخاه وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات :

يا من اليهِ المشتكى والمفزعُ   انت المعدّ لكل ما يتوقعُ

ما لي سوى قرعي لبابك حيلةٌ ولئن رددت فاي باب اقرعُ
يامن خزائن فضله في قول كن أُمنن فان الخير عندك اجمعُ

فلما سمع الامجد بكاء اخيه بكى وضمه الى صدره وانشد هذين البيتين :

يا من اياديه عندي غير واحدةٍ ومن مواهبهُ تنمو عن العددِ
ما نابني من زماني قط نائبةٌ الّا وجدتك فيها آخذاً بيدي

ثم قال الامجد للخازندار : سألتك بالواحد القهار . الملك الستار. ان تقتلني قبل اخي الاسعد . لعلّ نار قلبي تخمد. ولا تدعها تتوقد . فبكى الاسعد وقال : ما يُقتل قبل الّا انا . فقال الامجد: الرأي ان تعتنقني واعتنقك حتى ينزل السيف علينا فيقتلنا دفعة واحدة . فلما تعانق الاثنان وجهاً لوجهٍ شدَّهما الخازندار وربطهما بالحبال وهو يبكي . ثم جرَّد سيفه وقال : والله يا سيديَّ انهُ يعزّ عليَّ قتلكما فهل لكما من حاجة فاقضيها او وصية فانفذها او رسالة فابلّغها. فقال الامجد: ما لنا حاجة . واما من جهة الوصية فاني اوصيك ان تجعل اخي الاسعد من تحت وانا من فوق لاجل ان تقع عليَّ الضربة اولاً . فاذا فرغت من قتلنا ووصلت الى الملك وقال لك ما سمعت منهما قبل موتهما فقل لهُ : ان ولديك يقرآنك السلام ويقولان لكَ :انك لا تعلم هل هما بريئان او مذنبان . وقد قتلتهما وما تحققت ذنبهما وما نظرت في حالهما. ثم انشدهُ هذين البيتين:

ان النساء شياطينٌ خلقنَ لنا اعوذ بالله من كيد الشياطينِ
فهنَّ اصل البليات التي ظهرت بين البريّة في الدنيا وفي الدينِ

(الليلة الثانية والعشرون بعد المائتين) . ثم قال الامجد : ما نريد منك الّا ان تبلغهُ هذين البيتين اللذين سمعتهما . واسألك بالله ان تطوّل بالك علينا حتى انشد لاخي هذين البيتين الآخرين . ثم بكى بكاء شديداً وجعل يقول :

في الذاهبين الاولـين م من الملوك لنا بصائر
كم قد مضى في ذا الطريق م من الاكابر والاصاغر

فلما سمع الخازندار من الامجد هذا الكلام بكى بكاء شديدًا حتى بلّ لحيتهُ. واما الاسعد فانهُ اغرورقت عيناه بالعبرات . وانشد هذه الابيات :

الدهر يفجع بعد العين بالاثرِ فما البكاء على الاشباح والصورِ
ما لليالي اقال الله عثرتنا من الليالي وخانتها يد الغيرِ
قد اضرمت كيدها لابن الزبير وما رعت لياذتهُ بالبيت والحجرِ
وليتها اذ فدت عمرًا بخارجةٍ فدت عليًا بمن شاءت من البشرِ

ثم خضب خده بدمعه المدرار . وانشد هذه الاشعار :

ان الليالي والايام قد طبعت على الخداع وفيها المكر والحيلُ
سرابُ كل يبابٍ عندها شنبٌ وهول كل ظلامٍ عندها كحلُ
ذنبي الى الدهر فليكره سجيتهُ ذنب الحسامِ اذا ما احجم البطلُ

ثم صعد الزفرات . وانشد هذه الابيات :

يا طالب الدنيا الدنية انها شرَك الردى وقرارة الاكدارِ
دارٌ متى ما اضحكت في يومها ابكت غدًا تبا لها من دارِ
غاراتها لا تنقضي واسيرها لا يفتدى بجلائل الاخطارِ
كم مذدهٍ بغرورها حتى بدا متمرّدًا متجاوز المقدارِ
قلبت لهُ ظهر المجنّ واولغت فيهِ المدى وترت لاخذ الثارِ
واعلم بان خطوبها تفجا ولو طال المدى وونت سرى الاقدارِ
فاربأ بعمرك ان يمرّ مضيعًا فيها سدًى من غير ما استظهارِ
واقطع علائق حبها وطلابها تلقَ الهدى ورفاهة الاسرارِ

(الليلة الثالثة والعشرون بعد المائتين) . فلما فرغ الاسعد من شعره اعتنق اخاهُ الامجد حتى صارا كانهما شخص واحد . وسلّ الخازندار سيفه وهمّ ان يضربهما واذا بفرسه جفل في البرّ وكان يساوي الف دينار . وعليه سرج عظيم يساوي جملة من المال . فالقى السيف من يده وذهب وراء فرسه وقد التهب فؤاده . وما زال يجري خلفه ليمسكه حتى دخل في غابة . فدخل وراءهُ في تلك الغابة . فاخذ الجواد يركض في وسط الغابة ويدقّ الارض برجليهِ حتى علا الغبار وارتفع وثار . واما الفرس فانهُ شخر ونخر . وصهل وزمهر . وكان في تلك الغابة أسد عظيم الخطر . قبيح المنظر . عيونه ترمي بالشرر . لهُ وجه عبوس . وشكل يهول النفوس . فالتفت الخازندار فرأى ذلك الاسد قاصدًا اليهِ . فلم يجد لهُ مهربًا من يديه . ولم يكن معهُ سيف . فقال في نفسه : لا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم ما حصل لي هذه القضية الّا بذنب الامجد والاسعد . وان هذه السفرة مشؤومة من اولها . ثم ان الامجد والاسعد اشتدّ عليهما الحرّ فعطشا عطشًا شديدًا حتى خرجت السنتهما واستغاثا من العطش فلم يغثهما احد فقالا : يا ليتنا كنا قتلنا واسترحنا من هذا . ولكن ما ندري اين جفل الحصان حتى ذهب الخازندار وراءهُ وخلّانا مكتّفين . فلو جاءنا وقتلنا كان ذلك اريح لنا من مقاساة هذا العذاب . فقال الاسعد : يا اخي اصبر فسوف يأتينا فرج الله سبحانه وتعالى . فان الحصان ما جفل الّا لاجل لطف الله بنا . ولكن ما يؤلمنا غير هذا العطش . ثم هزّ نفسه وتحرّك يمينًا وشمالًا فانحلّ كتافه . فقام وحلّ كتاف اخيه ثم اخذ سيف الامير وقال لاخيه : والله ما نروح من ههنا حتى نكشف خبره ونعرف ما جرى لهُ . وشرعا يقتصّان الاثر فأدّى بهما الى الغابة فقالا لبعضهما : ان الحصان والخازندار ما تجاوزا هذه الغابة . فقال الاسعد لاخيه : قفْ هنا

حتى ادخل الغابة وانظرها . فقال لهُ الامجد : ما اخليك تدخل فيها وحدك وما ندخل الّا جميعاً فان سلمنا سلمنا سواء وان عطبنا عطبنا سواء . فدخل الاثنان فوجدا الاسد قد هجم على الخازندار وهو بين يديه كانهُ عصفور . ولكنهُ صار يبتهل الى الله ويشير الى نحو السماء . فلما رآه الامجد اخذ السيف وهجم على الاسد وضربه بالسيف بين عينيه فقتله ووقع الاسد مطروحاً على الارض . فنهض الامير وهو متعجب من هذا الامر فرأى الامجد والاسعد ولدي سيده واقفين . فترامى على اقدامهما وقال لهما : والله ياسيديَّ ما يحلّ لي ان اقتلكما فلا كان من يقتلكما . فبروحي افديكما

(الليلة الرابعة والعشرون بعد المائتين) . ثم نهض من وقته وساعته واعتنقهما وسألهما عن سبب فكّ وثاقهما وقدومهما . فاخبراه انهما عطشا وانحلَّ وثاق احدهما ففكَّ الآخر بسبب خلوص نيتهما ثم انهما اقتصّا الاثر حتى وصلا اليهِ . فلما سمع كلامهما شكرهما على فعلهما وخرج معهما الى ظاهر الغابة . فلما صاروا في ظاهر الغابة قالا لهُ : يا عمّ افعل ما امرك بهِ ابونا . فقال : حاشى لله ان اقربكما بضرر . ولكن اعلما اني اريد ان انزع ثيابكما والبسكما ثيابي واملأ قنينتين من دم الاسد . ثم اروح الى الملك واقول لهُ : اني قتلتهما . واما انتما فسيحا في البلاد . وارض الله واسعة . واعلما يا سيديَّ ان فراقكما يعزّ عليَّ . ثم بكى كل من الخازندار والغلامين . وقد خلعا ثيابهما والبسهما ثيابه وراح الى الملك وقد ربط قماش كل واحد منهما في بقجة معهُ وملأ القنينتين من دم الاسد وجعل البقجتين قدامه على ظهر الجواد . ثم ودَّعهما وسار متوجهاً الى المدينة . ولم يزل سائرًا حتى دخل على الملك وقبل الارض بين يديه . فرآه الملك متغيِّر الوجه وذلك مما جرى لهُ من الاسد . فظنَّ ان ذلك حصل لهُ من قتل ولديه . ففرح

وقال لهُ : هل قضيت الشغل · قال : نعم يا مولانا . ثم ناوله البقجتين اللتين فيهما الثياب والقنينتين الممتلئتين بالدم . فقال لهُ الملك : ماذا رأيت منهما وهل اوصياك بشيء · قال : وجدتهما صابرَين محتسبين بما نزل بهما . ثم قالا لي : ان ابانا معذور فأقرئه منا السلام وقل لهُ : انت في حلّ من قتلنا ومن دمائنا . ولكن نوصيك ان تبلّغه هذين البيتين :

ان النساء شياطينٌ خلقنَ لنا   نعوذ بالله من كيد الشياطينِ
فهنَّ اصل البليّات التي ظهرت   بين البريّة في الدنيا وفي الدينِ

فلما سمع الملك من الخازندار هذا الكلام اطرق برأسه الى الارض ملياً وعلم ان كلام ولديه هذا يدلُّ على انهما قد قُتلا ظلماً . ثم تفكر في مكر النساء ودواهيهنَّ واخذ البقجتين وفتحهما وصار يقلب ثياب اولاده ويبكي

(الليلة الخامسة والعشرون بعد المائتين) . فلما فتح ثياب ولده الاسعد وجد في جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته بدور وفيها جدائل شعرها · ففتح الورقة وقرأها وفهم معناها · فعلم ان ولده الاسعد مظلوم . ثم فتش رزمة الامجد فوجد في جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته حياة النفوس وفيها جدائل شعرها. ففتح الورقة وقرأها · فعلم انهُ مظلوم . فدقَّ يدًا على يدٍ وقال: لا حول ولا قوة الّا بالله العليّ العظيم قد قتلت اولادي ظلماً . ثم صار يلطم على وجهه ويقول : وا ولداه. وا طول حزناه. وأمر ببناء قبرين في بيت واحد . وسماه بيت الاحزان· وقد كتب عليهما اسمَي ولديه وترامى على قبر الامجد وبكى وانَّ واشتكى· وانشد هذه الابيات :

يا قمرًا قد غاب تحت الثرى   بكت عليهِ الانجم الزاهرهْ
منعت عيني عنك من غيرتي   عليك حتى صرت للآخرهْ

واغرقت بالسهد في دمعها وانني من ذاك بالساهرهْ

ثم ترامى على قبر الاسعد وبكى · وانّ واشتكى · وافاض العبرات · وانشد هذه الابيات:

قدكنت اهوى ان اشاطرك الردى لكن اراد الله غير مرادي
سوّدت ما بين الفضاء وناظري ومحوت من عينيَّ كل سوادِ
لا ينفد الدمع الذي ابكي بهِ ان الفؤاد لهُ من الامدادِ
أعزز عليَّ بان اراك بموضعٍ متشابه الاوغادِ والامجادِ

ثم زاد الملك في البكاء والانين · ولما فرغ من بكائه وشعره هجر الاحباب والخلّان · وانقطع في البيت الذي سماه بيت الاحزان · وصار يبكي فيهِ على اولاده · وقد هجر نساءه واصحابه واصدقاءه

هذا ما كان من امره · واما ما كان من امر الامجد والاسعد فانهما لم يزالا سائرين في البريَّة وهما ياكلان من نبات الارض ويشربان من متحصلات الامطار مدة شهر كامل حتى انتهى بهما المسير الى جبل من الصوان الاسود لا يُعلم اين منتهاه · ثم نظرا عند ذلك الجبل طريقين· طريق تشقُّه من وسطه وطريق صاعدة الى اعلاه · فسلكا الطريق التي في اعلى الجبل واستمرَّا سائرين فيها خمسة ايام· فلم يريا لهُ منتهىً وقد حصل لهما الاعياء من التعب وليسا معتادين على المشي في جبل ولا في غيره

(الليلة السادسة والعشرون بعد المائتين) · ولما يئسا من الوصول الى منتهاه رجعا وسلكا الطريق التي في وسط الجبل ومشيا فيها طول ذلك النهار الى الليل · فتعب الاسعد من كثرة السير · فقال لاخيهِ : يا اخي انا ما بقيت اقدر على المشي فاني ضعفت جدًّا · فقال لهُ الامجد : يا اخي شدّ روحك لعلَّ

الله يفرّج عنا . ثم انهما مشيا ساعةً من الليل وقد اظلم عليهما الظلام وتعب الاسعد تعباً شديداً ما عليهِ من مزيد . وقال : يا اخي اني تعبت من المشي . ورمى نفسه على الارض وبكى . فحملهُ اخوهُ الامجد ومشى بهِ . وصار ساعةً يحملهُ ويمشي وساعةً يقعد ويستريح الى ان طلع الصباح . فطلع هو واياه فوق الجبل فوجدا عين ماء يجري وعندها شجرة رمان ومحراب . فما صدّقا انهما يريان ذلك . ثم جلسا عند تلك العين وشربا من مائها واكلا من رمان تلك الشجرة وناما في ذلك الموضع حتى طلعت الشمس فجلسا واغتسلا في العين واكلا من ذلك الرمان الذي في الشجرة وناما الى العصر . وهمّا ان يسيرا فما قدر الاسعد ان يسير وقد ورمت رجلاه . فاقاما هناك ثلثة ايام حتى استراحا . ثم سارا في الجبل مدة ايام وليالي حتى هلكا وتعبا واشتدَّ عليهما العطش . فلاحت لهما مدينة من بعيد ففرحا وسافرا حتى وصلا اليها . فلما قربا منها شكرا الله تعالى . فقال الامجد للاسعد : يا اخي اجلس هنا وانا امضي واسير الى هذه المدينة فانظر ما هي ولمن هي واين نحن من ارض الله الواسعة ونعرف الذي قطعناه من البلاد في عرض هذا الجبل . ولو اننا مشينا في لحفه ما كنا وصلنا الى هذه المدينة في سنة كاملة . فالحمد لله على السلامة . فقال لهُ الاسعد : والله يا اخي ما ينزل ويذهب الى هذه المدينة غيري وانا فداؤُك . فانك ان تركتني ونزلت انت الساعة وغبت عني حسبت انا ألف حساب واستغرقتني الافكار من اجلك وليس لي قدرة على بعدك عني . فقال لهُ الامجد : انزل ولا تبطئْ . فنزل الاسعد من الجبل واخذ معهُ دنانير وخلّى اخاه ينتظره . وسار ولم يزل ماشياً في اسفل الجبل حتى دخل المدينة وشقّ ازقّتها فلقيهُ في طريقه رجل وهو شيخ كبير طاعن في السنّ وقد نزلت لحيتهُ على صدره وافترقت فرقتين . وكان بيده عكاز وعليهِ ثياب

فاخرة وعلى رأسه عمامة كبيرة حمراء . فلما رآه الاسعد تعجب من لبسه وزيّه وتقدم اليهِ وسلّم عليهِ وقال لهُ : اين طريق السوق يا سيدي . فلما سمع الشيخ كلامه تبسَّم في وجهه وقال لهُ : يا ولدي كأنك غريب . فقال لهُ الاسعد : نعم انا غريب

(الليلة السابعة والعشرون بعد المائتين) . فقال لهُ الشيخ : قد آنست ديارنا يا ولدي واوحشت ديار اهلك . فما الذي تريد من السوق . فقال الاسعد : يا عمّ ان لي اخاً تركتهُ في الجبل ونحن مسافرون من بلاد بعيدة . ولنا في السفر مدة ثلثة اشهر وقد اشرفنا على هذه المدينة . فخليت اخي الاكبر فوق الجبل وجئت الى ههنا لاشتري طعاماً وشيئاً واعود بهِ الى اخي من اجل ان نقتات بهِ . فقال لهُ : ياولدي أبشر بكل خيرٍ واعلم انني عملت وليمة وعندي ضيوف كثيرة . وجمعت فيها من اطيب الطعام واحسنه ما تشتهيه النفوس . فهل لك ان تسير معي الى مكاني فاعطيك ما تريد ولا آخذ منك شيئاً ولا ثمناً واخبرك باحوال هذه المدينة . والحمد لله يا ولدي لاني صادفتك ولم يصادفك احد غيري . فقال الاسعد : افعل ما انت اهله وعجِّل . فان اخي ينتظرني وخاطره كله عندي . فاخذ الشيخ بيد الاسعد ورجع بهِ الى زقاق ضيق وصار الشيخ يتبسم في وجهه ويقول لهُ : سبحان من نجاك من اهل هذه المدينة . ولم يزل ماشياً بهِ حتى دخل دارًا واسعة وفيها قاعة واذا بوسطها اربعون شيخاً . طاعنون في السن ومصطفون حلقةً . وكان في وسطهم نار موقدة وهم جالسون حولها يعبدونها ويسجدون لها . فلما رأى ذلك الاسعد اقشعرّ بدنه ولم يعلم ما خبرهم . فنادى الشيخُ اولئك الجماعة : يا مشايخ النار . ما ابركه من نهار . ثم نادى قائلًا : يا غضبان . فخرج لهُ عبد اسود طويل القامة وصورته هائلة بوجه اعبس . وانف افطس . ثم اشار

الى العبد فكتف الاسعد وشدّ وثاقه. وبعد ذلك قال لهُ الشيخ: انزل بهِ الى القاعة التي تحت الارض واتركه هناك وقل لجارية الفلانية تتولى عقوبته بالليل والنهار. فاخذه العبد وانزله تلك القاعة وسلّمه الى الجارية فصارت تتولى عقوبته وتطعمه رغيفًا واحدًا باكر النهار ورغيفًا واحدًا في العشاء وكوز ماء مالح في الغداة ومثله في العشاء. ثم ان المشايخ قالوا لبعضهم: اذا اتى اوان عيد النار نذبحه على الجبل ونتقرّب بهِ الى النار. ثم ان الجارية نزلت اليهِ وضربتهُ ضربًا وجيعًا حتى سالت الدماء من اجنابه وأُغمي عليه. ثم حطت عند رأسه رغيفًا وكوز ماء مالح وراحت وخلّته. فاستفاق الاسعد في نصف الليل فوجد روحه مقيدًا مضروبًا وقد آلمهُ الضرب. فبكى بكاء شديدًا وتذكر ما كان فيه من العزّ والسعادة والملك والسيادة وفرقة ابيهِ والملك الذي كان فيهِ. فبكى وصعد الزفرات. وانشد هذه الابيات:

قفوا برسوم الدار واستخبروا عنّا ... ولا تحسبونا في الديار كما كنّا
لقد فرّق الدهر المشتّت شملنا ... وما تشتفي اكباد حسّادنا منّا
تولّت عذابي بالسياط لئيمةٌ ... وقد ملأَت مني جوانحها ضغنا
عسى ولعل الله يجمع شملنا ... ويدفع بالتنكيل اعدائنا عنّا

(الليلة الثامنة والعشرون بعد المائتين). فلما فرغ الاسعد من شعره مدّ يده فوق رأسه فوجد رغيفًا وكوز ماء مالح فاكل قليلًا ليسدّ رمقه وشرب قليلًا من الماء. ولم يزل سهران الى الصباح. فلما اصبح الصباح نزلت اليهِ الجارية وغيرت اثوابه وكانت قد انغمرت بالدم والتصقت بجلده فخرج جلده مع القميص فصرخ وتأوه وقال: يا مولاي ان كان في هذا رضاك فزدني منهُ. يا رب انك لست غافلًا عمّن ظلمني فخذ حقي منهُ. ثم صعد الزفرات. وانشد هذه الابيات:

صبرًا لحكمك يا الهي في القضا انا صابرٌ ان كان فيهِ لك الرضا
صبرًا لما قدرته يا سيدي صبرًا ولو أُلقيتُ في نار الغضا
جاروا عليَّ بظلمهم وقد اعتدوا فلعل بالحسنات ان تتعوضا
حاشاك تغفل سيدي عن ظالمٍ فوسيلتي بك انت يا ربَّ القضا

وقول الآخر:

كن عن امورك معرضا وكِلِ الامور الى القضا
فلربَّ امرٍ مسخطٍ لك في عواقبه رضى
ولربما اتسع المضيقُ وربما ضاق الفضا
الله يفعل ما يشاء فلا تكن متعرضا
وابشر بخيرٍ عاجلٍ تنسى بهِ ما قد مضى

(الليلة التاسعة والعشرون بعد المائتين) . فلما فرغ من شعره نزلت عليهِ الجارية بالضرب حتى غشي عليهِ ورمت له رغيفًا وكوز ماء مالح وخرجت من عنده وخلتهُ وحيدًا فريدًا حزينًا والدماء تسيل من جسمه وهو مقيدًا في الحديد بعيد عن الاحباب . فبكى وتذكر اخاه والعزَّ الذي كان فيه . وانَّ واشتكى . وسكب العبرات . وانشد هذه الابيات:

يا دهر مهلًا كم تجور وتعتدي ولكم باخواني تروح وتغتدي
ما آن ان ترثي لطول تشتتي وترقَّ يا من قلبهُ كالجلمدِ
واسأت احبابي بما اشمتَّ بي كلَّ العداة بما صنعت من الردي
وقد اشتفى قلب العدوّ بما رأى من غربتي وصبابتي وتوحدي
لم يكفهِ ما حلَّ بي من كربةٍ وفراق احبابٍ وطرفٍ ارمد
حتى بليت بضيق سجنٍ ليس لي فيهِ انيسٌ غير عضّ باليد

ومدامع تهمي كفيض سحائب وغليل شوقٍ ناره لم تخمد
وكآبة وصبابة وتذكر وتحسر وتنفس وتنهد
شوقٌ اكابده وحزنٌ متلفٌ ووقعت في وجدٍ مقيمٍ مقعدِ
لم القَ لي من عاطف ذي رحمة يحنو عليَّ بزورة المتردد
هل من صديقٍ ذي ودادٍ صادقٍ يرثي لاسقامي وطول تسهدي
اشكو اليهِ ما اكابدهُ اسى والطرف مني ساهرٌ لم يرقدِ
ويطول ليلي في العذاب لانني اصلي بنار الهمّ ذات توقدِ
البقّ والبرغوث قد شربا دمي شرب الطلا من كف ألمى اغيدِ
والجسم بين القمل مني قد حكى مال اليتيم بكفّ قاضٍ ملحدِ
وسكنت في قبرٍ ثلثة اذرعٍ وغدوت بين مقيدٍ ومفصدِ
فمدامتي دمعي وقيدي مطربي والفكر نُقلي والهموم تمهدي

فلما فرغ من شعره ونظمه ونثره تذكر ما كان فيهِ . وما حصل لهُ من فراق اخيه

هذا ما كان من امره . واما ما كان من امر اخيهِ الامجد فانهُ مكث ينتظر اخاه الاسعد الى نصف النهار فما عاد اليه . فخفق فؤاده واشتدّ بهِ ألم الفراق . وافاض دمعه المهراق . وبكى ونادى وا أخياه وا رفيقاه وا حسرتاه ما كان اخوفني من الفراق

(الليلة الموفية للثلثين بعد المائتين) . ثم نزل من فوق الجبل ودمعه سايل على خديه ودخل المدينة . ولم يزل ماشياً فيها حتى وصل الى السوق وسأل الناس عن اسم المدينة وعن اهلها : فقالوا لهُ : هذه تسمى مدينة المجوس واهلها يعبدون النار دون الملك الجبار . ثم سأل عن مدينة الابنوس . فقالوا لهُ : ان

المسافة التي بيننا وبينها من البرّ سنة ومن البحر ستة اشهر. وملكها يقال لهُ ارمانوس وقد صاهر اليوم فيها سلطاناً وجعله مكانه . وذلك الملك يقال لهُ قمر الزمان . وهو صاحب عدل واحسان . وجود وامان . فلما سمع الامجد بذكر ابيهِ بكى وانّ واشتكى . وصار لا يعلم اين يتوجه . وقد اشترى معهُ شيئاً للاكل ودخل الى موضع يتوارى فيه . ثم قعد واراد ان يأكل فتذكر اخاه فبكى وما اكل الَّا قدر سد الرمق غصباً . ثم قام يمشي في المدينة ليعلم خبر اخيه . فوجد رجلاً مسلماً خياطاً في دكان فجلس عنده . ثم حكى لهُ قصته . فقال لهُ الخياط : ان كان وقع في يد احد من المجوس فما بقيت تراه الَّا بعسر ولعل الله يجمع بينك وبينه . ثم قال لهُ : هل لك يا اخي ان تنزل عندي . قال: نعم. ففرح الخياط بذلك واقام عنده اياماً وهو يسلّيه ويصبره ويعلمه الخياطة حتى صار ماهرًا . فخرج يوماً الى شاطئ البحر وغسل اثوابه ودخل الحمام ولبس ثياباً نظيفة . ثم خرج من الحمام يتفرج في المدينة فصادف في طريقه امرأة ذات حسن وجمال . وقدّ واعتدال . ما لها في الحسن مثال . فلما رأتهُ طلبت منهُ الضيافة . فاستحى ان يردها . واستحى ان يذهب بها الى بيت الخياط الذي هو معلمه . فمشى قدامها ومشت خلفه ولم يزل ماشياً بها من زقاق الى زقاق ومن موضع الى موضع حتى تعبت الصبية . فقالت لهُ : يا سيدي اين دارك . فقال لها : ما بقي الَّا شيء يسير

(الليلة الحادية والثلثون بعد المائتين) . ثم انعطف بها في زقاق مليح ولم يزل ماشياً فيهِ وهي خلفه حتى وصل الى آخره . فوجده غير نافذ. فقال : لا حول ولا قوة الَّا بالله العلي العظيم . ثم التفت بعينه فرأى في صدر الزقاق باباً كبيرًا بمصطبتين ولكنهُ مغلوقٌ . فجلس الامجد على واحدة وجلست الاخرى على واحدة .

فقالت لهُ : يا سيدي ما الذي تنتظره . فاطرق برأسه الى الارض مليـاً . ثم رفع رأسه وقال لها : انتظر مملوكي لان المفتاح معــهُ وكنت قد قلت لهُ ان يهيئ لنا المأكول والمشروب مع اصناف المدام حتى اخرج من الحمام . ثم قال في نفسه : ربما يطول عليها المطال فتروح الى حال سبيلهـا وتخليني في هذا المكان فاروح الى حال سبيلي . فلما طال عليها الوقت قالت لهُ : يا سيدي ان المملوك قد ابطأ علينا ونحن قاعدون في الزقاق . ثم قامت الصبية الى الضبَّة بحجر . فقال الامجد : لا تعجلي واصــبري حتى يجيء المملوك . فلم تسمع كلامه بل ضربت الضبة بالحجر فقسمتها نصفين . فانفتح الباب . فقال لها : واي شيء خطر لكِ حتى تفعلي هكذا . فقالت لهُ : يوه يوه يا سيدي واي شيء جرى أما هو بيتك وموضعك . فقــال : نعم ولكن لا يحتاج الى كسر الضبة . ثم ان الصبيــة دخلت البيت فبقي الامجد متحيرًا في نفسه خوفًا من اصحاب المنزل ولم يدرِ ماذا يصنع . فقالت لهُ الصبية : ألا تدخل . فقال لها : سمعاً وطاعةً ولكن قد ابطــأ عليَّ المملوك وما ادرِ هل فعل شيئــاً مما قلت لهُ وأمرته بهِ ام لا . ثم انهُ دخل معها وهو في غاية ما يكون من الخوف من اصحاب المنزل . ولما دخل البيت وجد فيهِ قاعة مليحة باربعة اواوين متقابلة . وفيها خزائن وسدلات مفروشات بالفرش والحرير والديباج . وفي وسط القاعة فسقية مثمَّنة مرصوص عليها اطباق مرصعة بفصوص الجواهر وهي مملوءة فاكهة ومشموماً . وفي جانبها اواني الشراب . وهناك شمعدان فيهِ شمعة مركبة والمكان ملآن بنفيس القماش وفيهِ صنــاديق وكراسي منصوبة وعلى كل كرسي بقجة وفوقها كيس ملآن دراهم وذهبــاً ودنانير . والدار تشهد لصاحبها بالسعادة لان ارضها مفروشة بالرخام . فلما رأى الامجد ذلك تحير في امره وقال في نفسه : قد راحت روحي . انَّا لله وانَّا اليــهِ راجعون . واما

الصبية فانها لما رأت ذلك المكان فرحت فرحًا شديدًا ما عليهِ من مزيد وقالت : واللّه يا سيدي ما قصر مملوكك فانهُ مسح المكان وطبخ الطعام وهيأ الفاكهة وقد جئتُ انا في احسن الاوقات · فلم يلتفت اليها الامجد لاشتغال قلبه بالخوف من اصحاب المكان · فقالت : يوه يا سيدي مالك واقفًا هكذا. فضحك الامجد عن قلب مملوء بالغيظ . ثم طلع وجلس وهو ينفخ وقال في نفسه : يا قتلة الشؤم اذا جاء صاحب المنزل. وقد جلست الصبية والامجد مهموم معبس يحسب في نفسه الف حساب · ويقول : لا بدّ ان يجيء صاحب هذه القاعة فاي شيء اقول لهُ ولا بدّ انهُ يقتلني بلا شك وتروح روحي . ثم ان الصبية قامت وتشمرت واخذت خوانًا وحطت عليهِ السفرة واكلت وقالت للامجد : كُل يا سيدي. فتقدم الامجد لياكل فما طاب لهُ الاكل بل صار ينظر الى ناحية الباب حتى اكلت الصبية وشبعت وقد رفعت الخوان وقدمت طبق الفاكهة وشرعت تتنقل . ثم قدمت المشروب وفتحت الجرَّة وملأَت قدحًا وناولتهُ للامجد . فاخذه منها وقال في نفسه : آه آه من صاحب هذه الدار اذا جاء ورآني وقد صارت عينه صوب الدهليز والقدح في يده · فبينما هو كذلك واذا بصاحب الدار قد جاء وكان مملوكًا من اكابر المدينة لانهُ كان امير آخور عند الملك وقد جعل تلك القاعة معدَّة لحظه لينشرح فيها صدره ويختلي فيها بمن يريده . وكان في ذلك اليوم قد ارسل الى صديق يجيء لهُ وقد جهز لهُ ذلك المكان . وكان اسم ذلك المملوك بهادر وكان سخيّ اليد صاحب جود واحسان. وصدقات وامتنان . فلما وصل الى باب القاعة ورأى الباب مفتوحًا دخل قليلًا قليلًا وطلّ برأسه فنظر الامجد والصبية وقدامهما طبق الفاكهة والجرَّة . وفي ذلك الوقت كان الامجد ماسكًا القدح وعينه الى الباب . فلما صارت عينه في عين صاحب الدار

اصفرَّ لونه وارتعدت فرائصه وخاف على نفسه خوفاً عظيماً وصار كالحيران

(الليلة الثانية والثلثون بعد المائتين) . فلما رآه بهادر قد اصفرَّ لونه وتغير حاله غمزه باصبعه على فمه يعني اسكت وتعال عندي . فحطَّ الامجد الكاس من يده وقام اليهِ . فقالت الصبية : الى اين . فحرَّك رأسه واشار لها انهُ يريد حاجة . ثم خرج الى الدهليز حافياً . فلما رأى بهادر علم انهُ صاحب الدار فاسرع اليهِ وقبل يديه وقال لهُ : بالله عليك يا سيدي قبل ان تؤذيني ان تسمع مني مقالي . ثم حدثهُ بحديثه من اوَّله الى آخره واخبره بسبب خروجه من ارضه ومملكته . وانهُ ما دخل القاعة باختياره ولكن الصبية هي التي كسرت الضبة وفتحت الباب وفعلت هذه الفعال . فلما سمع بهادر كلام الامجد وما جرى عليهِ وعرف انهُ ابن ملك حنَّ عليهِ ورحمه . ثم قال لهُ : اسمع يا امجد كلامي واطِعني وانا اتكفل لك بالامان مما تخاف . وان خالفتني قتلتك . فقال الامجد : مرني بما شئت فانا لا اخالفك ابدًا لانني عتيق مروءتك . فقال لهُ بهادر : ادخل الساعة الى البيت واجلس في المكان الذي كنت فيهِ واطمئن وها انا داخل اليك واسمي بهادر . فاذا دخلت اليك فاشتمني وانهرني وقل لي : ما سبب تأخرك الى هذا الوقت . ولا تقبل لي عذرًا بل قم اضربني . وان شفقتَ عليَّ اعدمتُك حياتك . فادخل وانبسط ومهما طلبتهُ مني في هذه الساعة تجدهُ حاضرًا بين يديك في الوقت . وبت عندي في هذه الليلة . وفي غد توجه الى حال سبيلك اكرامًا لغربتك . فاني احب الغريب وواجب عليَّ اكرامه . فقبَّل الامجد يده ودخل . وقد اكتسى وجههُ حمرةً وبياضاً . فأول ما دخل قال للصبية : يا سيدتي آنستِ موضعكِ وهذه ضيافة مباركة . فقالت لهُ الصبية : ان هذا عجيب منك حيث بسطت لي الانس . فقال الامجد : والله يا سيدتي اني كنت اعتقد ان مملوكي

بهادر اخذ لي عقود جواهر كل عقد يساوي عشرة آلاف دينار . ثم انني خرجت الساعة وانا متفكر في ذلك ففتشت عليها فوجدتها في موضعها . ولم ادرِ ما سبب تأخر المملوك الى هذا الوقت ولا بد لي من عقوبته . فاستراحت الصبية بكلام الامجد . فشربا وانشرحا . ولم يزالا في حظ الى قرب الغروب . فدخل عليهما بهادر وقد غير لبسه وشدَّ وسطهُ وجعل في رجليهِ زربوناً على عادة المماليك . ثم سلَّم وقبَّل الارض وكتَّف يديه واطرق برأسه الى الارض كالمعترف بذنبه . فنظر اليهِ الامجد بعين الغضب وقال لهُ : يا انحس المماليك ما سبب تأخرك. فقال لهُ : يا سيدي اني اشتغلت بغسل اثوابي وما علمت انك هاهنا لان ميعادي وميعادك العشاء لا بالنهار . فصرخ عليهِ الامجد وقال لهُ : تكذب يا انحس المماليك والله لا بدَّ من ضربك . ثم قام الامجد وسطح بهادر على الارض وأخذ عصاً وضربهُ برفقٍ . فقامت الصبية وخلصت العصا من يديهِ ونزلت على بهادر بضرب وجيع حتى آلمه الضرب وجرت دموعه واستغاث وصار يكزّ على اسنانه. والامجد يصيح على الصبية : لاتفعلي . وهي تقول: دعني اشفي غيظي منهُ. ثم ان الامجد خطف العصا من يدها ودفعها . فقام بهادر ومسح دموعه من وجهه ووقف في خدمتهما ساعة . ثم مسح القاعة وأوقد القناديل وصارت الصبية كل ما خرج او دخل بهادر تشتمه وتلعنه . والامجد يغضب منها ويقول لها : بحق الله تعالى عليكِ ان تتركي مملوكي . ثم انهما لم يزالا يأكلان ويشربان وبهادر في خدمتهما الى نصف الليل حتى تعب من الخدمة والضرب. فنام في وسط القاعة وشخر ونخر . فسكرت الصبية وقالت للامجد : قم خذ هذا السيف المعلق واضرب رقبة هذا المملوك . وان لم تفعل عملت على هلاك روحك . فقال الامجد : واي شيء خطر لكِ في قتل مملوكي . قالت :لا بدَّ من قتله وان لم تقم قمت انا وقتلته.

فقال الامجد : بحق الله عليكِ لا تفعلي . فقالت : لا بدَّ من هذا . واخذت السيف وجرَّدتهُ وهمَّت بقتله . فقال الامجد في نفسه : هذا رجل عمل معنا خيرًا وسترنا واحسن الينا وجعل نفسه مملوكي كيف نجازيه بالقتل . لا كان ذلك ابدًا . ثم قال للصبية : ان كان ولا بدَّ من قتل مملوكي فانا احقّ بقتله منكِ . ثم اخذ السيف من يدها ورفع يده وضرب الصبية في عنقها فأطاح رأسها عن جثتها . فوقع رأسها على صاحب الدار فاستيقظ وجلس وفتح عينيه فوجد الامجد واقفًا والسيف في يده مخضبًا بالدم . ثم نظر الى الصبية فوجدها مقتولة . فاستخبره عن امرها فاعاد عليهِ حديثها وقال : انها ابت الّا ان تقتلك وهذا جزاؤها . فقام بهادر وقبّل رأس الامجد وقال لهُ : يا سيدي ليتك عفوت عنها وما بقي في الامر الّا اخراجها في هذا الوقت قبل الصباح . ثم ان بهادر شدّ وسطه واخذ الصبية ولفها في عباءة وحملها وقال للامجد : انت غريب ولا تعرف احدًا فاجلس في مكانك وانتظرني الى وقت الفجر . فان عدت اليك لا بدّ ان افعل معك خيرًا كثيرًا وأجتهد في كشف خبر اخيك . وان طلعت الشمس ولم اعد اليك فاعلم انهُ قد قضي عليَّ والسلام عليك وهذه الدار لك ولك ما فيها من الاموال والقماش . ثم انهُ حمل الصبية وخرج من القاعة وشقّ بها الاسواق وقصد بها طريق البحر المالح ليرميها فيهِ . فلما صار قريبًا من البحر التفت فرأى الوالي والمقدمين قد احاطوا بهِ ولما عرفوه تعجبوا وفتحوا العباءة فوجدوا فيها قتيلة . فمسكوه وبيتوه في الحديد الى الصباح

(الليلة الثالثة والثلثون بعد المائتين) . ثم اخذوه على حاله الى الملك واعلموه بالخبر . فلما رأى الملك ذلك غضب غضبًا شديدًا وقال لهُ : ويلك انك تفعل هكذا دائمًا فتقتل القتلى وترميهم في البحر وتأخذ جميع مالهم . وكم فعلت

قبل ذلك من قتل. فاطرق بهادر رأسه الى الارض قدام الملك. فصرخ الملك عليهِ وقال لهُ : ويلك مَن قتل هذه الصبية . فقال لهُ : ياسيدي انا قتلتها ولا حول ولا قوة الَّا بالله العليّ العظيم . فغضب الملك وأمر بشنقه . فاخذه السياف وأمر الوالي المنادي ان ينادي في ازقة المدينة بالفرجة على بهادر امير آخور الملك

هذا ما كان من امر بهادر . واما ما كان من امر الامجد فانهُ لما طلع عليهِ النهار وارتفعت الشمس ولم يعد اليهِ بهادر . قال : لاحول ولا قوة الَّا بالله العلي العظيم . يا ترى اي شيء تمَّ عليهِ وما جرى لهُ. فبينما هو يتفكر واذا بالمنادي ينادي بالفرجة على بهادر فانهم يشنقونه في وسط النهار . فلما سمع الامجد ذلك بكى وقال : أنَّا لله وأنَّا اليهِ راجعون قد اراد هلاك نفسه ظلماً من اجلي وانا الذي قتلتها . والله لا كان هذا ابدًا . ثم خرج من القاعة وقفلها وسار في وسط المدينة حتى اتى الى بهادر . ووقف قدام الوالي وقال لهُ : يا سيدي لا تقتل بهادر فانهُ بريء والله ما قتلها الَّا انا . فلما سمع الوالي كلامه اخذه هو وبهادر واصعدهما الى الملك واعلمه بما سمعه من الامجد . فنظر الملك الى الامجد وقال لهُ : أأنت قتلت الصبية . قال : نعم . فقال لهُ الملك : احكِ لي ما سبب قتلك اياها واصدقني . قال لهُ : ايها الملك انهُ جرى لي حديث عجيب وامر غريب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر . ثم حكى للملك حديثه واخبره بما جرى لهُ ولاخيهِ من المبتدإِ الى المنتهى . فتعجب الملك من ذلك غاية العجب وقال لهُ : اعلم اني قد علمت انك معذور ولكن يا فتى هل لك ان تكون عندي وزيرًا . فقال لهُ : سمعاً وطاعةً . فخلع عليهِ الملك وعلى بهادر خلعاً سنية واعطاه دارًا حسنة وخدماً وحشماً وانعم عليهِ بجميع ما يحتاج اليه ورتب لهُ الرواتب

والجرايات وأمره ان يبحث على اخيهِ الاسعد . فجلس الامجد في مرتبة الوزير وحكم وعدل وولّى وعزل واخذ واعطى وارسل المنادي في ازقة المدينة ينادي على اخيهِ الاسعد . فمكث مدة ايام ينادي في الشوارع والاسواق فما سمع لهُ بخبر ولا وقع لهُ على اثر

(الليلة الرابعة والثلثون بعد المائتين) . هذا ما كان من امر الامجد . واما ما كان من امر الاسعد فان المجوس ما زالوا يعاقبونه بالليل والنهار . وفي العشيّ والابكار مدة سنة كاملة حتى قرب عيد المجوس . فتجهز بهرام المجوسي وهيأ لهُ مركباً للسفر واخذ الاسعد وحطهُ في صندوق وقفله عليه ونقله الى المركب . وفي تلك الساعة التي حوّل فيها بهرام الصندوق الذي فيهِ الاسعد اتفق ان الامجد بالقضاء والقدر كان واقفاً يتفرج على البحر . فنظر الى الحوائج وهم ينقلونها الى المركب . فخفق فؤاده وأمر غلمانه ان يقدموا لهُ مركوبه . ثم ركب في جملة من جماعته وتوجه الى البحر ووقف على مركب المجوسي وأمر من معهُ ان ينزلوا المركب ويفتشوهُ . فنزلت الرجال وفتشوا المركب جميعه فلم يجدوا فيه شيئاً فصعدوا واعلموا الامجد بذلك . فركب وولّى طالباً بيته . فلما وصل الى منزله ودخل القصر انقبض خاطره . فنظر بعينه في الدار فرأى سطرين مكتوبين على حائط وهما هذان البيتان :

احبابنا ان غبتمُ عن ناظري ... فعن الفؤاد وخاطري ما غبتمُ
لكنكم خلّفتموني مدنفاً ... ومنعتمُ جفني الرقاد ونمتمُ

فلما قرأهما الامجد تذكر اخاه وبكى . هذا ما كان من امره . واما ما كان من امر بهرام المجوسي فانهُ نزل المركب وصاح وزعق على البحرية ان يعجلوا بحلّ القلوع فحلوا القلوع وسافروا ولم يزالوا مسافرين اياماً وليالي . وبعد كل يومين يُخرج

الاسعد ويطعمه قليلًا من الزاد ويسقيه قليلًا من الماء الى ان قربوا من جبل النار . فخرج عليهم ريح وهاج بهم البحر . فتاه المركب عن الطريق وسلكوا طريقاً غير طريقهم وعبروا الى بحر غيره ووصلوا الى مدينة مبنية على شاطئ البحر ولها قلعة بشبابيك تطلّ على البحر . والحاكمة على تلك المدينة امرأة يقال لها الملكة مرجانة . فقال الرئيس لبهرام : يا سيدي اننا تهنا عن الطريق ولا بدّ لنا من الدخول الى هذه المدينة لاجل الراحة وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء . فقال له بهرام : نعمَ ما فعلت وما رأيت والذي تراه افعله . فقال له الرئيس : اذا ارسلتْ الملكة تسألنا ماذا يكون جوابنا لها . فقال لهُ بهرام : انا عندي هذا المسلم الذي معنا فنلبسه لبس المماليك ونخرجه معنا . واذا رأتهُ الملكة تظن وتقول : هذا مملوك . فاقول لها : اني جلّاب مماليك ابيع واشتري وقد كان عندي مماليك كثيرة فبعتهم ولم يبقَ غير هذا المملوك . فقال له الرئيس : هذا كلام مليح . ثم انهم وصلوا الى المدينة وارخوا القلوع ودقوا المراسي ووقف المركب . واذا بالملكة مرجانة نزلت اليهم ومعها عسكرها ووقفت على المركب ونادت على الرئيس . فصعد اليها وقبل الارض بين يديها . فقالت لهُ : اي شيء في مركبك هذا ومن معك . فقال لها : يا ملكة الزمان معي رجل تاجر يبيع المماليك . فقالت : عليَّ بهِ . واذا ببهرام طلع ومعهُ الاسعد ماشٍ وراءهُ في صفة مملوك . فلما وصل اليها بهرام قبل الارض ووقف بين يديها . فقالت له : ما شأنك . فقال لها : انا تاجرُ رقيق . فنظرت الى الاسعد وقد ظنت انهُ مملوك . فقالت لهُ : ما اسمك . فخنقهُ البكاء وقال لها : اسمي الاسعد . فحنَّ قلبها عليهِ وقالت لهُ : اتعرف الكتابة . قال : نعم . فناولتهُ دواةً وقلماً وقرطاساً وقالت لهُ : اكتب شيئاً حتى اراه . فكتب هذين البيتين :

ما حيلة المرء والاقدارُ جاريةٌ عليهِ في كل حالٍ ايهـا الرائي
القاهُ في اليمّ مكتوفاً وقال لهُ اياكَ اياكَ ان تبتـلّ بالمـاء

فلما رأت الورقة رحمتـهُ . ثم قالت لبهرام : بعني هذا المملوك . فقال لها : يا سيدتي لا يمكنني بيعه لاني بعتُ جميع مماليكي ولم يبقَ عندي غير هذا . فقالت الملكة مرجانة : لا بدّ من اخذه منك امّا ببيع واما بهبة : فقال لها : لا ابيعه ولا اهبهُ . ثم مسكت بيد الاسعد واخذتهُ وصعدت بهِ القلعة وارسلت تقول لهُ : ان لم تقلع في هذه الليـلة عن بلدنا اخذت جميع مالك وكسرت مركبك . فلما وصلت اليهِ الرسالة اغتمّ غمّاً شديداً وقال : ان هذه سفرة غير محمودة . ثم قام وتجهز واخذ جميع ما يريده وانتظر الليل ليسافر فيهِ . وقال للبحرية: خذوا اهبتكم واملأوا قرَبكم من الماء واقلعوا بنا في آخر الليل . فصار البحرية يقضون اشغالهم وينتظرون الليل

(الليلة الخامسة والثلثون بعد المـائتين) . هذا ما كان من امرهم . واما ما كان من امر الملكة مرجانة فانها اخذت الاسعد ودخلت بهِ الى القلعة وفتحت الشبابيك المطلة على البحر . وأمرت الجواري ان يقدمنَ الطعام . فقدمنَ لهما الطعام فأكلا. ثم أمرتهنّ ان يقدمنَ المدام فقدمنهُ. فشربت مع الاسعد والقى الله سبحانهُ وتعالى محبة الاسعد في قلبها وصارت تملأُ القدح وتسقيهِ حتى غاب عقله . فقام يريد قضاء حاجة ونزل من القاعة فرأى باباً مفتوحاً فدخل فيهِ وتمشى. فانتهى بهِ السير الى بستان عظيم فيهِ من جميع الفواكه والازهار. فجلس تحت شجرة بجنب الفسقية التي في البستـان فاستلقى على قفاه . فضربهُ الهواء فنام ودخل عليهِ الليل

هذا ما كان من امره . واما ما كان من امر بهرام فانهُ لما دخل عليـهِ

الليل صاح على بحرية المركب وقال لهم : حلوا قلوعكم وسافروا بنا · فقالوا لهُ : سمعاً وطاعةً ولكن اصبر علينا حتى نملأ قِرَبنا · ثم خرج البحرية بالقِرَب من اجل ان يملأُوها وداروا حول القلعة فلم يجدوا غير حيطان البستان · فتعلقوا بها ونزلوا البستان وتتبعوا اثر الاقدام الموصلة الى الفسقية · فلما وصلوا اليها وجدوا الاسعد مستلقياً على قفاه · فعرفوه وفرحوا بهِ وحملوه بعد ان ملأُوا قِرَبهم ونطوا بهِ من الحائط واتوا بهِ مسرعين الى بهرام وقالوا لهُ : ابشر بحصول المراد وشفاء الاكباد · فقد طَبَّل طبلك وزَمَّر زمرك · فان اسيرك الذي اخذتهُ الملكة مرجانة منك غصباً قد وجدناه واتينا بهِ معنا · ثم رموه قدامه · فلما نظره بهرام طار قلبه من الفرح · واتسع صدره وانشرح · ثم خلع عليهم وأمرهم ان يحلوا القلوع بسرعة · فحلوا قلوعهم وسافروا قاصدين جبل النار · ولم يزالوا مسافرين الى الصباح

هذ ما كان من امرهم · واما ما كان من امر الملكة مرجانة فانها بعد نزول الاسعد من عندها مكثت تنتظره ساعة فلم يعد اليها · فقامت وفتشت عليهِ فما وجدت لهُ اثرًا · فاوقدت الشموع وأمرت الجواري ان يفتشنَ عليهِ · ثم نزلت هي بنفسها فرأت البستان مفتوحاً فعلمت انهُ دخلهُ · فدخلت البستان فوجدت نعله بجانب الفسقية · ثم دارت في جميع البستان تفتشه فلم ترَ لهُ خبرًا · ولم تزل تفتش عليهِ في جوانب البستان الى الصباح · ثم سألت عن المركب · فقالوا لها : قد سافر في ثلث الليل · فعلمت انهم اخذوه معهم · فغضبت وصعب عليها · ثم امرت بتجهيز عشرة مراكب كبارٍ في الوقت وتجهزت للحرب ونزلت في مركب من العشرة المراكب ونزل معها المماليك والجواري وعسكرها جميعهم بالعدة الفاخرة وآلات الحرب وحلوا القلوع وقالت للرؤساء : متى لحقتم مركب المجوسي فلكم عندي الخلع والاموال · وان لم تلحقوها قتلتكم عن آخركم · فحصل

للبحرية خوفٌ ورجاء عظيم . ثم سافروا بالمراكب ذلك النهار وتلك الليلة وثاني يوم وثالث يوم . وفي اليوم الرابع لاح لهم مركب بهرام المجوسي . ولم ينقضِ النهار حتى دارت واحاطت المراكب بمركب المجوسي . وكان بهرام في ذلك الوقت قد اخرج الاسعد وضربه وصار يعاقبه . والاسعد يستغيث ويستجير فلم يجد مغيثاً ولا مجيراً من الخلق . وقد آلمهُ الضرب الشديد . فبينما هو يعاقبه اذ لاحت منهُ نظرة فوجد المراكب قد احاطت بمركبه ودارت حولها كما يدور بياض العين بسوادها فتيقَّن انهُ هالك لا محالة . فتحسر بهرام وقال : ويلك يا اسعد هذا كلهُ من اجلك . ثم اخذه بيده وأمر رجاله ان يرموه في البحر وقال : والله لاقتلنك قبل موتي . ثم احتملوه من يديه ورجليه ورموه في وسط البحر . فاذن الله سبحانه وتعالى لما يريد من سلامته وبقية اجله انهُ غطس ثم طلع وخبط بيديه ورجليه الى ان سهل الله عليه وضربه الموج وقذفه بعيداً عن مركب المجوسي ووصل الى البرّ وصعد آمناً فرحاً . ولما صار في البرّ قلع اثوابه وعصرها ونشرها وقعد عرياناً يبكي على حاله وما جرى عليه من المصائب والقتل والاسر والغربة . ثم انشد هذين البيتين :

الهي قلَّ صبري واحتيالي   وضاق الصبر وانصرمت حبالي
الى من يشتكي المسكين الّا   الى مولاه يا مولى الموالي

فلما فرغ من شعره قام ولبس ثيابه ولم يعلم اين يروح ولا الى اين يجيءُ . فصار يأكل من نبات الارض وفواكه الاشجار ويشرب من ماء الانهار . وسافر بالليل والنهار . حتى اشرف على مدينة ففرح واسرع في مشيه . فلما وصل اليها ادركه المساء ولم يستطع الدخول لان الباب كان مقفولاً . واتفق بامر

الله ان تلك المدينة هي التي أُخذ فيها اسيرًا . وهي التي كان اخوه الامجد فيها وزيرًا لملكها

(الليلة السادسة والثلثون بعد المائتين) . فلما رآها الاسعد مقفولة رجع الى جهة المقابر وصوب التربة . فلما وصل الى المقابر وجد تربة بلا باب فدخلها ونام فيها وحط وجهه في عبّه . وكان بهرام المجوسي لما وصلت اليهِ الملكة مرجانة بالمراكب كسرها بسحره ومكره ورجع سالمًا نحو مدينته وسار من وقته وساعته وهو فرحان . فلما جاز على المقابر طلع من المركب بالقضاء والقدر ومشى بين المقابر فرأى التربة التي فيها الاسعد مفتوحة . فتعجب وقال : لا بدَّ ان انظر في هذه التربة . فلما نظر فيها رأى الاسعد بجانب تربة وهو نائم ورأسهُ في عبّهِ . فنظر في وجهه فعرفهُ . فقال لهُ : هل انت حيٌّ الى الآن . ثم انهُ اخذهُ وذهب بهِ الى بيته . وكان لهُ في بيته طابق تحت الارض معدّ لعذاب المسلمين . وكان لهُ بنت تسمى بستانَ . فوضع في رجلي الاسعد قيدًا ثقيلًا وانزله في ذلك الطابق ووكل بنته بتعذيبه ليلًا ونهارًا الى ان يموت . ثم انهُ ضربهُ الضرب الوجيع وقفل عليهِ الطابق واعطى المفاتيح لبنته . ثم ان ابنته بستانَ فتحت الطابق ونزلت لتضربهُ فوجدتهُ شابًا ظريف الشمائل حلو المنظر . مقوّس الحاجبين . كحيل المقلتين . فقالت لهُ : ما اسمك . قال لها : اسمي الاسعد . فقالت لهُ : سعدتَ وسعدتْ ايامك انت ما تستاهل العذاب ولا الضرب وقد علمت انك مظلوم . وصارت تؤانسه بالكلام وفكت قيوده . ثم انها سألتهُ عن دين الاسلام . فاخبرها انهُ هو الدين القويم وان سيدنا محمدًا صاحب المعجزات الباهرة والآيات الظاهرة وان النار تضرّ ولا تنفع وصار يخبرها بالاسلام وعن قواعده . فاذعنت لهُ ودخل حبّ الايمان في قلبها ومزج الله تعالى محبة الاسعد في

فؤادها فنطقت بالشهادتين وصارت من اهل السعادة. وصارت تطعمه وتسقيه وتتحدث معهُ وتصلي هي واياه وتصنع لهُ المساليق بالدجاج حتى اشتدَّ وزال ما بهِ من الامراض ورجع الى ما كان عليهِ من الصحة

هذا ما جرى لهُ مع بنت بهرام المجوسي. ثم ان بنت بهرام خرجت من عند الاسعد ووقفت على الباب. واذا بالمنادي ينادي ويقول : كل من كان عنده شاب مليح صفته كذا وكذا واظهرهُ فلهُ جميع ما طلب من الاموال . ومن كان عنده وانكره فانهُ يشنق على باب داره وينهب ماله ويهدر دمه . وكان الاسعد قد اخبر بستانَ بنت بهرام بجميع ما جرى لهُ : فلما سمعت ذلك عرفت انهُ هو المطلوب . فدخلت عليهِ واخبرتهُ بالخبر . فخرج وتوجه الى دار الوزير . فلما رأى الوزير قال : والله ان هذا الوزير هو اخي الامجد . ثمَّ طلع وطلعت الصبية وراءهُ الى القصر فرأى اخاه الامجد فالقى نفسه عليهِ . ثم ان الامجد عرفه فالقى نفسه عليه وتعانقا واحتاطت بهما المماليك ونزلوا من فوق خيولهم وغشي على الاسعد والامجد ساعة . فلما افاقا من غشيتهما اخذه الامجد وطلع بهِ الى السلطان واخبره بقصته . فأمر السلطان بنهب بيت بهرام وشنقه . فارسل الوزير جماعة لذلك فتوجهوا الى بيت بهرام ونهبوه وطلعوا بابنته الى الوزير فاكرمها . وحدث الاسعد اخاه بكل ما جرى عليهِ من العذاب وما عملت معهُ بنت بهرام من الاحسان . فزاد الامجد في اكرامها

(الليلة السابعة والثلثون بعد المائتين) . ثم حكى الامجد للاسعد جميع ما جرى لهُ مع الصبية وكيف سلم من الشنق وقد صار وزيرًا . ثم صار يشكو احدهما للآخر ما وجد من فرقة اخيهِ . ثم ان السلطان احضر المجوسي وأمر بضرب عنقه . فقال بهرام : ايها الملك الاعظم هل صممت على قتلي . قال :

نعم . فقال بهرام : اصبر عليَّ ايها الملك قليلاً . ثم انهُ اطرق برأسه الى الارض وبعد ذلك رفع رأسه وتشهد وأسلم على يد السلطان ففرحوا باسلامه . ثم حكى لهُ الامجد والاسعد جميع ما جرى لهما . فتعجب وقال لهما : يا سيديَّ تجهزا للسفر وانا اسافر بكما . ففرحا بذلك وباسلامه وبكيا بكاء شديدًا . فقال لهما بهرام : يا سيديَّ لا تبكيا فسوف تجتمعان كما اجتمع نعمة ونُعم . فقالا لهُ : وما جرى لنعمة ونعم

حكاية نِعمة بن الربيع ونُعم جاريته

فقال بهرام : ذكروا والله اعلم انهُ كان بمدينة الكوفة رجل من وجوه اهلها يقال لهُ الربيع بن حاتم . وكان كثير المال مرفَّه الحال . وكان قد رزق ولدًا فسماه نعمة الله . فبينما هو ذات يوم بدكة النخاسين اذ نظر الى جارية تُعرض للبيع وعلى يدها وصيفة صغيرة بديعة في الحسن والجمال . فاشار الربيع الى النخاس وقال له : بكم هذه الجارية وابنتها . فقال : بخمسين دينارًا . فقال الربيع : اكتب العهد وخذ المال سلّمهُ لمولاها . ثم دفع للنخَّاس ثمن الجارية واعطاه دلالتـه . وتسلم الجارية وابنتها ومضى بهما الى بيته . فلما نظرت ابنة عمه الى الجارية قالت لهُ : يا ابن العمّ ما هذه الجارية . قال لها : اشتريتها رغبة في هذه الصغيرة التي على يديها . واعلمي انها اذا كبرت ما يكون في بلاد العرب والعجم مثلها ولا اجمل منها . فقالت له ابنة عمه : نعمَ ما رأيت . ثم قالت للجارية : ما اسمكِ . فقالت لها : يا سيدتي اسمي توفيق . قالت : وما اسم ابنتكِ . قالت : سعد . قالت : صدقتِ لقد سعدتِ وسعد من اشتراكِ . ثم قالت : يا ابن عمي ما تسميهـا . قال : ما تختارينه انتِ . قالت : نسميها نُعم . قال الربيع : نِعمَ ما افتكرت

فيه . ثم ان الصغيرة نُعم تربت مع نِعمة بن الربيع في مهدٍ واحد الى حين بلغا من العمر عشر سنين . وكان كل واحد منهما احسن من صاحبه . وصار الغلام يقول لها : يا اختي . وهي تقول لهُ : يا اخي . ثم اقبل الربيع على ولده نِعمة حين بلغ هذا السنّ وقال لهُ : يا ولدي ليست نُعم اختك بل هي جاريتك . وقد اشتريتها على اسمك وانت في المهد . فلا تدعُها باختك من هذا اليوم . قال نعمة لابيه : فاذا كان كذلك فانا اتزوجها . ثم انه دخل على والدته واعلمها بذلك . فقالت : يا ولدي هي جاريتك . فاتخذها عند ذلك زوجة لهُ واحبها ومضى عليهما سنون وهما على تلك الحالة . ولم يكن بالكوفة جارية احسن من نُعم ولا احلى ولا اظرف منها . وقد كبرت وقرأت القرآن والعلوم وعرفت انواع اللعب والآلات وبرعت في الغناء وآلات الملاهي حتى انها فاقت جميع اهل عصرها . فبينما هي جالسة ذات يوم من الايام مع زوجها نعمة بن الربيع في مجلس الشراب وقد اخذت العود وشدت اوتاره وانشرحت وطربت وانشدت هذين البيتين :

اذا كنتَ لي مولىً اعيش بفضلهِ وسيفاً بهِ افني رقاب النوائبِ

فما لي الى زيدٍ وعمرٍو شفاعةٌ سواكَ اذا ضاقت عليَّ مذاهبي

فطرب نِعمة طرباً عظيماً ثم قال لها : بحياتي يا نُعم غني لنا بالدفّ وآلات الطرب . فاطربت بالنغمات . وغنت بهذه الابيات :

وحياة من ملكت يداه قيادي لاخالفنَّ على الهوى حسّادي

ولاغضبنَّ عواذلي واطيعكم ولاهجرنَّ تلذذي ورقادي

فقال الغلام : لله درّكِ يا نُعم . فبينما هما في اطيب عيش واذا بالحجاج في دار نيابته يقول : لا بدّ لي ان احتال على اخذ هذه الجارية التي اسمها نُعم

وارسلها الى امير المؤمنين عبد الملك بن مروان . لانهُ لا يوجد في قصره مثلها. ولا احسن من غناها . فاستدعى بعجوز قهرمانة وقال لها : امضي الى دار الربيع واجتمعي بالجارية نُعم وتسببي في اخذها لانهُ لا يوجد على وجه الارض مثلها . فقبلت العجوز من الحجاج ما قالهُ

(الليلة الثامنة والثلثون بعد المائتين) . فلما اصبحت لبست اثوابها الصوف . وحطت في رقبتها سبحة حباتها الوف . واخذت بيدها عكازاً وركوة يمانية وسارت وهي تقول : سبحان الله والحمد لله ولا اله الّا الله والله اكبر . ولا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم . ولم تزل في تسبيح وابتهال . وقلبها ملآن بالمكر والمحال . حتى وصلت الى دار نعمة بن الربيع عند صلاة الظهر . فقرعت الباب ففتح لها البوّاب وقال لها : ما تريدين . قالت : انا فقيرة عابدة وادركتني صلاة الظهر واريد ان اصلي في هذا المكان المبارك . فقال لها البواب : يا عجوز ان هذه دار نِعمة بن الربيع وليست هي بجامع ولا مسجد . فقالت : انا اعرف انها لا جامع ولا مسجد . وانا قهرمانة من قصر امير المؤمنين خرجت طالبة للعبادة والسياحة . فقال لها البواب: لا امكنكِ من ان تدخلي . وكثر بينهما الكلام. فتعلقت بهِ العجوز وقالت لهُ : هل يمنع مثلي من دخول دار نِعمة بن الربيع وانا اعبر الى دار الامراء والاكابر . فخرج نِعمة وسمع كلامهما فضحك وأمرها ان تدخل خلفه. فدخل نِعمة وسارت العجوز خلفه حتى دخل بها على نُعم . فسلَّمت عليها العجوز باحسن سلام. ولما نظرت الى نُعم بهتت وتعجبت من فرط جمالها . ثم قالت لها : يا سيدتي اعيذكِ بالله الذي آلف بينكِ وبين مولاكِ في الحسن والجمال . ثم انتصبت العجوز في المحراب واقبلت على الركوع والسجود والدعاء الى ان مضى النهار . واقبل الليل بالاعتكار . فقالت الجارية : يا امي اريحي

قدميك ساعةً . فقالت العجوز : يا سيدتي من طلب الآخرة أتعب نفسه في الدنيا . ومن لم يتعب نفسه في الدنيا لم ينل منازل الابرار في الآخرة . ثم ان نعماً قدمت الطعام للعجوز وقالت لها : كلي من طعامي وادعي لي بالتوبة والرحمة . فقالت العجوز : اني صائمة . واما انتِ فصبية يصلح لكِ الاكل والشرب والطرب والله يتوب عليكِ . وقد قال الله تعالى : إلّا من تابَ وآمن وعمل عملًا صالحًا . ولم تزل الجارية جالسة مع العجوز ساعة تحدثها . ثم قالت نُعم لنعمة : يا سيدي احلف على هذه العجوز ان تقيم عندنا مدة فان على وجهها اثر العبادة . فقال : اخلي لها مجلساً تدخل فيهِ للعبادة ولا تخلي احدًا يدخل عليها . فلعلَّ الله سبحانه وتعالى ينفعنا ببركتها ولا يفرق بيننا . ثم باتت العجوز ليلتها تصلي وتقرأ الى الصباح . فلما اصبح الله بالصباح جاءت الى نِعمة ونُعم وصبحت عليهما وقالت لهما : استودعتكما الله . فقالت لها نُعم : الى اين تمضين يا امي وقد أمرني سيدي ان اخلي لكِ مجلساً تعتكفين فيهِ للعبادة وتصلين . فقالت العجوز : الله يبقيهِ ويديم نعمته عليكما . ولكن اريد منكما ان توصوا البوّاب ان لا يمنعني من الدخول اليكما . وان شاء الله تعالى ادور في الاماكن الطاهرة وادعو لكما عقب الصلوة والعبادة في كل يوم وليلة . ثم خرجت من الدار والجارية نُعم تبكي على فراقها ولم تعلم السبب الذي اتت اليها من اجله . ثم ان العجوز توجهت الى الحجاج . فقال لها : ما وراءكِ . فقالت لهُ : اني نظرت الى الجارية فرأيتها لم تلد النساء احسن منها في زمانها . فقال لها الحجاج : ان فعلتِ ما أمرتكِ بهِ سوف يصل اليكِ مني خير جزيل : فقالت لهُ : اريد منك المهلة شهرًا كاملًا . فقال لها : امهلتكِ شهرًا

(الليلة التاسعة والثلثون بعد المائتين) . ثم ان العجوز جعلت تتردد الى

دار نعمة وجاريته نُعم وهما يزيدان في اكرامها . وما زالت العجوز تمسي وتصبح عندهما ويرحب بها كل من في الدار . حتى ان العجوز اختلت بالجارية يوماً من الايام وقالت لها : يا سيدتي ان حضرت الاماكن الطاهرة دعوت لكِ واتمنى ان تكوني معي حتى تري المشايخ الواصلين . ويدعون لكِ بما تختارين . فقالت لها الجارية نُعم : بالله يا امي خذيني معكِ . فقالت لها : استأذني حماتكِ وانا آخذكِ معي . فقالت الجارية لحماتها ام نِعمة : يا سيدتي اسألي سيدي ان يخليني اخرج انا وانتِ يوماً من الايام مع امي العجوز الى الصلاة والدعاء مع الفقراء في الاماكن الشريفة . فلما اتى نعمة وجلس تقدمت اليهِ العجوز وقبلت يديه . فمنعها من ذلك ودعت لهُ وخرجت من الدار . فلما كان ثاني يوم جاءت العجوز ولم يكن نِعمة في الدار فاقبلت على الجارية نُعم وقالت لها : قد دعونا لكم البارحة ولكن قومي في هذه الساعة وتفرجي وعودي قبل ان يجيْ سيدكِ . فقالت الجارية لحماتها : سألتكِ بالله ان تأذني لي في الخروج مع هذه المرأة الصالحة لاتفرّج على اولياء الله في الاماكن الشريفة واعود بسرعة قبل مجيْ سيدي . فقالت امّ نِعمة : اخشى ان يدري سيدكِ . فقالت العجوز : لاادعها تجلس على الارض بل تنظر وهي واقفة على اقدامها ولا تبطئْ . ثم اخذت الجارية بالحيلة واتت بها الى قصر الحجاج وعرَّفتهُ بمجيئها بعد ان حطتها في مقصورة . فاتى الحجاج ونظر اليها فرآها اجمل اهل زمانها ولم يرَ مثلها . فلما رأته نُعم سترت وجهها منهُ . فلم يفارقها حتى استدعى بحاجبه واركب معهُ خمسين فارساً وأمرهُ ان يأخذ الجارية على نجيبٍ سابق ويتوجه بها الى دمشق ويسلمها الى امير المؤمنين عبد الملك بن مروان . وكتب لهُ كتاباً وقال لهُ : اعطهِ هذا الكتاب وخذ منهُ الجواب واسرع اليَّ بالرجوع . فأسرع الحاجب واخذ الجارية

على هجين وخرج وسافر بها وهي باكية العين لفراق سيدها حتى وصلوا الى دمشق واستأذن على امير المؤمنين فأذن له . فدخل الحاجب عليه واخبره بخبر الجارية . فاخلى لها مقصورةً

(الليلة الموفية للاربعين بعد المائتين) . ثم دخل الخليفة الى زوجته فقال لها : ان الحجاج قد اشترى لي جارية من بنات ملوك الكوفة بعشرة آلاف دينار وارسل اليَّ هذا الكتاب وهي صحبة الكتاب . فقالت له زوجته : زادك الله من فضله . ثم دخلت اخت الخليفة عبد الملك على الجارية . فلما رأتها قالت : ما خاب من انتِ في منزله ولو كان ثمنكِ مائة الف دينار . فقالت لها الجارية نُعم : يا صبيحة الوجه هذا قصر مَن من الملوك وايّ مدينة هذه . فقالت لها : هذه مدينة دمشق وهذا قصر اخي امير المؤمنين عبد الملك بن مروان . ثم قالت للجارية : كانكِ ما علمتِ هذا . قالت : يا سيدتي لا علم لي بهذا . قالت : والذي باعكِ وقبض ثمنك ما اعلمكِ بان الخليفة قد اشتراكِ . فلما سمعت الجارية ذلك الكلام سكبت دموعها وبكت وقالت في نفسها : لقد تمّت الحيلة عليَّ . ثم قالت في نفسها : ان تكلمت فما يصدقني احد ولكن اسكت واصبر لعلمي ان فرج الله قريب . ثم انها أطرقت رأسها حياء وقد احمرّت خدودها من اثر السفر والشمس . فتركتها اخت الخليفة في ذلك اليوم . وجاءتها في اليوم الثاني بثياب وقلائد من الجواهر والبستها وقالت لامير المؤمنين : انظر الى هذه الجارية التي قد كمل الله فيها الحسن والجمال . فقال الخليفة لنعم : ازيحي القناع عن وجهكِ . فلم ترح القناع عن وجهها ولم يرَ وجهها . فقال لاخته : دعيها تستأنس بكِ . وقام وخرج من عندها . فصارت الجارية متفكرة في امرها ومتحسرة على افتراقها من سيدها نِعمة . فلما اتى الليل ضعفت الجارية

بالحمى ولم تأكل ولم تشرب وتغير وجهها ومحاسنها . فعرّفوا الخليفة بذلك . فشقّ عليهِ امرها ودخل عليها بالاطباء واهل البصائر . فلم يقف لها احد على طبّ

هذا ما كان من امرها . واما ما كان من امر سيدها نعمة فانهُ اتى الى داره وجلس على فراشه ونادى : يا نُعم . فلم تجبه . فقام مسرعاً ونادى . فلم يدخل عليهِ احد . وكل جارية في البيت اختفت خوفاً من سيدها . فخرج نِعمة الى والدته فوجدها جالسة ويدها على خدها . فقال لها : يا امي اين نُعم . فقالت لهُ : يا ولدي مع من هي اوثق مني عليها وهي العجوز الصالحة . فانها خرجت معها لتزور الفقراء وتعود . فقال : ومتى كان لها عادة بذلك وفي اي وقت خرجت . قالت : خرجت بكرة النهار . قال : وكيف اذنتِ لها بذلك . فقالت لهُ : ياولدي هي التي اشارت عليَّ بذلك . فقال نِعمة : لا حول ولا قوة الّا بالله العليّ العظيم . ثم خرج من بيته وهو غائب عن الوجود واتى الى صاحب الشرطة وقال لهُ : أتحتال عليَّ وتأخذ جاريتي من داري . فلا بدَّ لي ان اشتكيك الى امير المؤمنين . فقال صاحب الشرطة : ومن اخذها . فقال : عجوز صفتها كذا وكذا وعليها ملبوس من الصوف . وبيدها سبحة عدد حباتها الوف . فقال لهُ صاحب الشرطة : اوقفني على العجوز وانا اخلص لك جاريتك . فقال : ومَن يعرف العجوز . فقال لهُ صاحب الشرطة : وما يعلم الغيب الّا الله سبحانه وتعالى . وقد علم صاحب الشرطة انها محتالة الحجّاج . فقال لهُ نِعمة : ما اعرف جاريتي الّا منك وبيني وبينك الحجّاج . فقال لهُ : امضِ الى من شئت . فاتى نِعمة الى قصر الحجّاج وكان والده من اكابر اهل الكوفة . فلما وصل الى بيت الحجاج دخل حاجب الحجّاج على الحجاج واعلمه بالقضية . فقال لهُ : عليَّ بهِ

(الليلة الحادية والاربعون بعد المائتين) . فلما وقف بين يديه قال لهُ الحجّاج : ما بالك . فقال لهُ نعمة : كان من امري كذا وكذا . فقال : هاتوا صاحب الشرطة ونأمره ان يفتش على العجوز . فلما حضر صاحب الشرطة بين يديه وكان يعلم الحجّاج ان صاحب الشرطة يعرف العجوز قال لهُ : اريد منك ان تفتش على جارية نعمة بن الربيع . فقال لهُ صاحب الشرطة : لا يعلم الغيب ألّا الله تعالى . فقال لهُ الحجّاج : لا بدّ ان تركب الخيل وتبصر الجارية في الطرقات وتنظر في البلدان وتفتش على الجارية . ثم التفت الى نعمة وقال لهُ : ان لم ترجع جاريتك دفعت لك عشر جوار من داري وعشر جوار من دار صاحب الشرطة . ثم قال لصاحب الشرطة : اخرج في طلب الجارية . فخرج صاحب الشرطة ونعمة مغموم وقد يئس من الحياة . فجعل يبكي وينتحب وانعزل عن داره . ولم يزل يبكي هو وامه الى الصباح . فاقبل والده وقال لهُ : يا ولدي ان الحجّاج قد احتال على الجارية واخذها . ومن ساعةٍ الى ساعةٍ يأتي الله بالفرج . فتزايدت الهموم على نِعمة وصار لا يعلم ما يقول ولا يعرف من يدخل عليهِ واقام ضعيفًا ثلثة شهور وتغيرت احواله ويئس منهُ ابوه ودخلت عليهِ الاطباء فقالوا : ما لهُ دواء . فبينما والده جالس في يوم من الايام اذ سمع بطبيب ماهر أعجمي وقد وصفهُ الناس باتقان الطب والتنجيم وضرب الرمل . فدعا بهِ الربيع . فلما حضر اجلسه الربيع الى جانبه واكرمه وقال لهُ : انظر حال ولدي . فقال لنعمة : هات يدك . فاعطاه يده . فجسّ مفاصله ونظر في وجهه وضحك والتفت الى ابيهِ وقال لهُ : ليس بولدك غير مرض في قلبه . فقال : صدقت يا حكيم فانظر في شأن ولدي بمعرفتك واخبرني بجميع احواله ولا تكتم عني شيئًا من امره . فقال الاعجمي : انهُ مريض بسبب فراق جارية . وهذه الجارية في البصرة او في

دمشق . وما دواء ولدك غير ان يراها . فقال لهُ الربيع : ان جمعت بينهما فلك عندي ما يسرُّك وتعيش عمرك كلهُ في المال والنعمة . فقال لهُ الاعجمي : ان هذا الامر قريب وسهل . ثم التفت الى نِعمة وقال لهُ : لا باس عليك فشدَّ قلبك وطب نفساً وقرَّ عيناً . ثم قال للربيع : اخرج من مالك اربعة آلاف دينار . فأخرجها وسلّمها للاعجمي . فقال لهُ الاعجمي . اريد من ولدك ان يسافر معي الى دمشق وان شاء الله تعالى لا ارجع الّا بالجارية . ثم التفت الاعجمي الى الشاب وقال له : ما اسمك . قال : نعمة . قال : يا نعمة اجلس انت وكن في امان الله تعالى لقد جمع الله بينك وبين جاريتك . فاستوى جالساً . ثم قال لهُ: شدَّ قلبك فنحن نسافر في مثل هذا اليوم . فكلْ واشرب وانبسط لتقوى على السفر . ثم ان الاعجمي اخذ في قضاء حوائجه من جميع ما يحتاج اليه من التحف واستكمل من والد نِعمة عشرة آلاف دينار واخذ منهُ الخيل والجمال وغير ذلك مما يحتاج اليهِ لحمل الاثقال في الطريق . ثم ان نِعمة ودَّع والده ووالدته وسافر مع الحكيم الى حلب . فلم يقع على خبر الجارية . ثم انهما وصلا الى دمشق واقاما فيها ثلثة ايام . ثم ان الاعجمي اخذ دكاناً وملأَ رفوفها بالصيني الرفيع والاغطية . وزركش الرفوف بالذهب والقطع المثمنة . وحط قدامهُ اواني من القناني فيها جميع الادهان والاشربة . ووضع حول القناني اقداحاً من البلور . وحط التخت والاصطرلاب قدامه ولبس اثواب الحكمة والطب . وأوقف نِعمة بين يديه والبسهُ قميصاً وملوطةً من الحرير ومنطقهُ بفوطة من الحرير مزركشة بالذهب . ثم قال لنعمة : يا نِعمة . انت من اليوم ولدي فلا تدعُني الّا بابيك وانا لا ادعوك الّا بالولد . فقال نعمة : سمعاً وطاعة

ثم ان اهل دمشق اجتمعوا على دكان الاعجمي ينظرون الى حسن نِعمة

والى حسن الدكان والبضائع التي فيها . والاعجمي يكلم نعمة بالفارسية ونِعمة يكلمه كذلك بتلك اللغة لانهُ كان يعرفها على عادة اولاد الاكابر. واشتهر ذلك الاعجمي عند اهل دمشق وجعلوا يصفون لهُ الاوجاع وهو يعطيهم الادوية ويأتونه بقوارير المرضى فيبصرها ويقول : ان مرض صاحب القارورة كذا وكذا . فيقول صاحب المرض : ان هذا الطبيب صادق . ثم صار يقضي حوائج الناس واجتمعت عليهِ اهل دمشق وشاع خبره في المدينة وفي بيوت الاكابر . فبينما هو ذات يوم جالس اذ اقبلت عليهِ عجوز راكبة على حمار بردعتهُ من الديباج المرصع بالجواهر . فوقفت على دكان الاعجمي وشدت لجام الحمار واشارت للاعجمي وقالت لهُ : امسك يدي . فمسك يدها . فنزلت من فوق الحمار وقالت لهُ : أانت الطبيب الاعجمي الواصل من العراق. قال : نعم . قالت : اعلم ان لي بنتاً وبها مرض. واخرجت لهُ قارورة . فلما نظر الاعجمي الى ما في القارورة قال لها : يا سيدتي ما اسم هذه الجارية حتى احسب نجمها واعرف اي ساعة يوافقها فيها شرب الدواء . فقالت : يا اخا الفرس اسمها نُعم

(الليلة الثانية والاربعون بعد المائتين) . فلما سمع اسم نُعم جعل يحسب ويكتب على يديه وقال لها : يا سيدتي ما اصف لها دواء حتى اعرف من اي ارض هي لاجل اختلاف الهواء . فعرّفيني في ايّ ارض تربّت وكم سنة عمرها. فقالت العجوز : عمرها اربع عشرة سنة . ومرباها بارض الكوفة من العراق . فقال : وكم شهراً لها في هذه الديار . فقالت لهُ : اقامت في هذه الديار شهوراً قليلة . فلما سمع نِعمة كلام العجوز وعرف اسم جاريته خفق قلبه . فقال لها الاعجمي : يوافقها من الادوية كذا وكذا . فقالت لهُ العجوز : شدّ ما تريد . واعطني ما وصفت على بركة الله تعالى. ورمت لهُ عشرة دنانير على الدكان . فنظر

الحكيم الى نِعمة وأمره ان يهيئ لهُ عقاقير الدواء . وصارت العجوز تنظر الى نعمة وتقول : اعيذك بالله ياولدي ان شكلها مثل شكلك . ثم قالت العجوز للاعجمي : يا اخا الفرس هل هذا مملوكك او ولدك . فقال لها الحكيم الاعجمي: انهُ ولدي . ثم ان نِعمة شدّ الحوائج ووضعها في علبة واخذ ورقة وكتب فيها هذين البيتين :

اذا انعمت نُعمٌ عليَّ بنظرةٍ　　فلا اسعدت سُعدى ولا اجملت جُملُ

وقالوا اَسلُ عنها تُعطَ عشرين مثلها　　وليس لها مثلٌ ولست لها اسلو

ثم دسَّ الورقة في داخل العلبة وختمها وكتب على غطاء العلبة بالخطّ الكوفي : انا نِعمة بن الربيع الكوفي . ثم وضع العلبة قدام العجوز . فاخذتها وودعتهما ورجعت طالبة قصر الخليفة . فلما طلعت العجوز بالحوائج الى الجارية وضعت علبة الدواء قدامها ثم قالت لها : يا سيدتي اعلمي انهُ قد اتى الى مدينتنا طبيب اعجمي ما رأيت احدًا ابصر ولا اعرف بامور الامراض منهُ . فذكرتُ لهُ اسمكِ بعد ان رأى القارورة فعرف مرضكِ ووصف دوائكِ . ثم أمر ولده فشدَّ لكِ هذا الدواء . وليس في دمشق اجمل ولا اظرف من ولده ولا احسن شبابًا منهُ . ولا يوجد لاحد دكان مثل دكانه . فأخذت نُعم العلبة فرأت مكتوبًا على غطائها اسم سيدها واسم ابيهِ . فلما رأت ذلك تغير لونها وقالت في نفسها : لا شك ان صاحب الدكان قد اتى في خبري . ثم قالت العجوز : صفي لي هذا الصبي . فقالت : اسمهُ نِعمة وعلى حاجبه الايمن أثر وعليهِ ملابس فاخرة ولهُ حسن كامل . فقالت الجارية : ناوليني الدواء على بركة الله تعالى وعونه . فاخذت الدواء وشربتهُ وهي تضحك وقالت لها : انهُ دواء مبارك . ثم فتشت في العلبة فرأت الورقة ففتحتها وقرأتها . فلما فهمت معناها تحققت انه

سيدها فطابت نفسها وفرحت . فلما رأتها العجوز قد ضحكت قالت لها : ان هذا اليوم يوم مبارك . فقالت نُعم : يا قهرمانة اريد شيئاً آكله واشربه . فقالت العجوز للجواري : قدّمنَ الموائد والاطعمة الفاخرة لسيدتكنّ . فقدمنَ لها الاطعمة وجلست للاكل . واذا بعبد الملك بن مروان قد دخل عليهنّ ونظر الجارية جالسة وهي تأكل الطعام ففرح . ثم قالت القهرمانة : يا امير المؤمنين اهنأ بعافية جاريتك نُعم . وذلك انهُ وصل الى هذه المدينة رجل طبيب ما رأيت اعرف منهُ بالامراض ودوائها . فأتيت لها منهُ بدواء . فاخذت منهُ مرة واحدة فحصلت لها العافية يا امير المؤمنين . فقال امير المؤمنين : خذي الف دينار وقومي بابرائها في الادوية . ثم خرج وهو فرحان بعافية الجارية . وراحت العجوز الى دكان الاعجمي واعطتهُ الالف الدينار . واعلمتهُ انها جارية الخليفة وناولتهُ ورقة كانت نُعم قد كتبتها . فاخذها الاعجمي وناولها لنعمة . فلما رآها عرف خطها فوقع مغشياً عليه : فلما افاق فتحها واذا فيها مكتوب : من الجارية المسلوبة من نعمتها المخدوعة في عقلها . المفارقة لحبيب قلبها . اما بعد فانهُ قد ورد كتابكم عليَّ فشرح الصدر وسرّ الخاطر . وكان كقول الشاعر :

وَرَد الكتاب فلا عدمت اناملًا كتبت بهِ حتى تضمخ طيبا

فكأنَّ موسى قد أُعيد لامهِ او ثوب يوسف قد اتى يعقوبا

(الليلة الثالثة والاربعون بعد المائتين) . فلما قرأ نعمة هذا الشعر هملت عيناه بالدموع . فقالت لهُ القهرمانة : ما الذي يبكيك يا ولدي لا ابكى الله لك عيناً . فقال الاعجمي : يا سيدتي كيف لا يبكي ولدي وهذه جاريته وهو سيدها نِعمة بن الربيع الكوفي وعافية هذه الجارية مرهونة برؤيته وليس لها علة الا محبة سيدها . فخذي انتِ يا سيدتي هذه الالف الدينار لكِ . ولكِ عندي اكثر من

ذلك وانظري لنا بعين الرحمة. ولا نعرف اصلاح هذا الامر الّا منكِ. فقالت العجوز لنعمة: هل انت مولاها. قال: نعم. قالت. صدقت فانها لا تفتر عن ذكرك. فاخبرها نِعمة بما قد جرى لهُ من الاول الى الآخر. فقالت العجوز: يا غلام لا تعرف اجتماعك بها الّا مني. ثم ركبت وعادت من وقتها ودخلت على الجارية فنظرت في وجهها وضحكت وقالت لها: يحقُّ لكِ يابنتي ان تبكي وتمرضي من اجل فراق سيدكِ نِعمة بن الربيع الكوفي. فقالت نُعم: قد انكشف لكِ الغطاء وظهر لكِ الحق. فقالت لها العجوز: طيبي نفساً وانشرحي صدراً فوالله لاجمعنَّ بينكما ولو كان في ذلك ذهاب روحي. ثم انها رجعت الى نعمة وقالت لهُ: اني رجعت لجاريتك واجتمعت بها فوجدت عندها من الشوق اليك اكثر ممّا عندك لها. فان كان لك جنان ثابت وقوة قلب فانا اجمع بينكما واخاطر بنفسي وادبّر حيلة واعمل مكيدة في دخولك قصر امير المؤمنين حتى تأخذ الجارية فانها ما تقدر ان تخرج. فقال لها نعمة: جزاكِ الله خيراً. ثم ودَّعتهُ وأتت الى الجارية واخبرتها بالامر. وعند ذلك اخذت العجوز بقجة فيها حلى ومصاغ وبدلة من ثياب النساء واتت عند نعمة وقالت لهُ: ادخل بنا مكاناً لننفرد فيهِ وحدنا. فدخل معها قاعة خلف الدكان ونقشتهُ وزينت معاصمه وزوّقت شعره والبستهُ لباس جارية وزيَّنتهُ باحسن ما تتزيَّن بهِ الجواري. فصار كانهُ من حور الجنان. فلما رأتهُ القهرمانة في تلك الصفة قالت: تبارك الله احسن الخالقين. والله انك لاحسن من الجارية. ثم قالت لهُ: امشِ وقدم الشمال وأخّر اليمين. فمشى قدامها كما أمرتهُ. فلما رأتهُ قد عرف مشي النساء قالت لهُ: امكث حتى آتيك ليلة غد ان شاء الله تعالى فآخذك وادخل بك القصر. واذا نظرت الحجّاب والخدام فقوِّ عزمك وطأطئْ رأسك ولا تتكلم مع احدٍ وانا

اكفيك كلامهم فلا تخفْ على نفسك البتة وبالله التوفيق

فلما اصبح الصباح أتتهُ القهرمانة في ثاني يوم واخذتهُ وطلعت بهِ القصر. ودخلت العجوز قدامه ونعمة وراءها في اثرها. فاراد الحاجب ان يمنعه من الدخول فقالت لهُ: يا انحس العبيد انها جارية نُعم فكيف تمنعها من الدخول. ثم قالت: ادخلي يا جارية. فدخل مع العجوز. ولم يزالا داخلين الى البـاب الذي يتوصل منهُ الى صحن القصر. فقالت لهُ العجوز: يا نعمة شدّ روحك وثبت قلبك وادخل القصر وخذ على شمالـك وعدّ خمسة ابوابٍ وادخل الباب السـادس فانهُ باب المكان المعد لك. ولا تخف واذا كلمك احدٌ فلا تتكلم معهُ ولا تقف. ثم سارت بهِ حتى وصلت الى الابواب. فقابلها الحاجب المعـدّ لتلك الابواب. وقال لها: ما هذه الجارية

(الليلة الرابعة والاربعون بعد المائتين). فقالت لهُ العجوز: ان سيدتنا تريد اشتراءها. فقال الخادم: ما يدخل احد الَّا باذن امير المؤمنين. فارجعي بها فاني لا اخليها تدخل لانني أُمرت بهذا. فقالت لهُ القهرمانة: ايها الحاجب الكبير اجعل عقلك في رأسك انّ نُعماً جارية الخليفة التي قلبهُ متعلق بهـا قد توجهت اليها العافية وما صدَّق امير المؤمنين بعافيتها وتريد اشتراء هذه الجارية. فلا تمنعها من الدخول لئلا يبلغها انك منعتها فتغضب عليـك. وان غضبت عليك تسببتْ في قطع عنقـك. ثم قالت: ادخلي يا جارية ولا تسمعي منهُ كلامه ولا تعلمي الملكة ان الحاجب منعكِ من الدخول. فطأطأَ نِعمـة رأسه ودخل القصر واراد ان يمشي الى جهة يساره فغلط ومشى الى جهة يمينه. واراد ان يعدَّ خمسة ابواب ويدخل السـادس فعدَّ ستة ودخل في السابع. فلما دخل في ذلك الباب رأى موضعاً مفروشاً بالديباج وحيطانه عليها ستائر الحرير المرقومة

بالذهب وفيهِ مباخر العود والعنبر والمسك الاذفر . ورأى في الصدر سريرًا مفروشًا بالديباج . فجلس عليهِ نعمة فرأى ملكًا عظيمًا ولم يعلم بما كتب لهُ في الغيب . فبينما هو جالس متفكر في امره اذ دخلت عليهِ اخت امير المؤمنين ومعها جاريتها . فلما رأت الغلام جالسًا ظنتهُ جارية . فتقدمت اليهِ وقالت لهُ : من تكونين يا جارية وما خبركِ ومن دخل بكِ الى هذا المكان . فلم يتكلم نعمة ولم يردّ عليها جوابًا . فقالت : يا جارية ان كنتِ من جواري اخي وقد غضب عليكِ فانا اسألهُ لكِ واستعطفه عليكِ . فلم يردّ نعمة عليها جوابًا. فعند ذلك قالت لجاريتها : قفي على باب المجلس ولا تدعي احدًا يدخل . ثم تقدمت اليهِ ونظرتهُ فبهتت في جماله وقالت : يا صبية عرفيني من تكونين وما اسمكِ وما سبب دخولكِ هنا فانا لم انظركِ في قصرنا . فلم يردّ نعمة جوابًا . فعند ذلك غضبت اخت الملك ووضعت يدها على رأس نِعمة وازاحت الغطاء فعرفت الحيلة . فقال لها نعمة : يا سيدتي انا مملوككِ فاشتريني . وانا مستجير بكِ فأجيريني . فقالت لهُ لا بأس عليك فمن انت ومن ادخلك الى مجلسي هذا . فقال لها نِعمة : انا ايتها الملكة أُعرف بنعمة بن الربيع الكوفي وقد خاطرت بروحي لاجل جاريتي نُعم التي احتال عليها الحجّاج واخذها وارسلها الى هنا . فقالت لهُ : لا بأس عليك . ثم صاحت على جاريتها وقالت لها : امضي الى مقصورة نُعم . وقد كانت القهرمانة اتت الى مقصورة نُعم وقالت لها : هل وصل اليكِ سيدكِ . فقالت : لا والله . فقالت القهرمانة : لعلهُ غلط فدخل مقصورة غير مقصورتكِ وتاه عن مكانكِ . فقالت الجارية نُعم : لا حول ولا قوة الّا بالله العليّ العظيم قد فرغ اجلنا جميعًا وهلكنا . وجلستا متفكرتين . فبينما هما كذلك اذ دخلت عليهما جارية اخت الخليفة فسلّمت على نُعم وقالت لها :

ان مولاتي تدعوكِ عندها في ضيافتها . فقالت: سمعاً وطاعةً . فقالت القهرمانة : لعلَّ سيدكِ عند اخت الخليفة وقد انكشف الغطاء . فنهضت نُعم من وقتها وساعتها حتى دخلت على اخت الخليفة . فقالت لها : هذا مولاكِ جالس عندي وكأنهُ غلط في المكان وليس عليكِ ولا عليهِ خوف ان شاء الله تعالى . فلما سمعت نُعم هذا الكلام من اخت الملك اطمأنت نفسها وتقدمت الى مولاها نِعمة وقبلتهُ . فلما نظرها وقع على الارض مغشيًّا عليهِ وأُغمي عليها ايضاً

(الليلة الخامسة والاربعون بعد المائتين) . فلما افاقا قالت لهما اخت الخليفة : اجلسا حتى نتدبر في الخلاص من الامر الذي وقعنا فيهِ . فقالا لها : يا مولاتنا سمعاً وطاعةً والامر لكِ . فقالت : والله ما ينالكما منَّا سوء قط . ثم قالت لجاريتها : أحضري الطعام والشراب فأحضرت ذلك . فجلسوا واكلوا بحسب الكفاية . ثم جلسوا يشربون فدارت عليهم الاقداح . وزالت عنهم الاتراح . فقال نعمة : ليت شعري بعد ذلك ما يكون . فقالت لهُ اخت الخليفة : يا نِعمة هل تحب نُعم جاريتك . فقال لها : يا سيدتي محبتها هي التي جعلتني على ما انا فيهِ من المخاطرة بروحي . ثم قالت لنعم : يا نعم هل تحبين سيدكِ نعمة . فقالت : يا سيدتي ان محبتهُ هي التي غيرت حالي . فقالت : والله انكما متحابَّان فلا كان من يفرّق بينكما فقرَّا عيناً وطيبا نفساً . ففرحا بذلك وطلبت نُعم عوداً . فأحضروه لها . فاخذتهُ واصلحتهُ وضربت بهِ نوبةً . فاطربت بالنغمات . وانشدت هذه الابيات:

ولما ابى الواشون الّا فراقنا   وليس لهم عندي وعندك من ثارِ

وشنوا على اسماعنا كل غارةٍ   وقلّت حماتي عند ذاك وانصاري

غزوتهم من مقلتيك وادمعي   ومن نفسي بالسيف والسيل والنارِ

ولم يزالوا ينشدون الاشعـار . ويشربون على نغمات الاوتار . وهم في لذّة وحبور . وفرح وسرور . فبينما هم كذلك واذا بامير المؤمنين قد دخل عليهم . فلما نظروه قاموا لهُ وقبّلوا الارض بين يديه . فنظر الى نُعم والعود معهـا فقال : يا نُعم الحمد لله الذي اذهب عنك البأس والوجع . ثم التفت الى نِعمة وهو على تلك الحالة وقال : يا اختي مَن هذه الجارية التي في جانب نُعم . فقالت لهُ اختهُ : يا امير المؤمنين ان لك جارية انيسة لا تأكل نُعم ولا تشرب الّا بها . ثم انشدت قول الشاعر :

ضدان واجتمعا افتراقًا في البها والضدُّ يظهر حسنهُ الضدُّ

فقال الخليفة : والله العظيم انها مليحة مثلها وفي غد اخلي لها مجلسًا بجانب مجلسها وأُخرج لها البسط والقماش وانقل اليهـا جميع ما يصلح لها اكرامًا لنعم . واستـدعت اخت الخليفة بالطعام . فقدمتهُ لاخيها فأكل وجلس معهم في تلك الحضرة والمقام . ثم ملأَ قدحًا وأومأ الى نُعم ان تنشد لهُ شيئًا من الشعر . فاخذت العود بعد ان شربت قدحين . وانشدت هذين البيتين :

اذا ما نديمي علّني ثم علني ثلثة اقداحٍ لهنَّ هديرُ
ابيت اجرُّ الذيل تيهًا كانني عليك امير المؤمنين اميرُ

فطرب امير المؤمنين وملأَ قدحًا آخر وناوله الى نُعم وأمرها ان تغني . فبعد ان شربت القدح جسّت الاوتار . وانشدت هذه الاشعار :

يا اشرف الناس في هذا الزمان وما لهُ مثيـلٌ بهذا الامر يفتخرُ
يا واحدًا في العـلا والجود منصبهُ يا سيدًا ملكًا في الكل مشتهرُ
يا مالكًا لملوك الارض قاطبـةً تعطي الجزيل ولا منٌّ ولا ضجرُ
ابقاك ربي على رغم العدا كمدًا وزان طالعكَ الاقبال والظفرُ

فلما سمع الخليفة من نُعم هذه الابيات قال : والله طيب والله مليح . لله درّكِ يا نُعم ما افصح لسانكِ وما اوضح بيانكِ . ولم يزالوا في فرح وسرور الى نصف الليل . ثم قالت اخت الخليفة : اسمع يا امير المؤمنين اني رأيت حكايةً في الكتب عن بعض ارباب المراتب . قال الخليفة : وما تلك الحكاية . فقالت لهُ اختهُ : اسمع يا امير المؤمنين . انهُ كان بمدينة الكوفة صبي يسمّى نعمة بن الربيع وكان لهُ جارية يحبها وتحبهُ وكانت قد تربّت معهُ في بيت واحد . فلما كبرا وتمكن حبهما من بعضهما رماهما الدهر بنكباته . وجار عليهما الزمان بآفاته . وحكم عليهما بالفراق وتحيلت عليها الوشاة . حتى خرجت من داره . واخذوها سرقة من مكانه . ثم ان سارقها باعها لبعض الملوك بعشرة آلاف دينار . وكان عند الجارية لمولاها من المحبة مثل ما عنده لها . ففارق مولاها اهله ونعمتـه وداره وسافر في طلبها . وتسبب في اجتماعه بها وخاطر بنفسه وبذل مهجته حتى توصل الى اجتماعه بجاريته . وكان يقال لهـا نعم . فلما اجتمع بهـا لم يستقرّ بها الجلوس حتى دخل عليهما الملك الذي كان اشتراها من الذي سرقها فعجـل عليهما وأمر بقتلهما . ولم ينصف من نفسه ولم يمهل عليهما في حكمه . فما تقول يا امير المؤمنين في قلة انصاف هذا الملك

(الليلة السادسة والاربعون بعد المائتين) . فقال امير المؤمنـين : ان هذا لشيء عجاب فكان ينبغي لذلك الملك العفو عند المقدرة . لانهُ يجب عليهِ ان يحفظ لهما ثلاثة اشياء . الاول انهما متحابان . والثاني انهما في منزله وتحت قبضته . والثالث ان الملك ينبغي لهُ التأني في الحكم بين النـاس فكيف بالامر الذي يتعلق به . فهذا الملك قد فعل فعلًا لا يشبه فعل الملوك . فقالت لهُ اختهُ : يا اخي بحق ملك السماوات والارض ان تأمر نُعم بالغناء وتسمع ما تغني بهِ .

فقال : يا نُعم غني لي . فاطربت بالنغمات . وانشدت هذه الابيات :

غدر الزمـان ولم يزل غدَّارا   يُصمي القلوب ويورث الافكارا

ويفرّق الاحباب بعد تجمع   فترى الدموع على الخدود غزارا

كانوا وكنت وكان عيشي ناعماً   والدهر يجمع شملنـا مـدرارا

فلابكينَّ دماً ودمعاً ساجماً   أسفاً عليك ليـاليًا ونهـارا

فلما سمع امير المؤمنين هذا الشعر طرب طرباً عظيماً . فقالت لهُ اختـه : يا اخي مَن حكم على نفسه بشيء لزمه القيام بهِ والعمل بقوله . وانت قد حكمت على نفسك بهذا الحكم . ثم قالت : يا نعمة قف على قدميك وكذا قفي انتِ يا نُعم . فقالت اخت الخليفة : يا امير المؤمنين ان هذه الواقفة هي نُعم المسروقة سرقها الحجَّاج بن يوسف الثقفي واوصلها اليك وكذب في ما ادَّعاه في كتابه من انهُ اشتراها بعشرة آلاف دينار . وهذا الواقف هو نعمة بن الربيع سيدها . وانا اسألك بحرمة آبائك الطاهرين وبحمزة والعقيل والعباس ان تعفو عنهما وتصفح عن جريمتهما وتهبهما لبعضهما لتغنم اجرهما وثوابهما فانهما في قبضتك وقد اكلا من طعامك وشربا من شرابك . وانا الشفيعة فيهما المستوهبة دمهما . فعند ذلك قال الخليفة : صدقتِ انا حكمت بذلك وما احكم بشيء وارجع فيهِ . ثم قال : يا نُعم هل هذا مولاكِ . قالت لهُ : نعم يا امير المؤمنين . فقال : لا بأس عليكما فقد وهبتكما لبعضكما . ثم قال : يا نعمة وكيف عرفت بمكانها ومَن وصف لـك هذا المكان . فقال : يا امير المؤمنـين اسمع خبري وانصت الى حديثي فوحقّ آبائك واجدادك الطاهرين لا اكتم عنك شيئاً . ثم حدثه بجميع ما كان من امره وما فعله معهُ الحكيم الاعجمي وما فعلتهُ القهرمانة وكيف دخلت بهِ القصر وغلطَ في الابواب . فتعجب الخليفة من ذلـك غاية العجب . ثم قال : عليَّ بالاعجمي .

فاحضروه بين يديه . فجعله من جملة خواصه وخلع عليهِ الخلع وأمر لهُ بجائزة مليحة وقال : من يكون هذا تدبيره يجب ان نجعله من خواصنا . ثم ان الخليفة احسن الى نِعمة ونُعم وانعم عليهما . وانعم على القهرمانة وقعدا عنده سبعة ايام في سرور وحظ وارغد عيش . ثم طلب نِعمة منهُ الاذن في السفر هو وجاريته . فأذن لهما في السفر الى الكوفة . فسافرا واجتمع بوالده ووالدته واقاموا في اطيب عيش وارغده الى ان دار عليهم هادم اللذات . ومفرق الجماعات . فلما سمع الامجد والاسعد هذا الحديث من بهرام . تعجبا من ذلك غاية العجب وقالا : ان هذا الحديث عجيب فباتا تلك الليلة

(الليلة السابعة والاربعون بعد المائتين) . فلما اصبح الصباح ركب الامجد والاسعد وأرادا ان يدخلا على الملك . فاستأذنا في الدخول عليهِ فأذن لهما . فلما دخلا عليهِ اكرمهما وجلسوا يتحدثون . فبينما هم كذلك واذا باهل المدينة يصيحون ويتصارخون ويستغيثون . فدخل الحاجب على الملك واعلمه ان ملكاً من الملوك نزل بعساكره على المدينة . فأخبر الملك وزيره الامجد واخاه الاسعد بما سمعه من الحاجب . فقال الامجد : انا اخرج اليه واكشف خبره . فخرج الامجد الى ظاهر المدينة فوجد الملك ومعهُ عسكر كثير ومماليك راكبة . فلما نظروا الى الامجد عرفوا انهُ رسول من عند ملك المدينة فأخذوه وأحضروه قدام السلطان . فلما صار قدامه قبّل الارض بين يديه . واذا بالملك امرأة ضاربة لها لثاماً . فقالت : اعلم انهُ ما لي عندكم غرض في هذه المدينة وما جئتكم الّا في طلب مملوك امرد فان وجدتهُ عندكم فلا بأس عليكم . وان لم اجده وقع بيني وبينكم القتال الشديد . فقال الامجد : ايتها الملكة وما صفة هذا المملوك وما خبره وما اسمه . فقالت : اسمهُ الاسعد وانا اسمي مرجانة . وهذا المملوك كان جاءني صحبة بهرام المجوسي

وما رضي ان يبيعه فاخذته منهُ غصباً . فعدا عليهِ واخذه من عندي في الليل سرقةً . واما اوصافه فانهـا كذا وكذا . فلما سمع الامجد ذلك علم انهُ اخوه الاسعد . فقال لها : يا ملكة الزمان الحمد لله الذي جاءنا بالفرج ان هذا المملوك هو اخي . ثم حكى لها حكايته وما جرى لهما في بلاد الغربة واخبرهـا بسبب خروجهما من جزائر الابنوس . فتعجبت الملكة مرجانة من ذلك وفرحت بلقاء الاسعد وخلعت على اخيهِ الامجد . وبعد ذلك عاد الامجد الى الملك واعلمه بمـا جرى . ففرحوا بذلك . ونزل الملك هو والامجد والاسعد طالبين لقاء الملكة . فلما دخلوا عليها جلسوا يتحدثون . فبينما هم كذلك اذا بغبار ثار . حتى سدَّ الاقطار . وبعد ساعة انكشف ذلك الغبار عن عسكرٍ جرّار . مثـل البحر الزخار . وهم لابسون الدروع والسلاح . فقصدوا المدينة ثم داروا بها كما يدور الخاتم بالخنصر وشهروا سيوفهم . فقال الامجد والاسعد : انَّا لله وانَّا اليهِ راجعون . ما هذا الجيش الكبير . ان هؤلاء اعداء لا محالة . وان لم نتفق مع هذه الملكة مرجانة على قتالهم اخذوا منـا المدينة وقتلونا . وليس لنا حيـلة ان نخرج اليهم ونكشف خبرهم . فقام الامجد وخرج من باب المدينـة وتجاوز جيش الملكة مرجانة . فلما وصل الى العسكر وجده عسكر جدّه الملك الغيور ابي امه الملكة بدور . اما ذلك الملك فهو صاحب الجزائر والبحور والسبعـة قصور

(الليلة الثامنة والاربعون بعد المائتين) . فلما صار قدامه قبَّل الارض بين يديه وبلغه الرسالة . فقال الملك : انا اسمي الملك الغيور . وقد جئت عابر سبيل لان الزمان قد فجعني بابنتي بدور . فانها فارقتني وما رجعت اليَّ . ولا سمعت لها ولا لزوجها قمر الزمان خبراً . فهل عندكم بهما خبر . فلما سمع الامجد ذلك اطرق الى الارض ساعة يتفكر حتى تحقق انهُ جده ابو امه . ثم رفع رأسهُ وقبل الارض بين يديه

واخبره انهُ ابن بنته بدور . فلما سمع الملك انهُ ابن بنته بدور رمى روحه عليهِ وصارا يبكيان. ثم قال الملك الغيور : الحمد لله ياولدي على السلامة حيث اجتمعت بك . ثم حكى لهُ الامجد ان ابنته بدور في عافية وكذلك ابوه قمر الزمان . واخبره انها في مدينة يقال لها جزيرة الابنوس . وحكى لهُ ان والده قمر الزمان غضب عليهِ وعلى اخيهِ وأمر بقتلهما وان الخازندار رقّ لهما وتركهما بلا قتل. فقال الملك الغيور : انا ارجع بك وباخيك الى والدك واصلح بينكما واقيم عندكم . فقبل الارض بين يديه وفرح بهِ . ثم خلع الملك الغيور على الامجد ابن بنته ورجع متبسماً الى الملك واعلمه بقصة الملك الغيور . فتعجب منها غاية العجب . ثم ارسل آلات الضيافة من الاغنام والخيول والجمال والعليق وغير ذلك . وأخرج للملكة مرجانة كذلك واعلموها بما جرى . فقالت : انا اذهب معكم بعسكري واكون ساعية في الصلح . فبينما هم كذلك واذا بغبار قد ثار. حتى سدّ الاقطار. واسودّ منهُ النهار. وسمعوا من تحته صياحاً وصراخاً وصهيل الخيل . ورأوا سيوفاً تلمع . وأسنّة رماح تُشرع. فلما قربوا من المدينة ورأوا العسكرين دقُّوا الطبول. فلما رأى الملك ذلك قال : ما هذا النهار الّا نهار مبارك . الحمد لله الذي اصلحنا مع هذين العسكرين . وان شاء الله يصلحنا مع هذا العسكر ايضاً . ثم قال : يا امجد ويا اسعد اخرجا واكشفا لنا خبر هذه العساكر فانها جيش ثقيل ما رأيت اثقل منهُ . فخرج الاثنان الامجد واخوه الاسعد بعد ان اغلق الملك باب المدينة خوفاً من العسكر المحيط بها . ففتحا الابواب ثم سارا حتى وصلا الى العسكر . فوجداه عسكراً عظيماً . فدخلا عليهِ فاذا هو عسكر ملك جزائر الابنوس وفيهِ والدهما قمر الزمان . فلما نظراه قبلا الارض بين يديه وبكيا . فلما رآهما قمر الزمان رمى روحه عليهما وبكى بكاء شديداً واعتذر لهما وضمهما الى صدره ساعة

زمانية . ثم حكى لهما ما قاساه بعدهما من الوحشة الشديدة لفراقهما. اما الامجد والاسعد فذكرا لهُ عن الملك الغيور انهُ وصل اليهم . فركب قمر الزمان في خواصهِ واخذ ولديه الامجد والاسعد معهُ وساروا حتى وصلوا الى قرب عسكر الملك الغيور . فسبق واحد منهم الى الملك الغيور واخبره ان قمر الزمان وصل. فطلع الى ملاقاته . فاجتمعوا بعضهم ببعضٍ وتعجبوا من هذه الامور وكيف تمَّ التقاؤهم في هذا المكان . وصنع اهل المدينة الولائم وانواع الطعامات والحلويات ثم قدموا الخيول والجمال والضيافات والعليق وما تحتاج اليهِ العساكر . فبينما هم كذلك واذا بغبار قد ثار حتى سدَّ الاقطار وارتجت الارض من الخيول وصارت الطبول كعواصف الرياح . والجيش جميعه بالعدد والازراد . وكلهم لابسون السواد . وفي وسطهم شيخ كبير لحيتهُ واصلة الى صدره وعليهِ ملابس سود . فلما نظر اهل المدينة هذه العساكر العظيمة قال صاحب المدينة للملوك : الحمد لله الذي اجتمعتم باذن الله تعالى في يوم واحد وكنتم كلكم معارف . فما هذا العسكر الجرَّار . الذي قد سدَّ الاقطار . فقال لهُ الملوك : لا تخف منهُ فنحن ثلاثة ملوك وكل ملك لهُ عساكر كثيرة فان كانوا اعداء نقاتلهم معك ولو زادوا ثلاثة امثالهم . فبينما هم كذلك واذا برسول من تلك العساكر قد اقبل طالب المدينة . فقدموه بين يدي قمر الزمان والملك الغيور والملكة مرجانة والملك صاحب المدينة. فقبَّل الارض وقال : ان هذا الملك من بلاد العجم وقد فقد ولده من مدة سنين . وهو دائر يفتش عليهِ في الاقطار . فان وُجد عندكم فلا بأس عليكم . وان لم يجده وقع الحرب بينه وبينكم وأخرب مدينتكم . فقال لهُ قمر الزمان : ما يصل الى هذا. ولكن ما يقال لهُ في بلاد العجم . فقال الرسول : يقال لهُ الملك شهرمان صاحب الجزائر الخالدات. وقد جمع هذه العساكر من الاقطار

التي مرَّ بها وهو دائر يفتش على ولده . فلما سمع قمر الزمان كلام الرسول صرخ صرخة عظيمة وخرَّ مغشيًا عليهِ واستمرَّ في غشيتهِ ساعة . ثم افاق وبكى بكاء شديدًا وقال للامجد والاسعد وخواصهما : امشوا يا اولادي مع الرسول وسلموا على جدكم والدي الملك شهرمان وبشروه بي فانهُ حزين على فقدي وهو الى الآن لابس الملابس السود لاجلي . ثم حكى للملوك الحاضرين جميع ما جرى لهُ في ايام صباه . فتعجب جميع الملوك من ذلك . ثم نزلوا هم وقمر الزمان واتوا الى والده . فسلم قمر الزمان على والده وعانقا بعضهما ووقعا مغشيًا عليهما ساعة من شدة الفرح . فلما افاقا حكى لابيهِ جميع ما جرى لهُ . ثم سلم عليهِ بقية الملوك وردّوا مرجانة الى بلدها بعد ان زوّجوها للاسعد ووصّوها انها لا تقطع عنهم مراسلتها وسافرت . ثم زوّجوا الامجد بستان بنت بهرام . وسافر الجميع الى مدينة الابنوس . ودخل قمر الزمان على عمّه واعلمهُ بجميع ما جرى لهُ وكيف اجتمع باولاده . ففرح وهنأه بالسلامة . ثم دخل الملك الغيور ابو الملكة بدور على بنته وسلم عليها وبلَّ شوقه منها وقعدوا في مدينة الابنوس شهرًا كاملًا . ثم سافر الملك الغيور بابنته الى بلده . واخذ الامجد معهم وارتحلوا الى بلادهم

(الليلة التاسعة والاربعون بعد المائتين) . فلما استقرَّ في مملكته اجلس الامجد يحكم مكان جده . واما قمر الزمان فانهُ اجلس ابنهُ الاسعد يحكم مكانه في مدينة جده ارمانوس ورضي بهِ جده . ثم تجهز قمر الزمان وسافر مع ابيهِ الملك شهرمان الى ان وصلا الى الجزائر الخالدات . فزيّنت لهما المدينة واستمرت البشائر تدق شهرًا كاملًا . وجلس قمر الزمان يحكم مكان ابيهِ الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرّق الجماعات . والله اعلم

فقال الملك لشهرزاد : ان هذه الحكاية عجيبة جدًا . قالت : ايها الملك ليست هذه الحكاية باعجب من حكاية علاء الدين ابي الشامات . قال : وما حكاية علاء الدين ابي الشامات . قالت

حكاية علاء الدين ابي الشامات

بلغني ايها الملك السعيد انهُ كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان . رجل تاجر بمصر يقال لهُ شمس الدين وكان من احسن التجار واصدقهم مقالًا وهو صاحب خدم وحشم وعبيد وجوار ومماليك ومال كثير وكان شاه بندر التجار بمصر . وكان معهُ زوجة يحبها وتحبه . الَّا انهُ عاش معها اربعين عامًا ولم يرزق منها ولدًا لا ذكرًا ولا انثى . فجلس يومًا من الايام في دكانه فرأى التجار وكل واحد منهم لهُ ولد او ولدان او اكثر وهم قاعدون في دكاكين مثل آبائهم . وكان ذلك اليوم يوم جمعة . فدخل ذلك التاجر الحمام واغتسل غسل الجمعة . ولما طلع اخذ مرآة المزيّن فنظر وجهه فيها وقال : اشهد ان لا اله الَّا الله واشهد ان محمدًا رسول الله . ثم نظر الى لحيته فرأى البياض غطى السواد وتذكر ان الشيب نذير الموت . وكانت زوجته تعرف ميعاد مجيئه فتتهيأ . فلما أتى الى البيت قالت لهُ : مساء الخير . فقال لها : انا ما رأيت الخير . فقالت للجارية : هاتي سفرة العشاء . فاحضرت الطعام وقالت لهُ : تعشَّ يا سيدي . فقال لها : ما آكل شيئًا . ورفص السفرة برجله واعرض عنها بوجهه . فقالت لهُ : ما سبب ذلك واي شيء احزنك

(الليلة الموفية لخمسين بعد المائتين) . فقال لها : سبب حزني هو انني عن قريب اموت ولا اترك نسلًا أُذكر بهِ . فقالت لهُ زوجته وكانت امرأة صالحة :

تضرَّع الى الله تعالى لكي يعطيك مرغوبك. فتضرعا وصاما وتصدَّقا على الفقراء. فتحنن الباري عليهما ورزقهما بولد . فحملت المرأة . ثم وفت ايام حملها ولحقها الطلق وقامت الزغاريت . فقاست القابلة المشقَّة في الخلاص ورقته باسمَي محمد وعلي . وكبَّرت وأذَّنت في اذنه ولفتهُ واعطتهُ لامه . فاعطتهُ ثديها وارضعتهُ فرضع وشبع ونام . واقامت القابلة عندهم ثلثة ايام حتى عملوا مامونية وحلاوة وفرقوها في اليوم السابع . ثم رشُّوا ملحة . ودخل التاجر وهنأ زوجته بالسلامة وقال لها : اين وديعة الله . فقدمت لهُ مولودًا بديع الجمال صنع المدبر الموجود وهو ابن سبعة ايام ولكن الذي ينظره يقول عليهِ انهُ ابن عام . فنظر التاجر في وجهه فرآه بدرًا مشرقًا ولهُ شامات على الخدين . فقال لها : ما سميتهِ . فقالت لهُ : لو كانت بنتا كنت سميتها وهذا ولد فلا يسميهِ الَّا انت . وكان اهل ذلك الزمن يسمُّون اولادهم بالفال . فبينما هم يتشاورون في الاسم واذا بواحد يقول لرفيقه : يا سيدي علاء الدين . فقال لها : نسميه بعلاء الدين ابي الشامات . ووكل بهِ المراضع والقوابل فشرب اللبن عامين . ثم فطموه فكبر ونشا . وعلى الارض مشى . فلما بلغ من العمر سبع سنين ادخلوه تحت طابق خوفًا عليهِ من العين وقال : هذا لا يخرج من الطابق حتى تطلع لحيته . ووكل بهِ جارية وعبدًا . فصارت الجارية تهيّئ لهُ السفرة والعبد يحملها اليهِ . ثم انهُ طهَّره وعمل لهُ وليمة عظيمة . وبعد ذلك احضر لهُ فقيهًا يعلمه . فعلمه الخط والقرآن والعلوم الى ان صار ماهرًا وصاحب معرفة . فاتفق ان العبد اوصل اليهِ السفرة في بعض الايام ونسي الطابق مفتوحًا . فطلع علاء الدين من الطابق ودخل على امه وكان عندها محضر من اكابر النساء . فبينما النساء يتحدثنَ مع امه واذا بهذا الولد دخل عليهنَّ كالمملوك السكران من فرط جماله . فحين رأتهُ النسوة غطينَ وجوههنَّ

وقلنَ لامه : الله يجازيكِ يا فلانة كيف تدخلين علينا هذا المملوك الاجنبي . اما تعلمين ان الحياء من الايمان . فقالت لهنَّ : سمّينَ الله ان هذا ولدي وثمرة فؤادي وابن شاه بندر التجار شمس الدين . فقلنَ لها : عمرنا ما رأينا لكِ ولدًا . فقالت : ان اباه خاف عليهِ من العين فجعل مرباه في طابق تحت الارض . فلعلَّ الخادم نسيَ الطابق مفتوحًا فطلع منهُ . ولم يكن مرادنا ان يطلع حتى تنبت لحيته . فهنأها النسوة بذلك

(الليلة الحادية والخمسون بعد المائتين) . وخرج الغلام من عند النسوة الى حوش البيت ثم خرج الى المقعد وجلس فيهِ . فبينما هو جالس واذا بالعبيد قد دخلوا ومعهم بغلة ابيهِ . فقال لهم علاء الدين : اين كانت هذه البغلة . فقالوا لهُ : نحن اوصلنا اباك عليها الى الدكان وجئنا بها . فقال لهم : اي شيء صنعة ابي . فقالوا له : ان اباك شاه بندر التجار بارض مصر وهو سلطان اولاد العرب . فدخل علاء الدين على امه وقال لها : يا امي ما صناعة ابي . فقالت لهُ : يا ولدي ان اباك تاجر وهو شاه بندر التجار بارض مصر وسلطان اولاد العرب . وعبيده لا يشاورونه في البيع الّا على البيعة التي يكون اقلّ ثمنها الف دينار . واما البيعة التي تكون بتسعمائة دينار فاقلّ فانهم لا يشاورونه عليها بل يبيعونها بانفسهم . ولا يأتي متجر من بلاد الناس قليلًا او كثيرًا الّا ويدخل تحت يده ويتصرف فيهِ كيف يشاء . ولا يحزم متجر يروح الى بلاد الناس الّا ويكون من تحت يد ابيك . والله تعالى اعطى اباك يا ولدي مالًا كثيرًا لا يُحصى . فقال لها : يا امي الحمد لله لاني ابن سلطان اولاد العرب ووالدي شاه بندر التجار . ولاي شي يا امي تضعونني في الطابق وتتركونني محبوسًا فيهِ . فقالت لهُ : يا ولدي نحن ما وضعناك في الطابق الّا خوفًا عليك من اعين الناس . فان العين حقّ واكثر اهل القبور

من العين. فقال لها: يا امي واين المفرّ من القضاء. والحذر لا يمنع القدر. والمكتوب ما منهُ مهروب. وانَّ الذي اخذ جدي ما يخليني. وابي فانهُ ان عاش اليوم ما يعيش غدًا. واذا مات ابي وقلت: انا علاء الدين ابن التاجر شمس الدين لا يصدقني احد من الناس والشيوخ يقولون: عمرنا ما رأينا لشمس الدين ولدًا ولا بنتًا. فينزل بيت المال ويأخذ مال ابي ويحرمني منهُ. ورحم الله من قال: يموت الفتى ويذهب ماله. ويأخذ انذال الرجال نساءه. فأنتِ يا امي تكلمي مع ابي حتى يأخذني معهُ الى السوق ويفتح لي دكانًا واقعد فيهِ ببضائع ويعلمني البيع والشراء. والاخذ والعطاء. فقالت لهُ: يا ولدي عندما يحضر ابوك اخبره بذلك. فلما رجع التاجر الى بيته وجد ابنه علاء الدين ابا الشامات قاعدًا عند امه. فقال لها: لاي شيء اخرجتهِ من الطابق. فقالت لهُ: يا ابن عمي انا ما اخرجته ولكن الخدم نسوا ان يقفلوا الطابق وتركوه مفتوحًا. فبينما انا قاعدة وعندي محضر من اكابر النساء. اذا بهِ دخل علينا. واخبرتهُ بما قاله ولده: فقال لهُ: يا ولدي في غدٍ ان شاء الله آخذك معي الى السوق. ولكن يا ولدي قعود الاسواق والدكاكين يحتاج الى الادب والكمال في كل حال. فبات علاء الدين وهو فرحان من كلام ابيهِ. فلما اصبح الصباح ادخله الحمام والبسهُ بدلة تساوي جملة من المال. ولما فطروا وشربوا الشربات ركب بغلته واركب ولده بغلة واخذه وراءه وتوجه بهِ الى السوق. فنظر اهل السوق شاه بندر التجار مقبلًا ووراءهُ غلام ذكر. كانهُ القمر. في ليلة اربعة عشر. فقال واحد منهم لرفيقه: انظر هذا الغلام الذي وراء شاه بندر التجار قد كنَّا نظنّ بهِ الخير وهو مثل الكراث شائب وقلبه اخضر. فقال الشيخ محمد سمسم النقيب للتجار: نحن يا تجار ما بقينا نرضى بهِ ان يكون شيخًا علينا ابدًا. وكان من عادة شاه بندر التجار انهُ عندما يأتي من بيته في

الصباح ويقعد في دكانه يتقدم نقيب السوق ويقرأ الفاتحة للتجار فيقومون معهُ ويأتون الى شاه بندر التجار ويقرأون لهُ الفاتحة ويصبحون عليهِ ثم ينصرف كل واحد منهم الى دكانه . فلما قعد شاه بندر التجار في دكانه ذلك اليوم على عادته لم تأتِ اليهِ التجار حسب عادتهم . فنادى النقيب وقال لهُ : لايّ شيء لم تجتمع التجار على جري عادتهم . فقال لهُ : انا ما أعرف نقل الفتن . وان التجار اتفقوا على عزلك من المشيخة ولا يقرأون لك فاتحة . فقال لهُ : ما سبب ذلك . فقال لهُ : ما شأن هذا الولد الجالس بجانبك وانت شيخ ورئيس التجار . فهل هذا الولد مملوكك او قريب لزوجتك . فصرخ عليهِ وقال لهُ : اسكت قبح الله ذاتك وصفاتك هذا ولدي . فقال لهُ : عمرنا ما رأينا لك ولدًا . فقال له : لما تضرعت الى الله تعالى حملتْ زوجتي وولدتهُ . ولكن انا من خوفي عليهِ من العين ربيتهُ في طابق تحت الارض وكان مرادي انهُ لا يخرج من الطابق حتى يمسك لحيته بيده . فما رضيتْ امه وطلب مني ان افتح لهُ دكانًا واحطّ عنده بضائع واعلمه البيع والشراء . فذهب النقيب الى التجار واخبرهم بحقيقة الامر . فقاموا كلهم بصحبة النقيب وتوجهوا الى شاه بندر التجار ووقفوا بين يديه وقرأوا الفاتحة وهنأوه بذلك الغلام وقالوا لهُ : ربُّنا يبقي الاصل والفرع . ولكن الفقير منا عندما يأتيهِ ولد او بنت لا بدّ ان يصنع لاخوانهِ دست عصيدة ويدعو معارفه واقاربه . وانت لم تعمل ذلك . فقال لهم : لكم عليّ ذلك ويكون اجتماعنا في البستان

(الليلة الثانية والخمسون بعد المائتين) . فلما اصبح الصباح ارسل الفرّاش للقاعة والقصر اللذين في البستان وأمره بفرشهما وأرسل آلة الطبخ من اغنام وسمن وغير ذلك مما يحتاج اليهِ الحال . وعمل سماطَين سماطًا في القصر

وسماطاً في القاعة . وتحزّم التـاجر شمس الدين وتحزّم ولده علاء الدين وقال لهُ : يا ولدي اذا دخل الرجل الشائب فانا اتلقاه واجلسه على السماط الذي في القصر . وانت يا ولدي اذ تنظر الولد الامرد داخلاً فخذهُ وادخل بهِ القاعة واقعد على السماط . فقال لهُ : لاي شيء يا ابي وما سبب انك تعمل سماطين واحداً للرجال وواحداً للاولاد . فقال : يا ولدي ان الامرد يستحي ان يأكل عند الرجال . فاستحسن ذلك ولده . فلما جاء التجار صار شمس الدين يقابل الرجال ويجلسهم في القصر وولده علاء الدين يقابل الاولاد ويجلسهم في القـاعة . ثم وضعوا الطعام . فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وشربوا الشربات واطلقوا البخورات . فقعـد الشيوخ في مذاكرة العلم والحديث . وكان بينهم رجل تاجر يسمَّى محمود البلخي . وكان مسلماً في الظاهر مجوسياً في البـاطن وكان يبغي الفساد . فنظر في وجه علاء الدين نظرة . اعقبتـهُ الف حسرة . وكان ذلك التاجر الذي اسمهُ محمود البلخي يأخذ القماش والبضائع من والد علاء الدين . ثم ان محموداً البلخي قام يتمشى وانعطف نحو الاولاد . فقاموا لملتقـاه وقام علاء الدين لبعض حاجته . فالتفت التـاجر محمود الى الاولاد وقال لهم : ان طيبتم خاطر علاء الدين على السفر معي لاعطينَّ كل واحد منكم ثوباً يساوي جملة من المـال . ثم توجه من عنـدهم الى مجلس الرجال . فبينما الاولاد جالسون واذ بعلاء الدين اقبل عليهم . فقاموا لملتقاه واجلسوه بينهم في صدر المقام . فقام ولد منهم وقال لرفيقه : يا سيـدي حسن اخبرني برأس المال الذي عندك تبيع فيـهِ وتشتري من اين جاءك . فقال لهُ : انا لما كبرت وانتشأت وبلغت مبلغ الرجال قلت لابي : يا والدي احضر لي متجراً . فقال لي : يا ولدي ما عنـدي شيء ولكن رُح خذ لك مالاً من احد التجار واتّجـر بهِ وتعلّم البيع والشراء والاخذ

والعطاء . فتوجهت الى واحد من التجار . واقترضت منهُ الف دينار. فاشتريت بها قماشاً وسافرت بهِ الى الشام فربحت المثل مثلين . ثم اخذت متجراً من الشام وسافرت بهِ الى حلب وبعتهُ فكسبت بالمثل مثلين . ثم اخذت متجراً من حلب وسافرت بهِ الى بغداد وبعته فربحت ربحاً كثيراً . ولم ازل أتجر بهِ حتى صار رأس مالي نحو عشرة آلاف دينار . وصار كل واحد من الاولاد يقول لرفيقه مثل ذلك الى ان جاء دور كلام على علاء الدين ابي الشامات . فقالوا لهُ : وانت يا سيدي علاء الدين . فقال لهم : انا تربيت في طابقٍ تحت الارض وخرجت منهُ في هذه الجمعة وانا اروح الى الدكان وارجع منهُ الى البيت . فقالوا لهُ : انت تعودت على قعود البيت ولا تعرف لذة السفر والسفر ما يكون الّا للرجال . فقال لهم : انا ما لي حاجة الى السفر وليس للراحة قيمة عندي . فقال واحد منهم لرفيقه : هذا مثل السمك اذا فارق الماء مات. ثم قالوا لهُ : يا علاء الدين ما فخر اولاد التجار الَّا في السفر لاجل المكسب . فحصل لعلاء الدين غيظ بسبب ذلك وطلع من عند الاولاد وهو باكي العين حزين الفؤاد وركب بغلتــه وتوجّه الى البيت . فنظرتهُ امّهُ في غيظٍ زائد باكي العين فقالت لهُ : ما يبكيك يا ولدي . فقال لها : ان اولاد التجار جميعاً عيروني وقالوا لي : ما فخر اولاد التجار الَّا بالسفر لاجل ان يكسبوا الدراهم

(الليلة الثالثة والخمسون بعد المائتين) . فقالت لهُ امهُ : يا ولدي هل مرادك السفر . قال : نعم . فقالت لهُ : الى ايّ البلاد تسافر . فقال لها : الى مدينة بغداد فان الانسان يكسب فيها المثل الذي معهُ مثلين . فقالت لهُ : يا ولدي ان اباك عندهُ مال كثير وان لم يجهز لك متجراً من ماله فانا اجهز لك متجراً من عندي . فقال لها : خير البرّ عاجله وان كان معروفاً فهذا وقتــهُ .

فاحضرت العبيد وارسلتهم الى الذين يحزمون القماش وفتحت حاصلاً واخرجت لهُ منهُ قماشاً وحزموا لهُ عشرة احمال

هذا ما كان من امر امه. واما ما كان من امر ابيهِ فانهُ التفت فلم يجد ابنهُ علاء الدين في البستان . فسأل عنه فقالوا لهُ : انهُ ركب بغلتـه وراح الى البيت . فركب وتوجه خلفه. فلما دخل منزله رأى احمالاً محزومة . فسأل عنها فاخبرتهُ زوجتهُ بما وقع من اولاد التجار لولده علاء الدين . فقال لهُ : يا ولدي خيَّب الله الغربة فقد قال رسول الله (صلعم) : من سعادة المرء ان يُرزق في بلده. وقال الاقدمون : دع السفر ولو كان ميلاً. ثم قال لولده : هل صممت على السفر ولا ترجع عنهُ . فقال لهُ ولده: لا بدَّ لي من السفر الى بغـداد بمتجرٍ والَّا قلعت اثوابي ولبست ثياب الدراويش وخرجت سائحاً في البلاد . فقال لهُ : ما انا معوز ولا مُعدَم بل عندي مال كثير . وأراه جميع ما عنده من المال والمتاجر والقماش وقال لهُ : انا عندي لكل بلد ما يناسبها من القماش والمتاجر. وأراه من جملة ذلك اربعين حملاً محزومة مكتوباً على كل حمل ثمنهُ الف دينار . ثم قال لهُ : يا ولدي خذ الاربعين حملاً والعشرة احمال التي من عند امك وسافر مع سلامة الله تعالى. ولكن يا ولدي اخاف عليك من غابة في طريقك تسمى غابة الاسد ووادٍ هناك يقال لهُ وادي الكلاب . تروح فيها الارواح بغير سماح. فقل لهُ : لماذا يا والدي . فقال لهُ : من بدوي قاطع الطريق يقال لهُ عجلان . فقال لهُ : الرزق رزق الله وان كان لي فيهِ نصيب لم يصبني ضررٌ . ثم ركب علاء الدين مع والده وسار الى سوق الدواب . واذا بعكام نزل من فوق بغلته وقبل يد شاه بندر التجار وقال لهُ : والله من زمان ياسيدي ما استقضيتنا في تجارات . فقال لهُ : لكل زمان دولة ورجال . ورحم الله تعالى من قال :

وشيخٌ في جهات الارض يمشي ولحيتهُ تقابل ركبتيهِ
فقلت لهُ لماذا انت محنٍ فقال وقد لوى نحوي يديهِ
شبابي في الثرى قد ضاع مني وها انا منحنٍ بحثاً عليهِ

فلما فرغ من شعره قال : يا مقدم ما يريد السفر الّا ولدي هذا . فقال له العكام : الله يحفظه عليك . ثم ان شاه بندر التجار اقام ذلك العكام وكيلًا على ولده واوصاه بهِ وقال لهُ : خذ هذه المائة ديناراً لغلمانك . ثم اشترى ستين بغلًا وقنديلًا وستراً لسيدي عبد القادر الجيلاني وقال لهُ : يا ولدي انا غائب وهذا ابوك عوضاً عني وجميع ما يقولهُ لك طاوعه فيه . ثم توجه بالبغال والغلمان وعملوا في تلك الليلة ختمة ومولداً للشيخ عبد القادر الجيلاني . فلما اصبح الصباح اعطى شاه بندر التجار لولده عشرة آلاف دينار وقال لهُ : اذا دخلت بغداد ولقيت حال القماش رائجاً فبعهُ . وان لقيت حاله واقفاً فاصرف من هذه الدنانير . ثم حملوا البغال وودَّعوا بعضهم وساروا متوجهين حتى خرجوا من المدينة . وكان محمود البلخي تجهز للسفر الى جهة بغداد وأخرج حمولهُ ونصب صواوينه خارج المدينة . وكان لابي الولد الف دينار عند محمود البلخي بقية معاملة . فذهب اليهِ وودعهُ وقال لهُ : اعطِ الالف ديناراً لولدي علاء الدين واوصاه بهِ وقال لهُ : انهُ مثل ولدك . فاجتمع علاء الدين بمحمود البلخي

(الليلة الرابعة والخمسون بعد المائتين) . فقام محمود البلخي واوصى طبَّاخ علاء الدين انهُ لا يطبخ شيئاً . وصار محمود يقدّم لعلاء الدين المأكل والمشرب لهُ ولجماعته . ثم توجهوا للسفر . وكان للتاجر محمود البلخي اربعة بيوت واحد في مصر وواحد في الشام وواحد في حلب وواحد في بغداد . ولم يزالوا مسافرين في البراري والقفار حتى اشرفوا على الشام . فارسل محمود البلخي

عبده الى علاء الدين فرآه قاعداً يقرأ . فتقدم وقبّل اياديه . فقال لهُ : ما تطلب . فقال لهُ : سيدي يسلم عليك ويدعوك الى منزله . فقال لهُ : دعني اشاور ابي المقدّم كمال الدين العكام . فشاوره على الرواح . فقال لهُ : لا ترُح . ثم سافروا من الشام الى ان دخلوا حلب فعمل محمود البلخي مأدبة وارسل يطلب علاء الدين . فشاور المقدم فمنعه . ورحلوا من حلب الى ان بقي بينهم وبين بغداد مرحلة . فعمل محمود البلخي وليمة وارسل يطلب علاء الدين . فشاور المقدم فمنعه فقال علاء الدين : لا بدّ لي من الرواح . ثم قام وتقلد سيفاً تحت ثيابه وسار الى ان دخل على محمود البلخي . فقام لملتقاه وسلم عليه واحضر سفرة عظيمة . فأكلوا وشربوا وغسلوا ايديهم ومال محمود البلخي على علاء الدين يريد ان يقبّلهُ . فلاقاها في كفّه

ثم ان محمود البلخي همّ ثاني مرّة ان يقبّله . فقام علاء الدين وجرّد سيفه وقال لهُ : واشيبتاه . اما تخشى الله . وهو شديد المحال . ورحم الله من قال :

احفظ مشيبك من عيبٍ يدنّسهُ   ان البياض سريع الحمل للدنسِ

فلما فرغ علاء الدين من شعره قال لمحمود البلخي : ان هذه البضاعة امانة لله لا تُباع ولو بعت هذه البضاعة لغيرك بالذهب لبعتها لك بالفضة . ولكن والله يا خبيث ما بقيت ارافقك ابداً . ثم رجع علاء الدين الى المقدم كمال الدين وقال لهُ : ان هذا رجل فاسق ما بقيت ارافقه ابدًا ولا امشي معهُ في طريق . فقال لهُ : يا ولدي اما قلت لك لا تذهب اليهِ . ولكن يا ولدي ان افترقنا عنهُ نخشى على انفسنا التلف فخلّنا قفلًا واحدًا . فقال لهُ : لا يمكن ان ارافقه في الطريق ابدًا . فحمل حموله وسار هو ومن معهُ الى ان نزلوا في وادٍ وارادوا ان يحطوا فيه . فقال العكام : لا تحطوا هنا واستمروا رائحين واسرعوا في المسير لعلنا نحصل بغداد

قبل ان تقفل ابوابها . فانهم لا يفتحونها ولا يقفلونها الَّا بشمس خوفًا على المدينة ان يملكها الروافض ويرموا كتب العلم في دجلة. فقال لهُ: يا والدي انا ما توجهت بهذا المتجر الى هذه البلدة لاجل المكسب بل لاجل الفرجة على بلاد الناس . فقال لهُ: يا ولدي نخشى عليك وعلى مالك من العرب . فقال لهُ : يا رجل هل انت خادم ام مخدوم . انا ما ادخل بغداد الَّا مع الصباح لاجل ان تنظر اولاد بغداد الى متجري ويعرفوني . فقال له المقدَّم : افعل ما تريد فانا نصحتك وانت تعرف خلاصك . فأمرهم علاء الدين بتنزيل الاحمال عن البغال . فانزلوا الاحمال ونصبوا الصيوان واستمرُّوا مقيمين الى نصف الليل . ثم خرج علاء الدين يزيل ضرورة فرأى شيئًا يلمع على بُعد . فقال للعكام: يا مقدَّم ما هذا الشيء الذي يلمع . فقعد المقدَّم على حيله وتأمل وحقق النظر فرأى الذي يلمع اسنة رماح وحديد سلاح وسيوفًا بدوية . واذا بهم عرب ومقدَّمهم يسمى شيخ العرب عجلان ابو نائب . ولما قرب العرب منهم ورأوا حمولهم قالوا لبعضهم : يا ليلة الغنيمة . فلما سمعوهم يقولون ذلك قال المقدَّم كمال الدين العكام : حاس يا اقلَّ العرب . فطعنه ابو نائب بحربته في صدره فخرجت تلمع من ظهره . فوقع على باب الخيمة قتيلًا . فقال السقاء : حاس يا اخس العرب . فضربوه بسيف على عاتقه فخرج يلمع من علائقه ووقع قتيلًا . كل هذا جرى وعلاء الدين واقف ينظر . ثم ان العرب جالوا وصالوا على القافلة فقتلوهم ولم يبقوا احدًا من طائفة علاء الدين . ثم حملوا الاحمال على ظهور البغال وراحوا . فقال علاء الدين لنفسه : ما يقتلك الَّا بغلتك وبدلتك هذه . فقام وقلع البدلة ورماها على ظهر البغلة الى ان بقي بالقميص واللباس فقط . والتفت قدَّامه الى باب الخيمة فرأى بركة دم سائلة من دم القتلى فصار يتمرَّغ فيها بالقميص واللباس حتى صار كالقتيل الغريق في دمه

(الليلة الخامسة والخمسون بعد المائتين) . هذا ما كان من امر علاء الدين. واما ما كان من امر شيخ العرب عجلان فانهُ قال لجماعته: يا عرب هذه القافلة آتية من مصر او خارجة من بغداد. فقالوا لهُ : هذه آتيـة من مصر الى بغـداد . فقال لهم : ارجعوا على القتلى لاني اظن ان صاحب هـذه القافلة لم يمت . فارتدَّ العرب على القتلى وصاروا يزيدون القتلى طعناً وضربًا الى ان وصلوا الى علاء الدين وكان قد القى نفسه بين القتلى . فلما وصلوا اليـهِ قالوا لهُ : انت جعلت نفسك ميتاً فنحن نـكمل قتلك. وسحب البـدوي الحربة واراد ان يغرزها في صدر علاء الدين . فقال علاء الدين : يا بركتك يا سيدي عبـد القادر يا جيلاني . فنظر علاء الدين الى يد حوَّلت الحربة عن صدره الى صدر المقدم كمال الدين العكَّام . فطعنهُ البدوي بها وامتنع عن علاء الدين . ثم حمـلوا الاحمال على ظهور البغال ومشوا بها . فنظر علاء الدين فرأى الطـير قد طارت بارزاقها فقعد على حيله وقام يجري . واذا بالبدوي ابو نائب قال لرفقائهِ: انا رأيت زوالًا يا عرب. فطلع واحد منهم فرأى علاء الدين يجري. فقال لهُ: لا ينفعك الهرب ونحن وراءك . ولكز فرسه فاسرعت وراءهُ . وكان علاء الدين قد رأى قدامه حوضاً فيهِ ماء وبجانبه صهريج . فطلع الى شباك في الصهريج وامتدَّ وجعـل نفسه انهُ نائم وقال : يا جميل الستر سترك الذي لا ينكشف . واذا بالبدوي وقف تحت الصهريج في الركابين ومدَّ يده ليقبض علاء الدين فقـال علاء الدين : يا بركتكِ يا سيدتي نفيسة هذا وقتكِ. واذا بعقرب لدغت البدوي في كفه. فصرخ وقال : آه تعـالوا اليَّ يا عرب فاني لُدغت . فنزل من فوق ظهر حِجره . فأتاه رفقاؤه واركبوه ثانيًا على حِجره وقالوا لهُ : ايّ شيء اصابك . فقال لهم : لدغتني عقرب . فأخذوا القافلة وساروا

هذا ما كان من امرهم . واما ما كان من امر علاء الدين فانهُ استمرّ نائمًا في شبـاك الصهريج . واما ما كان من امر التـاجر محمود البلخي فانهُ امر بتحميل الاحمـال وسافر الى ان وصل الى غابة الاسد . فلقي غلمان علاء الدين كلهم قتلى . ففرح بذلك وترجَّل الى ان وصل الى الصهريج والحوض . وكانت بغلة محمود البلخي عطشانة . فمالت لتشرب من الحوض فرأت خيال علاء الدين نائمًا فجفلت منهُ . فرفع محمود البلخي عينـه فرأى علاء الدين نائمًا وهو عريان بالقميص واللبـاس فقط . فقال لهُ : من فعل بك هذه الفعال وخلَّاك في اسوإ حال . فقال لهُ : العرب . فقال لهُ : يا ولدي فداؤُك البغال والاموال . وتسلَّ بقول من قال :

اذا سلمت هام الرجال من الردى فما المال الّا مثل قصّ الاظافرِ

ولكن يا ولدي انزل ولا تخشَ بأساً . فنزل علاء الدين من شباك الصهريج واركبهُ بغلة . ثم سافروا الى ان دخلوا مدينة بغداد في دار محمود البلخي . فأمر بدخول علاء الدين الحمام وقال لهُ : المال والاحمال فداؤك يا ولدي وان طاوعتني اعطيك قدر مالك واحمالك مرتين . وبعد خروجه من الحمام ادخله قاعة مزركشة بالذهب فيها اربعة اواوين . ثم أمر باحضار سفرة فيها من جميع الاطعمة فاكلوا وشربوا . ومال محمود البلخي على علاء الدين ليأخذ منهُ قبلة . فلقيها علاء الدين بكفه وقال لهُ : هل انت الى الآن تابع لضلالك معي . أما قلت لك انا لو كنت بعت هذه البضاعة لغيرك بالذهب لكنت ابيعها لك بالفضة . فقال لهُ : انا ما أُعطيك المتجر والبغلة والبدلة الَّا لاجل هذه القضية . فقال لهُ علاء الدين : ان هذا شيء لا يمكن ابدًا . فخـذ بدلتك وبغلتك وافتح لي البـاب حتى اروح . ففتح لهُ الباب . فخرج علاء الدين والكلاب تنبح وراءهُ وسار

فبينما هو سائر في الظلام اذ رأى باب مسجد فدخل في دهليز المسجد واستكنَّ فيه . واذا بنور مقبل عليهِ فتأملهُ فرأى فانوسين في يدي عبدين قدام اثنين من التجار واحد منهما شيخ حسن الوجه والثاني شاب . فسمع الشاب يقول للشيخ : باللّٰه يا عمي ان تردَّ لي بنت عمي . فقال لهُ : أما نهيتك مرارًا عديدة وانت تجعل الطلاق مصحفك

(الليلة السادسة والخمسون بعد المائتين) . ثم التفت الشيخ الى يمينه فرأى ذلك الولد كانهُ القمر فقال لهُ : السلام عليك . فردَّ عليهِ السلام . فقال لهُ : يا غلام مَن أنت . قال لهُ : انا علاء الدين بن شمس الدين شاه بندر التجار بمصر. وتمنيت على والدي المتجر فجهز لي خمسين حملًا من القماش والبضاعة واعطاني عشرة آلاف دينار وسافرت الى ان وصلت الى غابة الاسد . فخرج عليَّ العرب واخذوا مالي واحمالي . فدخلت هذه المدينة وما ادري اين ابيت . فرأيت هذا المحل فاختفيت فيهِ. فقال لهُ : يا ولدي ما تقول اذا اعطيتك الف دينار وبدلة بالف دينار وبغلة بالف دينار . فقال لهُ علاء الدين : على ايّ وجه تعطيني ذلك يا عمي . فقال لهُ : ان هذا الغلام الذي معي ابن اخي ولم يكن لابيهِ غيره . وانا عندي بنت لم يكن لي غيرها تسمَّى زبيدة العودية وهي ذات حسن وجمال . فزوجتها لهُ وهو يحبُّها وهي تكرهه فحنث في يمينه بالطلاق الثلاث . فما صدقت زوجته بذلك حتى افترقت منهُ . فساق عليَّ جميع الناس لاردَّها لهُ فقلت لهُ : هذا لا يصح الَّا بالمستحلّ . واتفقت معهُ على ان نجعل المحلّل واحدًا غريبًا حتى لا يعيّره احدٌ بهذا الامر . وحيث كنت انت غريبًا فتعال معنا لنكتب كتابك عليها وتصبح تطلّقها ونعطيك ما ذكرتهُ لك . فسار معهما الى القاضي . فلما نظر القاضي الى علاء الدين وقعت محبته في قلبه وقال لابي البنت : ايُّ شيء

مرادكم . فقال مرادنا ان نعمل مستحلاً لبنتنا على هذا الغلام . ولكن نكتب عليهِ حجة بمقدَّم الصداق عشرة آلاف دينار . فان طلقها في غدٍ اعطيناه بدلة بالف دينار وبغلة بالف دينار واعطيناه الف دينار . وان لم يطلقها يحطّ عشرة آلاف دينار . فعقدوا العقد على هذا الشرط . واخذ ابو البنت حجة بذلك . ثم اخذ علاء الدين معهُ والبسهُ البدلة وساروا بهِ الى ان وصلوا الى دار بنته . فأوقفه على باب الدار ودخل على بنته وقال لها : خذي حجة صداقكِ فاني كتبت كتابكِ على شاب مليح يسمَّى علاء الدين ابا الشامات فتوصي بهِ غاية الوصية . ثم اعطاها الحجة وذهب التاجر الى بيته

فلما اصبح الصباح قال علاء الدين لزوجته : يا فرحة ما تمت اخذها الغراب وطار . فقالت لهُ : ما معنى هذا الكلام . فقال لها : ياسيدتي ما بقي لي قعود معكِ غير هذه الساعة . فقالت لهُ : من يقول ذلك . فقال لها : ان اباكِ كتب عليَّ حجة بعشرة آلاف دينار مهركِ وان لم اوردها في هذا اليوم حبسوني عليها في بيت القاضي . والآن يدي قصيرة عن نصف فضة واحد من العشرة آلاف دينار . فقالت لهُ : يا سيدي هل العصمة بيدك او بايديهم . فقال لها : العصمة بيدي ولكن ما معي شيء . فقالت له : ان الامر سهل ولا تخشَ شيئاً فخذ هذه المائة ديناراً ولو كان معي غيرها لاعطيتك ما تريد . فان ابي من محبّته لابن اخيه حوّل جميع ماله من عندي الى بيته حتى صيغتي اخذها كلها . واذا ارسل اليك رسولاً من طرف الشرع في غدٍ وقال لك القاضي وابي: طلِّق . فقل لهما : في اي مذهب يجوز ان اتزوَّج في العشاء واطلق في الصباح . ثم انك تقبّل يد القاضي وتعطيهِ احساناً . وكذا كل شاهد تقبِّل يده وتعطيهِ عشرة دنانير فكلهم يتكلمون معك . فاذا قالوا لك : لايّ شيء ما تطلِّق وتأْخذ الف دينار والبغلة والبدلة على

حكم الشرط الذي شرطناه عليك . فقل لهم : انا عنـدي فيها كل شعرة بالف دينار ولا اطلقها ابدًا ولا آخذ بدلة ولا غيرها . فاذا قال لك القاضي : ادفع المهر . فقل لهُ : انا معسر الآن . وحينئذٍ يترفق بك القاضي والشهود ويمهلونك مدة

(الليلة السابعة والخمسون بعد المائتين) . فبينما هما في الكلام واذا برسول القاضي يدق الباب . فخرج اليهِ . فقال لهُ الرسول : كلم الافندي فان نسيبك طالبك . فاعطاه خمسة دنانير وقال لهُ : يا محضر في ايّ شرع يجوز اني اتزوّج في العشاء واطلق في الصباح . فقال لهُ : لا يجوز عندنا ابدًا . وان كنت تجهل الشرع فانا اكون وكيلك . وساروا الى المحكمة . فقال لهُ القاضي : لايّ شيء لم تطلّق المرأة وتأخذ ما وقع عليهِ الشرط . فتقدم الى القاضي وقبّل يده ووضع فيها خمسين دينارًا وقال لهُ : يا مولانا القاضي في ايّ مذهب يجوز اني اتزوج في العشاء واطلق في الصباح قهرًا عني . فقال القاضي : لا يجوز الطلاق بالاجبار في مذهب من مذاهب المسلمين . فقال ابو الصبية : ان لم تطلِّق فادفع لي الصداق عشرة آلاف دينار . فقال علاء الدين : امهلني ثلثة ايام . فقال القاضي : لا تكفي ثلثة ايام في المهلة بل يمهلك عشرة ايام . واتفقوا على ذلك وشرطوا عليهِ بعد العشرة الايام اما المهر واما الطلاق . وخرج من عندهم على هذا الشرط . فأخذ اللحم والارزّ والسمن وما يحتاج اليهِ الامر من المأكل وتوجه الى البيت . فدخل على الصبية وحكى لها جميع ما جرى لهُ . فقالت لهُ : بين الليل والنهار عجائب . ولله درُّ من قال :

كن حليمًا اذا بليت بغيظٍ   وصبورًا اذا أتتك مصيبهْ
ان الليالي من الزمان حبالى   مثقلاتٌ يلدنَ كل عجيبهْ

ثم قامت وهيأت الطعام واحضرت السفرة . فأكلا وشربا وتلذذا وطربا .

ثم طلب منها ان تغني . فاخذت العود وغنّت غناء يطرب منهُ الحجر الجلمود . فبينما هما في حظ ومزاح وبسط وانشراح واذا بالباب يطرق . فقالت لهُ : قم انظر مَن بالباب . فنزل وفتح الباب فوجد اربعة دراويش واقفين . فقال لهم : اي شيء تطلبون . فقالوا لهُ : يا سيدي نحن دراويش غرباء الديار وقوت ارواحنا السماع ورقائق الاشعار ومرادنا ان نرتاح عندك هذه الليلة الى وقت الصباح ثم نتوجه الى حال سبيلنا واجرك على الله تعالى فاننا نحب السماع وما فينا واحد الّا ويحفظ القصائد والاشعار والموشحات . فقال لهم : عليَّ مشورة . ثم طلع واعلمها . فقالت لهُ : افتح لهم الباب . ففتح لهم الباب واطلعهم واجلسهم ورحب بهم . ثم أحضر لهم طعاماً . فلم يأكلوا وقالوا لهُ : يا سيدي ان زادنا ذكر الله بقلوبنا وسماع الاغاني باذاننا . ولله درّ من قال :

وما القصد الّا ان يكون اجتماعنا وما الاكل الّا سِمَةٌ للبهائمِ

وقد كنا نسمع عندك سماعاً لطيفاً . فلما طلعنا بطل السماع . فهل التي كانت تغني جارية بيضاء او سوداء او بنت ناس . فقال لهم : هذه زوجتي . وحكى لهم جميع ما جرى لهُ وقال لهم : ان نسيبي عمل عليَّ عشرة آلاف مهرها وامهلوني عشرة ايام . فقال لهُ درويش منهم : لا تحزن ولا تأخذ في خاطرك الّا الطيب . فانا شيخ التكية وتحت يدي اربعون درويشاً احكم عليهم وسوف اجمع لك العشرة الآلاف ديناراً منهم وتوفي المهر الذي عليك لنسيبك . ولكن مُرها ان تغني لاجل ان يحصل لنا حظ وانتعاش . فان السماع لقومٍ كالغذاء ولقوم كالدواء ولقوم كالمروحة . وكان هؤلاء الدراويش الاربعة الخليفة هارون الرشيد والوزير جعفر البرمكي وابو نواس الحسن بن هانئ ومسرور سيَّاف النقمة . وسبب مرورهم على هذا البيت ان الخليفة حصل لهُ ضيق صدر فقال للوزير : يا وزير ان مرادنا ان

نتزل ونشق المدينة لانهُ حصل لي ضيق صدر . فلبسوا لبس الدراويش ونزلوا في المدينة وجازوا على تلك الدار فسمعوا الغناء فأحبوا ان يعرفوا حقيقة الامر . ثم انهم باتوا في حظ ونظام ومناقلة كلام . الى ان اصبح الصباح فحطّ الخليفة مائة دينار تحت السجادة . ثم اخذوا خاطره وتوجهوا الى حال سبيلهم . فلما رفعت الصبية السجادة رأت مائة دينار تحتها . فقالت لزوجها : خذ هذه المائة دينارًا التي وجدتها تحت السجادة فان الدراويش حطوها قبل ما يروحون وليس لنا علم بذلك . فاخذها علاء الدين وذهب بها الى السوق واشترى منها اللحم والارزّ والسمن وجميع ما يحتاج اليهِ . وفي ثاني ليلة اوقد الشمع وقال لها : ان الدراويش لم يأتوا بالعشرة الآلاف دينارًا التي وعدوني بها ولكن هؤلاء فقراء . فبينما هما في الكلام واذا بالدراويش قد طرقوا الباب . فقالت لهُ : انزل افتح لهم . ففتح لهم وطلعوا وقال لهم : هل احضرتم العشرة الآلاف التي وعدتموني بها . فقالوا لهُ : ما تيسر منها شيء . ولكن لا تخشَ بأسًا . ان شاء الله تعالى في غد نطبخ لك طبخة كيمياء . فمُر زوجتك ان تسمعنا غناء تنتعش بهِ قلوبنا فاننا نحب السماع . فغنت لهم على العود غناء يرقص الحجر الجلمود . فباتوا في هناء وسرور ومسامرة وحبور . الى ان طلع الصباح واضاء بنوره ولاح . فحطّ الخليفة مائة دينار تحت السجادة ثم اخذوا خاطره وانصرفوا من عنده الى حال سبيلهم . ولم يزالوا يأتون اليهِ على هذا الحال مدة تسع ليالٍ وكل ليلة يحط الخليفة تحت السجادة مائة دينار الى ان اقبلت الليلة العاشرة فلم يأتوا . وكان السبب في انقطاعهم ان الخليفة ارسل الى رجل عظيم من التجار وقال لهُ : أحضر لي خمسين حملًا من الاقمشة التي تجيء من مصر يكون كل حمل ثمنهُ الف دينار . واكتب على كل حمل قدر ثمنه وأحضر لي عبدًا حبشيًا . فاحضر التاجر جميع ما امره به

(الليلة الثامنة والخمسون بعد المائتين) • ثم ان الخليفة اعطى العبد طستاً وابريقاً من الذهب وهديّة والخمسين حملًا وكتب كتاباً على لسان شمس الدين شاه بندر التجار بمصر والد علاء الدين وقال لهُ : خذ هذه الاحمال وما معها ورُح بها الى الحارة الفلانية التي فيها بيت شاه بندر التجار وقل: اين سيدي علاء الدين ابو الشامات فان الناس يدُلونك على الحارة وعلى البيت • فاخذ العبد الاحمال وما معها وتوجه كما امره الخليفة

هذا ما كان من امره • واما ما كان من امر ابن عمّ الصبية فانهُ توجه الى ابيها وقال لهُ : تعال نروح لعلاء الدين لنطلِق بنت عمي • فنزل وسار هو واياه وتوجها الى علاء الدين • فلما وصلا الى البيت وجد خمسين بغلًا وعليها خمسون حملًا من القماش وعبدًا راكبًا بغلة • فقالا لهُ : لمن هذه الاحمال • فقال لسيدي علاء الدين ابي الشامات • فان اباه كان جهز لهُ متجرًا وسفره الى مدينة بغداد فخرج عليهِ العرب فاخذوا ماله واحماله • فبلغ الخبر الى ابيهِ فارسلني اليهِ باحمال عوضها وارسل لهُ معي بغلًا عليهِ خمسون الف دينار وبقجة تساوي جملة من المال وكرك سمور وطستاً وابريقاً من الذهب • فقال لهُ ابو البنت : هذا نسيبي وانا ادُلك على بيته • فبينما علاء الدين قاعد في البيت وهو في غمّ شديد واذا بالباب يطرق • فقال علاء الدين : يا زبيدة الله اعلم ان اباكِ ارسل اليَّ رسولًا من طرف القاضي او من طرف الوالي • فقالت لهُ : انزل وانظر الخبر • فنزل وفتح الباب فرأى نسيبه شاه بندر التجار ابا زبيدة ووجد عبدًا حبشياً اسمر اللون حلو المنظر راكبًا فوق بغلة • فنزل العبد وقبَّل يديه • فقال لهُ : اي شيء تريد • فقال لهُ : انا عبد سيدي علاء الدين ابي الشامات بن شمس الدين شاه بندر التجار بارض مصر وقد ارسلني اليهِ ابوه بهذه الامانة • ثم اعطاه الكتاب • فاخذه علاء

الدين وفتحه وجعل تتصفحهُ ويقرأه فاذا بهِ قد رأى مكتوبًا فيهِ :

يا كتابي اذا رآكَ حبيبي قبل الارض والنعال لديهِ
وتمهل ولا تكونَنْ عجولا انَّ روحي وراحتي في يديهِ

بعد السلام التام . والتحية والاكرام . من شمس الدين الى ولده ابي الشامات .
اعلم يا ولدي انهُ بلغني خبر قتل رجالك . ونهب اموالك واحمالك . فارسلت
اليك غير هذه الخمسين حملًا من القماش المصري والبدلة والكرك السمور والطست
والابريق الذهب . ولا تخشَ بأسًا . والمال فداؤُك يا ولدي ولا يحصل لك حزن
ابدًا . وان امّك واهل البيت طيبون بخير وعافية وهم يسلمون عليك كثير السلام .
وبلغني يا ولدي خبر انهم عملوك مستحلًا للبنت زبيدة العودية وعملوا عليك مهرها
خمسين الف دينار . فهي واصلة اليك صحبة الاحمال مع عبدك سليم . فلما فرغ
من قراءة الكتاب تسلم الاحمال . ثم التفت الى نسيبه وقال لهُ : يانسيبي خذ
الخمسين الف دينار مهر بنتك زبيدة وخذ الاحمال تصرف فيها ولك المكسب وردَّ
لي رأس المال . فقال لهُ : لا والله لا آخذ شيئًا واما مهر زوجتك فاتفق انت
واياها من جهته . فقام علاء الدين هو ونسيبه ودخلا البيت بعد ادخال الاحمال .
فقالت زبيدة لابيها : يا ابي لمن هذه الاحمال . فقال لها : هذه الاحمال لعلاء
الدين زوجكِ ارسلها اليهِ ابوهُ عوضًا عن الاحمال التي اخذها العرب منهُ وارسل
اليهِ خمسين الف دينار وبقجة وكرك سمور وبغلة وطستًا وابريقًا ذهبًا . واما من
جهة مهركِ فالرأي لكِ فيهِ . فقام علاء الدين وفتح الصندوق واعطاها مهرها .
فقال الولد ابن عم البنت : يا عمي خلِّ علاء الدين يطلِّق لي امرأتي . فقال لهُ :
هذا شيء ما بقي يصحّ ابدًا والعصمة بيده . فراح الولد مغمومًا مقهورًا ورقد في
بيته ضعيفًا . فكان فيها القاضية فمات . واما علاء الدين فانهُ خرج الى السوق

بعد ان اخذ الاحمال وأخذ ما يحتاج اليهِ من المأكل والمشرب والسمن وعمل نظاماً مثل كل ليلة وقال لزبيدة : انظري هؤلاء الدراويش الكذابين قد وعدونا وأخلفوا وعدهم . فقالت لهُ : انت ابن شاه بندر التجار وكانت يدك قصيرة على نصف فضة فكيف بالمساكين الدراويش . فقال لها : اغنانا الله تعالى عنهم . ولكن ما بقيت افتح لهم الباب اذا اتوا الينا . فقالت لهُ : لايّ شيء والخير ما جاءنا الّا على قدومهم وكل ليلة يحطون لنا تحت السجادة مائة دينار فلا بدَّ ان تفتح لهم الباب اذا جاءوا . فلما ولَّى النهار بضيائهِ واقبل الليل اضاء الشمع وقال لها : يا زبيدة قومي اعملي لنا نوبة . واذا بالباب يطرق . فقالت لهُ : قم انظر من بالباب . فنزل وفتح الباب فرأى الدراويش . فقال : يا مرحباً بالكذابين اطلعوا . فطلعوا معهُ واجلسهم وجاء لهم بسفرة الطعام فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا . وبعد ذلك قالوا لهُ : يا سيدي ان قلوبنا عليك مشغولة ايّ شيء جرى لك مع نسيبك . فقال لهم : عوَّض الله علينا بما فوق المراد . فقالوا لهُ : والله انّا كنا خائفين عليك وما منعنا عنك الّا قصر ايدينا عن الدراهم

(الليلة التاسعة والخمسون بعد المائتين) . فقال لهم : قد اتاني الفرج القريب من عند ربي وقد ارسل اليَّ والدي خمسين الف دينار وخمسين حملاً من القماش ثمن كل حمل الف دينار وبدلة وكرك سمور وبغلة وعبداً وطستاً وابريقاً من الذهب . ووقع الصلح بيني وبين نسيبي وطابت لي زوجتي . والحمد لله على ذلك . ثم ان الخليفة قام يزيل ضرورة . فمال الوزير جعفر على علاء الدين وقال لهُ : الزم الادب فانك في حضرة امير المؤمنين . فقال لهُ : ايُّ شيء وقع مني من قلة الادب في حضرة امير المؤمنين . ومن هو امير المؤمنين منكم . فقال لهُ : ان الذي كان يكلمك وقام يزيل الضرورة هو امير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد .

وانا الوزير جعفر وهذا مسرور سيَّاف نقمته وهذا ابو نواس الحسن بن هانئ . فتأمل بعقلك يا علاء الدين وانظر مسافة كم يوم في السفر من مصر الى بغداد . فقال : خمسة واربعون يوماً . فقال لهُ : ان حمولك نُهبت منذ عشرة ايام فقط فكيف يروح الخبر لابيك ويحزم لك الاحمال وتقطع مسافة خمسة واربعين يوماً في العشرة اياماً . فقال لهُ : يا سيدي ومن اين اتاني هذا . فقال لهُ : من عند الخليفة امير المؤمنين بسبب فرط محبته لك . فبينما هم في هذا الكلام واذا بالخليفة قد اقبل . فقام علاء الدين وقبَّل الارض بين يديه وقال لهُ : الله يحفظك يا امير المؤمنين ويديم بقاءك ولا عدم الناس فضلك واحسانك . فقال : يا علاء الدين خلِّ زبيدة تعمل لنا نوبة حلوان السلامة . فعملت نوبةً على العود من غرائب الموجود . الى ان طرب لها الحجر الجلمود . وصاح العود في الحضرة يا داود . فباتوا على اسرّ حال الى الصباح . فلما اصبحوا قال الخليفة لعلاء الدين : في غد تذهب الى الديوان . فقال له : سمعاً وطاعةً يا امير المؤمنين ان شاء الله تعالى وانت بخير . ثم ان علاء الدين اخذ عشرة اطباق ووضع فيها هديةً سنية وذهب بها الى الديوان في ثاني يوم . فبينما الخليفة قاعد على الكرسي في الديوان واذا بعلاء الدين مقبل من باب الديوان وهو ينشد هذين البيتين :

تصبحكَ السعادة كل يومٍ ... باجلالٍ وقد رغمَ الحسودُ

ولا زالت لك الايام بيضاً ... وايام الذي عاداك سودُ

فقال لهُ الخليفة : مرحباً يا علاء الدين . فقال علاء الدين : يا امير المؤمنين ان النبي (صلعم) قبل الهدية . وهذه العشرة الاطباق وما فيها هدية مني اليك . فقبل منهُ ذلك امير المؤمنين وأمر لهُ بخلعة وجعلهُ شاه بندر التجار واقعده في الديوان . فبينما هو جالس واذا بنسيبه ابي زبيدة مقبل . فوجد علاء الدين جالساً

في رتبته وعليهِ خلعة . فقال لأمير المؤمنين: يا ملك الزمان لايّ شيء هذا جالس في رتبتي وعليهِ هذه الخلعة . فقال لهُ الخليفة: اني جعلتهُ شاه بندر التجار. والمناصب تقليد لا تخليد وانت معزول. فقال لهُ : انهُ منَّا والينا ونِعمَ ما فعلت يا امير المؤمنين. الله يجعل خيارنا اولياء امورنا . وكم صغيرٍ صار كبيرًا . ثم ان الخليفة كتب فرمانًا لعلاء الدين واعطاه للوالي والوالي اعطاه للمشاعلي ونادى في الديوان. ما شاه بندر التجار الّا علاء الدين ابو الشامات . وهو مسموع الكلمة. محفوظ الحرمة . يجب لهُ الاكرام والاحترام ورفع المقام . فلما انفضَّ الديوان نزل الوالي بالمنادي بين يدي علاء الدين وصار المنادي يقول : ما شاه بندر التجار الّا سيدي علاء الدين ابو الشامات . وداروا بهِ في شوارع بغداد والمنادي ينادي ويقول : ما شاه بندر التجار الّا سيدي علاء الدين ابو الشامات . فلما اصبح الصباح فتح دكانًا للعبد واجلسه فيها يبيع ويشتري . واما علاء الدين فانهُ كان يركب ويتوجه الى مرتبته في ديوان الخليفة

(الليلة الموفية للستين بعد المائتين) . فاتفق انهُ جلس في مرتبته يومًا على عادته . فبينما هو جالس واذا بقائل يقول للخليفة : يا امير المؤمنين يعيش رأسك في فلان النديم فانهُ توفي الى رحمة الله تعالى وحياتك الباقية . فقال الخليفة : اين علاء الدين ابو الشامات . فحضر بين يديه . فلما رآه خلع عليهِ خلعة سنية وجعله نديمه وكتب لهُ جامكية الف دينار في كل شهر واقام عنده يتنادم معهُ . فاتفق انهُ كان جالسًا يومًا من الايام في مرتبته على عادته في خدمة الخليفة واذا بامير طالع الى الديوان بسيف وترس فقال : يا امير المؤمنين يعيش رأسك في رئيس الستين فانه مات في هذا اليوم . فأمر الخليفة بخلعة لعلاء الدين ابي الشامات وجعله رئيس الستين مكانه. وكان رئيس الستين لا ولد

لهُ ولا بنت ولا زوجة . فنزل علاء الدين ووضع يده على ماله . وقال الخليفـة لعلاء الدين : وارِهِ في التراب وخذ جميع ما تركه من مال وعبيد وجوار وخدم. ثم نفض الخليفة المنديل وانفضّ الديوان . فنزل علاء الدين وفي ركابه المقـدم احمد الدنف مقدّم ميمنة الخليفة هو واتباعه الاربعون . وفي يســاره حسن شومان مقدم ميسرة الخليفة هو واتباعه الاربعون . فالتفت علاء الدين الى المقدم حسن شومان والى اتباعه وقال لهم : انتم سياق على المقـدم احمد الدنف لعلهُ يقبلني ولده في عهد الله . فقبلهُ وقال لهُ : انا واتباعي الاربعون نمشي قدامك الى الديوان في كل يوم . ثم ان علاء الدين مكث في خدمة الخليفـة مدة ايام واتفق لهُ انهُ عندما نزل من الديوان يوماً من الايام وسار الى بيته وصرف احمـد الدنف هو ومن معهُ الى حال سبيلهم جلس مع زوجته زبيدة العودية وقد اوقد الشموع . فقامت زوجته المذكورة في حاجة لهـا . فبينما هو جالس في مكانه اذ سمع صرخة عظيمة فقام مسرعاً لينظر الذي صرخ . فرأى صاحبة الصرخة زوجته زبيـدة العوديّة وهي مطروحة . فوضع يده على صدرها فوجدها ميتة . وكان بيت ابيها قدام بيت علاء الدين فسمع صرختها . فقال لعلاء الدين : ما الخبر يا سيـدي علاء الدين . فقال لهُ : يعيش رأسك يا والدي في بنتك زبيدة العودية . ولكن يا والدي اكرام الميت دفنه . فلما اصبح الصباح واروها في التراب وصار علاء الدين يعزّي اباها وابوها يعزيه

هذا ما كان من امر زبيـدة العودية . واما ما كان من امر علاء الدين فانهُ لبس ثياب الحزن وانقطع عن الديوان وصار باكي العـين حزين القلب . فقال الخليفة لجعفر : يا وزير ما سبب انقطاع علاء الدين عن الديوان . فقال لهُ الوزير : يا امير المؤمنين انهُ حزين على امرأته زبيدة . فقال الخليفـة للوزير :

واجب علينا ان نعزيه . فقال الوزير : سمعاً وطاعةً . ثم نزل الخليفة هو والوزير وبعض الخدم وركبوا وتوجهوا الى بيت علاء الدين . فبينما هو جالس واذا بالخليفة والوزير ومن معهما مقبلون عليهِ . فقام لملتقاهم وقبَّل الارض بين يدي الخليفة. فقال لهُ الخليفة : عوَّضك الله خيرًا . فقال علاء الدين : اطال الله لنا بقاءك يا امير المؤمنين . فقال الخليفة : يا علاء الدين ما سبب انقطاعك عن الديوان. فقال لهُ : حزني على زوجتي زبيدة يا امير المؤمنين . فقال لهُ الخليفة : ادفع الهمَّ عن نفسك فانها ماتت الى رحمة الله تعالى والحزن لا يفيدك شيئاً ابدًا . فقال : يا امير المؤمنين انا لا اترك الحزن عليها الَّا اذا متُّ ودفنوني عندها . فقال لهُ الخليفة : انَّ في الله عوضاً من كل فائت ولا يخلص من الموت حيلة ولا مال . ولله درّ من قال :

كل ابن انثى وان طالت سلامتهُ يوماً على آلةٍ حدباء محمولُ
وكيف يلهو بعيشٍ او يلذّ بهِ مَنِ التراب على خدّيهِ مجعولُ

ولما فرغ الخليفة من تعزيتهِ اوصاه انهُ لا ينقطع عن الديوان وتوجه الى محله . ثم بات علاء الدين . ولما اصبح الصباح ركب وسار الى الديوان فدخل على الخليفة وقبَّل الارض بين يديه . فتحرَّك لهُ الخليفة من على الكرسي ورحب بهِ وحيَّاه وانزله في منزلته وقال لهُ : يا علاء الدين انت ضيفي في هذه الليلة . ثم دخل بهِ سرايته ودعا بجارية تسمَّى قوت القلوب وقال لها : ان علاء الدين كان عنده زوجة تسمَّى زبيدة وكانت تسليهِ عن الهمّ والغمّ فماتت الى رحمة الله تعالى ومرادي ان تسمعيهِ نوبةً على العود من غرائب الموجود لاجل ان يتسلى عن الهمّ والاحزان

(الليلة الحادية والستون بعد المائتين) . فقامت الجارية وعملت نوبةً من

الغرائب . فقال الخليفة : ما تقول يا علاء الدين في صوت هذه الجارية . فقال له : ان زبيدة احسن صوتاً منها الّا انها صاحبة صناعة في ضرب العود لانها تطرب الحجر الجلمود . فقال له : هل اعجبتك . فقال له : اعجبتني يا امير المؤمنين . فقال الخليفة : وحياة رأسي وتربة اجدادي انها هبة مني اليك هي وجواريها . فظنَّ علاء الدين ان الخليفة يمزح معهُ . فلما اصبح الخليفة دخل على جاريته قوت القلوب وقال لها : انا وهبتكِ لعلاء الدين . ففرحت بذلك لانها رأتهُ وأحبتهُ . ثم تحوَّل الخليفة من قصر السرايا الى الديوان ودعا بالحمالين وقال لهم : انقلوا امتعة قوت القلوب وحطوها في التختروان هي وجواريها وامتعتها واذهبوا بها الى بيت علاء الدين . فنقلوها هي وجواريها وامتعتها الى بيت علاء الدين وادخلوها القصر . وجلس الخليفة في مجلس الحكم الى آخر النهار . ثم انفضَّ الديوان ودخل قصره

هذا ما كان من امره . واما ما كان من امر قوت القلوب فانها لما دخلت قصر علاء الدين هي وجواريها وكنَّ اربعين جارية غير الطواشية قالت لاثنين من الطواشية : احدكما يقعد على كرسيّ في ميمنة الباب والثاني يقعد على كرسي في ميسرته . عندما يأتي علاء الدين قبلا يديهِ وقولا لهُ : ان سيدتنا قوت القلوب تطلبك الى القصر فان الخليفة وهبها لك هي وجواريها . فقالا لها : سمعاً وطاعةً . فلما اقبل علاء الدين وجد اثنين من طواشية الخليفة جالسين بالباب . فاستغرب الامر وقال في نفسه : لعلَّ هذا ما هو بيتي والّا فما الخبر . فلما رآه الطواشيان قاما اليهِ وقبَّلا يديهِ وقالا : نحن من اتباع الخليفة ومماليك قوت القلوب وهي تسلم عليك وتقول لك : ان الخليفة قد وهبها لك هي وجواريها وتطلبك اليها . فقال لهما : قولا لها مرحباً بك ولكن ما دمتِ عنده لا يدخل

القصر الذي انتِ فيهِ . لان ما كان للمولى لا يصلح ان يكون للخدام . ثم قولا لها : ما مقدار مصروفكِ عند الخليفة في كل يوم . فطلعا اليها وقالا لها ذلك . فقالت : كل يوم مائة دينار . فقال في نفسه : ليس لي حاجة ان يهب لي الخليفة قوت القلوب حتى اصرف عليها هذا المصروف ولكن لا حيلة في ذلك . ثم انها اقامت عنده مدة ايام وهو يرتب لها في كل يوم مائة دينار الى ان انقطع علاء الدين عن الديوان يوماً من الايام . فقال الخليفة : يا وزير جعفر انا ما وهبت قوت القلوب لعلاء الدين الّا لتسليه عن زوجته وما سبب انقطاعه عنا . فقال : يا امير المؤمنين لقد صدق من قال . من لقي احبابه نسي اصحابه . فقال الخليفة : لعلهُ ما قطعهُ عنَّا الّا عذر ولكن نحن نزوره . وكان قبل ذلك بايام قال علاء الدين للوزير : انا شكوت للخليفة ما اجده من الحزن على زوجتي زبيدة العودية فوهب لي قوت القلوب . فقال لهُ الوزير . لولا انهُ يحبك ما وهبها لك . فقال لهُ علاء الدين : انا لحدّ الآن ما كتبت عليها كتابي . فقال لهُ : ما سبب ذلك . فقال : يا وزير الذي يصلح للمولى لا يصلح للخدام . ثم ان الخليفة وجعفراً استخفيا وسارا لزيارة علاء الدين ولم يزالا سائرين الى ان دخلا على علاء الدين . فعرفهما وقام وقبل ايادي الخليفَة . ولما رآه الخليفة وجد عليهِ علامة الحزن فقال لهُ : يا علاء الدين ما سبب هذا الحزن الذي انت فيهِ . فقال : يا امير المؤمنين الذي يصلح للمولى لا يصلح للخدام . واني لحد الآن لا اعرف لها وجهاً فأقلني منها . فقال الخليفة : ان مرادي ان اراها حتى اسألها عن حالها . فقال علاء الدين : سمعاً وطاعةً يا امير المؤمنين

(الليلة الثانية والستون بعد المائتين) . ثم ان الخليفة دخل الى دار قوت القلوب . فلما رأتهُ قامت وقبَّلت الارض بين يديه . فقال لها : هل كتب كتابه عليكِ .

فقالت : لا يا امير المؤمنين . فأمر الخليفة برجوعها الى السرايا وقال لعلاء الدين : لا تنقطع عنا . ثم توجه الخليفة الى داره . فبات علاء الدين تلك الليلة . ولما اصبح ركب وسار الى الديوان فجلس في رتبة رئيس الستين . فأمر الخليفة الخازندار ان يعطي للوزير جعفر عشرة آلاف دينار . فاعطاه ذلك المبلغ . ثم قال الخليفة للوزير : ألزمتك ان تنزل الى سوق الجواري وتشتري لعلاء الدين بالعشرة آلافَ دينار جارية . فامتثل الوزير امر الخليفة ونزل واخذ معهُ علاء الدين وسار بهِ الى سوق الجواري . فاتفق في هذا اليوم ان والي بغداد الذي من طرف الخليفة وكان اسمهُ الامير خالد نزل الى السوق من اجل اشتراء جارية لولده . وسبب ذلك انهُ كان لهُ زوجة تسمَّى خاتوناً وكان رُزق منها ولدًا قبيح المنظر يسمَّى حبظلم بظاظة . وكان بلغ من العمر عشرين سنة ولا يعرف ان يركب الحصان . وكان ابوهُ شجاعاً قرماً مناعاً . وكان يركب الخيل . ويخوض بحار الليل . فقالت والدتهُ لابيهِ : مرادي ان تزوجه . فقال لها : هذا قبيح المنظر كريه الرائحة دنس وحش . فقالت : نشتري لهُ جارية . فلامرٍ قدرهُ الله تعالى ان اليوم الذي نزل فيهِ الوزير وعلاء الدين الى السوق نزل فيهِ الامير خالد الوالي هو وولده حبظلم بظاظة . فبينما هم في السوق واذا بجارية ذات حسن وجمال وقد واعتدال . في يد رجل دلال . فقال الوزير : شاور يا دلال عليها بالف دينار . فمرّ بها على الوالي فرآها حبظلم بظاظة . فقال : يا ابتِ اشترِ لي هذه الجارية . فنادى الدلال وسأل الجارية عن اسمها . فقالت لهُ : اسمي ياسمين . فقال لهُ ابوهُ : يا ولدي ان كانت اعجبتك زد في ثمنها . فقال : يا دلال كم معك من الثمن . قال : الف دينار . قال : عليَّ بالف دينار ودينار . فجاء لعلاء الدين . فعملها بألفين . فصار كلما يزيد الولد ابن الوالي دينارًا في الثمن

يزيد علاء الدين الف دينار . فاغتاظ ابن الوالي وقال : يا دلال من يزيد عليَّ في ثمن الجارية . فقال لهُ الدلال : ان الوزير جعفراً يريد ان يشتريها لعلاء الدين ابي الشامات فعملها علاء الدين بعشرة آلاف دينار . فسمح لهُ سيدها وقبض ثمنها واخذها علاء الدين وقال لها : اعتقتك لوجه الله تعالى . ثم انهُ كتب كتابه عليها وتوجه الى البيت . ورجع الدلال ومعهُ دلالته . فناداه ابن الوالي وقال لهُ : اين الجارية . فقال لهُ : اشتراها علاء الدين بعشرة آلاف دينار واعتقها وكتب كتابه عليها . فانكمد الولد وزادت بهِ الحسرات ورجع ضعيفاً الى البيت وارتمى في الفراش وقطع الزاد . فلما رأتهُ امهُ ضعيفاً قالت لهُ : سلامتك يا ولدي ما سبب ضعفك . فقال لها : اشتري لي ياسمين يا امي . فقالت لهُ امهُ : عند ما يدخل صاحب الرياحين اشتري لك باقة ياسمين . فقال لها : ليس هو الياسمين الذي يُشمّ . وانما هي جارية اسمها ياسمين لم يشترها لي ابي . فقالت لزوجها : لاي شيء ما اشتريت لهُ هذه الجارية . فقال لها : الذي يصلح للمولى لا يصلح للخدام وليس لي قدرة على اخذها . فانهُ ما اشتراها الّا علاء الدين رئيس الستين . فزاد الضعف بالولد حتى جفا الرقاد . وقطع الزاد . وتعصبت امهُ بعصائب الحزن . فبينما هي جالسة في بيتها حزينة على ولدها واذا بعجوز دخلت عليها اسمها ام احمد قماقم السراق . وكان هذا السرّاق ينقب وسطانياً . ويلقف فوقانياً . ويسرق الكحل من العين . وكان بهذه الصفات القبيحة في اول امره . ثم جعلوه مقدم الدرك فسرق عملة فوقع بها وهجم عليهِ الوالي فاخذه وعرضهُ على الخليفة فأمر بقتله في بقعة الدم . فاستجار بالوزير وكان للوزير عند الخليفة شفاعة لا تُردّ . فشفع فيهِ . فقال لهُ الخليفة : كيف تشفع في آفة تضرّ الناس . فقال لهُ : يا امير المؤمنين احبسه فان الذي بنى السجن كان حكيماً لان السجن قبر الاحياء وشماتة

الاعداء . فأمر الخليفة بوضعه في قيد وكتب على قيده مخلد الى المات لا يُفكّ الّا على دكّة المغسل . فوضعوه مقيدًا في السجن . وكانت امهُ تتردد على بيت الامير خالد الوالي وتدخل على ابنها في السجن وتقول لهُ : أما قلت لك تُب عن الحرام . فيقول لها : قدّر الله عليّ ذلك . ولكن يا امي اذا دخلتِ على زوجة الوالي فخليها تشفع لي عنده

فلما دخلت العجوز على زوجة الوالي وجدتها معصبة بعصائب الحزن فقالت لها : ما لكِ حزينة . فقالت : على فقد ولدي حبظلم بظاظة . فقالت لها : سلامة ولدكِ . ما الذي اصابهُ . فحكت لها الحكاية . فقالت العجوز : ما تقولين فيمن يعمل حيلةً تكون فيها سلامة ولدكِ . فقالت لها : وما الذي تفعلينه . فقالت : انا لي ولد يسمّى احمد قماقم السرّاق وهو مقيد في السجن ومكتوب على قيده مخلد الى المات . فانتِ تقومين وتلبسين افخر ما عندكِ وتتزينين باحسن الزينة وتقابلين زوجكِ ببشر وبشاشة وتقولين لهُ : لي عندك حاجة . فيقول لكِ : وما حاجتكِ . فقولي لهُ : حتى تحلف لي . فاذا حلف لكِ بحياة رأسه او بالله فقولي لهُ : احلف لي بالطلاق مني . فاذا حلف لكِ بالطلاق فقولي لهُ : عندك في السجن واحد مقدم اسمهُ احمد قماقم ولهُ امّ مسكينة وقد ترامت عليّ وساقتني اليك وقالت لي : خليهِ يشفع لهُ عند الخليفة لاجل ان يتوب ويحصل لهُ الثواب . فقالت لها : سمعًا وطاعةً

(الليلة الثالثة والستون بعد المائتين) . فلما امتثلت امام زوجها قالت لهُ ذلك الكلام . وحلف لها بالطلاق . ولما اصبح الصباح صلى الصبح وجاء الى السجن وقال : يا احمد قماقم يا سرّاق هل تتوب مما انت فيه . فقال : اني تبت الى الله ورجعت واقول بالقلب واللسان : أستغفر الله . فاطلقهُ الوالي من

السجن واخذه معهُ الى الديوان وهو في القيد . ثم تقدم الى الخليفة وقبَّل الارض بين يديهِ . فقال لهُ : يا امير خالد اي شيء تطلب . فقدم احمد قماقم يخطر في القيد قدام الخليفة . فقال لهُ : يا قماقم هل انت حيّ الى الآن . فقال لهُ : يا امير المؤمنين ان عمر الشقي بطيءٌ . فقال الخليفة : ايها الامير خالد لاي شيء جئت بهِ الى هنا . فقال لهُ : ان لهُ اماً مسكينة منقطعة وليس لها احد غيره وقد وقعت على عبدك ان يتشفع عندك يا امير المؤمنين في انك تفكه من القيد وهو يتوب عما كان فيهِ وتجعله مقدم الدرك كما كان اولاً . فقال الخليفة لاحمد قماقم : هل تبت عما كنت فيهِ . فقال لهُ : تبت الى الله يا امير المؤمنين . فأمر باحضار الحداد وفكّ قيده وجعله مقدم الدرك واوصاه بالسلوك الطيب والاستقامة . فقبل يدي الخليفة ونزل بخلعة الدرك ونادوا لهُ بالتقديم . فمكث مدة من الزمان في منصبه . ثم دخلت امه على زوجة الوالي . فقالت لها : الحمد لله الذي خلص ابنكِ من السجن وهو على قيد الصحة والسلامة فلأي شيء لم تقولي لهُ ان يدبر امرًا في مجيئه بالجارية ياسمين الى ولدي حبظلم بظاظة . فقالت: اقول لهُ : ثم قامت من عندها ودخلت على ولدها فوجدتهُ سكران . فقالت لهُ : يا ولدي ما سبب خلاصك من السجن الّا زوجة الوالي وتريد منك ان تدبر لها امرًا في قتل علاء الدين ابي الشامات وتجيء بالجارية ياسمين الى ولدها حبظلم بظاظة . فقال لها : هذا اسهل ما يكون لا بدَّ ان ادبر امرًا في هذه الليلة . وكانت تلك الليلة اول ليلة في الشهر الجديد . وكان عادة امير المؤمنين ان يصرفها عند السيدة زبيدة لعتق جارية او مملوك او نحو ذلك . وايضاً كان من عادة الخليفة انهُ يخلع ثوب الملك ويترك السبحة والنمجاء وخاتم الملك ويضع الجميع فوق الكرسي في قاعة الجلوس . وكان عند الخليفة مصباح من ذهب وفيهِ ثلث جواهر

منظومة في سلك من ذهب وكان ذلك المصباح عزيزاً عند الخليفة . ثم ان الخليفة وكَّل الطواشية بالثوب والمصباح وباقي الامتعة ودخل مقصورة السيدة زبيدة . فصبر احمد قماقم السراق الى ان انتصف الليل واضاء سهيل ونامت الخلائق . وتجلّى عليهم بالستر الخالق . ثم سحب سيفه في يمينه واخذ ملقفه في يساره واقبل على قاعة الجلوس التي للخليفة ونصب سلم التسليك ورمى ملقفه على قاعة الجلوس فتعلق بها وصعد على السلم الى السطوح ورفع طابق القاعة ونزل اليها فوجد الخصيين نائمين . فبنجهما واخذ بدلة الخليفة والسبحة والنمجاء والمنديل والخاتم والمصباح الذي بالجواهر ثم نزل من الموضع الذي صعد منهُ وسار الى بيت علاء الدين ابي الشامات . وكان علاء الدين في هذه الليلة مشغولاً بفرح الجارية . فنزل احمد قماقم السرّاق على قاعة علاء الدين وقلع لوحاً رخاماً من دار القاعة وحفر تحته ووضع بعض المصالح وابقى بعضها معهُ . ثم جبَّس اللوح الرخام كما كان ونزل من الموضع الذي طلع منهُ وقال في نفسه : انا اقعد اسكر واحطّ المصباح قدامي واشرب الكاس على نوره . ثم سار الى بيته

فلما اصبح الصباح ذهب الخليفة الى القاعة فوجد الخصيين مبنجين . فايقظهما . ونظر فلم يجد البدلة ولا الخاتم ولا السبحة ولا النمجاء ولا المنديل ولا المصباح . فاغتاظ لذلك غيظاً شديداً ولبس بدلة الغضب وهي بدلة حمراء وجلس في الديوان . فتقدم الوزير وقبل الارض بين يديه وقال : يكفي الله شرّ امير المؤمنين . فقال لهُ : يا وزير ان الشرّ فائض . فقال لهُ الوزير : اي شيء حصل . فحكى لهُ جميع ما وقع . واذا بالوالي طالع وفي ركابه احمد قماقم السراق فوجد الخليفة في غيظ عظيم . فلما نظر الخليفة الى الوالي قال لهُ : ايها الامير خالد كيف حال بغداد . فقال لهُ : سالمة امينة . فقال له : تكذب . فقال : لاي شيء يا امير

المؤمنين . فقصّ عليهِ القصة وقال لهُ : ألزمتك ان تجيءَ لي بذلك كله . فقال له : يا امير المؤمنين دود الخلّ منهُ وفيهِ . ولا يقدر غريب ان يصل الى هذا المحل ابدًا . فقال : ان لم تجئ لي بهذه الامور قتلتك . فقال لهُ : قبل ان تقتلني اقتل احمد قماقم السراق لانهُ لا يعرف الخائن الّا مقدم الدرك . فقام احمد قماقم وقال للخليفة : شفعني في الوالي وانا اضمن لك عهدة الذي سرق واقص الاثر وراءه حتى اعرفه . ولكن اعطني اثنين من القضاة واثنين من الشهود فان الذي فعل هذا الفعل لا يخشاك ولا يخشى من الوالي ولا من غيره . فقال الخليفة : لك ما طلبت . ولكن اول التفتيش يكون في سرايتي وبعدها في سراية الوزير وفي سراية رئيس الستين . فقال احمد قماقم : صدقت يا امير المؤمنين ربما يكون الذي عمل هذه العملة واحدًا قد تربى في سراية امير المؤمنين او في سراية احد من خواصه . فقال الخليفة : وحياة رأسي كل من ظهرت عليهِ هذه العملة لا بدَّ من قتله ولو كان ولدي

(الليلة الرابعة والستون بعد المائتين) . ثم ان احمد قماقم اخذ ما اراده واخذ فرمانًا بالهجوم على البيوت وتفتيشها ونزل وبيده قضبان ثلثة من الشوم وثلثة من النحاس وثلثة من الحديد وثلثة من الفولاذ وفتش سراية الخليفة وسراية الوزير جعفر ودار على بيوت الحجّاب والنوّاب الى ان مرّ على بيت علاء الدين ابي الشامات . فلما سمع الضجة علاء الدين قدّام بيته قام ونزل وفتح الباب فوجد الوالي . فقال لهُ : ما الخبر ايها الامير خالد . فحكى لهُ جميع القضية . فقال علاء الدين : ادخلوا بيتي وفتشوهُ . فقال الوالي : العفو يا سيدي انت امين وحاشا ان يكون الامين خائنًا . فقال لهُ : لا بدّ من تفتيش بيتي . فدخل الوالي والقضاة والشهود وتقدم احمد قماقم الى دار القاعة وجاء الى الرخامة التي دفن تحتها الامتعة

وارخى القضيب على اللوح الرخام بعزمه فانكسرت الرخامة . واذا بشيء ينير تحتها . فقال المقدم : بسم الله . ما شاء الله . على بركة قدومنا انفتح لنا كنز . ها انا انزل الى هذا المطلب وانظر ما فيه . فنظر القاضي والشهود الى ذلك المحل فوجدوا الامتعة بتمامها . فكتبوا ورقة مضمونها انهم وجدوا الامتعة في بيت علاء الدين . ثم وضعوا في تلك الورقة ختومهم وامروا بالقبض على علاء الدين واخذوا عمامته من فوق رأسه وضبطوا جميع ماله ورزقه في قائمة وقبض احمد قماقم السراق على الجارية ياسمين وكانت حاملاً واعطاها لامه وقال لها : سلميها لخاتون امرأة الوالي . فاخذت ياسمين ودخلت بها على زوجة الوالي . فلما رآها حبظلم بظاظة جاءت له العافية وقام من وقته وساعته وفرح فرحاً شديداً . فسحبت خنجراً من حياصتها وقالت له : بهذا الخنجر اقتلك واقتل نفسي . فقالت لها امهُ خاتون . ولماذا تريدين قتل ولدي . فقالت لها . يا كلبة في اي مذهب يجوز للمرأة ان تتزوج باثنين واي شيء اوصل الكلاب ان تدخل في موطن السباع . فزاد بالولد المرض وأضعفه الوجد وقطع الزاد ولزم الوساد . فقالت لها امرأة الوالي : كيف تحسريني على ولدي . لا بدَّ من تعذيبكِ . واما علاء الدين فانهُ لا بدَّ من شنقه . فقالت لها : انا اموت على محبته . فقامت زوجة الوالي ونزعت عنها ما كان عليها من الصيغة وثياب الحرير والبستها لباساً من الخيش وقميصاً من الشعر وانزلتها في المطبخ وعملتها من جواري الخدمة وقالت لها : جزاؤكِ انكِ تكسرين الحطب وتقشرين البصل وتحطِّين النار تحت الحلل . فقالت لها : ارضى بكل عذاب وخدمة ولا ارضى برؤية ولدكِ . فحنن الله عليها قلوب الجواري وصرنَ يتعاطينَ الخدمة عنها في المطبخ

هذا ما كان من امر ياسمين . واما ما كان من امر علاء الدين ابي

الشامات فانهم اخذوه هو وامتعة الخليفة وساروا بهِ الى ان وصلوا الى الديوان . فبينما الخليفة جالس على الكرسي اذا بهم صاعدون بعلاء الدين ومعهُ الامتعة . فقال الخليفة : اين وجدتموها . فقالوا لهُ : في وسط بيت علاء الدين ابي الشامات . فامتزج الخليفة بالغضب واخذ الامتعة فلم يجد فيها المصباح . فقال : يا علاء الدين اين المصباح . فقال : انا لا سرقت ولا علمت ولا رأيت ولا معي خبر . فقال لهُ : يا خائن كيف اقرّبك اليَّ وتبعدني عنك . واستأمنتك وتخونني . ثم أمر بشنقه . فنزل الوالي والمنادي ينادي عليهِ هذا جزاء واقل جزاء من يخون الخلفاء والراشدين . فاجتمع الخلائق عند المشنقة

هذا ما كان من امر علاء الدين . واما ما كان من امر احمد الدنف كبير علاء الدين فانهُ كان قاعدًا هو واتباعه في بستان . فبينما هم جالسون في حظ وسرور واذا برجل سقاء من السقائين الذين في الديوان دخل عليهم وقبّل يد احمد الدنف وقال : يا مقدم احمد الدنف انت قاعد في صفاء والماء تحت رجليك وما عندك علم بما حصل . فقال لهُ احمد الدنف : ما الخبر . فقال السقاء : ان ولدك في عهد الله علاء الدين نزلوا بهِ الى المشنقة . فقال لهُ احمد الدنف : ما عندك من الحيلة يا حسن يا شومان . فقال لهُ : ان علاء الدين بريءٌ من هذا الامر وهذا ملعوب عليهِ من واحد عدوّ . فقال لهُ : ما الرأي عندك . فقال لهُ : خلاصهُ علينا ان شاء المولى . ثم ان حسنًا شومان ذهب الى السجن وقال للسجان : اعطنا واحدًا يكون مستوجبًا للقتل . فاعطاه واحدًا كان اشبه البرايا بعلاء الدين ابي الشامات . فغطى رأسه واخذه احمد الدنف بينه وبين علي الزيبق المصري . وكانوا قدموا علاء الدين الى الشنق . فتقدم احمد الدنف وحطَّ رجله على رجل المشاعلي . فقال لهُ المشاعلي : اعطني الوسع حتى اعمل صنعتي . فقال لهُ : يا لعين خذ

هذا الرجل واشنقه موضع علاء الدين ابي الشامات فانهُ مظلوم وتقدي اسماعيل بالكبش . فاخذ المشاعلي ذلك الرجل وشنقـه عوضاً عن علاء الدين . ثم ان احمد الدنف وعلياً الزيبق المصري اخذا علاء الدين وسارا بهِ الى قاعة احمـد الدنف

(الليلة الخامسة والستون بعد المائتين) . فلما دخلوا عليهِ قال لهُ علاء الدين : جزاك الله خيرًا يا كبيري . فقال لهُ : يا علاء الدين ما هذا الفعـل الذي فعلته ورحم الله من قال : من ائتمنك لا تخنهُ ولو كنت خائناً . والخليفة مكنك عنده وسماك بالثقة الامين كيف تفعل معهُ هكذا وتأخذ امتعته . فقـال لهُ علاء الدين : والاسم الاعظم يا كبيري ما هي عملتي ولا لي فيهـا ذنب ولا اعرف من عملها . فقال احمد الدنف : ان هذه العملة ما عملها الَّا عدوٌّ مبين . ومن فعل شيئاً يجازى بهِ . ولكن يا علاء الدين انت ما بقي لكَ اقامة في بغداد فان الملوك لا تعادى يا ولدي . ومن كانت الملوك في طلبه يا طول تعبه . فقال علاء الدين : اين اروح يا كبيري . فقال لهُ : انا اوصلك الى الاسكندرية . فانها مباركة وعيشتها هنيئة . فقال : سمعاً وطاعةً يا كبيري . فقال احمد الدنف لحسن شومان : خلِّ بالك . واذا سأل عني الخليفة قل لهُ : انهُ راح يطوف البـلاد . ثم اخذه وخرج من بغداد ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى الكروم والبساتين فوجدا يهوديين من عمَّال الخليفة راكبين على بغلتين . فقال احمد الدنف لليهود : هاتوا الغفر . فقال اليهود : نعطيـك الغفر على اي شيء . فقال لهم : انا غفـير هذا الوادي . فاعطاه كل واحد منهما مائة دينار . وبعد ذلك قتلهما احمد الدنف واخذ البغلتين . فركب بغلة وركب علاء الدين بغلة وسارا الى مدينـة اياس . فادخلا البغلتين في خان وباتا فيهِ . ولما اصبح الصباح باع علاء الدين بغلته واوصى البواب

بغلة احمد الدنف ونزلا في مركب من مينا اياس حتى وصلا الى الاسكندرية .
فطلع احمد الدنف ومعهُ علاء الدين ومشيا في السوق. واذا بدلال يدلل على دكان
ومن داخل الدكان طبقة على تسعمائة وخمسين . فقال علاء الدين : بألف. فسمح
لهُ البائع وكانت لبيت المال . فتسلم علاء الدين المفاتيح وفتح الدكان وفتح الطبقة
فوجدها مفروشة بالفرش والمساند ورأى فيها حاصلًا فيهِ قلاع وصوار وحبال
وصناديق واجربة ملآنة خرزًا وودعًا وركابات واطيارًا ودبابيس وسكاكين
ومقصات وغير ذلك لان صاحبه كان سقطيا . فقعد علاء الدين ابو الشامات في
الدكان. وقال لهُ احمد الدنف: يا ولدي الدكان والطبقة وما فيها صارت ملكك
فاقعد فيها وبع واشترِ ولا تنكر . فان الله تعالى بارك في التجارة . واقام عنده
ثلثة ايام وفي اليوم الرابع اخذ خاطره وقال لهُ : استقرَّ في هذا المكان حتى اروح
واعود اليك بخبر من الخليفة بالامان عليك وانظر الذي عمل معك هذا الملعوب .
ثم توجه مسافرًا حتى وصل اياس فأخذ البغلة من الخان وسار الى بغداد فاجتمع
بحسن شومان واتباعه وقال لهُ : يا حسن هل الخليفة سأل عني . فقال : لا ولا
خطرتَ على باله . فاقام في خدمة الخليفة وصار يستنشق الاخبار . فرأى الخليفة
التفت الى الوزير جعفر يومًا من الايام وقال لهُ : انظر يا وزير هذه العملة التي
فعلها معي علاء الدين . فقال لهُ : يا امير المؤمنين انت جازيتهُ بالشنق وجزاؤه
ما حلَّ بهِ . فقال لهُ : يا وزير مرادي ان انزل وانظره وهو مشنوق. فقال الوزير:
افعل ما شئت يا امير المؤمنين . فنزل الخليفة ومعهُ الوزير جعفر الى جهة
المشنقة . ثم رفع طرفه فرأى المشنوق غير علاء الدين ابي الشامات الثقة الامين.
فقال : يا وزير هذا ما هو علاء الدين . فقال لهُ : كيف عرفت انهُ غيره. فقال:
ان علاء الدين كان قصيرًا وهذا طويل . فقال لهُ الوزير : ان المشنوق يطول .

فقال لهُ : ان علاء الدين كان ابيض وهذا وجهه اسود . فقال لهُ : أما تعلم يا امير المؤمنين ان الموت لهُ غبرات . فأمر بتنزيله من فوق المشنقة . فلما انزلوه وجد مكتوباً على كعبيهِ الاثنين اسمَي الشيخين . فقال لهُ : يا وزير ان علاء الدين كان سُنِيّاً وهذا رافضي . فقال لهُ : سبحان الله علّام الغيوب ونحن لا نعلم هل هذا علاء الدين او غيره . فأمر الخليفة بدفنه فدفنوه. وصار علاء الدين نسياً منسياً

(الليلة السادسة والستون بعد المائتين) . هذا ما كان من امره . واما ما كان من امر حبظلم بظاظة ابن الوالي فانهُ قد زاد بهِ المرض حتى مات وواروه في التراب . واما ما كان من امر الجارية ياسمين فانها وفت حملها ولحقها الطلق فوضعت ولداً ذكراً كانهُ القمر . فقالت لها الجواري : ما تسمينهُ . فقالت : لو كان ابوهُ طيباً كان سماه ولكن انا اسميهِ اصلان . ثم انها ارضعتهُ اللبن عامين متتابعين وفطمتهُ وحبا ومشى . فاتفق ان امهُ اشتغلت بخدمة المطبخ يوماً من الايام فمشى الغلام ورأى سلم المقعد فطلع عليهِ. وكان الامير خالد الوالي جالساً فاخذه واقعده في حجره وسبح مولاه في ما خلق وصوَّر . وتأمل وجهه فرآه اشبه البرايا بعلاء الدين ابي الشامات . ثم ان امهُ ياسمين فتشت عليهِ فلم تجده . فصعدت الى المقعد فرأت الامير خالداً جالساً والولد في حجره يلعب وقد القى الله محبة الولد في قلب الامير خالد . فالتفت الولد فرأى امهُ فرمى نفسه عليها . فدفعهُ الامير خالد في حضنه وقال لها : تعالي يا جارية . فلما جاءت قال لها : هذا الولد ابن مَن . فقالت لهُ : هذا ولدي وثمرة فؤادي . فقال لها : ومن ابوهُ : فقالت : ابوه علاء الدين ابو الشامات والآن صار ولدك . فقال لها : ان علاء الدين كان خائناً . فقالت : سلامته من الخيانة حاشا وكلا ان يكون الامين

خائناً . فقال لها : اذا كبر هـذا الولد وانتشأ وقال لكِ مَن ابي فقولي لهُ : انت ابن الامير خالد الوالي صاحب الشرطة . فقالت لهُ : سمعاً وطاعةً . ثم ان الامير خالدًا الوالي ربَّى الولد واحسن تربيته وجاء لهُ بفقيه خطَّاط فعلمـهُ الخط والقراءة . فقرا، واعاد وختم وصار يقول للامـير خالد: يا والدي . وصار الوالي يعمل الميدان ويجمع الخيل وينزل يعلم الولد ابواب الحرب . ومقـام الطعن والضرب . الى ان تناهى في الفروسية وتعلم الشجاعة وبلغ من العمر اربع عشرة سنة ووصل الى درجة الامارة . فاتفق ان اصلان اجتمع مع احمد قماقم السراق يوماً من الايام وصارا اصحاباً . فتبعهُ الى الخمارة واذا باحمـد قماقم السراق اطلع المصباح الجوهر الذي اخذه من امتعة الخليفة وحطـهُ قدامه وتناول الكاس على نوره وسكر . فقال لهُ اصلان : يا مقدم اعطني هذا المصباح . فقال لهُ : ما اقدر ان اعطيك اياه . فقال لهُ : لاي شيء . فقـال لهُ : لانهُ راحت على شأنه الارواح . فقـال لهُ : اي روح راحت على شأنه . فقال لهُ : كان واحد جاءنا هنا وصار رئيس الستين يسمَّى علاء الدين ابا الشامات ومات بسبب ذلك . فقال لهُ : وما حكايته وما سبب موته . فقال لهُ : كان لك اخ يسمَّى حبظلم بظاظة وبلغ من العمر ستة عشر عاماً . وطلب ابوه ان يشتري لهُ جارية . واخبره بالقصة من اولها الى آخرها واعلمه بضعف حبظلم بظاظة وما وقع لعـلاء الدين ظلماً . فقال اصلان في نفسه : لعل هذه الجارية ياسمين امي وما ابي الَّا علاء الدين ابو الشـامات . فصعد الولد اصلان من عنده حزيناً . فقابل المقـدم احمد الدنف . فلما رآه احمـد الدنف قال : سبحان من لا شبيـه لهُ . فقال لهُ حسن شومان : يا كبيري من ايّ شيء تتعجب . فقال لهُ : من خلقـة هذا الولد اصلان فانهُ اشبه البرايا بعلاء الدين ابي الشامات . فنادى احمـد الدنف

وقال : يا اصلان . فردّ عليهِ . فقال لهُ : ما اسم امّك . فقــال لهُ : تسمّى الجــارية ياسمين . فقال لهُ : يا اصلان طب نفساً وقرّ عينــاً فما ابوك الّا علاء الدين ابو الشامات. ولكن يا ولدي ادخل على امك واسألها عن ابيك . فقال : سمعاً وطاعةً . ثم دخل على امه وسألها . فقــالت لهُ : ابوك الامير خالد . فقال لها : ما ابي ألا علاء الدين ابو الشــامات . فبكت امهُ وقالت لهُ : من اخبرك بهذا يا ولدي . فقال : المقدم احمــد الدنف اخبرني بذلك . فحكت لهُ جميع ما جرى وقالت لهُ : يا ولدي قد ظهر الحق واختفى الباطل واعلم ان اباك علاء الدين ابو الشامات الّا انهُ ما ربّاك الّا الامير خالد وجعلك ولده. فيا ولدي ان اجتمعت بالمقدم احمد الدنف قل لهُ : يا كبيري سألتــك بالله ان تأخذ لي ثأري من قاتل ابي علاء الدين ابي الشامات

(الليلة السابعة والستون بعد المائتين) . فخرج من عندها وسار الى ان دخل على المقدم احمد الدنف وقبل يده . فقال لهُ :ما لك يا اصلان . فقال لهُ : اني قد عرفت وتحققت ان ابي علاء الدين ابو الشامات ومرادي انك تاخذ لي ثاري من قاتلهِ . فقال لهُ : من الذي قتل اباك . فقال لهُ . احمــد قماقم السراق . فقال لهُ : ومن الذي اعلمك بهذا الخبر . فقال : رأيت معهُ مصبــاح الجوهر الذي ضاع من جملة امتعة الخليفة وقلت لهُ : اعطني هذا المصبــاح . فما رضي وقال لي : هذا راحت على شأنه الارواح . وحكى لي انهُ هو الذي نزل وسرق العملة ووضعهــا في دار ابي . فقال له احمــد الدنف : اذا رأيت الامير خالداً الوالي يلبس لباس الحرب فقل لهُ: البسني مثلك. فاذا خرجت معهُ واظهرت بأباً من ابواب الشجاعة قدام امير المؤمنين فان الخليفة يقول لك: تمنَّ عليَّ يا اصلان. فقل لهُ : اتمنى عليك ان تأخذ لي ثار ابي من قاتله . فيقول لك : ان اباك حيّ

وهو الامير خالد الوالي . فقل لهُ : ان ابي علاء الدين ابو الشامات وخالد الوالي لهُ عليَّ حق التربية فقط . وأخبره بجميع ما وقع بينك وبين احمد قماقم السراق . وقل لهُ : يا امير المؤمنين مر بتفتيشه وانا اخرجه من جيبه . فقال لهُ : سمعاً وطاعةً

ثم خرج اصلان فوجد الامير خالدًا يتجهز الى ديوان الخليفة فقال لهُ : مرادي ان تلبسني لباس الحرب مثلك وتأخذني معك الى ديوان الخليفة . فألبسه واخذه معهُ الى الديوان . ونزل الخليفة بالعسكر خارج البلد ونصبوا الصواوين والخيام واصطفت الصفوف وطلعوا بالاكرة والصوجان . فصار الفارس منهم يضرب الاكرة بالصوجان فيردها عليه الفارس الثاني . وكان بين العسكر رجل جاسوس مغرًى بقتل الخليفة . فاخذ الاكرة وضربها بالصوجان وحرَّرها على وجه الخليفة . واذا باصلان استلقاها عن الخليفة وضرب بها راميها فوقعت بين اكتافه فوقع على الارض . فقال الخليفة : بارك الله فيك يا اصلان . ثم نزلوا من على ظهور الخيل وقعدوا على الكراسي وأمر الخليفة باحضار الذي ضرب الاكرة . فلما حضر بين يديه قال لهُ : مَن اغراك على هذا الامر وهل انت عدوٌّ او حبيب . فقال لهُ : انا عدوٌّ وكنت مضمرًا قتلك . فقال له : ما سبب ذلك أما انت مسلم . فقال : لا وانما انا رافضي . فأمر الخليفة بقتله وقال لاصلان : تمنَّ عليَّ . فقال له : اتمنى عليك ان تأخذ لي ثأر ابي من قاتله . فقال لهُ : ان اباك حي وهو واقف على رجليه . فقال لهُ : من هو ابي . فقال لهُ : الامير خالد الوالي . فقال لهُ : يا امير المؤمنين ما هو ابي الَّا في التربية وما والدي الَّا علاء الدين ابو الشامات . فقال لهُ : ان اباك كان خائنًا . فقال : يا امير المؤمنين حاشا ان يكون الامين خائنًا . وما الذي خانك فيه . فقال لهُ : سرق بدلتي وما

معها . فقال : يا امير المؤمنين حاشا ان يكون ابي خائناً ولكن ياسيدي لما عدمت بدلتك وعادت اليك هل رأيت المصباح رجع اليك ايضاً . فقال : ما وجدناه . فقال : انا رأيتهُ مع احمد قماقم وطلبتهُ منهُ فلم يعطني اياه وقال لي : هذا راحت عليهِ الارواح . وحكى لي عن ضعف حبظلم بظاظة ابن الامير خالد وخلاصهِ من القيد وانهُ هو الذي سرق البدلة والمصباح . وأنت يا امير المؤمنين تاخذ لي بثأر والدي من قاتله . فقال الخليفة : اقبضوا على احمد قماقم . فقبضوا عليهِ . وقال : اين المقدم احمد الدنف . فحضر بين يديه . فقال لهُ الخليفة : فتش قماقم . فحط يديه في جيبه فاطلع منهُ المصباح الجوهر . فقال الخليفة : تعالَ يا خائن . من اين لك هذا المصباح . قال لهُ : اشتريته يا امير المؤمنين . فقال لهُ الخليفة : من اين اشتريته ومن يقدر على مثله حتى يبيعه لك . وضربوه فأقرَّ انهُ هو الذي سرق البدلة والمصباح . فقال لهُ الخليفة : لاي شيء تفعل هذه الفعال يا خائن حتى ضيعت علاء الدين ابا الشامات وهو الثقة الامين . ثم امر الخليفة بالقبض عليهِ وعلى الوالي . فقال الوالي : يا امير المؤمنين انا مظلوم وانت أمرتني بشنقه ولم يكن عندي خبر هذه الحيلة فان التدبير كان بين العجوز واحمد قماقم وزوجتي وليس عندي خبر وانا في جيرتك يا اصلان . فشفع فيهِ اصلان عند الخليفة . ثم قال امير المؤمنين : ما فعل الله بامّ هذا الولد . فقال لهُ : عندي . فقال : أمرتك ان تأمر زوجتك ان تُلبسها بدلتها وصيغتها وتردّها الى سيادتها . وان تفكّ الختم الذي على بيت علاء الدين وتعطي ابنه رزقه وماله . فقال : سمعاً وطاعةً . ثم نزل الوالي وأمر امرأته فالبستها بدلتها . وفكَّ الختم عن بيت علاء الدين واعطى اصلان المفاتيح . ثم قال الخليفة : تمنَّ عليَّ يا اصلان . فقال لهُ : تمنيت عليك ان تجمع شملي بابي . فبكى الخليفة وقال : الغالب ان اباك هو الذي شُنق ومات . ولكن

وحياة اجدادي كل من بشرني بانهُ على قيد الحياة اعطيتهُ جميع ما يطلبه . فتقدم احمد الدنف وقبّل الارض بين يديه وقال لهُ : أعطني الامان يا امير المؤمنين . فقال لهُ : عليك الامان . فقال : أبشرك ان علاء الدين ابا الشامات الثقة الامين طيب على قيد الحياة . فقال لهُ : ما الذي تقول . فقال لهُ : وحياة رأسك ان كلامي حقّ وفديتهُ بغيرهِ ممن يستحق القتل واوصلته الى الاسكندرية وفتحت لهُ دكان سقَطيّ . فقال الخليفة : ألزمتك ان تجيْ بهِ . فقال لهُ : سمعاً وطاعةً . فأمر لهُ الخليفة بعشرة آلاف دينار وسار متوجهاً الى الاسكندرية

(الليلة الثامنة والستون بعد المائتين) . هذا ما كان من امر اصلان . واما ما كان من امر والده علاء الدين ابي الشامات فانهُ باع ما كان عنده في الدكان جميعها ولم يبقَ في الدكان الّا القليل وجراب . فنفض الجراب فنزلت منهُ خرزة تملأُ الكف في سلسلة من الذهب ولها خمسة وجوه وعليها اسماء وطلاسم كدبيب النمل . فدعك الخمسة وجوه . فلم يجاوبه احد . فقال في نفسه : لعلها خرزة من جزع . ثم علقها في الدكان . واذا بقنصل داخل في الطريق . فرفع بصره فرأى الخرزة معلقة فقعد على دكان علاء الدين وقال لهُ : يا سيدي هل هذه الخرزة للبيع . فقال لهُ : جميع ما عندي للبيع . فقال لهُ : اتبيعني اياها بثمانين الف دينار . فقال لهُ علاء الدين : يفتح الله . فقال لهُ : أتبيعها بمائة الف دينار . فقال : بعتها لك بمائة الف دينار . فانقدني الدنانير . فقال لهُ القنصل : ما اقدر ان احمل ثمنها معي والاسكندرية فيها لصوص وشرطية فانت تروح معي الى مركبي واعطيك الثمن ورزمة صوف انجوري ورزمة اطلس ورزمة قطيفة ورزمة جوخ . فقام علاء الدين وقفل الدكان بعد ان اعطاه الخرزة واعطى

المفاتيح لجاره وقال لهُ : خذ هذه المفاتيح عندك امانة حتى اروح الى المركب مع هذا القنصل واجيء بثمن خرزتي. فان تعوقت عنك وورد عليك المقدم احمد الدنف الذي كان وطنني في هذا المكان فاعطهِ المفاتيح واخبره بذلك . ثم توجه مع القنصل الى المركب . فلما نزل بهِ المركب نصب لهُ كرسياً واجلسه عليه وقال : هاتوا المال . فدفع لهُ الثمن والخمس الرزم التي وعده بها وقال له : يا سيدي اقصد جبري بلقمة او شربة ماء . فقال : ان كان عندك ماء فاسقني . فأمر بالشربات فاذا فيها بنج . فلما شرب انقلب على ظهره . فرفعوا الكراسي وحطوا المداري وحلوا القلوع واسعفتهم الرياح حتى وصلوا الى وسط البحر. فأمر القبطان باخراج علاء الدين من بطن المركب. فاخرجوه وشمموه ضد البنج ففتح عينيهِ وقال: اين انا. فقال : انت معي مربوط وديعة. ولو كنت تقول يفتح الله لكنت ازيدك. فقال لهُ علاء الدين : ما صناعتك . فقال لهُ : انا قبطان ومرادي ان آخذك الى بلادي . فبينما هما في الكلام واذا بمركب فيهِ اربعون من تجار المسلمين . فخرج القبطان بمركبه عليهم ووضع الكلاليب في مركبهم ونزل هو ورجاله فنهبوه واخذوه وساروا بهِ الى مدينة جنوة . فاقبل القبطان الذي معهُ علاء الدين الى باب قصر قيطون . واذا بصبية نازلة وهي ضاربة لثاماً . فقالت لهُ : هل جئت بالخرزة وصاحبها . فقال لها : جئت بهما . فقالت لهُ : هات الخرزة . فاعطاها اياها وتوجه الى الميناء واطلق مدافع السلامة . فعلم ملك المدينة بوصول ذلك القبطان فخرج الى مقابلته وقال لهُ : كيف كانت سفرتك . فقال لهُ : كانت طيبة جداً وقد كسبت فيها مركباً فيهِ واحد واربعون من تجار المسلمين . فقال لهُ : أخرجهم الى الميناء. فاخرجهم في الحديد ومن جملتهم علاء الدين. وركب الملك هو والقبطان ومشوا هم قدامهم الى ان وصلوا الى الديوان . فجلسوا

وقدموا اول واحد . فقال لهُ الملك : من اين يا مسلم . فقال: من الاسكندرية . فقال : يا سيَّاف اقتله . فضربه السياف بالسيف فرمى رقبته . وهكذا جرى على الثاني والثالث الى تمام الاربعين . وكان علاء الدين في آخرهم فشرب حسرتهم وقال لنفسه: رحمة الله عليك يا علاء الدين فرغ عمرُكَ. فقال لهُ الملك : وانت من اي البلاد . فقال : من الاسكندرية . فقال : يا سياف ارمِ عنقه . فرفع السياف يده بالسيف واراد ان يرمي رقبة علاء الدين واذا بعجوز ذات هيبة تقدمت بين ايادي الملك فقام تعظيماً لها . فقالت : يا ملك . اما قلت لك عندما يجيءْ القبطان بالاسرى اذكر الدير بأسير او باسيرين يخدمان في الكنيسة. فقال لها: يا امي ليتكِ سبقتِ بساعة ولكن خذي هذا الاسير الذي بقي. فالتفتت الى علاء الدين وقالت لهُ : هل انت تخدم في الكنيسة او اخلي الملك يقتلك . فقال لها : انا اخدم في الكنيسة . فأخذتهُ وطلعت بهِ من الديوان وتوجهت الى الكنيسة . فقال لها علاء الدين: ما اعمل من الخدمة . فقالت لهُ : تقوم في الصبح وتأخذ خمسة بغال وتسير بها الى الغابة وتقطع ناشف الحطب وتكسره وتجيءْ بهِ الى مطبخ الدير . وبعد ذلك تلمّ البسط وتكنس وتمسح البلاط والرخام وتردّ الفرش مثل ما كان . وتأخذ نصف اردب قمح وتغربله وتطحنه وتعجنه وتعمله منينات للدير . وتأخذ ويبة عدس تغربلها وتدشها وتطبخها . ثم تملأ الاربع فساقيّ ماء وتحوّل بالبرميل. وتملأ ثلثمائة وستة وستين قصعة وتفتت فيها المنينات وتسقيها من العدس وتدخل لكل راهب قصعته. فقال لها علاء الدين: ردّيني الى الملك وخليهِ يقتلني اسهل عليَّ من هذه الخدمة. فقالت لهُ: ان خدمت ووفيت الخدمة التي عليك خلصت من القتل. وان لم تفِ خليت الملك يقتلك. فقعد علاء الدين مهموماً. وكان في الكنيسة عشرة عميان كسحان. فقال لهُ واحد

منهم : هات لي الحاجة الفلانية . وكل واحد يقول له كذلك ويدعون لهُ قائلين : يبارك فيك المسيح يا خادم الكنيسة . واذا بالعجوز اقبلت وقالت لهُ : لاي شيء ما وفيت الخدمة في الكنيسة . فقال لها : كم لي يدًا حتى اقدر على توفية هذه الخدمة . فقالت : يا مجنون انا ما جئت بك الّا للخدمة . ثم قالت لهُ : خذ يا ابني هذا القضيب وكان من النحاس وفي رأسه صليب واخرج الى الشارع فاذا قابلك والي البلد فقل لهُ : اني ادعوك الى خدمة الكنيسة من اجل السيد المسيح فانهُ لا يخالفك . فخلّهِ يأخذ القمح ويغربله ويطحنه وينخله ويعجنه ويخبزه منينات . وكل من يخالفك اضربه ولا تخف من احد . فقال : سمعًا وطاعةً وعمل كما قالت : ولم يزل يسخر الاكابر والاصاغر مدة سبعة عشرة عامًا . فبينما هو قاعد في الكنيسة واذا بالعجوز داخلة عليهِ فقالت لهُ : اطلع الى خارج الدير . فقال لها : اين اروح . فقالت لهُ : بت هذه الليلة في خمارة او عند واحد من اصحابك . فقال لها : لاي شيء تطرديني من الكنيسة . فقالت لهُ : ان حسن مريم بنت الملك يوحنا ملك هذه المدينة مرادها ان تدخل هذه الكنيسة للزيارة ولا ينبغي ان يقعد احد في طريقها . فامتثل كلامها وقام وأراها انهُ رائح الى خارج الكنيسة وقال في نفسه : انا لا اروح حتى اتفرج عليها . فاستخفى في مخدع لهُ طاقة تطل على الكنيسة . فبينما هو ينظر في الكنيسة واذا ببنت الملك مقبلة فنظر اليها فوجدها كانها البدر اذا بزغ من تحت الغمام وصحبتها صبية وهي تقول لتلك الصبية : آنست يا زبيدة

(الليلة التاسعة والستون بعد المائتين) . فأمعن علاء الدين النظر في تلك الصبية فرآها زوجته زبيدة العودية التي كانت ماتت . ثم ان بنت الملك قالت لزبيدة : قومي اعملي لنا نوبةً على العود . فقالت لها : انا لا اعمل لكِ نوبةً

حتى تبلغيني مرادي وتفي لي بما وعدتني بهِ . فقالت لها : ما الذي وعدتك بهِ .
قالت لها : وعدتِني بجمع شملي بزوجي علاء الدين ابي الشامات الثقة الامين .
فقالت لها : يازبيدة طيبي نفساً وقرّي عيناً واعملي لنا نوبة حلوان اجتماع شملنا
بزوجك علاء الدين . فقالت لها : واين هو . فقالت لها : انهُ في هذا المخدع
يسمع كلامنا . فعملت نوبة على العود تُرقص الحجر الجلمود . فلما سمع ذلك
علاء الدين هاجت بلابله وخرج من المخدع وهجم عليهما واخذ زوجته زبيدة
العودية وعرفتهُ . فاعتنق الاثنان بعضهما ووقعا على الارض مغشياً عليهما .
فتقدمت الملكة حسن مريم ورشت عليهما ماء الورد وايقظتهما وقالت : جمع الله
شملكما . فقال لها علاء الدين : على محبتكِ ياسيدتي . ثم التفت علاء الدين
الى زوجته زبيدة العودية وقال لها : انتِ قد متِّ يازبيدة ودفناكِ في القبر
فكيف حييتِ وجئتِ الى هذا المكان . فقالت لهُ : ياسيدي انا ما متُّ وانما
اختطفني عون من اعوان الجان . وطار بي الى هذا المكان . واما التي دفنتموها
فانها جنية وتصورت في صورتي وتظاهرت انها ميتة وبعد ما دفنتموها شقت
القبر وخرجت منهُ وراحت الى خدمة سيدتها حسن مريم بنت الملك . واما انا
فاني صرعت وفتحت عيني فرأيت نفسي عند حسن مريم بنت الملك وهي هذه .
فقلت لها : لاي شيء جئتِ بي الى هنا . فقالت لي : انا موعودة بزواجي بزوجكِ
علاء الدين ابي الشامات فهل تقبليني يا زبيدة ان اكون ضرّتكِ . فقلت لها :
سمعاً وطاعةً يا سيدتي ولكن اين زوجي . فقالت : انهُ مكتوب على جبينه ما
قدره الله عليهِ فمتى استوفى ما على جبينه لا بدّ ان يجيء الى هذا المكان . لكن
نتسلى على فراقه بالنغمات والضرب على الآلات حتى يجمعنا الله بهِ . فمكثتُ
عندها هذه المدة الى ان جمع الله شملي بك في هذه الكنيسة

ثم ان حسن مريم التفتت اليهِ وقالت لهُ : يا سيدي علاء الدين هل تقبلني ان اكون لك اهلاً وتكون لي بعلاً . فقال لها : يا سيدتي انا مسلم وانتِ نصرانية فكيف اتزوج بكِ . فقالت : ما انا نصرانية بل انا مسلمة ولي ثمانية عشر عاماً وانا متمسكة بدين الاسلام واني بريئة من كل دين يخالف دين الاسلام . فقال لها : يا سيدتي مرادي ان اروح الى بلادي . فقالت لهُ : اعلم اني رأيت مكتوبًا على جبينك اموراً لا بدّ ان تستوفيها وتبلغ غرضك . واعلم يا علاء الدين انهُ ظهر لك ولد اسمهُ اصلان وهو الآن جالس في مرتبتك عند الخليفة وقد بلغ من العمر ثمانية عشر عاماً وقد ظهر الحق واختفى الباطل . وربنا كشف الستر عن الذي سرق امتعة الخليفة وهو احمد قماقم السراق الخائن . وهو الآن في السجن محبوس ومقيد . واعلم اني انا التي ارسلت اليك الخرزة وحطيتها لك في داخل الجراب الذي في الدكان . وانا التي ارسلت القبطان وجاء بكَ وبالخرزة . واعلم ان هذا القبطان مختص بخدمتي واعطيتهُ مائة كيس وارسلتهُ في صفة تاجر وهو قبطان . ولما قدموك الى القتل بعد قتل الاربعين اسيراً الذين كنت معهم ارسلت اليك هذه العجوز . فقال لها : جزاكِ الله عنا كل خيرٍ ونعم ما فعلتِ . ثم ان حسن مريم جددت اسلامها على يديه . ولما عرف صدق كلامها قال لها : اخبريني عن فضيلة هذه الخرزة ومن اين هي . فقالت لهُ : هذه خرزة من كنز مرصود وفيها خمس فضائل تنفعنا عند الاحتياج اليها في وقتها . وانّ جدتي امّ ابي كانت ساحرة تحل الرموز . وتختلس ما في الكنوز . فوقعت لها هذه الخرزة من كنز

فلما بلغت من العمر اربعة عشر عاماً قرأت الكتب فرأيت اسم محمد (صلعم) مكتوبًا في كلها فآمنت بمحمد وأسلمت وتحققت بعقلي انهُ لا يُعبد بحق الّا الله تعالى

وكانت جدتي حين ضعفت وهبت لي هذه الخرزة وعلمتني بما فيها من الخمس فضائل · وقبل ان تموت جدتي قال لها ابي : اضربي لي تحت رمل وانظري عاقبة امري وما يحصل لي . فقالت لهُ : ان البعيد يموت قتيلًا من اسير يجيءُ من الاسكندرية . فحلف ابي انهُ يقتل كل اسير يجيءُ منها واخبر القبطان بذلك وقال لهُ : لا بدَّ ان تهجم على مراكب المسلمين وتكبسهم وكل من رأيتهُ من الاسكندرية تقتله او تجيء بهِ اليَّ · فامتثل امره حتى قتل عدد شعر رأسه . ثم هلكت جدتي . فطلعت انا وضربت لي تحت رمل واضمرت ما في نفسي وقلت : يا هل ترى من يتزوَّج بي . فظهر لي انهُ ما يتزوج بي الَّا واحد يسمَّى علاء الدين ابو الشامات الثقة الامين . فتعجبت من ذلك وصبرت الى ان آن الاوان واجتمعت بك . ثم انهُ تزوج بها وقال لها : انا مرادي ان اروح الى بلادي . فقالت لهُ : اذا كان الامر كذلك قم تعال معي . فاخذتهُ وخبأَتهُ في مخدع في قصرها ودخلت على ابيها . فقال لها : يا بنتي انا عندي اليوم قبض زائد فاقعدي حتى اسكر انا واياكِ . فقعدت ودعا بسفرة المدام وصارت تملأ وتسقيهِ حتى غاب عن الوجود . ثم انها وضعت لهُ البنج في قدح فشرب القدح وانقلب على قفاه . ثم جاءت الى علاء الدين واخرجتهُ من المخدع وقالت لهُ : قم تعال ان خصمك مطروح على قفاه . فافعل بهِ ما شئت فاني اسكرته وبنجته . فدخل علاء الدين فرآه مبنجًا فكتفه تكتيفًا وثيقًا وقيَّده . ثم اعطاه ضد البنج فأَفاق منهُ

(الليلة الموفية للسبعين بعد المائتين) . فوجد علاء الدين وابنته راكبين على صدره . فقال لها : يا بنتي أتفعلين معي هذه الفعال . فقالت لهُ : ان كنت بنتك فأَسلم لانني اسلمت وقد تبيَّن لي الحق فاتبعتهُ . والباطل فاجتنبتهُ . وقد اسلمت وجهي لله ربّ العالمين واني بريئة من كل دين يخالف دين الاسلام

في الدنيا والآخرة . فان اسلمت لحباً وكرامةً والَّا فقتلك اولى من حياتك. ثم نصحه ايضاً علاء الدين فأبى وتمرّد. فسحب علاء الدين خنجرًا ونحره من الوريد الى الوريد وكتب ورقة بصورة الذي جرى ووضعها على جبهته واخذ ما خفّ حمله وغلا ثمنه وطلعـا من القصر وتوجها الى الكنيسة . فأحضرت الخرزة وحطت يدها على الوجه الذي هو منقوش عليهِ السرير ودعكته. واذا بسرير وُضع قدامها فركبت هي وعلاء الدين وزوجته زبيدة العودية في ذلك السرير وقالت : بحق ما كتب على هذه الخرزة من الاسماء والطلاسم وعلوم الاقلام ان ترتفع بنا يا سرير. فارتفع بهم السرير وسار بهم . الى وادٍ لا نبات فيهِ . فأقامت الاربعة الوجوه البـاقية من الخرزة الى السماء وقلبت الوجه المرسوم عليهِ السرير فنزل بهم الى الارض. وقلبت الوجه المرسوم عليهِ هيئة صيوان وصكّته وقالت : لينتصب صيوان في هـذا الوادي. فانتصب الصيوان وجلسوا فيهِ . وكان ذلك الوادي اقفر ما فيهِ شيء من النبات والماء. فقلبت الاربعة الوجوه نحو السماء وقالت : بحق اسماء الله ان تنبت هنا اشجار ويجري بجانبها بحر . فنبتت الاشجار في الحـال وجرى بجانبها بحر عجاج متلاطم بالامواج . فتوضأوا منهُ وصلوا وشربوا . ثم قلبت الثلثة الوجوه الباقية من الخرزة الى الوجه الذي على هيئة سفرة الطعـام وقالت : بحق اسماء الله ان يُمدّ السماط . واذا بسماط امتدّ وفيهِ من سائر الاطعمة المفتخرة . فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا

هذا ما كان من امرهم . واما ما كان من امر ابن الملك فانهُ دخل ينبّه اباه فوجده قتيلًا ووجد الورقة التي كتبها علاء الدين وقرأها وعرف ما فيهـا . ثم فتش على اخته فلم يجدها. فذهب الى العجوز في الكنيسة ووجدها. فسألها عنها. فقالت : من امس ما رأيتها . فعاد الى العسكر وقال لهم : الخيل يا اربابها .

واخبرهم بالذي جرى . فركبوا الخيل وسافروا الى ان قربوا من الصيوان. فقامت حسن مريم فرأت الغبار. قد سدَّ الاقطار . وبعد ان علا وطار . انكشف واذا باخيها والعسكر. وهم ينادون: الى اين تقصدون ونحن وراءكم. فقالت الصبية لعلاء الدين : كيف ثبات رجليك في القتال . فقال لها : لا اعرف الحرب والكفاح . ولا السيوف والرماح . فسحبت الخرزة ودعكت الوجه المرسوم عليهِ صورة الفرس والفارس . واذا بفارس ظهر من البرّ . ولم يزل يقاتلهم ويضرب فيهم بالسيف الى ان كسرهم وطردهم . ثم قالت لهُ : اتسافر الى مصر او الى الاسكندرية . فقال : الى الاسكندرية . فركبوا على السرير وعزَّمت عليهِ فسار بهم في لحظة الى ان نزلوا في الاسكندرية . فادخلها علاء الدين في مغارة وذهب الى الاسكندرية فاتاها بثياب والبسها اياها وتوجه بها الى الدكان والطبقة ثم خرج يجيءُ لها بغذاء . واذا بالمقدم احمد الدنف قادم من بغداد فرآه في الطريق . فقابله بالعناق وسلَّم عليهِ ورحب بهِ. ثم ان المقدم احمد الدنف بشره بولده اصلان وانهُ بلغ من العمر عشرين عاماً. وحكى لهُ علاء الدين جميع ما جرى لهُ من الاول الى الآخر واخذه الى الدكان والطبقة. فتعجب احمد الدنف من ذلك غاية العجب. وباتوا تلك الليلة

فلما اصبحوا باع علاء الدين الدكان ووضع ثمنه على ما معهُ . ثم ان احمد الدنف اخبر علاء الدين بان الخليفة طالبه . فقال لهُ : انا رائح الى مصر اسلّم على ابي وامي واهل بيتي . فركبوا السرير جميعاً وتوجهوا الى مصر السعيدة ونزلوا في الدرب الاصفر لان بيتهم كان في تلك الحارة ودقَّ باب بيتهم . فقالت امه : مَن بالباب بعد فقد الاحباب . فقال لها : انا علاء الدين. فنزلوا واخذوه بالاحضان . ثم ادخل زوجته وما معهُ في البيت. وبعد ذلك دخل واحمد الدنف

صحبته واخذوا لهم راحة ثلثة ايام . ثم طلب السفر الى بغداد . فقال لهُ ابوه : اجلس يا ولدي عندي . فقال : ما اقدر على فراق ولدي اصلان . ثم انهُ اخذ اباه وامه معهُ وسافروا الى بغداد . فدخل احمد الدنف و بشر الخليفة بقدوم علاء الدين وحكى لهُ حكايته . فطلع الخليفة لملتقاه واخذ ولده أصلان معهُ وقابلوه بالاحضان . وأمر الخليفة باحضار احمد قماقم السرّاق فاحضروه . فلما حضر بين يديه قال : يا علاء الدين دونك وخصمك . فسحب علاء الدين السيف وضرب احمد قماقم السراق فرمى رقبته . ثم عمل الخليفة لعلاء الدين فرحاً عظيماً بعد ان أحضر القضاة والشهود وكتب كتابه على حسن مريم . ثم جعل ولده اصلان رئيس الستين وخلع عليهم الخلع السنية . واقاموا في ارغد عيش واهناه . الى ان اتاهم هادم اللذات . ومفرّق الجماعات . واما حكايات الكرام فانها كثيرة جدًا منها ما رويَ عن كرم حاتم الطائي

حكاية حاتم الطائي

يُحكى عن حاتم الطائي انهُ لما مات دُفن في رأس جبل وعملوا على قبره حوضين من حجرَين وصورَ بنات محلولات الشعور من حجر . وكان تحت ذلك الجبل نهر جارٍ . فاذا نزلت الوفود يسمعون الصراخ في الليل من العشاء الى الصباح . فاذا اصبحوا لم يجدوا احدًا غير البنات المصوَّرة من الحجر

(الليلة الحادية والسبعون بعد المائتين) . فلما نزل ذو الكراع ملك حمير بذلك الوادي خارجاً عن عشيرته بات تلك الليلة هناك . وتقرَّب من ذلك الموضع فسمع الصراخ فقال : ما هذا العويل الذي فوق هذا الجبل . فقالوا لهُ : ان هذا قبر حاتم الطائي وان عليهِ حوضين من حجر وصور بنات من حجر محلولات

الشعور . وكل ليلة يسمع النازلون في هذا المكان هذا العويل والصراخ . فقال ذو الكراع ملك حمير يهزأ بحاتم الطائي : يا حاتم نحن الليلة ضيوفك ونحن خماص . (قال) فغلب عليهِ النوم . ثم استيقظ وهو مرعوب وقال : يا عرب الحقوني وادركوا راحلتي . فلما جاءوه وجدوا الناقة تضطرب فذبحوها وشووا لحمها واكلوا . ثم سألوه عن سبب ذلك فقال : غفلت عيني فرأيت في منامي حاتم الطائي وقد جاءني بسيف وقال : جئتنا ولم يكن عندنا شيء . وضرب ناقتي بالسيف . فلو لم تحصلوها وتنحروها لماتت . فلما اصبح الصباح ركب ذو الكراع راحلة واحد من اصحابه واردفه خلفه . فلما كان وسط النهار رأوا راكباً على راحلة وفي يده راحلة اخرى . فقالوا لهُ : من انت . فقال : انا عديّ بن حاتم الطائي . ثم قال : اين ذو الكراع امير حمير . فقالوا لهُ : هذا هو . فقال لهُ : اركب هذه الناقة عوضاً عن راحلتك فان ناقتك قد ذبحها ابي لك . قال : ومن اخبرك . قال : اتاني في المنام في هذه الليلة وانا نائم وقال لي : يا عدي انَّ ذا الكراع ملك حمير استضافني فنحرت لهُ ناقته . فأدركه بناقة يركبها فاني لم يكن عندي شيء . (قال) فأخذها ذو الكراع وتعجب من كرم حاتم الطائي حياً وميتاً . ومن حكايات الكرام ايضاً ما يُروى عن معن بن زائدة

حكاية معن بن زائدة

(الليلة الثانية والسبعون بعد المائتين) . يروى عن معن بن زائدة انهُ كان يوماً من الايام في الصيد والقنص . فعطش فلم يجد مع غلمانه ماء . فبينما هو كذلك واذا بثلث جوار قد اقبلنَ عليهِ حاملات ثلث قرب ماء . فاستسقاهنَّ فأسقينه . فطلب شيئاً من غلمانه ليعطيه للجواري . فلم يجد معهم مالًا فدفع

لكل واحدة منهنّ عشرة أسهم من كنانته نصولها من الذهب . فقالت احداهنّ لصاحبتها : ويلكِ لم تكن هذه الشمائل الّا لمعن بن زائدة . فلتقل كل واحدة منكنّ شيئاً من الشعر مدحاً فيهِ . فقالت الاولى :

يركّب في السهام نصول تبرٍ ... ويرمي للعدا كرماً وجودا

فللمرضى علاجٌ من جراحٍ ... واكفانٌ لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية :

ومحاربٍ من فرط جود بنانهِ ... عمّت مكارمهُ الاحبّة والعدى

صيغت نصول سهامهِ من عسجدٍ ... كي لا تعوقهُ الحروب عن الندى

وقالت الثالثة :

ومن جودهِ يرمي العداة بأسهمٍ ... من الذهب الابريز صيغت نصولها

لينفقها المجروح عند دوائهِ ... ويشتريَ الاكفان منها قتيلها

وقيل ان معن بن زائدة خرج في جماعة الى الصيد . فقرب منهم قطيع ظباء فافترقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي . فلما ظفر بهِ ترل فذبحه فرأى شخصاً مقبلاً من البريّة على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليهِ وقال لهُ : من اين اتيت . قال لهُ : اتيت من ارض قضاعة وانّ لها مدة من السنين مجدبة وقد اخصبت في هذه السنة . فزرعت فيها قثّاء فطرحتْ في غير وقتها . فجمعتُ منها ما استحسنته من القثّاء وقصدت الامير معن بن زائدة لكرمه المشهور . ومعروفه المأثور . فقال لهُ : كم أمّلتَ منهُ . قال : الف دينار . قال لهُ : ان قال لك هذا القدر كثير . فقال : خمسمائة دينار . قال : فان قال لك كثير . قال : ثلثمائة دينار . قال : فان قال لك كثير . قال : مائتا دينار . قال : فان قال لك كثير . قال : مائة دينار . قال : فان قال لك

كثير . قال : خمسين ديناراً . قال : فان قال لك كثير . قال : ثلثين ديناراً . قال : فان قال لك كثير . قال : ادخلت قوائم حماري في فكه وأرجع الى اهلي خائباً صفر اليدين . فضحك معن منهُ وساق جواده حتى لحق بعسكره ونزل في منزله وقال لحاجبه : اذا اتاك شخص على حمار بقثاء فأدخله عليَّ . فأتى ذلك الرجل بعد ساعة فأذن لهُ الحاجب في الدخول . فلما دخل على الامير معن لم يعرف انهُ هو الذي قابله في البرية لهيبته وجلالته وكثرة خدمه وحشمه وهو متصدر في دست مملكته والحفدة قيام عن يمينه وعن شماله وبين يديه . فلما سلم عليهِ قال لهُ الامير : ما الذي اتى بكَ يا اخا العرب . قال : أمَّلت الامير واتيت لهُ بقثاء في غير اوانها . فقال لهُ : كم أمَّلت منّا . قال : الف دينار . قال : هذا القدر كثير . قال : خمسمائة دينار . قال : كثير . قال : ثلثمائة دينار . قال : كثير . قال : مائتا دينار . قال : كثير . قال : مائة دينار . قال : كثير . قال : خمسين ديناراً . قال : كثير . قال : ثلثين ديناراً . قال : كثير . قال : والله لقد كان ذا الرجل الذي قابلني في البرية مشؤوماً . أفلا أقلّ من ثلثين ديناراً . فضحك معن وسكت . فعلم الاعرابي انهُ هو الرجل الذي قابلهُ في البرية فقال لهُ : يا سيدي اذا لم تجئْ بالثلثين ديناراً فها هو الحمار مربوط بالباب وها معن جالس . فضحك معن حتى استلقى على قفاه . ثم استدعى بوكيله وقال لهُ : اعطهِ الف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائتي دينار ومائة دينار وخمسين ديناراً وثلثين ديناراً ودع الحمار مربوطاً مكانه . فبهت الاعرابي وتسلم الالفين ومائة دينار وثمانين ديناراً . فرحمة الله عليهم اجمعين

حكاية بلدة لبطيط

بلغني ايها الملك السعيد . ان بلدة يقال لها لبطيط . وكانت دار مملكة بالروم . وكان فيها قصر مقفول دائمًا وكلما مات ملك وتولى بعده ملك آخر من الروم رمى عليهِ قفلًا محكمًا . فاجتمع على الباب اربعة وعشرون قفلًا من كل ملك قفل . ثم تولى بعدهم رجل ليس من بيت اهل المملكة فاراد فتح تلك الاقفال ليرى ما داخل ذلك القصر . فمنعهُ من ذلك اكابر الدولة وانكروا عليهِ وزجروه . فأبى وقال : لا بدَّ من فتح ذلك القصر . فبذلوا لهُ جميع ما بايديهم من نفائس الاموال والذخائر على عدم فتحه فلم يرجع عن فتحه

(الليلة الثالثة والسبعون بعد المائتين) . فازال الاقفال وفتح الباب فوجد فيهِ صور العرب على خيلها وجمالها وعليهم العمائم المسبلة وهم مقلدون بالسيوف وبايديهم الرماح الطوال . ووجد كتابًا فيهِ . فأخذ الكتاب وقرأه فوجد مكتوبًا فيهِ : اذا فُتح هذا الباب يغلب على هذه الناحية قوم من العرب وهم على هيئة هذه الصورة فالحذر ثم الحذر من فتحه . وكانت تلك المدينة بالاندلس ففتحها طارق ابن زياد في تلك السنة في خلافة الوليد بن عبد الملك من بني امية وقتل ذلك الملك شرَّ قتلة ونهب بلاده وسبى مَن بها من النساء والغلمان وغنم اموالها ووجد فيها ذخائر عظيمة فيها ما ينيف عن مائة وسبعين تاجًا من الدرّ والياقوت والاحجار النفيسة . ووجد فيها ايوانًا ترمح فيهِ الخيل برماحهم . ووجد بها من اواني الذهب والفضة ما لا يحيط بهِ وصف . ووجد بها المائدة التي كانت لنبي الله سليمان بن داود عليهما السلام وكانت على ما ذكر من زمرُّد اخضر . وهذه المائدة الى الآن باقية في مدينة رومة واوانيها من الذهب وصحافها من الزبرجد . ووجد بها

الزبور مكتوبًا بخط يوناني في ورق من الذهب مفصص بالجواهر . ووجد فيها كتابًا يذكر فيهِ منافع الاحجار والنباتات والمدائن والقرى والطلاسم وعلم الكيمياء من الذهب والفضة . ووجد كتابًا آخر يحكى فيهِ صناعة صياغة اليواقيت والاحجار وتركيب السموم والترياقات وصورة شكل الارض والبحار والبلدان والمعادن . ووجد فيها قاعة كبيرة ملآنة من الاكسير الذي يحول الدرهم منهُ الف درهم من الفضة ذهبًا خالصًا . ووجد بها مرآة كبيرة مستديرة عجيبة من اخلاط صنعت لنبي الله سليمان بن داود عليهما السلام . اذا نظر الناظر فيها نظر الاقاليم السبعة عيانًا . ورأى فيها مجلسًا فيهِ من الياقوت البهرماني ما لا يحيط بهِ وصف وسيق جمل فحمل ذلك كله الى الوليد بن عبد الملك وتفرّق العرب في مدنها وهي من اعظم البلاد وهذا آخر حكاية لبطيط

حكاية هشام بن عبد الملك مع صبيّ العرب

ومما يحكى ايضًا ان هشام بن عبد الملك بن مروان اذ كان في بعض الايام يتصيد نظر الى ظبي فألحق الكلاب بهِ . فبينما هو خلف الظبي اذ نظر الى صبي من الاعراب يرعى غنمًا . فقال هشام : يا صبي دونك هذا الظبي فانهُ فاتني . فرفع الصبي رأسه اليهِ وقال : يا جاهلًا بقدر الاخيار . لقد نظرت اليَّ بالاستصغار . ثم كلمتني بالاحتقار . فكلامك كلام جبار . وفعلك فعل حمار . فقال لهُ هشام : ويلك اما تعرفني . فقال : قد عرفني بك سوء ادبك . اذ بدأتني بكلامك دون سلامك . فقال لهُ : ويلك انا هشام بن عبد الملك . فقال لهُ الاعرابي : لا قرَّب الله ديارك . ولا حيًّا مزارك . فما اكثر كلامك . واقلّ اكرامك . فما استتمّ كلامه حتى احدقت بهِ الجند من كل جانب وكل واحد

منهم يقول : : السلام عليك يا امير المؤمنين. فقال هشام : اقصروا عن هذا الكلام . واحفظوا هذا الغلام . فقبضوا عليهِ . فلما رأى الغلام كثرة الحجاب والوزراء وارباب الدولة لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره ونظر حيث يقع قدمه الى ان وصل الى هشام . فوقف بين يديه ونكَّس رأسه الى الارض وسكت عن السلام. وامتنع من الكلام. فقال له بعض الخدَّام : يا كلب العرب ما منعك ان تسلم على امير المؤمنين . فالتفت الى الخادم مُغضباً وقال : يا برذعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق . وصعود الدرجة والتعريق. فقال هشام وقد تزايد بهِ الغضب : يا صبي لقد حضرت في يوم حضر فيهِ اجلك . وغاب عنك املك. وانصرف عمرك . فقال : والله يا هشام لئن كان في المدة تقصير . ولم يكن في الاجل تأخير . فما ضرَّني من كلامك لا قليل ولا كثير . فقال لهُ الحاجب : هل بلغ من مقامك يا اخسَّ العرب ان تخاطب امير المؤمنين كلمة بكلمة . فقال مسرعاً : لقيت الخبل. ولا فارقك الويل والهبل . اما سمعت ما قال الله تعالى : يوم تأتي كل نفسٍ تجادل عن نفسها . فعند ذلك قام هشام واغتاظ غيظاً شديدًا وقال : يا سيَّاف عليَّ برأس هذا الغلام . فقد اكثر الكلام. مما لا يخطر بالاوهام . فأخذ الغلام وبرل بهِ الى نطع الدم وسلَّ سيفه على رأسه وقال السيَّاف : يا امير المؤمنين هذا عبدك المدلّ بنفسه. الصائر الى رمسه. هل اضرب عنقه وانا بريء من دمه. قال : نعم . فاستأذن ثانياً فأذن لهُ . فاستأذن ثالثاً . ففهم الفتى انهُ ان اذن لهُ في هذه المرَّة يقتله . فضحك الصبي حتى بدت نواجذه . فازداد هشام غضباً وقال : يا صبي اظنك معتوهاً . أما ترى انك مفارق الدنيا فكيف تضحك هزوًا بنفسك . فقال : يا امير المؤمنين لئن كان في العمر تأخير . لا يضرُّني قليل ولا كثير . ولكن

حضرتني ابيات فاسمعها فانَّ قتلي لا يفوتك . فقال هشام : هات وأوجز . فانشد يقول هذه الابيات :

نُبئت ان الباز علّق مرةً عصفور برّ ساقهُ المقـدورُ
فتكلم العصفور في اظفاره والباز منهمكٌ عليهِ يطيرُ
ما فيَّ ما يغني لمثلك شبعةً ولئن أُكلت فانني لحقيرُ
فتبسم الباز المدلّ بنفسهِ عجباً وأفلت ذلك العصفورُ

فتبسم هشام وقال : وحق قرابتي من الرسول لو تلفظ بهذا اللفظ في هذا الوقت من اوقاته وطلب ما دون الخلافة لاعطيتـه اياه . يا خادم احشُ فـاه جوهرًا وأحسن جائزته . فاعطاه الخادم صلة عظيـمة . فاخذها وانصرف الاعرابي الى حال سبيله

حكاية ابرهيم بن المهدي

ان ابراهيم بن المهدي اخا هارون الرشيد لما آل امر الخلافة الى المـأمون ابن اخيهِ هارون الرشيد لم يبايعه بل ذهب الى الريّ وادَّعى الخلافة لنفسـه واقام على ذلك سنـة واحدة وأحد عشر شهرًا واثني عشر يوماً وابن اخيه المأمون يتوقع منه العود الى الطاعة وانتظامه في سلك الجماعة . حتى يئس من عوده . فركب بخيله ورجله ودخل الريّ في طلبه . فلما بلغ ابراهيم الخبر لم يسعهُ الَّا انهُ جاء الى بغداد واختفى خوفاً على دمه . فجعل المأمون لمن يدل عليـهِ مائة الف دينار

(الليلة الرابعة والسبعون بعد المائتين) . قال ابراهيم : لما سمعت بهـذه الجعالة خفت على نفسي وتحـيرت في امري . فخرجت من داري متنكرًا وقت

الظهيرة وانا لا ادري اين اتوجه . فدخلت شارعاً غير نافذ فقلت : أنّا لله وانّا اليهِ راجعون عرَّضت نفسي للعطب . ان عدت على اثري يرتاب في امري وانا على هيئة المتنكر. فرأيت في صدر الشارع عبدًا اسود قائمًا على باب داره فتقدمت اليهِ وقلت له : هل عندك موضع اقيم فيهِ ساعة من نهار . قال: نعم. وفتح الباب . ودخلت الى بيت نظيف فيهِ فرش وبسط ومخدات جلود . ثم انهُ بعد ان ادخلني اغلق عليَّ الباب ومضى . فتوهمت انهُ سمع بالجعالة فيَّ فقلت في نفسي: انهُ خرج ليدلّ عليَّ . فبقيت اغلي مثل القدر على النار وانا متفكر في امري. فبينما انا كذلك اذ اقبل ومعهُ حمَّال عليهِ كلما يحتاج اليهِ من خبز ولحم وقدور جديدة وآلتها وجرَّة جديدة وكيزان جدد . فحطَّ عن الحمال ثم التفت اليَّ وقال لي: جُعلتْ نفسي فداءك انا رجل حجَّام وانا اعلم انك تتقرَّف مني لما اتولاه من معيشتي فشأنك وهذه الاشياء التي لم يقع عليها يد فافعل ما بدا لكَ . قال ابراهيم : وكان لي حاجة الى الطعام فطبخت لنفسي قدرًا ما اذكر اني اكلت مثلها . فلما قضيت اربي قال لي : يا سيدي جعلني الله فداءك هل لك في الشراب فانهُ يطيب النفس ويذهب الغمَّ . فقلت : ما اكره ذلك رغبة في مؤانسة الحجام . فجاءني باواني زجاج جديدة لم تمسها يد وجرَّة مطيبة وقال : روّق لنفسك كما تحبّ. فروّقت شرابًا في غاية الجودة. وأحضر لي قدحًا جديدًا وفاكهة وزهورًا في اواني فخَّار جديدة ثم قال : أتأذن لي ان اجلس ناحية واشرب وحدي من شراب لي سرورًا بك ولكَ. فقلت لهُ : افعل. فشربت وشرب واحسست بالشراب دبَّ فينا . فقام الحجَّام ودخل خزانة لهُ فأخرج عودًا مصلحًا ثم قال : يا سيدي ليس من قدري ان اسألك الغناء ولكن قد وجب عليَّ عظيم مروءتك حق حرمتي فان رأيت ان تشرّف عبدك فلك علو الرأي .

فقلت لهُ وما اظن انهُ يعرفني : ومن اين لك اني أُحسن الغناء . فقال : يا سبحان الله مولانا اشهر من ذلك انت سيدي ابراهيم بن المهدي خليفتنا بالامس الذي جعل فيك المأمون لمن دلهُ عليك مائة الف دينار وعليك مني الامان . قال ابراهيم : فلما قال ذلك عظم في عيني وثبتت مروءته عندي . فوافقته على بغيته وتناولت العود واصلحته وغنيت . وقد مرَّ بخاطري فواق ولدي وعيالي فجعلت اقول :

وعسى الذي اهدى ليوسف اهلهُ واعزَّهُ في السجن وهو اسيرُ
ان يستجيب لنا فيجمع شملنـا والله رب العالمـين قـديرُ

فاستولى عليهِ الطرب المفرط وطاب عيشـه كثيرًا . ويقـال ان جيران ابراهيم كانوا اذا سمعوهُ يقول يا غلام شدَّ البغلة يحصل لهم طرب بهذه الكلمة . ولما طابت نفس الحجّام وتحكم منهُ الطرب قال : يا سيدي أتأْذن لي ان اقول ما سنح بخاطري وان كنت من غير اهل هذه الصناعة . فقلت لهُ : افعل وهذا من زيادة ادبك ومروءتك . فأخذ العود وغنى شعرًا :

شكونا الى احبابنا طول ليلنـا فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم سريعًا ولا يغشى لنا النوم اعينا
اذا ما دنا الليل المضرّ بذي الهوى جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

(قال ابراهيم) فقلت لهُ : والله لقد احسنت يا لبيبي كل الاحسـان . واذهبت عني ألم الاحزان . فزدني من هذه الترهات . فانشد هذه الابيات :

اذا المرءُ لم يُدنس من اللوم عرضهُ فـكل رداءٍ يرتـديهِ جميـلُ
تعـيّرنا انّا قليـلٌ عديدنا فقلت لها ان الكرام قليـلُ

وما ضرّنا انّا قليلٌ وجارنا ٠ عزيزٌ وجارُ الاكثرين ذليلُ
وانّا لقومٌ لا نرى القتل سبّةً ٠ اذا ما رأتهُ عامرٌ وسلولُ
يقرّب حبّ الموت آجالنا لنا ٠ وتكرههُ آجالهم فتطولُ
وننكر ان شئنا على الناس قولهم ٠ ولا ينكرون القول حين نقولُ

(قال ابراهيم) فلما سمعت منهُ هذا الشعر تعجبت منهُ غاية العجب ومال بي عظيم الطرب . ونمت فلم استيقظ الّا بعد العشاء ٠ فغسلت وجهي وعاودني فكري في نفاسة هذا الحجّام وحسن ادبه ٠ فايقظتهُ واخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير لها قيمة ورميت بها اليهِ وقلت لهُ : استودعك الله فاني ماضٍ من عندك واسألك ان تصرف ما في هذه الخريطة في بعض مهاتك ولك عندي المنّ الزائد اذا امنت من خوفي .(قال ابراهيم) فاعاد لي الخريطة وقال : يا سيدي ان الصعاليك منّا لا قدر لهم عندكم ولكن بمقتضى مروءتي كيف آخذ ثمناً على ما اوهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندي . ولئن راجعتني في هذا الكلام ورميت بالخريطة اليَّ مرة اخرى قتلت نفسي .(قال ابراهيم) فأخذت الخريطة في كمي وقد اثقلني حملها وانصرفت

(الليلة الخامسة والسبعون بعد المائتين) . فلما انتهيت الى باب داره قال لي : ياسيدي ان هذا المكان اخفى لك من غيرهِ وليس عليَّ في مؤنتك ثقل فأقم عندي الى ان يفرّج الله عنك . فرجعتُ وقلت لهُ : بشرط ان تنفق من تلك الخريطة ٠ فأوهمني الرضى بذلك الشرط . ثم اقمتُ عنده اياماً على تلك الحالة في الذّ عيش ولم يصرف من الخريطة شيئاً . فتذممتُ من الاقامة في مؤنتهِ واحتشمتُ من التثقيل عليهِ فتركته وقت ٠ ثم تزييت بزيّ النساء كالخف والنقاب وخرجت من داره . فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف امرٌ شديد وجئت لأعبر

الجسر واذا انا بوضع مرشوس بماء. فنظرني جندي ممن كان يخدمني فعرفني وصاح وقال: هذه حاجة المأمون. فتعلق بي. فمن حلاوة الروح دفعتهُ وفرسهُ ورميتها في ذلك الزلق فصار عبرة لمن اعتبر وتبادر الناس اليهِ. فاجتهدت انا في مشيتي حتى قطعت الجسر فدخلت شارعاً فوجدت باب دار مفتوحاً وامرأة واقفة في دهليزه فقلت: يا سيدتي ارحميني واحقني دمي فاني رجل خائف. فقالت: على الرحب والسعة ادخل. واطلعتني الى غرفة وفرشت لي فيها وقدَّمت لي طعاماً وقالت لي: ليهدأ روعك فما علم بك مخلوق. فبينما هي كذلك واذا بالباب يُدقّ دقًّا عنيفاً. فخرجتْ وفتحت الباب. واذا بصاحبي الذي دفعتهُ على الجسر مقبل وهو مشدود الرأس ودمهُ يجري على ثيابه وليس معهُ فرسه. فقالت لهُ: يا هذا ما دهاك. فقال: كنت ظفرت بالغنى فانفلت مني. واخبرها بالحال. فأخرجتْ حراقاً فأعملتهُ في خرقة وعصبت بها رأسه وفرشت لهُ ونام عليلاً. ثم طلعتْ اليَّ وقالت لي: اظنك صاحب القضية. فقلت لها: نعم. فقالت لي: لا بأس عليك. ثم جدَّدت لي الكرامة فأقمت عندها ثلثة ايام. ثم قالت لي: اني خائفة عليك من هذا الرجل لئلَّا يطلع عليك فينمَّ بك فيما تخافهُ فانجُ بنفسك. ثم اني سألتها المهلة الى الليل. فقالت: لا بأس بذلك. فلما دخل الليل لبست زيَّ النساء وخرجت من عندها فأتيت الى بيت مولاة كانت لنا. فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله تعالى على سلامتي وخرجت كانها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فظننتُ خيرًا. فما شعرت الَّا وابرهيم الموصلي مقبل في غلمانه وجنده وامرأة قدَّامهم. فتأملتها فاذا هي المولاة صاحبة الدار التي انا بها. ولم تزل ماشية قدامهم حتى اسلمتني اليهم. فرأيت الموت عياناً وحُملت بالزيّ الذي انا فيهِ الى المأمون. فعقد مجلساً عاماً وادخلني عليهِ. فلما دخلت سلمت عليهِ

بالخلافة . فقال : لا سلمك الله ولا حيَّاك . فقلت لهُ : على رسلك يا امير المؤمنين ان وليّ الثار محكَّم في القصاص او العفو. ولكنّ العفو اقرب لتقوى وقد جعل الله عفوك فوق كل عفو كما جعل ذنبي فوق كل ذنب . فان تؤاخذ فبحقك . وان تعفو فبفضلك . ثم انشدتُ هذه الابيات :

ذنبي اليك عظيمٌ وانت اعظم منهُ
فخذ بحقك او لا واصفح بحلمك عنهُ
ان لم اكن في فعالي من الكرام فكنهُ

(قال ابرهيم) فرفع المأمون اليّ رأسهُ . فبادرت اليهِ بانشاد هذين البيتين :

اتيتُ ذنباً عظيماً وانت للعفو اهلُ
فان عفوتَ فمنٌّ وان جزيتَ فعدلُ

فأطرق المأمون رأسهُ وانشد :

وكنتُ اذا الصديق اراد غيظي واشرقني على حنقي بريقي
غفرتُ ذنوبهُ وعفوت عنهُ مخافة ان اعيش بلا صديقِ

(قال ابرهيم) فلما سمعت منهُ هذا الكلام استروحتُ روائح الرحمة من شمائله . ثم اقبل على ابنهِ العبَّاس واخيهِ ابي اسحق وجميع من حضر من خاصته وقال لهم : ما ترون في امره . فكلٌ اشار عليهِ بقتلي الّا انهم اختلفوا في القتلة كيف تكون . فقال المأمون لاحمد بن خالد: ما تقول يا احمد . فقال : يا امير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك من قتل مثلهُ . وان عفوت عنهُ فما وجدنا مثلك عفا عن مثله

(الليلة السادسة والسبعون بعد المائتين) . فلما سمع المأمون كلام احمد ابن خالد نكس رأسهُ وانشد قول الشاعر :

قومي همُ قتلوا أُميم اخي فاذا رميتُ يُصيبني سهمي

وانشد ايضاً :

سامح اخاك اذا خلطْ منهُ الاصابة بالغلطْ
واحفظ صنيعك عندهُ شكَر الصنيعةَ ام غمطْ
وتجافَ عن تعنيفهِ ان زاغ يوماً او قسط
او ما ترى المحبوب والـ ـمكروه لُزًّا في نمطْ
ولذاذة العمر الطويـ ـلِ يشوبها نغص الشمطْ
والورد يبدو في الغصو ن مع الجنيّ الملتقطْ
من ذا الذي ما ساء قطُّ ومن لهُ الحسنى فقطْ
ولو اختبرت بني الزما نِ وجدت اكثرهم سقطْ

(قال ابراهيم بن المهدي) فلما سمعت منهُ هذه الابيات كشفت المقنعة عن رأسي وكبَّرتُ تكبيرةً عظيمة وقلت: عفا والله امير المؤمنين عني . فقال : لا بأس عليك يا عمّ . فقلت : ذنبي يا امير المؤمنين اعظم من ان اتفوه معهُ بعذر وعفوك اعظم من ان انطق معهُ بشكر . واطربتُ بالنغمات . وانشدت هذه الابيات :

انَّ الذي خلق المكارم حازها في صُلب آدم للامام السابعِ
مُلئت قلوب الناس منك مهابةً والكلُّ تكلأهم بقلب خاشعِ
ما ان عصيتك والغواة تمدُّني اسبابها الَّا بنيّة طامعِ
فعفوتَ عمَّن لم يكن عن مثلهِ عفوٌ ولم يشفع اليك بشافعِ
ورحمتَ اطفالاً كافراخ القطا وحنين والدةٍ بقلبٍ جازعِ

فقال المأمون: اقول اقتداء بسيدنا يوسف على نبينا وعليهِ الصلوة والسلام :

لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين. قد عفوت عنك ورددت عليك اموالك وضياعك يا عمّ ولا بأس عليك . فابتهلت لهُ بصالح الدعوات . وانشدت هذه الابيات:

رددتَ مالي ولم تبخل عليَّ بهِ وقبل ردّك مالي قد حقنت دمي
فلو بذلتُ دمي ابغي رضاك بهِ والمال حتى أسُلَّ النعل من قدمي
ما كان ذاك سوى عاريةٍ رجعت اليك لو لم تُعرها كنت لم تُلَمِ
فان جحدتك ما اوليت من نعمٍ اني الى اللوم أولى منك بالكرمِ

فأكرمه المأمون وانعم عليهِ وقال له : يا عمّ ان ابا اسحق والعباس اشارا عليَّ بقتلك . فقلت : انهما نصحا لك يا امير المؤمنين ولكنك أتيت بما انت اهله ودفعتَ ما خفتُ بما رجوتُ . فقال المأمون : يا عمّ أمتَّ حقدي بحياة عذرك وقد عفوت عنك ولم أُجرّعك مرارة امتنان الشافعين . ثم سجد المأمون طويلًا ورفع رأسه وقال : يا عمّ اتدري لأيّ شيء سجدت . قلت : لعلك سجدت شكرًا لله الذي اظفرك بعدوّك . فقال : ما اردت هذا ولكن شكرًا لله الذي ألهمني العفو عنك وصفاء الخاطر لك فحدّثني الآن حديثك . فشرحتُ لهُ صورة امري وما جرى لي مع الحجّام والجندي وزوجته ومولاتي التي غمزَتْ عليَّ . فأمر المأمون باحضار المولاة وهي في دارها تنتظر ارسال الجائزة اليها . فلما حضرتْ بين يدي المأمون قال لها : ما حملكِ على ما فعلتِ مع سيدكِ . فقالت : الرغبة في المال . فقال لها : هل لكِ ولد او زوج . فقالت : لا . فأمر بضربها مائة سوط وان تخلد في السجن . ثم احضر الجندي وامرأته والحجّام . فسأل الجندي عن السبب الذي حمله على ما فعل . فقال : الرغبة في المال . فقال المأمون : يجب ان تكون حجامًا. ووكل بهِ من يضعه في دكان الحجّام حتى يتعلم الحجامة.

واكرم زوجة الجندي وادخلها القصر وقال : هذه امرأة عاقلة تصلح للمهمَّات . ثم قال للحجام : قد ظهر من مروءتك ما يوجب المبالغة في اكرامك. وأمر أن يسلَّم اليهِ دار الجندي بما فيها . وخلع عليهِ واعطاه زيادة على ذلك خمسة عشر الف دينار في كل سنة

حكاية عبد الله بن ابي قلابة

حُكي ان عبد الله بن ابي قلابة خرج في طلب إبل شردت لهُ . فبينما هو سائر في صحارى اراضي اليمن وارض سبإ اذ وقع على مدينة عظيمة وحولها حصن عظيم وحول ذلك الحصن قصور شاهقة في الجوّ . فلما دنا منها ظنَّ ان بها سكَّانًا يسألهم عن إبله فقصدها . فلما وصل اليها وجدها قفراء ليس فيها انيس. (قال) فنزلت عن ناقتي وعقلتها

(الليلة السابعة والسبعون بعد المائتين) . ثم سليت نفسي ودخلت البلد ودنوت من الحصن فوجدت لهُ بابين عظيمين لم يرَ في الدنيا مثلهما في العظم والارتفاع وهما مرصعان بانواع الجواهر واليواقيت ما بين ابيض واحمر واخضر. فلما رأيت ذلك تعجبت منهُ غاية العجب واعظمت ذلك الامر . فدخلت الحصن وانا مرعوب ذاهل اللبّ فرأيت ذلك الحصن طويلًا مديدًا مثل المدينة في السعة وبهِ قصور شاهقة في كل قصر منها غرف وكلها مبنية بالذهب والفضة ومرصعة باليواقيت والجواهر الملونة والزبرجد واللؤلؤ. ومصاريع ابواب تلك القصور كمصاريع الحصن في الحسن . وقد فُرشت ارضها باللؤلؤ الكبار وبنادق المسك والعنبر والزعفران . فلما انتهيت الى داخل المدينة ولم ارَ بها مخلوقًا من بني آدم كدت ان اموت من الفزع. فنظرت من اعالي الغرف والقصور فرأيت الانهار تجري من

تحتها وشوارعها فيها الاشجار المثمرات والنخيل الباسقات وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة. فقلت في نفسي: لا شك ان هذه هي الجنة الموعود بها في الآخرة. فحملت من جواهر حصبائها ومسك ترابها ما امكنني حمله وعدت الى بلادي واعلمت الناس بذلك . فبلغ الخبر الى معاوية بن ابي سفيان وهو يومئذٍ خليفة بالحجاز فكتب الى عامله بصنعاء اليمن ان يحضر اليهِ ذلك الرجل ويسألهُ عن حقيقة الامر . فاحضرني عامله واستخبرني عمّا كان من امري وما وقع لي . فاخبرتهُ بما رأيته . فارسلني الى معاوية فاخبرته ايضاً بما رأيته . فانكر معاوية ذلك . فأظهرت لهُ شيئاً من ذلك اللؤلؤ وبنادق العنبر والمسك والزعفران وفيها بعض رائحة طيبة ولكن اللؤلؤ قد اصفرّ وتغير لونه

(الليلة الثامنة والسبعون بعد المائتين) . فتعجب من ذلك معاوية بن ابي سفيان لما رأى مع ابي قلابة اللؤلؤ وبنادق المسك والعنبر وبعث الى كعب الاحبار فاحضره وقال لهُ : يا كعب الاحبار اني دعوتك لامر اطلب تحقيقه وارجو ان يكون عندك حقيقة خبره . فقال لهُ : ما هو يا امير المؤمنين . قال لهُ معاوية : هل عندك علم بانهُ يوجد مدينة مبنية بالذهب والفضة عمدانها من الزبرجد والياقوت وحصباؤها من اللؤلؤ وبنادق المسك والعنبر والزعفران . قال : نعم يا امير المؤمنين هي ارَم ذات العماد . التي لم يُخلق مثلها في البلاد . وقد بناها شدّاد بن عاد الاكبر . فقال معاوية : فحدّثنا بشيء من حديثها . قال كعب الاحبار : ان عاداً الاكبر كان لهُ ولدان شديد وشدّاد . فلما هلك ابوهما ملك البلاد بعده شديد واخوه شدّاد . ولم يكن احد من ملوك الارض الاّ تحت طاعتهما . فمات شديد بن عاد فملك اخوه شداد الارض من بعده على الانفراد وكان مولعاً بقراءة الكتب القديمة . فلما مرَّ بهِ ذكر الآخرة والجنة وما فيها من القصور

والغرَف والاشجار والثمار وغيرها مما في الجنة دعتهُ نفسه الى ان يبني مثلهـا في الدنيا على هذه الهيئة المتقدم ذكرها . وكان تحت يده مائة الف ملك تحت يد كل ملك مـائة الف قهرمان تحت يد كل قهرمان مائة الف عسكر . فأحضر الجميع بين يديه وقال لهم : اني اسمع في الكتب القديمة والاخبار بصفة الجنـة التي توجد في الآخرة وانا احب ان اجعل مثلها في الدنيـا . فانطلقوا الى اطيب فلاة في الارض وأوسعها وابنوا لي فيها مدينة من الذهب والفضة واجعلوا حصاها الزبرجد والياقوت واللؤلؤ واجعلوا تحت عقود تلك المدينة اعمـدة من زبرجد واملأوهـا قصورًا واجعلوا فوق القصور غرفًا واغرسوا تحت القصور في ازقتهـا وشوارعها اصناف الاشجـار المختلفة الاثمار اليانعة وأجروا تحتهـا الانهار في قنوات الذهب والفضة. قالوا باجمعهم : كيف نقدر على ما وصفت لنا وكيف بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ الذي ذكرت . قال : ألستم تعلمون ان ملوك الدنيـا طوعٌ لي وتحت يدي وكل من فيهـا لا يخالف امري . قـالوا : نعم نعلم ذلك . قال : فانطلقوا الى معادن الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضـة فاستخرجوها واجمعوا ما بها من الارض ولا تبقوا مجهودًا . ومع ذلك فخذوا لي ما بايدي العالم من اصناف ذلك ولا تبقوا مجهودًا ولا تذروا واحذروا المخالفـة . ثم كتب كتابًا الى كل ملك كان في اقطار الارض وأمرهم ان يجمعوا ما كان عند النـاس من اصناف ذلك وان يذهبوا الى معادنها ويستخرجوا ما فيها من الاحجار النفيسة ولو من قعور البحار. فجمعوا ذلك في مدة عشرين سنة . وكان عدة الملوك المتمكنين في الارض ثلثمائة وستين ملكًا . ثم أخرج المهندسين والحكماء والفعلة والصناع من سائر البلاد والبقـاع وانتشروا في البراري والقفار والجهات والاقطـار حتى وصلوا الى صحراء فيها فسحة عظيمة نقية خالية من الآكام والجبال وبها عيون

نابعة وانهار جارية فقالوا : هذه صفة الارض التي امرنا بها الملك وندبنا اليها . ثم اشتغلوا ببنائها على قدر ما امرهم بهِ الملك شدّاد ملك الارض في الطول والعرض واجروا بها قنوات الانهار . ووضعوا الاساسات على المقدار المذكور. وارسل اليها ملوك الاقطار . بالجواهر والاحجار. واللؤلؤ الكبار والصغار . والعقيق والنضار . على الجمال في البراري والقفار . وارسلوا بها السفن الكبار في البحار . ووصل الى العمال من تلك الاصناف ما لا يوصف ولا يحصى ولا يكيَّف . فاقاموا في عمل ذلك ثلثمائة سنة . فلما فرغوا من ذلك اتوا الى الملك واخبروه بالاتمام . فقال لهم : انطلقوا فاجعلوا عليها حصناً منيعاً . شاهقاً رفيعاً . واجعلوا حول الحصن الف قصر تحت كل قصر الف علَم ليكون في كل قصر منها وزير . فمضوا من وقتهم وفعلوا ذلك في عشرين سنة . ثم حضروا بين يدي شدّاد واخبروه بحصول الغرض . فأمر وزراءهُ وهم الف وزير وكذلك أمر خاصته ومن يثق بهِ من الجنود وغيرهم ان يستعدوا للرحلة ويتهيئوا للنقلة الى إرَم ذات العماد . تحت ركاب ملك الدنيا شداد بن عاد . وأمر من اراد من نسائه وحريمه لجواريه وخدمه ان يأخذوا في التجهيز . فاقاموا في اخذ الاهبة عشرين سنة

(الليلة التاسعة والسبعون بعد المائتين) . ثم سار شداد ومن معهُ من الجيوش مسروراً ببلوغ المرام حتى بقي بينه وبين ارَم ذات العماد مرحلة واحدة . فارسل الله عليهِ وعلى من معهُ من الكفرة الجاحدين صيحة من سماء قدرته فاهلكتهم جميعاً بصوت عظيم . ولم يصل شداد ولا احد ممن كان معهُ اليها. ولم يشرف عليها ومحا الله آثار محجتها . فهي باقية على حالها في مكانها الى قيام الساعة. فتعجب معاوية من اخبار كعب الاحبار بهذا الخبر وقال لهُ : هل يصل احد الى تلك المدينة من البشر . قال: نعم رجل من اصحاب محمد (صلعم) وهو بصفة

هذا الرجل الجالس بلا شك ولا ابهام . (قال الشعبي) حكي عن علماء حمير من اليمن انهُ لما هلك شداد ومن معهُ من الصيحة ملك بعده ابنه شداد الاصغر . وكان ابوه شداد الاكبر خلفه على ملكه بارض حضرموت وسبإ بعد ان ارتحل بمن معهُ من العساكر الى ارم ذات العماد . فلما بلغه خبر موت ابيهِ في الطريق قبل وصوله الى مدينة ارم أمر بحمل ابيهِ من تلك المفاوز الى حضرموت . وأمر ان يحفر لهُ حفيرة في مغارة . فلما حفروا تلك الحفيرة وضعه فيها على سرير من الذهب والقى عليهِ سبعين حلة منسوجة بالذهب مرصعة بنفيس الجواهر ووضع عند رأسه لوحاً من الذهب مكتوباً فيهِ هذه الابيات :

اعتبر يا ايها المغرورُ م بالعمر المديدِ
انا شداد بن عادٍ صاحب الحصن المشيدِ
صاحب القدرة والـ م ـقوَّة والبأس الشديدِ
كان اهل الارض طوعي خوف قهري ووعيدي
وملكت الشرق والـ م ـغرب بسلطانٍ شديدِ
فدعانا للهدى مَن جاء بالامر الرشيدِ
فعصيناهُ ونادينا م ألا هل من محيدِ
فأتتنا صيحةٌ من جانب الافق البعيدِ
فترامينا كزرعٍ وسط بيدا في الحصيدِ
وانتظرنا تحت اطباق م الثرى يوم الوعيدِ

(قال الثعالبي) واتفق ان رجلين دخلا هذه المغارة فوجدا في صدرها درجاً فنزلا فيهِ فوجدا حفيرة طولها مقدار مائة ذراع وعرضها اربعون ذراعاً وارتفاعها مائة ذراع وفي وسط تلك الحفرة سرير من الذهب وعليهِ رجل عظيم الجسم قد

اخذ طول السرير وعرضه وعليهِ الحلي والحلل المنسوجة بالذهب والفضة وعلى رأسه لوح من ذهب فيهِ كتابة فاخذا ذلك اللوح وحملا من ذلك الموضع ما اطاقا حمله من قضبان الذهب والفضة وغير ذلك

حكاية اسحق الموصلي

حُكي ان اسحق الموصلي قال : خرجت ليلة من عند المأمون متوجهاً الى بيتي فعمدت الى زقاق فرأيت شيئاً معلقاً من تلك الدور فلمستهُ لاعرف ما هو فوجدته زنبيلًا كبيرًا باربعة آذان ملبساً ديباجاً فقلت في نفسي : لا بدَّ لهذا من سبب وصرت متحيرًا في امري . فحملني السكر على ان اجلس فيهِ . واذا باصحاب الدار جذبوه بي وظنوا انني الذي كانوا يرتقبونهُ . ثم رفعوا الزنبيل الى رأس الحائط واذا باربع جوارٍ يقلنَ لي : انزل على الرحب والسعة . ومشت بين يدي جارية بشمعة حتى نزلت الى دارٍ فيها مجالس مفروشة لم ارَ مثلها الَّا في دار الخلافة . فجلست فما شعرت بعد ساعة الَّا بستور قد رُفعت في ناحية من الجدار واذا بوصائف يتماشينَ وفي ايديهنَّ الشموع ومجامر البخور من العود القاقليّ وبينهنَّ جارية كانها البدر الطالع . فنهضتُ وقالت : مرحباً بك من زائرٍ . ثم اجلستني وسألتني عن خبري . فقلت لها : اني انصرفت من عند بعض اخواني وغرَّ بي الوقت فملت الى هذا الزقاق . فوجدت زنبيلًا ملقىً فاجلسني النبيذ في الزنبيل ودُفع بي الزنبيل الى هذه الدار . هذا ما كان من امري . فقالت : لا ضير عليك وارجو ان تحمد عاقبة امرك . ثم قالت لي : فما صناعتك . فقلت : تاجر في سوق بغداد . فقالت : هل تروي من الاشعار شيئاً . فقلت : اروي شيئاً ضعيفاً . قالت : فذاكرنا فيهِ وأنشدنا شيئاً منهُ . فقلت : ان للداخل دهشة

ولكن تبدائين انتِ . قالت : صدقت. ثم انشدت شعرًا رقيقًا من كلام القدماء والمحدثين وهو من اجود اقاويلهم وانا اسمع ولا ادري أأعجب من حسن ادبها أم من حسن روايتها . ثم قالت : هل ذهب ما كان عندك من الدهشة . قلت : اي والله . قالت : ان شئت فانشدنا شيئًا من روايتك . فانشدتهـا لجماعة من القدماء ما فيهِ الكفاية . فاستحسنتْ ذلك ثم قالت : والله ما ظننت ان يوجد في ابناء السوقة مثل هذا

(الليله الموفية للثمانين بعد المائتين) . ثم أمرت بالطعام فأُحضر . فجعلتْ تاخذ وتضع قدامي . وكان في المجلس من اصناف الرياحين وغريب الفواكه ما لا يكون عند الملوك. ثم دعت بالشراب فشربت قدحًا. ثم ناولتني قدحًا وقالت : هذا اوان المذاكرة والاخبار . فاندفعتُ اذاكرهـا وقلت : بلغني انهُ كان كذا وكذا حتى حكيت لها عدّة اخبار حسان . فسرّت بذلك وقالت : اني لاعجب كيف يكون احد من التجار يحفظ مثل هذه الاخبار وانما هي احاديث ملوك . فقلت : كان لي جار يحادث الملوك وينادمهم . واذا تعطل حضرت بيته فربما حدَّث بما سمعت. فقالت : لعمري لقد احسنت الحفظ . ثم اخذنا في المذاكرة. وكلما اسكت ابتدأتْ هي حتى قطعنـا اكثر الليل وبخور العود يعبق . فقالت : انك من الطف الرجال واظرفهم لانك ذو أدب بارع وما بقي الَّا شيء واحد . فقلت لها : وما هو . قالت : لو كنت تترنم بالاشعار على العود . فقلت لها : اني كنت تعلقت بهذا قديمًا ولكن لما لم ارزق حظًا فيهِ اعرضت عنـهُ وفي قلبي حرارة وكنت احبُّ في هذا المجلس ان أُحسن شيئًا منهُ لتكمل ليلتي . قالت : كانك عرّضت باحضار العود . فقلت : الرأي لكِ وانتِ صاحبة الفضل ولكِ المنة في ذلك . فأمرت بعود فحضر وغنت بصوت ما سمعت بمثل حسنه مع حسن

الادب وجودة الضرب والكمال الراجح . ثم قالت : هل تعرف هذا الصوت لمن وهذا الشعر لمن . قلت : لا . قالت : الشعر لفلان والمغنى لاسحق . قلت : وهل اسحق بهذه الصفة . قالت : بخٍ بخٍ اسحق بارع في هذا الشأن . فقلت : سبحان الله الذي اعطى هذا الرجل ما لم يعطهِ احدًا سواه . قالت : فكيف لو سمعت هذا الصوت منه . ثم لم نزل على ذلك حتى اذا كان انشقاق الفجر اقبلت عليها عجوز كانها قابلتها وقالت: ان الوقت قد حضر . فنهضت عند قولها وقالت: لتستر ما كان منّا فان المجالس بالامانات

(الليلة الحادية والثانون بعد المائتين) . فقلت لها : جعلت فداءكِ لم اكن محتاجًا الى وصية في ذلك . ثم ودّعتها وارسلتْ جارية تمشي بين يدي الى باب الدار . ففتحت لي وخرجت متوجهًا الى داري فصليت الصبح ونمت . فأتاني رسول المأمون فسرت اليهِ واقمت نهاري عنده . فلما كان وقت العشاء تفكرت في ما كنت فيهِ البارحة . فخرجت وجئت الى الزنبيل وجلست فيهِ ورُفعت الى موضعي الذي كنت فيهِ البارحة . فقالت لي الجارية : لقد عاودت . فقلت : لا اظنُّ الّا انني قد غفلت . ثم اخذنا في المحادثة على عادتنا في الليلة السالفة من المذاكرة والمناشدة وغريب الحكايات منها ومني الى الفجر . ثم انصرفت الى منزلي وصليت الصبح ونمت . فأتاني رسول المأمون فمضيت اليهِ واقمت نهاري عنده . فلما كان وقت العشاء قال لي امير المؤمنين : اقسمت عليك ان تجلس حتى اذهب الى غرض واحضر . فلما ذهب الخليفة وغاب عني جالت وساوسي وتذكرت ما كنت فيهِ . فهان عليَّ ما يحصل لي من امير المؤمنين فوثبت مدبرًا وخرجت جاريًا حتى وصلت الى الزنبيل فجلست فيهِ ورفع بي الى مجلسي . فقالت : لعلك صديقنا . قلت : اي والله . قالت : أجعلتنا دار اقامة . قلت : جُعلت فداءكِ

حقّ الضيافة ثلثة ايام فان رجعت بعد ذلك فانتم في حلّ من دمي . ثم جلسنا على تلك الحالة . فلما قرب الوقت علمت ان المأمون لا بدّ ان يسألني فلا يقنع الّا بشرح القصة . فقلت لها : اراكِ ممن يعجب بالغناء ولي ابن عمّ اشرف مني قدرًا واكثر ادبًا وهو اعرف خلق الله تعالى باسحق . قالت : اُطفيلي وتقترح . قلت لها : انتِ المحكَّمة في الامر . فقالت : ان كان ابن عمك على ما تصفهُ فما نكره معرفته

(الليلة الثانية والثانون بعد المائتين) . ثم جاء الوقت فنهضت وقمت متوجهًا الى داري . فلم اصل الى داري الّا ورسل المأمون قد هجموا عليَّ وحملوني حملًا عنيفًا وذهبوا بي اليهِ . فوجدته قاعدًا على كرسي وهو مغتاظ مني . فقال : يا اسحق اخروجًا عن الطاعة . فقلت : لا والله يا امير المؤمنين . قال : فما قصتك . اصدقني الخبر . فقلت : نعم ولكن في خلوة . فأومأ الى من بين يديه فتنحوا . فحدثتهُ الحديث وقلت لهُ : اني وعدتها بحضورك . قال : احسنت . ثم اخذنا في لذَّتنا ذلك اليوم . فما صدقنا بمجيء الوقت . وسرنا وانا اوصيه واقول لهُ : تجنب ان تناديني باسمي قدَّامها بل انا لك تبعٌ في حضرتها . واتفقنا على ذلك . ثم سرنا الى ان اتينا مكان الزنبيل . فوجدنا زنبيلين فقعدنا فيهما ورُفعا بنا الى الموضع المعهود . فأقبلت وسلمت علينا . فلما رآها المأمون تحير من حسنها وجمالها واخذت تذاكره الاخبار وتناشده الاشعار . ثم احضرت النبيذ فشربنا وهي مقبلة عليهِ مسرورة بهِ وهو ايضًا مقبل عليها مسرور بها . ثم اخذت العود وغنت طريقة وبعد ذلك قالت لي : وهل ابن عمك من التجَّار واشارت الى المأمون . قلت : نعم . قالت : انكما لقريبا الشبه من بعضكما . قلت : نعم . فلما شرب المأمون ثلثة ارطال داخله الفرح والطرب فصاح وقال : يا اسحق . قلت : لبيك يا امير

المؤمنـــين . قال : غنّ بهذه الطريقة . فلما علمتْ انهُ الخليفـــة مضت الى مكان ودخلت فيهِ . فلما فرغتُ من الغناء قال لي المأمون : انظر من ربّ هذه الدار . فبادرت عجوز بالجواب وقالت : هي للحسن بن سهل . فقال : عليّ بهِ . فغابت العجوز ساعة واذا بالحسن قد حضر . فقال لهُ المأمون . ألك بنت . قـــال : نعم اسمها خديجة . قال لهُ : هل هي متزوجة . قال : لا والله . قال : فاني اخطبها منك . قال : هي جاريتك وامرهـــا اليك يا امير المؤمنين . قال الخليفة : قد تزوجتها على نقد ثلثين الف دينار تُحمل اليك صبيحة يومنا هذا فاذا قبضت المال فاحملها الينا من ليلتنا . قال : سمعاً وطاعة . ثم خرجنا . فقال : يا اسحق لا تقصّ هذا الحديث على احد . فسترته الى ان مات المأمون فما اجتمع لاحد مثل ما اجتمع لي في هذه الاربعة ايام مجالسة المأمون بالنهار ومجالسة خديجة بالليل . والله ما رأيت احداً من الرجال مثل المأمون ولا شاهدت امرأة من النساء مثـــل خديجة بل ولا تقارب خديجة فهماً ولا عقلًا ولا لفظاً . والله اعلم

حكاية الرجل الحشّاش

حُكي انهُ كان في اوان الحجّ والناس في الطواف . فبينما المطـــاف مزدحم بالناس واذا بانسان متعلق باستار الكعبة وهو يقول من صميم قلبه : اسألك يا الله انها تغضب على زوجها حتى تطعمني . (قال) فسمعهُ جماعة من الحجّاج فقبضوا عليهِ واتوا بهِ الى امير الحاج بعد ان اشبعوه ضرباً وقالوا لهُ : ايها الامير انّا وجدنا هذا في الاماكن الشريفة يقول كذا وكذا . فأمر امير الحاج بشنقه . فقـــال لهُ : ايها الامير بحق الرسول (صلعم) ان تسمع قصتي وحديثي وبعد ذلك فافعل بي ما تريد . قال : تحدّث . قال : اعلم ايها الامير انني رجل حشّاش اعمـــل في

مسالخ الغنم فاحمل الدم والوسخ الى الكيمان . فاتفق انني كنت رائحاً بحماري يوماً من الايام وهو محمَّل فوجدت الناس هاربين . فقال واحد منهم : ادخل هـذا الزقاق لئلا يقتلوك . فقلت : ما للناس هاربين . فقال لي واحد من الخدَّام : هذه حريم لبعض الاكابر . وصار الخدم ينحون الناس من الطريق قدَّامهـا ويضربون جميع الناس ولا يبالون باحد

(الليلة الثالثة والثمانون بعـد المائتين) . فدخلت بالحمار عطفة ووقفت انتظر انفضاض الزحمة . فرأيت الخـدم وبايديهم العصي ومعهم نحو ثلثين امرأة وبينهم واحدة كانها قضيب بان . او غزال عطشان . كاملة الحسن والظرف والدلال والجميع في خدمتهـا . فلما وصلتْ الى باب العطفة التي انا واقف بها التفتت يميناً وشمالاً ثم دعت بطواشي . فحضر بين يديها . فسارَّته في اذنه . واذا بالطواشي جاء اليَّ وقبض عليَّ فتهاربت النـاس . واذا بطواشي آخر أخذ حماري ومضى بهِ . ثم جاء الطواشي وربطني بحبل وجرَّني خلفهُ وانا لم اعرف ما الخـبر والناس من خلفنا يصيحون ويقولون : ما يحلّ من الله . هذا رجل حشَّاش فقير الحال . ما سبب ربطه بالحبال . ويقولون للطواشية : ارحموه يرحمكم الله وأطلقوه . فقلت انا في نفسي : ما اخذني الطواشية الَّا لأن سيدتهم شمَّت رائحـة الوسخ فاشمأزَّت من ذلك او حصل لها ضرر . فلا حول ولا قوة الَّا بالله العليّ العظيم . وما زلت ماشياً خلفهم الى ان وصلوا الى باب دار كبيرة فدخلوا وانا خلفهم . واستمرُّوا داخلين بي حتى وصلت الى قاعة كبيرة ما اعرف كيف اصف محاسنها . وهي مفروشة بفرش عظيم . ثم دخلت النساء تلك القاعة وانا مربوط مع الطواشي . فقلت في نفسي : لا بدَّ انهم يعاقبونني في هذا البيت حتى اموت ولا يدري بموتي احد . ثم بعد ذلك ادخلوني حماماً لطيفاً من داخل القـاعة . فبينما انا في الحمام واذا

بثلثة خدَّام دخلوا وقعدوا حواليَّ وقالوا لي: اقلع حوائجك وما عليك من الخلقان وصار واحد منهم يحكّ رجليَّ وواحد منهم يغسل رأسي وواحد منهم يكبسني. فلما فرغوا من ذلك حطوا لي بقجة قماش وقالوا لي: البس هذه. فقلت: والله ما اعرف كيف ألبس. فتقدموا اليَّ وألبسوني وهم يتضاحكون عليَّ. ثم جاءوا بقماقم مملوءة بماء الورد ورشّوا عليَّ وخرجت معهم الى قاعة اخرى والله ما اعرف كيف اصف محاسنها من كثرة ما فيها من النقش والفرش. فلما دخلت تلك القاعة وجدتُ واحدة قاعدة على تخت من الخيزران وقوائمهُ من عاج وبين يديها جملة جوار

(الليلة الرابعة والثمانون بعد المائتين). فلما رأتني قامت اليَّ ونادتني. فجئت عندها فأمرتني بالجلوس. فجلستُ الى جانبها وأمرتْ الجواري ان يقدّمنَ الطعام. فقدّمنَ لي طعاماً فاخراً من جميع الالوان ما اعرف اسمهُ ولا اعرف صفته في عمري. فأكلت منهُ على قدر كفايتي. وبعد رفع الزبادي وغسل الايادي أمرتْ باحضار الفواكه. فحضرت بين يديها في الحال. فأمرتني بالاكل. فأكلت. فلما فرغنا من الاكل امرتْ بعض الجواري باحضار الشراب. فاحضرنَ شيئاً مختلف الالوان. ثم أطلقنَ المباخر وأدرْنَ كؤوس الشراب الى ان اقبل الليل. فسألتني عن مكاني. فقلت: في المحل الفلاني. فأمرتْ بجوجي واعطتني منديلاً مطرّزاً بالذهب والفضة وعليهِ شيء مربوط. ففرحت وقلت في نفسي: ان كان ما عليهِ خمسة فلوس فانها تكفي لغداني في هذا اليوم. ثم خرجت من عندها كاني خارج من الجنة وجئت عند الصباح الى المخزن الذي انا فيهِ ففتحت المنديل فوجدت فيهِ خمسين مثقالاً من الذهب. فدفنتها وقعدت عند الباب بعد ان اشتريت بفلسين خبزاً واداماً. ثم صرت متفكراً في امري. فبينما انا كذلك الى

وقت العصر واذا بخادم قد اتى وقال لي : ان سيدتي تطلبك . فخرجت معهُ الى باب الدار واستأذن عليَّ بالدخول. فدخلتُ وقبَّلت الارض بين يديها . فأمرتني بالجلوس وأمرت باحضار الطعام والشراب على العادة . ثم ناولتني منديلًا ثانيًا فيهِ خمسون مثقالاً من الذهب. فأخذتها وخرجت وجئت الى المخزن ودفنتها. ومكثت على هذه الحالة مدة ثمانية ايام ادخل اليها في كل يوم وآكل واخرج وقد كسبت خمسين دينارًا

فبينما انا آكل ثامن يوم واذا بجارية دخلت وهيِ تجري وقالت لي : قم اطلع الى هذه الطبقة . فطلعت في تلك الطبقة فوجدتها تُشرف على الطريق . فبينما انا جالس واذا بضجة عظيمة ودبدبة خيل في الزقاق وكان في الطبقة طاقة تشرف على الباب . فنظرت منها فرأيت شابًا راكبًا كانهُ القمر الطالع ليلة تمامه وبين يديه مماليك وجند يمشون في خدمته . فتقدم الى الباب وترجَّل ودخل القاعة . فرآها قاعدة على السرير . فقبَّل الارض بين يديها ثم تقدَّم وقبَّل يديها فلم تكلمهُ . فما برح يتخضع لها حتى صالحها

(الليلة الخامسة والثانون بعد المائتين). فلما اصبح الصباح اتتهُ الجنود وركب وخرج من الباب . فأمرتْ حينئذٍ باحضاري وقالت لي : أرأيت هذا الرجل امس . قلت لها : نعم . قالت : هو زوجي ولكن أحكي لك ما جرى لي معهُ . اتَّفق انني كنت انا واياه يوماً قاعدَين في الجنينة داخل البيت واذا هو قد قام من جانبي وغاب عني ساعة طويلة فاستبطأتهُ وفتشت عليهِ فلم اجده . فدخلت المطبخ فرأيت جارية فسألتها عنه . فأرتني اياه وهو يغرف الطبيخ باصابعه من القدر ويبلعهُ كالملهوف . فعند ذلك حلفت يميناً معظمة اني لا بدَّ ان آكل مع اوسخ الناس واقذرهم . ويوم قبض عليك الطواشي كان لي اربعة ايام ادور

في البلد على واحد يكون بهذه الصفة فما وجدت احدًا اوسخ ولا اقذر منك فطلبتك وقد خلصت من اليمين التي حلفتها . ثم قالت : فمتى عاد زوجي الى فعله مرَّة اخرى أعدتك الى ما كنت عليهِ

ثم انها امرت بخروجي من عندها وقد تحصل لي منها اربعمائة مثقال من الذهب وانا اصرف منها . وجئت الى ههنا ادعو الله سبحانه وتعالى ان زوجها يعود الى سوء ادبه مرَّة اخرى لعلّي اعود الى ما كنت عليهِ من الرفاهية والعيش الرغد . فلما سمع امير الحاج قصة ذلك الرجل اطلقهُ وقال للحاضرين : بالله عليكم ان تدعوا لهُ فانهُ معذور

حكاية الخليفة هارون الرشيد مع الخليفة الثاني

حُكي ان الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة من الليالي قلقًا شديدًا . فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي وقال لهُ : ان صدري ضيق ومرادي في هذه الليلة ان اتفرّج في شوارع بغداد وانظر في مصالح العباد . بشرط اننا نتزيَّا بزيّ التجار حتى لا يعرفنا احد من الناس . فقال لهُ الوزير : سمعاً وطاعةً . ثم قاما في الوقت والساعة ونزعا ما عليهما من ثياب الافتخار ولبسا ثياب التجار . واستصحبا معهما مسرورًا السيَّاف وتمشى الجميع من مكان الى مكان حتى وصلوا الى دجلة . فرأوا شيخًا قاعدًا في زورق فتقدموا اليهِ وسلموا عليهِ وقالوا لهُ : يا شيخ اننا نشتهي من فضلك واحسانك ان تفرّجنا في مركبك هذا وخذ هذا الدينار اجرتك

(الليلة السادسة والثمانون بعد المائتين) . فقال لهم : من ذا الذي يقدر على الفرجة والخليفة هارون الرشيد ينزل في كل ليلة بحر دجلة في حرَّاقة صغيرة ومعهُ منادٍ ينادي ويقول : يا معشر الناس كافةً من كبير وصغير وخاصّ وعامّ

صبي وغلام · كل من نزل في مركب وشقّ في دجلة ضربتُ عنقه او شنقتهُ على صاري مركبه · وكأنكم بهِ في هذه الساعة وحُرّاقتهُ مقبلة · فقال الخليفة وجعفر: يا شيخ خُذ هذين الدينارين وادخل بنا قبّة من هذه القباب الى ان يمرّ زورق الخليفة . فقال لهم الشيخ : هاتوا الذهب والتوكل على الله تعالى. فأخذ الذهب وعوَّم بهم قليلًا واذا بالزورق قد اقبل من كبد دجلة وفيهِ الشموع والمشاعل مضيئة · فقال لهم الشيخ : أما قلت لكم ان الخليفة يشقّ في كل ليلة · ثم ان الشيخ صار يقول: يا ستار لا تكشف الاستار . ودخل بهم في قبَّة ووضع عليهم مئزرًا اسود وصاروا يتفرّجون من تحت المئزر · فرأوا في مقدَّم الزورق رجلًا بيده مشعل من الذهب الاحمر وهو يشعل فيهِ بالعود القاقليّ . وعلى ذلك قباء من الاطلس الاحمر وعلى كتفه مزركش اصفر وعلى رأسه شاش موصلي وعلى كتفه الآخر مخلاة من الحرير الاخضر ملآنة بالعود القاقليّ يوقد منها المشعل عوضًا عن الحطب . ورأى رجلًا آخر في مؤخر الزورق لابسًا مثل لبسه وبيده مشعل مثل المشعل الذي معهُ . ورأى في الزورق مائتي مملوك واقفين يمينًا ويسارًا . ووجد كرسيا من الذهب الاحمر منصوبًا وعليهِ شابّ حسن كالقمر وعليهِ خلعة سوداء بطرازات من الذهب الاصفر . وبين يديه انسان كانه الوزير جعفر . وعلى رأسه خادم واقف كانه مسرور وبيده سيف مشهور . ورأى عشرين نديمًا . فلما رأى الخليفة ذلك قال : يا جعفر . فقال : لبيك يا امير المؤمنين · قال : لعلَّ هذا واحد من اولادي إمَّا المأمون وامَّا الامين · ثم تامل الشاب وهو جالس على الكرسي فرآه كامل الحسن والجمال. والقدّ والاعتدال · فلما تامله التفت الى الوزير وقال : يا وزير . قال : لبيك . قال : والله ان هذا الجالس لم يترك شيئًا من شكل الخليفة والذي بين يديه كانه انت يا جعفر . والخادم الذي واقف على رأسه

كانه مسرور . وهؤلاء الندماء كانهم ندمائي . وقد حار عقلي . والله اني تعجبت من هذا الامر يا جعفر

(الليلة السابعة والثمانون بعد المائتين) . فقال لهُ جعفر : وانا والله يا امير المؤمنين . ثم ذهب الزورق حتى غاب عن العين . فعند ذلك خرج الشيخ بزورقه وقال : الحمد لله على السلامة حيث لم يصادفنا احد . فقال الخليفة : يا شيخ وهل الخليفة في كل ليلة ينزل دجلة . قال : نعم يا سيدي ولهُ على هذه الحالة سنة كاملة . فقال : يا شيخ نشتهي من فضلك ان تقف لنا هنا الليلة القابلة ونحن نعطيك خمسة دنانير ذهباً فاننا قوم غرباء وقصدنا النزهة ونحن نازلون في الخندق . فقال لهُ الشيخ : حبا وكرامةً

ثم ان الخليفة وجعفر ومسرورًا توجهوا من عند الشيخ الى القصر وخلعوا ما كان عليهم من لبس التجار ولبسوا ثياب الملك وجلس كل واحد في مرتبته ودخل الامراء والوزراء والحجّاب والنواب وانعقد المجلس بالناس . فلما انقضى النهار تفرّقت اجناس الناس وراح كل احد الى حال سبيله قال الخليفة هارون الرشيد : يا جعفر انهض بنا للفرجة على الخليفة الثاني . فضحك جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا يشقون وهم في غاية الانشراح وكان خروجهم من باب السرّ . فلما وصلوا الى دجلة وجدوا الشيخ صاحب الزورق قاعدًا لهم في الانتظار . فنزلوا عنده في المركب . فما استقرّ بهم الجلوس مع الشيخ ساعة حتى جاء زورق الخليفة الثاني واقبل عليهم . فالتفتوا اليهِ فرأوا فيهِ مائتي مملوك غير المماليك الاول والمشاعلية ينادون على عادتهم . فقال الخليفة : يا وزير هذا شيء لو سمعتُ بهِ ما كنت اصدقهُ ولكنني رأيت ذلك عيانًا . ثم ان الخليفة قال لصاحب الزورق الذي هم فيهِ : خذ يا شيخ هذه العشرة دنانير وسرْ بنا في محاذاتهم فانهم في النور ونحن في الظلام

فننظرهم ونتفرَّج عليهم وهم لا ينظروننا. فأخذ الشيخ العشرة الدنانير ومشى بزورقه في محاذاتهم وسار في ظلام زورقهم

(الليلة الثامنة والثانون بعد المائتين) • وما زالوا سائرين في ظلام الزورق الى البساتين في محاذاتهم . فلما وصلوا الى البساتين رأوا زربية . فرسى عليها الزورق واذا بغلمان واقفين ومعهم بغلة مُسرجة ملجمة . فطلع الخليفة الثاني وركب البغلة وسار بين الندماء وصاحت المشاعلية واشتغلت الغاشية بشأن الخليفة الثاني . فطلع هارون الرشيد هو وجعفر ومسرور الى البرّ وشقوا بين المماليك وساروا قدامهم . فلاحت من المشاعلية التفاتة فرأوا ثلثة اشخاص لبسهم لبس تجار وهم غرباء الديار فانكروا عليهم وغمزوا عليهم واحضروهم بين يدي الخليفة الثاني • فلما نظرهم قال لهم : كيف وصلتم الى هذا المكان وما الذي جاء بكم في هذا الوقت . فقالوا : يا مولانا نحن قوم من التجار • غرباء الديار . وقدمنا في هذا اليوم وخرجنا نتمشى الليلة واذا بكم قد اقبلتم . فجاء هؤلاء وقبضوا علينا وأوقفونا بين يديك وهذا خبرنا . فقال الخليفة الثاني : لا بأس عليكم لانكم قوم غرباء ولو كنتم من بغداد ضربت اعناقكم . ثم التفت الى وزيره وقال لهُ : خذ هؤلاء صحبتك فانهم ضيوفنا في هذه الليلة . فقال : سمعاً وطاعةً لك يا مولانا . ثم ساروا معهُ الى ان وصلوا الى قصرٍ عالٍ عظيم الشان . محكم البنيان . ما حواه ملك ولا سلطان . قام من التراب • وتعلق باكناف السحاب • وبابه من خشب الساج . مرصع بالذهب الوهَّاج • يصل منهُ الداخل الى ايوان . بفسقية وشاذروان . وبُسط ومخدّات • ومن الديباج نمارق وطوالات . وهناك ستر مسبول • وفرش يذهل العقول . ويعجز من يقول . وعلى الباب مكتوب هذان البيتان :

قصرٌ عليهِ تحيةٌ وسلامُ   خلعت عليهِ جمالها الايامُ

فيهِ العجائب والغرائب نُوّعت فتحيرت في فنها الاقلامُ

ثم دخل الخليفة الثاني والجماعة صحبته الى ان جلس على كرسي من الذهب مرصع بالجواهر وعلى الكرسي سجادة من الحرير الاصفر . وقد جلست الندماء ووقف سيف النقمة بين يديه . فمدُّوا السماط وأكلوا . ورُفعت الاواني وغُسلت الايادي وأحضروا آلة المدام واصطفت القناني والكاسات ودار الدور الى ان وصل الى الخليفة هارون الرشيد فامتنع من الشراب . فقال الخليفة الثاني لجعفر : ما بال صاحبك لا يشرب . فقال: يا مولاي ان لهُ مدَّة ما شرب من هذا . فقال الخليفة الثاني: عندي مشروب غير هذا يصلح لصاحبك وهو من شراب التفَّاح . ثم أمر بهِ فأحضروه في الحال. فتقدم الخليفة الثاني بين يدي هارون الرشيد وقال لهُ : كلما وصل اليك الدور فاشرب من هذا الشراب . وما زالوا في انشراح . وتعاطي اقداح الراح الى ان تمكن الشراب من رؤُوسهم واستولى على عقولهم . فقال الخليفة هارون الرشيد لوزيره: يا جعفر والله ما عندنا آنية مثل هذه الآنية . فياليت شعري ما شأن هذا الشابّ

(الليلة التاسعة والثمانون بعد المائتين) . فبينما هما يتحدثان سرًّا اذ لاحت من الشابّ التفاتة فوجد الوزير يسارّ الخليفة . فقال: ان المسارَّة عربدَة . فقال الوزير: ما ثَمَّ عربدَة . الَّا ان رفيقي هذا يقول : اني سافرت الى غالب البلاد ونادمت اكابر الملوك وعاشرت الاجناد فما رأيت احسن من هذا النظام ولا ابهج من هذه الليلة . غير ان اهل بغداد يقولون : الشراب بلا سماع . ربما اورث الصداع . فلما سمع الخليفة الثاني ذلك الكلام تبسَّم وانشرح . وكان في يده قضيب فضرب بهِ على مدورة . واذا بباب فتح وخرج منهُ خادم يحمل كرسيًا من العاج . مصفحًا بالذهب الوهَّاج . وخلفه جارية بارعة في الحسن والجمال . والبهاء والكمال .

فنصب الخادم الكرسي وجلست عليهِ الجارية . وهي كالشمس الضاحية . في السماء الصاحية . وبيدها عود . عمل صنَّاع الهنود . فوضعتهُ في حجرها وانحنت عليهِ انحناء الوالدة على ولدها . وغنَّت عليه بعد ان طربت وقلبت اربعاً وعشرين طريقة حتى اذهلت العقول . ثم عادت الى طريقتها الاولى واطربت بالنغمات . وانشدت هذين البيتين :

لسان الهوى في مهجتي لك ناطقُ يخبر عني انني لك عاشقُ
وما كنت ادري قبل حبك ما الهوى ولكن قضاء الله في الخلق سابقُ

فلما سمع الخليفة الثاني هـذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشقَّ الثوب الذي كان عليهِ الى الذيل . فأُسبلت عليه الستارة واتوه بثوب آخر احسن منهُ فلبسهُ ثم جلس على عادته . فلما وصل اليهِ القدح ضرب بالقضيب على المدورة واذا بباب قد فُتح وخرج منهُ خادم يحمل كرسيًا من الذهب وخلفه جارية احسن من الجارية الاولى . فجلست على ذلك الكرسي وبيدها عود . يكمد قلب الحسود . فغنَّت عليهِ بهذين البيتين :

كيف اصطباري ونار الشوق في كبدي والدمع من مقلتي طوفانهُ أبدي
والله ما طـاب لي عيشٌ أُسرُّ بهِ فـكيف يفرح قلبٌ حشوه كمدي

فلما سمع الشابُّ هذا الشعر صرخ صرخةً عظيمة وشقَّ ما عليهِ من الثيـاب الى الذيل وانسبلت عليهِ الستارة . واتوه ببدلة اخرى فلبسها واستوى جالساً ورجع الى حالته الاولى وانبسط في الكلام . فلما وصل القدح اليه ضرب على المدورة . فخرج خادم ووراءه جارية احسن من التي قبلها ومعهُ كرسيٌّ . فجلست الجارية على الكرسي وبيدها عود فغنت عليهِ بهذين البيتين :

أقصروا هجركم أقلُّوا جفاكم ففؤادي وحقكم ما سلاكم

يا بدوراً محلهم في فؤادي كيف اختارُ في الانام سواكم

فلما سمع الشاب هذه الابيات صرخ صرخةً عظيمة وشقَّ ما كان عليه من الثياب . فأرخوا عليهِ الستارة وأتوه بثياب غيرها . ثم عاد الى حالته مع ندمانه ودارت الاقداح . فلما وصل القدح اليه ضرب على المدورة فانفتح البـاب وخرج منهُ غلام ومعهُ كرسي وخلفهُ جارية فنصب لهـا الكرسي وجلست عليهِ واخذت العود واصلحتهُ وغنَّت عليهِ بهذه الابيات :

حتى متى يمضي التهاجر والقلى ويعود لي ما قد مضى لي اوَّلا

من أمس كنَّا والديار تلمُّنـا في أُنسنـا ونرى الحواسد غُفَّلا

غدَر الزمان بنـا وفرَّق شملنـا من بعد ما ترك المنازل كالخلا

اتروم مني يا عذولي سـلوةً وأرى فؤادي لا يطيعُ العذَّلا

فدع المـلام وخلِّني بصبابتي فالقلب من أُنس الاحبَّة ما خلا

ياسادةً نقضوا العهود وبدَّلوا لا تحسبوا قلبي ببعـدكم سـلا

(الليلة الموفية للتسعين بعـد المائتين) . فلما سمع الخليفـة الثاني انشاد الجارية صرخ صرخةً عظيمة وشقَّ ما عليهِ من الثياب وخرَّ مغشيا عليهِ . فارادوا ان يرخوا عليهِ الستارة بحسب العادة فتوقفت حبالها . فلاحت من هارون الرشيد التفاتة اليهِ فنظر على بدنه آثار ضرب مقارع . فقال الرشيد بعد النظر والتأكيد : يا جعفر والله انهُ شاب مليح . الَّا انهُ لصٌّ قبيح . فقال جعفر : من اين عرفت ذلك يا امير المؤمنين . فقال : أما رأيت ما على جنبيه من اثر السياط . ثم اسبلوا عليهِ الستارة واتوه ببدلة غير التي كانت عليهِ فلبسها واستوى جالساً على حالته الاولى مع الندماء . فلاحت منهُ التفاتة فوجد الخليفة وجعفر يتحدثان سرًّا . فقال لهما : ما الخبر يا فتيان . فقال جعفر : يا مولانا خير . غير انهُ لا خفاء عليك ان رفيقي هذا

من التجار. وقد سافر الى جميع الامصار والاقطار. وصحب الملوك والاخيار . وهو يقول لي: ان الذي حصل من مولانا الخليفة في هـذه الليلة اسراف عظيم ولم أرَ احدًا فعل مثـل فعله في سائر الاقاليم لانهُ شقّ كذا وكذا بدلة كل بدلة بالف دينار وهذا اسراف زائد . فقال الخليفة الثاني : يا هذا ان المال مالي والقماش قماشي . وهذا من بعض الانعام على الخدّام والحواشي. فان كل بدلة شققتها لواحد من الندماء الحضّار. وقد رسمت لهم مع كل بدلة بخمسمائة دينـار . فقال الوزير جعفر: نعمَ ما فعلت يا مولانا. ثم انشد هذين البيتين :

بنتِ المكارم وسط كفك منزلاً وجعلتَ مالك للانام مبـاحا

فاذا المكارم أُغلقت ابوابهـا كانت يداك لقفلهـا مفتاحا

فلما سمع الشاب هذا الشعر من الوزير جعفر رسم لهُ بالف دينار وبدلة. ثم دارت بينهم الاقداح. وطاب لهم الراح. فقال الرشيد: يا جعفر اسألهُ عن الضرب الذي على جنبيه حتى تنظر ما يقول في جوابه. فقال: لا تعجـل يا مولانا وترفّق بنفسك فان الصبر اجمل. فقال: وحيـاة رأسي وتربة العبّاس. ان لم تسألهُ لاخمدنّ منك الانفاس . فعنـد ذلك التفت الشابّ الى الوزير وقال لهُ : ما لك مع رفيقك تتسارّان فأخبرني بشأنكما. فقال: خير . فقـال الشابّ: سألتك بالله ان تخبرني بخبركما ولا تكتم عني شيئًا من امركما. فقال: يا مولاي انهُ ابصر على جنبيك ضربًا واثر سياط ومقارع فتعجب من ذلك غاية العجب وقال: كيف يُضرَب الخليفة . وقصده ان يعلم ما السبب . فلما سمع الشابّ ذلك تبسم وقال : اعلموا ان حديثي غريب . وامري عجيب . لو كتب بالابر . على آماق البصر . لكان عبرة لمن اعتبر. ثم صعد الزفرات. وانشد هذه الابيات :

حديثي عجيبٌ فاق كل العجـائبِ وحقّ الهوى ضاقت عليَّ مذاهبي

فان شئتمُ ان تسمعــوا لي فأنصتوا ويسكت هذا الجمعُ من كل جانبِ
وأصغوا الى قولي ففيهِ اشارةٌ وانَّ كلامي صادقٌ غير كاذبِ
وقد حسَّ قلبي انَّ فيكم إمامنا خليفة هذا الوقت وابن الاطائبِ
وثانيكمُ وهــو المنــادى بجعفرٍ لديهِ وزيرٌ صاحبٌ وابن صاحبِ
وثالثكم مسرور سيَّاف نقمــةٍ فان كان هذا القول ليس بكاذبِ
فقد نلت ما ارجو من الامر كلهِ وجاء سرور القلب من كل جانبِ

فلما سمعوا منهُ هذا الكلام حلف لهُ جعفر وورَّى في يمينــه انهم لم يكونوا المذكورين . فضحك الشابّ وقــال : اعلموا يا سادتي اني لست امير المؤمنين وانما سمَّيت نفسي بهذا الاسم . وان اسمي محمد علي بن علي الجوهري . وكان ابي من الاعيان فمــات وخلف لي مالاً كثيرًا من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان وياقوت وزبرجد وجواهر وعقارات وحمَّامات وغيطان وبساتين ودكاكين وطواحين وعبيد وجوارٍ وغلمان . فاتفق في بعض الايام انني كنت جالساً في دكاني وحولي الخــدم والحشم واذا بجارية قد اقبلت راكبة على بغلة وفي خدمتهــا ثلث جوار كانهنَّ الاقمــار . فلما قربت مني نزلت على دكاني وجلست عندي وقالت لي : هل أنت محمد الجوهري . فقلت لها : نعم هو انا مملوككِ وعبدكِ . فقالت : هل عندكَ عقد جوهر يصلح لي . فقلت : يا سيدتي الذي عنــدي اعرضهُ عليكِ واحضرهُ بين يديكِ . فان اعجبكِ منهُ شيء كان بسعد المملوك . وان لم يعجبكِ شيء فبسوء حظي . وكان عندي مائة عقد من الجوهر فعرضت عليهــا الجميع . فلم يعجبهــا شيء من ذلك وقالت : اريد احسن مما رأيت . وكان عندي عقد صغير اشتراه والدي بمائة الف دينــار . ولم يوجد مثله عند احد من السلاطين الكبار . فقلت لها : يا سيدتي بقي عندي عقد الفصوص والجواهر .

الذي لا يملك مثله احد من الاكابر والاصاغر . فقالت لي : أرني اياه . فلما رأتهُ قالت : هذا مطلوبي وهو الذي طول عمري اتمنّاه . ثم قالت لي : كم ثمنهُ . فقلت لها : ثمنهُ على والدي مائة الف دينار . فقالت : ولك خمسة آلاف دينار فائدة . فقلت : يا سيدتي العقد وصاحبهُ بين يديكِ ولا خلاف عندي . فقالت : لا بدَّ من الفائدة . ولك المنة الزائدة . ثم قامت من وقتها وركبت البغلة بسرعة وقالت لي : يا سيدي بسم الله تفضل صحبتنا لتأخذ الثمن . فان نهارك اليوم بنا مثل اللبن . فقمت وقفلت الدكان . وسرت معها في امان . الى ان وصلنا الى الدار . فوجدتها داراً عليها آثار السعادة لائحة وبابها مزركش بالذهب والفضة واللازورد . ومكتوب عليهِ هذان البيتان :

ألا يا دار لا يدخلكِ حزنٌ ولا يغدر بصاحبكِ الزمانُ
فنعمَ الدار انتِ لكل ضيفٍ اذا ما ضاق بالضيف المكانُ

فنزلت الجارية ودخلت الدار وأمرتني بالجلوس على مصطبة الباب الى ان يأتي الصيرفي . فجلست على باب الدار ساعة . واذا بجارية خرجت اليَّ وقالت لي : يا سيدي ادخل الدهليز فان جلوسك على الباب قبيح . فقمت ودخلت الدهليز وجلست على الدكَّة . فبينما انا جالس واذا بجارية خرجت وقالت لي : يا سيدي ان سيدتي تقول لك ادخل واجلس على باب الايوان حتى تقبض مالك . فقمت ودخلت البيت وجلست لحظةً واذا بكرسي من الذهب وعليهِ ستارة من الحرير . واذا بتلك الستارة قد رُفعت فبان من تحتها تلك الجارية التي اشترت مني ذلك العقد . وقد اسفرت عن وجه كأنهُ دائرة القمر والعقد في عنقها

(الليلة الحادية والتسعون بعد المائتين) . فلما رأتني قامت من فوق الكرسي وسعت الى نحوي وقالت لي : اني لست مجهولة في البلد . أتعلم من انا .

فقلت : لا والله يا سيدتي . فقالت : انا السيدة دنيا بنت يحيي بن خالد البرمكي واخي جعفر وزير الخليفــة . فلما سمعت ذلك منها قلت لهـا : يا سيدتي ما لي ذنب في الدخول الى بيتكِ انتِ التي ادخلتني . فقــالت : لا بأس عليك ولا بدَّ من بلوغك المراد بما يرضي الله . فان امري بيدي والقــاضي وليّ عقدي . والقصد ان اكون لك اهلًا وتكون لي بعلًا . ثم انها دعت بالقاضي والشهود . وبذلت المجهود . فلما حضروا قالت لهم : محمد علي بن علي الجوهري قد طلب زواجي ودفع لي هذا العقد في مهري وانا قبلت ورضيت . فكتبوا كتابها عليَّ . واحضرت آلات الراح . ودارت الاقداح . باحسن نظام. واتمّ احكام . ولمــا شعشعت الخمرة في رؤوسنــا امرت جارية عوّادة ان تغني . فأخذت العــود واطربت بالنغمات . وانشدت هذه الابيات :

نبيُّ جمــالٍ كل ما فيهِ معجزٌ   من الحسن لكن وجههُ الآية الكبرى
اقام بلال الخال في صحن خدّهِ   يراقب من لألاءِ غرّتهِ الفجرا
يريد سلوّي العاذلون جهــالةً   وما كنت ارضى بعد ايمانيَ الكفرا

فاطربت الجارية بما ابدته من نغمات الاوتار . ورقيق الاشعــار . ولم تزل الجواري تغني جارية بعد جارية وينشدنَ الاشعار الى ان غنّت عشر جوار

(الليلة الثانية والتسعون بعد المائتين) . ثم اقمت عندهــا شهرًا كاملًا وقد تركت الدكان . والاهل والاوطــان . فقالت لي يومًا من الايام : يا نور عيني يا سيدي محمد اني قد عزمت اليوم على المسير الى الحمام فاستقرّ انت على هــذا السرير ولا تنتقل من مكانك الى ان ارجع اليك وحلفتني على ذلك . فقلت لها : سمعًا وطاعةً . ثم انهــا حلفتني اني لا انتقل من موضعي . وأخذت جواريهــا وذهبت الى الحمام . فوالله يا اخواني انها ما وصلت الى رأس الزقاق

الّا والباب قد فُتح ودخلت منهُ عجوز وقالت : يا سيدي محمد ان السيدة زبيدة تدعوك فانها سمعت بأدبك وظرفك وحسن غنائك . فقلت لهــا : والله ما اقوم من مكاني حتى تأتي السيدة دنيا . فقــالت العجوز : يا سيدي لا تخلِّ السيدة زبيــدة تغضب عليك وتبقى عدوّتك فقم كلمها وارجع الى مكانك . فقمت من وقتي وتوجهت اليها والعجوز امامي الى ان اوصلتني الى السيدة زبيدة

فلما وصلت اليها قالت لي : يا نور العين هــل انت زوج السيدة دنيا . فقلت : انا مملوكك وعبدكِ . فقالت : صدق الذي وصفك بالحسن والجمال . والادب والكمال . فانك فوق الوصف والمقــال . ولكن غنِّ لي حتى اسمعك . فقلت لها : سمعاً وطاعة . فأتتني بعود فغنيت عليهِ شعرًا:

قلب المحب مع الاحباب متعوبُ وجسمهُ بيد الاسقام منهوبُ

فلما فرغتُ من الغناء قالت لي : اصحّ الله بدنك وطيب انفــاسك . فلقد كملتَ في الحسن والادب والغناء . فقم وامضِ الى مكانك قبل ان تجيء السيدة دنيا فلا تجــدك فتغضب عليك . فقبلت الارض بين يديهــا وخرجت والعجوز امامي الى ان وصلت الى الباب الذي خرجتُ منهُ فدخلت وجئت الى السرير فوجدتها قد جاءت من الحمام وهي نائمة على السرير . فلما احست بدخولي فتحت عيناها فرأتني . فجمعت رجليها ورفستني فرمتني من فوق السرير وقالت لي : يا خائن خنت اليمين وحنثت فيهِ ووعدتني انك لا تنتقــل من مكانك واخلفتَ الوعد وذهبت الى السيدة زبيدة . والله لولا خوفي من الفضيحة لهدمتُ قصرهــا على رأسها . ثم قالت لعبدها : يا صواب . قم اضرب رقبة هذا الخائن الكذّاب . فلا حاجة لنا بهِ . فتقدم العبد وشرط من ذيله رقعة وعصب بها عيني واراد ان يضرب عنقي

(الليلة الثالثة والتسعون بعد المائتين) . فقامت اليها الجواري الكبار والصغار وقلنَ لها : يا سيدتنا ليس هذا اول من اخطأ وهو لا يعرف خُلقكِ . وما فعل ذنباً يوجب القتل . فقالت : والله لا بدَّ ان اعمل فيهِ أثرًا . ثم أمرت بضربي . فضربوني على اضلاعي . وهذا الذي رأيتموه اثر ذلك الضرب . وبعد ذلك أمرتْ باخراجي . فأخرجوني وأبعدوني عن القصر ورموني . فحملتُ نفسي ومشيت قليلًا قليلًا حتى وصلت الى منزلي وأحضرتُ جرائحيا وأريته الضرب . فلاطفني وسعى في مداواتي

فلما شفيتُ ودخلت الحمام . وزالت عني الاوجاع والاسقام . جئت الى الدكان وأخذت جميع ما فيها وبعتهُ وجمعت ثمنهُ واشتريت لي اربعمائة مملوك . ما جمعهم احد من الملوك . وصار يركب معي منهم في كل يوم مائتان . وعملت هذا الزورق وصرفت عليهِ خمسة آلاف دينار من الذهب وسمّيت نفسي بالخليفة . ورتبت من معي من الخدم كل واحد في وظيفة واحدٍ من اتباع الخليفة وهيّأتهُ بهيئتهِ . وناديت : كل من تفرّج في دجلة . ضربت عنقهُ بلا مهلة . ولي على هذا الحال سنة كاملة وانا لم اسمع لها خبرًا ولم اقف بها على أثر . ثم انهُ بكى وافاض العبرات

فلما سمع هارون الرشيد كلامه . وعرف وجده ولوعته وغرامه . تدلّه ولهاً . وتحيّر عجبًا وقال : سبحان الذي جعل لكل شيء سبباً . ثم انهم استأذنوا من الشاب في الانصراف . فأذن لهم وأضمر لهُ الرشيد على الانصاف . وان يتحفهُ غاية الاتحاف . ثم انصرفوا من عنده سائرين . والى محل الخلافة متوجهين

فلما استقرَّ بهم الجلوس . وغيّروا ما عليهم من الملبوس . ولبسوا اثواب المواكب ووقف بين يديهم مسرور سيّاف النقمة قال الخليفة لجعفر : يا وزير عليَّ

بالشاب الذي كنّا عنده في الليلة الماضية . فقال : سمعاً وطاعةً

(الليلة الرابعة والتسعون بعد المائتين) . ثم ان جعفرًا توجه الى الشاب وسلم عليهِ وقال لهُ : أجب امير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد . فسار معهُ الى القصر وهو من الترسيم عليهِ في حصر . فلما دخل على الخليفة قبّل الارض بين يديه ودعا لهُ بدوام العزّ والاقبال . وبلوغ الآمال . ودوام النعم . وازالة البؤس والنقم . وقد احسن ما بهِ تكلم حيث قال : السلام عليك يا امير المؤمنين . وحامي حومة الدين . ثم انشد هذين البيتين :

لا زال بابك كعبةً مقصودةً وترابها فوق الجباه رسومُ
حتى ينادى في البلاد باسرها هذا المقام وانت ابراهيمُ

فتبسم الخليفة في وجههِ وردّ عليهِ السلام . والتفت اليهِ بعين الاكرام . وقرّبه لديه . واجلسهُ بين يديه وقال لهُ . يا محمد علي اريد منك ان تحدثني بما وقع لك في هذه الليلة فانهُ من العجائب . وبديع الغرائب . فقال الشابّ : العفو يا امير المؤمنين . اعطني منديل الامان ليسكن روعي ويطمئنّ قلبي . فقال لهُ الخليفة : لك الامان . من الخوف والاحزان . فشرع الشابّ يحدثهُ بالذي حصل لهُ من اوله الى آخره . فقال لهُ حينئذٍ الخليفة : اتحبّ ان اردّ عليك زوجتك . قال : هذا من فضل امير المؤمنين . ثم انشد هذين البيتين :

إلثم اناملهُ فلسنَ اناملًا لكنهنَّ مفاتحُ الارزاقِ
واشكر صنائعهُ فلسنَ صنائعًا لكنهنَّ قلائد الاعناقِ

فعند ذلك التفت الخليفة الى الوزير وقال لهُ : يا جعفر احضر لي اختك السيدة دنيا بنت الوزير يحيي بن خالد . فقال : سمعاً وطاعةً يا امير المؤمنين . ثم احضرها في الوقت والساعة . فلما تمثلت بين يديه قال لها الخليفة : اتعرفين

من هذا . قالت : يا امير المؤمنين من اين للنساء معرفة الرجال . فتبسم الخليفة وقال لها : يا دنيا هذا زوجكِ محمد علي بن الجوهري وقد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من اولها الى آخرها . وفهمنا ظاهرها وباطنها . والامر لا يخفى وان كان مستورًا . فقالت : يا امير المؤمنين كان ذلك في الكتاب مسطورًا . وانا استغفر الله العظيم مما جرى مني . واسألك من فضلك العفو عني . فضحك الخليفة هارون الرشيد واحضر القاضي والشهود وجدَّد عقدها على زوجها محمد علي بن الجوهري . وحصل لها ولهُ سعد السعود . واكماد الحسود . وجعلهُ من جملة ندمائه . واستمرُّوا في عيش وسرور . ولذَّة وحبور . الى ان اتاهم هادم اللذات . ومفرّق الجماعات

حكاية علي الاعجمي

حُكي ان هارون الرشيد قلق ليلة من الليالي فاستدعى بوزيره . فلما حضر بين يديه قال لهُ : يا جعفر اني قلقت الليلة قلقًا عظيمًا وضاق صدري . واريد منك شيئًا يسرّ خاطري وينشرح بهِ صدري . فقال لهُ جعفر : يا امير المؤمنين ان لي صديقًا اسمهُ علي الاعجمي وعنده من الحكايات والاخبار المطربة ما يسرّ النفوس . ويزيل عن القلب البؤس . فقال : عليَّ بهِ . فقال : سمعًا وطاعةً . ثم ان جعفرًا خرج من عند الخليفة في طلب الاعجمي وارسل اليهِ . فلما حضر قال لهُ : اجب الخليفة امير المؤمنين . فقال : سمعًا وطاعةً . ثم توجه معهُ الى الخليفة

(الليلة الخامسة والتسعون بعد المائتين) . فلما تمثل بين يديه اذن لهُ في الجلوس فجلس . فقال لهُ الخليفة : يا علي انهُ ضاق صدري في هذه الليلة . وقد سمعت عنك انك تحفظ حكايات واخبارًا . واريد منك ان تسمعني ما يزيل

همي ويصقل فكري . فقال : يا امير المؤمنين هل احدثك بالذي رأيتهُ بعيني او بالذي سمعتهُ باذني . فقال ان كنت رأيت شيئًا فاحكهِ . فقال : سمعاً وطاعةً

اعلم يا امير المؤمنين اني سافرتُ في بعض السنين من بلدي هــذه وهي مدينة بغداد وصحبتي غلام ومعــهُ جراب لطيف ودخلنــا مدينةً . فبينما انا ابيع واشتري واذا برجل كردي ظالم متعدٍ قد هجم عليَّ واخذ مني الجراب وقــال : هذا جرابي وكل ما فيهِ متــاعي . فقلت : يا معشر المسلمين . خلصوني من يد افجر الظالمين . فقال الناس جميعاً : اذهبا الى القاضي . واَقبــلا حكمهُ بالتراضي . فتوجهنا الى القاضي . وانا بحكمه راضي . فلما دخلنا عليه . وتمثلنا بين يديه . قال القــاضي : في اي شيء جئتما . وما قضية خبرِكما . فقلت : نحن خصمان اليك تداعينا . وبحكمك تراضينا . فقال : أُيكما المدَّعي . فتقدَّم الكردي وقال : أَيد الله مولانا القــاضي . ان هذا الجراب جرابي وكل ما فيه متاعي وقد ضاع مني ووجدته مع هذا الرجل . فقال القاضي : ومتى ضاع منك . فقال الكردي : من أمس هذا اليوم . وبتُّ لفقده بلا نوم . فقال القاضي : ان كنت عرفتهُ فصف لي ما فيه . فقــال الكردي : في جرابي هذا مِروَدان من لُجين . وفيه الكحل للعين . ومنديل لليــدين . ووضعت فيه شربتين مذهبتين . وشمعدانين . وهو مشتمل على بيتين . وطبقين . ومعلقتين . ومخدَّة ونطعين . وابريقين . وصينية وطشتين . وقدرة وزلعتين . ومغرفة ومسلّة ومزودين . وهرَّة وكلبتين . وقصعة وقعيدتين . وجبَّــة وفروتين . وبقرة وعجلين . وعنز وشــاتين . ونعجــة وسخلين . وصيوانين اخضرين . وجمل وناقتين . وجاموسة وثورين . ولبوَّة وسبعين . ودُبَّة وثعلبين . ومرتبة وسريرين . وقصر وقاعتين . ورواق ومقعدين . ومطبخ ببابين . وجمــاعة اكراد يشهدون ان الجراب جرابي . فقال القاضي : ما تقول انت يا هذا . فتقدمت

اليه يا امير المؤمنين وقد ابهتني الكردي بكلامه فقلت : اعزَّ الله مولانا القاضي انَّا ما في جرابي هـذا الَّا دويرة خراب . وأُخرى بلا باب . ومقصورة للكلاب . وفيه للصبيان كتاب . وشباب يلعبون بالكعاب . وفيه خيام واطناب . ومدينة البصرة وبغداد . وقصر شدَّاد بن عاد . وكور حدَّاد . وشبكة صيَّاد . وعصيّ واوتاد . وبنات واولاد . وألف قوَّاد يشهدون ان الجراب جرابي

فلما سمع الكردي هذا الكلام بكى وانتحب وقال : يا مولانا القـاضي ان جرابي هذا معروف . وكل ما فيه موصوف . في جرابي هـذا حصون وقلاع . وكراكي وسباع . ورجال يلعبون بالشطرنج والرقاع . وفي جرابي هذا حجرة ومهران . وفحل وحصانان . ورمحـان طويلان . وهو مشتمل على سبع وأرنبين . ومدينـة وقريتين . واعمى وبصيرين . واعرج وكسيحين . وقاضٍ وشاهدين . وهم يشهدون ان الجراب جرابي

(الليلة السادسة والتسعون بعد المائتين) . فقال القاضي : ما تقول يا علي . فامتلأت غيظاً يا امير المؤمنين وتقدمت اليه وقلت . أيد الله مولانا القاضي انَّ في جرابي هذا زرَد وصفاح . وخزائن سـلاح . وألف كبش نطَّاح . وفيه للغنم مراح . والف كلب نبَّاح . وبساتين وكروم . وازهـار ومشموم . وتين وتفَّاح . وصور وأشباح . وقناني وأقداح . وعرائس ملاح . ومغنيـات وافراح . وهرج وصياح . واقطار فساح . واخوة نجاح . ورفقة صباح . ومعهم سيوف ورماح . وقسيّ ونشاب . واصدقاء واحباب . وخلَّان واصحاب . ومحـابس للعقاب . وندماء للشراب . وطنبور ونايات . واعلام ورايات . وصبيان وبنات . وعرائس مجليَّات . وجوار مغنيات . وخمس حبشيات . وثلث هنديات . واربع مدنيَّات . وعشرون روميَّات . وخمسون تركيات . وسبعون عجميات . وثمانون كرديات .

وتسعون جرجيات . والدجلة والفرات . وشبكة صياد . وقداحة وزناد . وإرَم ذات العماد . وميادين واصطبلات . ومساجد وحمامات . وبنّاء ونجار . وخشبة ومسمار . وعبد اسود بزمار . ومقدّم وركبدار . ومدن وامصار . ومائة الف دينار . والكوفة مع الأنبار . وعشرون صندوقاً ملآنة بالقماش . وعشرون حاصلاً للمعاش . وغزّة وعسقلان . ومن دمياط الى اصوان . وايوان كسرى انوشروان . ومُلك سليمان . ومن وادي نعمان . الى ارض خراسان . وبلخ واصبهان . ومن الهند الى بلاد السودان . وفيهِ اطال الله عمر مولانا القاضي . غلائل وعراضي . وألف موسى ماضٍ . تحلق ذقن القاضي . ان لم يخش عقابي . ولم يحكم بان الجراب جرابي . فلما سمع القاضي كلامي تحير عقله من ذلك وقال : ما أراكما الّا شخصين نحسين . او رجلين زنديقين . تلعبان بالقضاة والحكام . ولا تخشيان من الملام . لانهُ ما وصف الواصفون . ولا سمع السامعون . باعجب مما وصفتما . ولا تكلم بمثل ما تكلمتما . والله ان من الصين الى شجرة ام غيلان . ومن بلاد فارس الى ارض السودان . ومن وادي نعمان الى ارض خراسان . لا يسع ما ذكرتماه . ولا يصدَّق ما ادعيتماه . فهل هذا الجراب بحر ليس لهُ قرار . او يوم العرض الذي يجمع الابرار والفجار . ثم ان القاضي أمر بفتح الجراب . ففتحهُ واذا فيهِ خبز وليمون . وجبن وزيتون . ثم رميت الجراب قدام الكردي ومضيت . فلما سمع الخليفة هذه الحكاية من علي الاعجمي استلقى على قفاه من الضحك واحسن جائزته

حكاية هارون الرشيد مع الامام ابي يوسف

حُكي ان جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلةً . فقال الرشيد : ياجعفر بلغني

انك اشتريت الجارية الفلانية ولي مدة اطلبها فبعها لي. فقال : لا ابيعها يا امير المؤمنين. فقال: هبها لي. فقال: لا اهبها. فقال الرشيد: زبيدة طالق ثلثاً ان لم تبعها لي او تهبها لي. قال جعفر : زوجتي طالق ثلثاً ان بعتها او وهبتها لك. ثم أفاقا من نشوتهما وعلما انهما وقعا في امرٍ عظيم وعجزا عن تدبير الحيلة . فقال الرشيد : هذه واقعة ليس لها غير ابي يوسف . فطلبوه وكان ذلك في نصف الليـــل . فلما جاء الرسول قام فزِعاً وقال في نفسه : ما طُلبت في هذا الوقت الّا لامرٍ حدث في الاسلام . ثم خرج مسرعاً وركب بغلته وقال لغلامه : خذ معك مخلاة البغلة لعلها لم تستوفِ عليقها . فاذا دخلنا دار الخلافة فضع لها المخلاة حتى تأكل ما بقي من عليقها الى حين خروجي . فقال الغلام : سمعاً وطاعةً

فلما دخل على الرشيد قام لهُ واجلسهُ على سريره بجانبه وكان لا يُجلس معهُ احدًا غيره وقال لهُ : ما طلبناك في هذا الوقت الّا لامرٍ مهمّ وهو كذا وكذا. وقد عجزنا في تدبير الحيلة . فقال : يا امير المؤمنين ان هذا الامر اسهل ما يكون عندي. ثم قال : يا جعفر . بع لامير المؤمنين نصفهـــا وهب لهُ نصفها وتبرّأن في يمينكما بذلك . فانسرّ امير المؤمنين بذلك وفعلا ما امرهما بهِ

(الليلة السابعة والتسعون بعد المائتين) . ثم قال الرشيد: اريد ان اتزوّج بالجارية في هذا الوقت. فقال ابو يوسف: ائتوني بمملوك من مماليك امير المؤمنين الذين لم يجرِ عليهم العتق . فاحضروا مملوكاً . فقـــال ابو يوسف : ائذن لي ان ازوّجها منهُ ثم يطلقها فيحـــلّ ان تهدى لك في هذا الوقت من غير استبراء . فأعجب الرشيد ذلك اكثر من الاول . فلما حضر المملوك قال الخليفـة للقاضي : اذنت لك في العقد . فأوجب القاضي الزواج . ثم قبلهُ المملوك . وبعد ذلك قال لهُ القاضي : طلّقها ولك مائة دينار . فقال : لا افعل . ولم يزل يزيده وهو يمتنع

الى ان عرض عليهِ الف دينار . ثم قال للقاضي : هل الطلاق بيدي ام بيدك ام بيد امير المؤمنين . قال : بل بيدك . قال : والله لا افعل ابدًا . فاشتدَّ غضب امير المؤمنين وقال : ما الحيلة يا ابا يوسف . قال القاضي : يا امير المؤمنين لا تجزع فان الامر هيّن . ملّك هذا المملوك للجارية . قال : ملّكته لها . قال لها القاضي : قولي قبلت . فقالت : قبلت . فقال القاضي : حكمتُ بينهما بالتفريق لانهُ دخل في ملكها فانفسخ الزواج . فقام امير المؤمنين على قدميه وقال : مثلك من يكون قاضيًا في زماني . واستدعى باطباق الذهب فأُفرغت بين يديهِ وقال للقاضي : هل معك شيء تضعهُ فيهِ . فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها . فملئت لهُ ذهبًا فأخذها وانصرف الى بيته . فلما اصبح قال لاصحابه : لا طريق الى الدين والدنيا اسهل واقرب من طريق العلم فاني أُعطيت هذا المال العظيم في مسألتين او ثلث . فانظر ايها المتأدّب الى لطف هذه الواقعة فانها اشتملت على محاسن منها دلال الوزير على الرشيد وعلم الخليفة وزيادة علم القاضي . فرحم الله تعالى ارواحهم اجمعين

حكاية خالد بن عبد الله القسري

حُكي ان خالدًا بن عبد الله القسري كان امير البصرة . فجاء اليهِ جماعة متعلقون بشاب ذي جمال باهر . وادب ظاهر . وعقل وافر . وهو حسن الصورة وعليهِ سكينة ووقار . فقدموه الى خالد . فسألهم عن قصته . فقالوا : هذا لص اصبناه البارحة في منزلنا . فنظر اليهِ خالد فأعجبهُ حسن هيئته ونظافته فقال : خلُّوا عنهُ . ثم دنا منه وسألهُ عن قصته . فقال : ان القوم صادقون فيما قالوه . والامر على ما ذكروا . فقال لهُ خالد : ما حملك على ذلك وانت في هيئة جميلة

وصورة حسنة. قال : حملني على ذلك الطمع في الدنيا وقضاء الله سبحانهُ وتعالى. فقال لهُ خالد : ثكلتك امك اما كان لك في جمال وجهك وكمال عقلك وحسن ادبك زاجر يزجرك عن السرقة . قال : دع عنك هذا ايها الامير وامضِ الى ما أمر الله تعالى بهِ . فذلك بما كسبتْ يداي وما الله بظلَّام للعبيد . فسكت خالد ساعة يفكر في أمر الفتى ثم ادناه منهُ وقال لهُ : ان اعترافك على رؤوس الاشهاد قد رابني وانا ما اظنُّك سارقًا ولعلَّ لك قصة غير السرقة فأخبرني بها . قال : ايها الامير لا يقع في نفسك شيء سوى ما اعترفت بهِ عندك وليس لي قصة اشرحها الّا اني دخلت دار هؤلاء فسرقت ما امكنني فادركوني وأخذوهُ مني وحملوني اليك. فأمر خالد بحبسه وأمر مناديًا ينادي بالبصرة: ألا مَن احبَّ ان ينظر الى عقوبة فلان اللصّ وقطع يده فليحضر من الغداة الى المحل الفلاني . فلما استقرّ الفتى في الحبس ووضعوا في رجليه الحديد تنفَّس الصعداء وافاض العبرات . وانشد هذه الابيات:

هدَّدني خالدٌ بقطع يدي   اذ لم أُبح عنده بقصتها
فقلت هيهات ان ابوح بما   تضمَّن القلب من محبتها
قطعُ يدي بالذي اعترفتُ بهِ   أهوَن للقلب من فضيحتها

فسمع ذلك الموكلون بهِ فأتوا خالدًا واخبروه بما حصل منهُ . فلما جنَّ الليل أمر باحضاره عنده . فلما حضر استنطقهُ فرآهُ عاقلًا اديبًا فطنًا ظريفًا لبيبًا . فأمر لهُ بطعام . فأكل وتحدَّث معهُ ساعة. ثم قال لهُ خالد : قد علمت ان لك قصة غير السرقة . فاذا كان الصباح وحضر الناس وحضر القاضي وسألك عن السرقة فانكرها واذكر ما يدرأُ عنك حد القطع . فقد قال الرسول (صلعم) : ادرأوا الحدود بالشبهات . ثم أمر بهِ الى السجن فمكث فيه ليلهُ

(الليلة الثامنة والتسعون بعد المائتين) . فلما اصبح الصباح حضرت الناس ينظرون قطع يد الشاب ولم يبقَ احد في البصرة من رجل ولا امرأة الّا وقد حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى . وركب خالد ومعهُ وجوه اهل البصرة وغيرهم . ثم استدعى بالقضاة وأمر باحضار الفتى . فأقبل يحجل في قيوده . ولم يرهُ احد من الناس الّا بكى عليه . وارتفعت اصوات النساء بالنحيب . فأمر القاضي بتسكيت النساء . ثم قال لهُ : ان هؤلاء القوم يزعمون انك دخلت دارهم وسرقت مالهم . لعلك سرقت دون النصاب . قال : بل سرقت نصاباً كاملًا . قال : لعلك شريك القوم في شيء منه . قال : بل هو جميعهُ لهم لا حقّ لي فيه . فغضب خالد وقام اليه بنفسه وضربهُ على وجهه بالسوط وقال متمثلًا بهذا البيت :

يُريد المرء ان يُعطى مناهُ ويأبى الله الّا ما يريدُ

ثم دعا بالجزّار ليقطع يده . فحضر وأخرج السكين ومدَّ يده ووضع عليها السكين . فبادرت جارية من وسط النساء عليها اطمار وسخة . فصرخت ورمت بنفسها عليهِ . ثم اسفرت عن وجهٍ كانهُ القمر . وارتفع للناس ضجة عظيمة وكاد ان يقع بسبب ذلك فتنة طائرة الشرر . ثم نادت تلك الجارية بأعلى صوتها : ناشدتك الله ايها الامير لا تعجل بالقطع حتى تعرف حقيقة الامر . فلما سمع خالد هذا الكلام تنحى وانفرد عن الناس وأحضر المرأة . ثم سألها عن القصة . فأخبرتهُ ان هذا الفتى أحبَّ ان يكون لها بعلًا . ولما اراد زيارتها توجه الى دار اهلها ورمى حجرًا في الدار ليعلمها بمجيئه ويكلمها في أمر الخطبة من غير علمهم . فسمع ابوها واخوتها صوت الحجر فصعدوا اليه . فلما احسَّ بهم جمع قماش البيت كلهُ وأراهم انهُ سارق . سترًا على تلك الجارية لئلا يعنفها اهلها . فلما رأوه على هذه الحالة أخذوهُ وقالوا سارق وأتوا به اليك . فاعترف بالسرقة وأصرَّ على ذلك حتى لا يفضحني وقد ارتكب

هذه الامور من رمي نفسه بالسرقة لفرط مروءته وكرم نفسه . فقـال خالد : انهُ لخليق بان يُسعف بمراده . ثم استدعى الفتى اليهِ فقبّلهُ بين عينيه وأمر باحضار ابي الجارية وقال لهُ : يا شيخ انَّا كنَّا عزمنا على انفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع ولكن الله عزّ وجلّ قد حفظني من ذلك وقد أمرت لهُ بعشرة آلاف درهم لبذله يده حفظاً لعرضك وعرض بنتك وصيانتكما من العار. وقد أمرت لابنتك بعشرة آلاف درهم حيث اخبرتني بحقيقة الامر . وانا اسألك ان تأذن لي في تزويجها منهُ

(الليلة التاسعة والتسعون بعد المائتين) . فقال الشيخ : ايهـا الامير قد أذنتُ لك في ذلك . فحمد الله خالد واثنى عليه وخطب خطبة حسنة وقال للفتى : قد زوَّجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة باذنها ورضائها واذن ابيها على هذا المال وقدرهُ عشرة آلاف درهم . فقال الفتى : قبلتُ منك هذا التزويج. ثم ان خالدًا أمر بحمل المال الى دار الفتى مزفوفاً في الصواني . وانصرف الناس وهم مسرورون. فما رأيت يوماً اعجب من ذلك اليوم اوَّلهُ بكاء وشرور . وآخره فرح وسرور

حكاية كرم جعفر البرمكي مع بائع الفول

حُكي ان جعفرًا البرمكي لما صلبهُ هارون الرشيد أمر بصلب كل من نعاه او رثاه . فكفَّ النـاس عن ذلك . فاتفق ان اعرابيًّا كان ببادية بعيدة وفي كل سنة يأتي بقصيدة الى جعفر البرمكي المذكور فيعطيه الف دينـار جائزة على تلك القصيدة. فيأخذها وينصرف ويستمرّ ينفق منها على عياله الى آخر العـام . فجاءه ذلك الاعرابي بالقصيدة على عادته . فلما جاء وجد جعفر مصلوبًا . فجاء الى المحل الذي هو مصلوب فيهِ وأناخ راحلتهُ وبكى بكاء شديدًا وحزن حزنًا عظيمًا وانشد القصيدة ونام . فرأى جعفرًا البرمكي في المنـام يقول له : انك قد انعبت نفسك

وجئتنا فوجدتنا على ما رأيت . ولكن توجَّه الى البصرة واسأل عن رجل اسمهُ كذا وكذا من تجار البصرة وقل لهُ : ان جعفرًا البرمكي يُقرئك السلام ويقول لك : اعطني الف دينار بإمارة الفولة . فلما انتبه الاعرابي من نومه توجه الى البصرة فسأل عن ذلك التاجر واجتمع بهِ وبلَّغهُ ما قالهُ جعفر في المنام . فبكى التاجر بكاء شديدًا حتى كاد يفارق الدنيا . ثم انه اكرم الاعرابي واجلسهُ عنده وأحسن مثواه ومكث عنده ثلثة ايام مكرَّمًا . ولما اراد الانصراف اعطاه الفًا وخمسمائة دينار وقال لهُ : الالف هي المأمور لك بها والخمسمائة اكرام مني اليك ولك في كل سنة الف دينار . وعند ما حان انصراف الاعرابي قال للتاجر : بالله عليك ان تخبرني بخبر الفولة حتى اعرف اصلها . فقال لهُ : اني كنت في ابتداء الامر فقير الحال اطوف بالفول الحارّ في شوارع بغداد وابيعهُ حيلة على المعاش . فخرجت في يوم بارد ماطر وليس على بدني ما يقيني من البرد . فتارةً ارتعد من شدة البرد . وتارة اقع في ماء المطر . وانا في حالة كريهة تتقشعرّ منها الجلود . وكان جعفر في ذلك اليوم جالسًا في قصر مشرف على الشارع وعنده خواصه . فوقع نظره عليَّ فرقَّ لحالي وارسل اليَّ بعض اتباعه فأخذني اليه وادخلني عليه . فلما رآني قال لي : بع ما معك من الفول على طائفتي . فأخذت اكيله بمكيال كان معي . فكل من أخذ كيلة فول يملأُها ذهبًا . حتى فرغ جميع ما معي ولم يبقَ في القفة شيء . ثم جمعت الذهب الذي حصل لي على بعضه . فقال لي : هل بقي معك شيء من الفول . قلت : لا ادري . ثم فتشت القفة فلم أجد فيها سوى فولة واحدة . فأخذها مني جعفر وفلقها نصفين . فأخذ نصفها واعطى النصف الثاني لاحدى نسائهِ وقال : بكم تشترين نصف هذه الفولة . فقالت : بقدر هذا الذهب مرَّتين . فصرت متحيرًا في امري وقلت في نفسي : هذا محال . فبينما انا متعجب واذا

بالامرأة أمرت بعض جواريها فاحضرت ذهباً قدر الذهب المجتمع مرَّتين . فقال جعفر : وانا اشتري النصف الذي اخذته بقدر الجميع مرَّتين . ثم قال لي جعفر : خذ ثمن فولك . وأمر بعض خدّامه فجمع المال كلهُ ووضعهُ في قفتي فاخذته وانصرفت . ثم جئت الى البصرة واتَّجرت بما معي من المال فوسَّع الله عليَّ ولله الحمد والمنة . فاذا اعطيتك في كل سنة الف دينار من بعض احسان جعفر ما ضرَّني شيء . فانظر مكارم اخلاق جعفر والثناء عليهِ حيًّا وميتاً . رحمة الله تعالى عليهِ

حكاية هارون الرشيد مع ابي محمد الكسلان

حُكي ان هارون الرشيد كان جالساً ذات يوم في تخت الخلافة اذ دخل عليهِ غلام من الطواشية ومعهُ تاج من الذهب الاحمر . مرصَّع بالدرّ والجوهر . وفيهِ من سائر اليواقيت والجواهر ما لا يفي بهِ مال

(الليلة الموفية للثلثمائة) . ثم ان ذلك الخادم قبَّل الارض بين يدي الخليفة وقال لهُ : يا امير المؤمنين ان السيدة زبيدة تقبّل الارض بين يديك وتقول لك : انت تعرف انها قد عملت هذا التاج وانه محتاج الى جوهرة كبيرة تكون في رأسه وفتشت ذخائرها فلم تجد فيها جوهرة كبيرة على غرضها . فقال الخليفة للحجَّاب والنوَّاب : فتشوا على جوهرة كبيرة على غرض زبيدة . ففتشوا فلم يجدوا شيئاً مما يوافقها فاعلموا الخليفة بذلك . فضاق صدره وقال : كيف اكون خليفة وملك ملوك الارض واعجز عن جوهرة . ويلكم فاسألوا التجار . فسألوا التجار . فقالوا لهم : لا يجد مولانا الخليفة تلك الجوهرة الّا عند رجل بالبصرة يسمى ابا محمد الكسلان . فاخبروا الخليفة بذلك . فامر وزيره جعفر ان يرسل بطاقة الى

الامير محمد الزبيدي المتولّي على البصرة ان يجهز ابا محمد الكسلان ويحضر به بين يدي امير المؤمنين. فكتب الوزير بطاقة بمضمون ذلك وارسلها مع مسرور. ثم توجه مسرور بالبطاقة الى مدينة البصرة ودخل على الامير محمد الزبيدي. ففرح به واكرمهُ غاية الاكرام. ثم قرأ عليهِ بطاقة امير المؤمنين هارون الرشيد. فقال: سمعاً وطاعةً. ثم ارسل مسروراً مع جماعة من اتباعه الى ابي محمد الكسلان. فتوجهوا اليه وطرقوا عليه الباب. فخرج لهم بعض الغلمان. فقال لهُ مسرور: قل لسيدك ان امير المؤمنين يطلبك. فدخل الغلام واخبره بذلك. فخرج فوجد مسروراً حاجب الخليفة ومعهُ اتباع الامير محمد الزبيدي. فقبّل الارض بين يديه وقال: سمعاً وطاعةً لامير المؤمنين ولكن ادخلوا عندنا. فقالوا: ما نقدر على ذلك الّا على عجل كما امرنا امير المؤمنين فانهُ ينتظر قدومك. فقال: اصبروا عليَّ يسيراً حتى اجهز امري. ثم دخلوا معهُ الى الدار بعد جهد جهيد واستعطاف زائد. فرأوا في الدهليز ستوراً من الديباج الازرق المطرَّز بالذهب الاحمر. ثم ان ابا محمد الكسلان امر بعض غلمانه ان يدخلوا مع مسرور الحمام الذي في الدار. ففعلوا. فرأى حيطانه ورخامه من الغرائب وهو مزركش بالذهب والفضة وماؤُه ممزوج بماء الورد. واحتفل الغلمان بمسرور ومن معهُ وخدموهم أتمّ الخدمة. ولما خرجوا من الحمام البسوهم خلعاً من الديباج منسوجة بالذهب. ثم دخل مسرور واصحابه فوجدوا ابا محمد الكسلان جالساً في قصره وقد عُلقت على رأسه ستور من الديباج المنسوج بالذهب المرَّصع بالدرّ والجواهر. والقصر مفروش بمساند مزركشة بالذهب الاحمر. وهو جالس على مرتبته والمرتبة على سرير مرَّصع بالجواهر

فلما دخل عليهِ مسرور رحَّب به وتلقَّاه واجلسهُ بجانبه. ثم أمر باحضار

السماط . فلما رأى مسرور ذلك السماط قال : والله ما رأيت عند امير المؤمنين مثل هذا السماط ابدًا . وكان في ذلك السماط انواع الاطعمة وكلها موضوعة في اطباق صيني مذهبة . (قال مسرور) فأكلنا وشربنا وفرحنا الى آخر النهار . ثم اعطانا كل واحد خمسة آلاف دينار . ولما كان اليوم الثاني البسونا خلعاً خضراً مذهبة واكرمونا غاية الاكرام . ثم قال لهُ مسرور : لا يمكننا ان نقعد زيادة على تلك المدة خوفاً من الخليفة . فقال لهُ ابو محمد الكسلان : يا مولانا اصبر علينا الى غد حتى نتجهز ونسير معكم . فقعدوا ذلك اليوم وباتوا الى الصباح

ثم ان الغلمان شدُّوا لابي محمد الكسلان بغلة بسرج من الذهب مرصَّع بانواع الدرّ والجواهر . فقال مسرور في نفسه : يا ترى اذا حضر ابو محمد بين يدي امير المؤمنين بتلك الصفة هل يسألهُ عن سبب تلك الاموال . ثم بعد ذلك ودَّعوا ابا محمد الزبيدي وطلعوا من البصرة وساروا . ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى مدينة بغداد . فلما دخلوا على الخليفة ووقفوا بين يديه امره بالجلوس . فجلس ثم تكلم بأدب وقال : يا امير المؤمنين اني جئت معي بهدية على وجه الخدمة فهل أُحضرها عن اذنك . قال الرشيد : لا بأس بذلك . فأمر بصندوق وفتحهُ واخرج تحفاً من جملتها اشجار من الذهب واوراقها من الزمرُّد الابيض وثمارها ياقوت احمر واصفر ولؤلؤ ابيض . فتعجب الخليفة من ذلك . ثم أحضر صندوقاً ثانياً وأخرج منهُ خيمة من الديباج مكللة باللؤلؤ والياقوت والزمرُّد والزبرجد وانواع الجواهر وقوائمها من عود هندي رطب . وأذيال تلك الخيمة مرصَّعة بالزمرُّد الاخضر وفيها تصوير كل الصور من سائر الحيوانات كالطيور والوحوش . وتلك الصور مكللة بالجواهر واليواقيت والزمرُّد والزبرجد وسائر المعادن . فلما رأى الرشيد ذلك فرح فرحاً شديداً . ثم قال ابو محمد الكسلان : يا امير المؤمنين لا تظنَّ اني

حملت لك هــذا فزعاً من شي ولا طمعاً في شي. وانما رأيت نفسي رجلًا عامياً ورأيت هذا لا يصلح الّا لأمير المؤمنين. وان اذنت لي فرَّجتك على بعض ما اقدر عليهِ . فقال الرشيد : افعل ما شئت حتى تنظر . فقال : سمعًا وطاعةً . ثم حرَّك شفتيه وأومأ الى شراريف القصر فمالت اليهِ. ثم اشار اليها فرجعت الى موضعها. ثم اشار بعينهِ فظهرت اليهِ مقاصير مقفلة الابواب . ثم تكلم عليها واذا باصوات طيور تجاوبه. فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وقال لهُ: من اين لك هذا كله وانت ما تُعرف الّا بأبي محمد الكسلان واخبروني ان اباك كان حجَّاماً يخدم في حمَّام وما خلَّف لك شيئاً . فقال: يا امير المؤمنين اسمع حديثي فانهُ عجيب. وأمره غريب . لو كتب بالابر . على آماق البصر . لكان عبرة لمن اعتبر . فقال الرشيد : حدّث بما عندك واخبرني بهِ يا ابا محمد

(الليلة الاولى بعد الثلثمائة) . فقال: اعلم يا امير المؤمنين. ادام الله لك العزّ والتمكين . انَّ اخبار الناس باني أُعرف بالكسلان وان ابي لم يخلِف لي مالاً صدقٌ . لان ابي لم يكن الّا كما ذكرت . فانهُ كان حجَّاماً في حمام . وكنت انا في صغري أكسل من يوجد على وجه الارض. وبلغ من كسلي اني اذا كنت نائماً في ايام الحرّ وطلعت عليَّ الشمس اكسل عن ان اقوم وانتقل من الشمس الى الظل. واقمت على ذلك خمسة عشر عاماً . ثم ان ابي توفي الى رحمة الله تعالى ولم يخلف لي شيئاً . وكانت امي تخدم الناس وتطعمني وتسقيني وانا راقد على جنبي. فاتفق ان امي دخلت عليَّ في بعض الايام ومعها خمسة دراهم من الفضة وقالت لي : يا ولدي بلغني ان الشيخ ابا المظفر عزم على ان يسافر الى الصين . وكان ذلك الشيخ يحب الفقراء وهو من اهل الخير . فقالت امي : يا ولدي خذ هذه الخمسة الدراهم وامضِ بنا اليهِ ونسألهُ ان يشتري لك بها شيئاً من بلاد الصين لعلهُ يحصل

لك فيه ربح من فضل الله تعالى . فكسلت عن القيام معها . فاقسمت بالله ان لم اقم معها انها لا تطعمني ولا تسقيني ولا تدخل عليَّ بل تتركني اموت جوعاً وعطشاً

فلما سمعت كلامها يا امير المؤمنين علمت انها تفعل ذلك لما تعلم من كسلي . فقلت لها : اقعديني . فأقعدتني وانا باكي العين . وقلت : ائتيني بمداسي . فأتتني بهِ . فقلت : ضعيهِ في رجليَّ . فوضعتهُ فيهما . فقلت لها : احمليني حتى ترفعيني من الارض . ففعلت ذلك . فقلت : اسنديني حتى امشي . فصارت تسندني . وما زلت امشي واتعثر في اذيالي الى ان وصلنا الى ساحل البحر فسلمنا على الشيخ وقلت لهُ : يا عمّ انت ابو المظفر . قال : لبَّيك . قلت : خذ هذه الدراهم واشترِ بهـا لي شيئاً من بلاد الصين عسى الله ان يربحني فيهِ . فقـال الشيخ ابو المظفر لاصحابه : اتعرفون هذا الشاب . قالوا : نعم . هذا يُعرف بأبي محمد الكسلان وما رأيناه قط خرج من داره الّا في هذا الوقت . فقال ابو المظفر : يا ولدي هاتِ الدراهم على بركة الله تعالى . ثم اخذ مني الدراهم وقال : بسم الله . ثم رجعت مع امي الى البيت . وتوجه ابو المظفر الى السفر ومعهُ جماعة من التجـار . ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا الى بلاد الصين . ثم ان الشيخ باع واشترى وبعد ذلك توجه الى الرجوع هو ومن معهُ بعد قضاء اغراضهم وساروا في البحر ثلثة ايام . فقال ابو المظفر لاصحابه : قفوا بالمركب . فقال التجار : ما حاجتك . فقال : اعلموا ان الرسالة التي معي لابي محمد الكسلان نسيتها . فارجعوا بنا حتى نشتري لهُ بهـا شيئاً ينتفع بهِ . فقالوا : سألناك بالله تعالى ان لا تردّنا فاننا قطعنـا مسافة طويلة زائدة وحصل لنا في ذلك اهوال عظيمة ومشقة زائدة . فقال : لا بدَّ لنـا من الرجوع . فقالوا : خذ منا اضعاف ربح الخمسة الدراهم ولا تردّنا . فسمع منهم وجمعوا لهُ مالاً جزيلاً

ثم ساروا حتى اشرفوا على جزيرة فيها خلق كثير فأرسوا عليها وطلع التجار يشترون منهـا متجرًا من معادن وجواهر ولؤلؤ وغير ذلك . ثم رأى ابو المظفر رجلًا جالسًا وبين يديه قرود كثـيرة وبينهم قرد منتوف الشعر . وكانت تلك القرود كلما غفل صاحبها تمسك ذلك القرد المنتوف وتضربه وترميه على صاحبها . فيقوم يضربها ويقيدها ويعذبها على ذلك . فتغتاظ القرود كلها من ذلك القرد وتضربهُ . ثم ان الشيخ ابا المظفر لما رأى ذلك القرد حزن عليهِ ورفق به . فقال لصاحبه : اتبيعني هـذا القرد . قال : اشترِ . قال : ان معي لصبي يتيم خمسة دراهم هل تبيعني اياه بها . قال لهُ : بعتك بارك الله لك فيهِ . ثم تسلَّمهُ وقبَضهُ الدراهم واخذ القردَ عبيد الشيخ وربطوه في المركب . ثم حلُّوا وسافروا الى جزيرة اخرى فأرسوا عليها . فنزل الغطاسون الذين يغطسون على المعادن واللؤلؤ والجوهر وغير ذلك . فأعطاهم التجار دراهم على الغطس فغطسوا . فرآهم القرد يفعلون ذلك فحلَّ نفسه من رباطه ونطَّ من المركب وغطس معهم . فقال ابو المظفر : لا حول ولا قوَّة الَّا بالله العليّ العظيم . قد عُدم القرد منَّا ببخت هذا المسكين الذي اخذناه لهُ . ويئسوا من القرد . ثم طلع جماعة الغطـاسين واذا بالقرد طلع معهم وفي يديه نفائس الجواهر فرماها بين يدي ابا المظفر . فتعجب من ذلك وقال : ان هـذا القرد فيـهِ سرّ عظيم . ثم حلُّوا وسافروا الى ان وصلوا الى جزيرة تسمَّى جزيرة الزنوج وهم قوم من السودان يأكلون لحم بني آدم . فلما رآهم السودان ركبوا عليهم في القوارب وأتوا اليهم وأخذوا كل من في المركب وكتفـوهم وأتوا بهم الى الملك . فأمرهم بذبح جماعة من التجار . فذبحوهم وأكلوا لحومهم . ثم ان بقيـة التجار باتوا محبوسين وهم في نكد عظيم . فلما كان وقت الليل قام القرد الى ابي المظفر وحلَّ قيده . فلما رأى التجار ابا المظفر قد انحلَّ قالوا : عسى الله ان يكون

خلاصنا على يديك يا ابا المظفر . فقال لهم: اعلموا انهُ ما خلصني بارادة الله تعالى
الّا هذا القرد. وقد خرجت لهُ عن الف دينار . فقال التجار : ونحن كذلك كل
واحد منا خرج لهُ عن الف دينار ان خلصنا

(الليلة الثانية بعد الثلثمائة) . فقام القرد اليهم وصار يحلّ واحدًا بعد
واحد حتى حلّ الجميع من قيودهم وذهبوا الى المركب وطلعوا فيهِ فوجدوه
سالمًا ولم ينقص منهُ شيء . ثم حلوا وسافروا . فقال ابو المظفر : يا تجار أوفوا
بالذي قلتم عليهِ للقرد. فقالوا: سمعًا وطاعةً. ودفع لهُ كل واحد منهم الف دينار
فاجتمع للقرد من المال شيء عظيم . ثم سافروا حتى وصلوا الى مدينة البصرة .
فتلقاهم اصحابهم حتى طلعوا من المركب . فقال ابو المظفر : اين ابو محمد
الكسلان . فبلغ الخبر الى امي . فبينما انا نائم اذ اقبلت عليَّ امي وقالت لي :
يا ولدي ان ابا المظفر قد أتى ووصل الى المدينة. فقم وتوجَّه اليهِ وسلّم عليهِ واسألهُ
عن الذي جاء بهِ لك فلعلَّ الله تعالى يكون قد فتح عليك بشيء . فقلت لها :
احمليني من الارض واسنديني حتى اخرج وامشي الى ساحل البحر . ثم مشيت وانا
اتعثر بأذيالي حتى وصلت الى الشيخ ابي المظفر. فلما رآني قال لي: اهلًا بمن كانت دراهمه
سببًا لخلاصي وخلاص هؤلاء التجار بارادة الله تعالى . ثم قال لي: خذ هذا القرد
فاني اشتريتهُ لك وامضِ بهِ الى بيتك حتى اجيء اليك . فأخذت القرد ومضيت
وقلت في نفسي : والله ما هذا الّا متجر عظيم . ثم دخلت بيتي وقلت لامي :
كلما نمت تأمرينني بالقيام لأتَّجر فانظري بعينكِ الى هذا المتجر . ثم جلست .
فبينما انا جالس واذا بعبيد ابي المظفر قد اقبلوا عليَّ وقالوا لي :هل انت ابو محمد
الكسلان . فقلت لهم : نعم. واذا بابي المظفر اقبل خلفهم . فقمت اليهِ وقبَّلت
يديه . فقال لي : سر معي الى داري . فقلت : سمعًا وطاعةً : وسرت معهُ

الى ان دخلت الدار . فأمر عبيده ان يحضروا بالمال . فحضروا بهِ . فقال : ياولدي لقد فتح الله عليك بهذا المال من ربح الخمسة الدراهم . ثم حملوه في صناديقهِ على رؤوسهم واعطاني مفاتيح تلك الصناديق وقال لي : امضِ قدام العبيد الى دارك فان هـذا المال كله لك . فمضيتُ الى امي ففرحتْ بذلك وقالت لي : يا ولدي لقد فتح الله عليك بهذا المال الكثير فدَعْ عنك هـذا الكسل وانزل السوق وبع واشترِ . فتركت الكسل وفتحت دكاناً في السوق وصـار القرد يجلس معي على مرتبتي . فاذا اكلت يأكل معي واذا شربت يشرب معي . وصار كل يوم من بكرة النهار يغيب الى وقت الظهر . ثم يأتي ومعهُ كيس فيهِ الف دينار فيضعه في جانبي ويجلس . ولم يزل على هذه الحالة مدة من الزمان حتى اجتمع عندي مال كثير . فاشتريت يا امير المؤمنين الاملاك والربوع وغرست البساتين واشتريت المماليك والعبيد والجواري . فاتفق في بعض الايام انني كنت جالساً والقرد جالس معي على المرتبة واذا بهِ التفت يميناً وشمالاً . فقلت في نفسي : اي شي خبر هذا . فأنطق الله القرد بلسان فصيح وقال : يا ابا محمد . فلما سمعت كلامه فزعت فزعاً شديداً . فقال لي : لا تفزع انا اخبرك بحالي . اعلم اني مـارد من الجنّ ولكني جئتك بسبب ضعف حالك وانت اليوم لا تدري قدر مالك . وقـد وقعتْ لي عندك حاجة وهي خير لك . فقلت : ما هي . قال : اريد ان ازوجك بصبية مثل البدر . فقلت لهُ : وكيف ذلك . فقال لي : في غد البس قماشك الفـاخر واركب بغلتك بالسرج الذهب وامضِ الى سوق العـلّافين واسأل عن دكان الشريف واجلس عنده وقل لهُ : اني جئتك خاطباً راغباً في ابنتك . فان قـال لك : انت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب فادفع لهُ الف دينار. فان قال لك : زدني فزده ورغّبهُ في المال . فقال : سمعاً وطاعةً . في غد افعل ذلك ان شاء الله تعالى

(الليلة الثالثة بعد الثلثمائة) . قال ابو محمد : فلما اصبحت لبست الخز قماشي وركبت البغلة بالسرج الذهب. ثم مضيت الى سوق العلّافين وسألت عن دكان الشريف فوجدته جالساً في دكانه . فنزلت وسلّمت عليهِ وجلست عنده وكان معي عشرة من العبيد والمماليك. فقال الشريف : لعلّ لك عندنا حاجة نفوز بقضائها. فقلت : نعم لي عندك حاجة . قال : ومـا حاجتك. فقلت : جئتك خاطباً راغباً في ابنتك . فقال لي : انت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب. فأخرجت لهُ كيساً فيهِ الف دينار ذهباً احمر وقلت لهُ: هذا حسبي ونسبي. وقد قال الرسول (صلعم) نِعم الحسب المال. وما احسن قول من قال :

من كان يملك درهمين تعلّمت | شفتاه انواع الكلام فقـالا
وتقـدم الاخوان فاستمعـوا لهُ | ورأيتـهُ بين الورى مختـالا
لولا دراهمـهُ التي يزهو بهـا | لوجدتهُ في الناس اسوأ حالا
ان الغني اذا تكلم بالخطـا | قالوا صدقت وما نطقت محالا
اما الفقـير اذا تكلم صادقاً | قالوا كذبت وابطلوا ما قالا
ان الدراهم في المواطن كلهـا | تكسو الرجال مهابةً وجمالا
فهي اللسان لمن اراد فصاحةً | وهي السلاح لمن اراد قتالا

فلما سمع منهُ الشريف هذا الكلام . وفهم الشعر والنظـام . اطرق برأسه الى الارض ساعة . ثم رفع رأسهُ وقـال لي : ان كان ولا بدَّ فاني اريد منك ثلثة آلاف دينار أُخرى . فقلت : سمعاً وطاعةً . ثم ارسلت بعض المماليك الى منزلي فجاء لي بالمال الذي طلبهُ . فلما رأى ذلك وصل اليهِ قام من الدكان وقال لغلمانه : اقفلوها . ثم دعا اصحابه من السوق الى داره وكتب كتابي على بنته وقال لي : بعد عشرة ايام ازفُّها اليك . ثم مضيت الى منزلي وانا فرحان . فخلوت مع

القرد واخبرته بما جرى لي . فقال : نِعم ما فعلت . فلما قرب ميعاد الشريف قال لي القرد : ان لي عندك حاجة ان قضيتها لي فلك عندي ما شئت . قلت : وما حاجتك . قال لي : ان في صدر القاعة التي أُعدَّت لبنت الشريف خزانة وعلى بابها حلقة من نحاس والمفاتيح تحت الحلقة . فخذها وافتح الباب تجد صندوقاً من حديد على اركانه اربع رايات من الطلسم وفي وسط ذلك طست ملآن من المال وفي جانبه احدى عشرة حيَّة . وفي الطست ديك افرق ابيض مربوط وهناك سكين بجانب الصندوق . فخذ السكين واذبح بها الديك واقطع الرايات وكبَّ الصندوق . فهذه حاجتي عندك . فقلت لهُ : سمعاً وطاعةً . ثم مضيت الى دار الشريف فدخلت القاعة ونظرت الى الخزانة التي وصفها لي القرد . فلما خلوت بالعروس تعجبت من حسنها وجمالها . وقدّها واعتدالها . لانها لا تستطيع الألسن ان تصف حسنها وجمالها . ففرحت بها فرحاً شديداً

فلما كان نصف الليل ونامت العروس قمت وأخذت المفاتيح وفتحت الخزانة وأخذت السكين وذبحت الديك ورميت الرايات وقلبت الصندوق . فاستيقظت الصبية فرأت الخزانة قد فُتحت والديك قد ذُبح . فقالت : لا حول ولا قوة الّا بالله العليّ العظيم . قد أخذني المارد . فما استتمت كلامها الّا وقد احاط المارد بالدار وخطف العروس . فعند ذلك وقعت الضجة . واذا بالشريف قد اقبل وهو يلطم على وجهه وقال : يا ابا محمد ما هذا الفعل الذي فعلتهُ معنا هل هذا جزاؤنا منك . وانا قد عملت هذا الطلسم في هذه الخزانة خوفاً على بنتي من هذا الملعون فانهُ كان يقصد اخذ هذه الصبية منذ ستّ سنين ولا يقدر على ذلك . ولكن ما بقي لك عندنا مقام فامضِ الى حال سبيلك . فخرجت من دار الشريف وجئت الى داري وفتشت على القرد فلم أجدهُ ولم أرَ لهُ أثرًا . فعلمت انهُ هو

المارد الذي أخذ زوجتي وتحيَّل عليَّ حتى فعلت ذلك بالطلسم والديك اللذين كانا يمنعانهِ من أخذها. فندمت وقطعت اثوابي ولطمت على وجهي ولم تسعني ارض. فخرجت من ساعتي وقصدت البرّية. ولم ازل سائرًا الى ان امسى عليَّ المساء ولا اعلم اين اروح. فبينما انا مشغول الفكرة اذ أقبل عليَّ حيَّتان واحدة سمراء والاخرى بيضاء وهما تتقاتلان. فأخذت حجرًا من الارض وضربت بهِ الحيَّة السمراء فقتلتها فانها كانت باغية على البيضاء. ثم ذهبت الحيَّة البيضاء فغابت ساعة وعادت ومعها عشر حيَّات بيض فجاءت الى الحية التي ماتت وقطعتها قطعًا حتى لم يبقَ الَّا رأسها. ثم مضت الى حال سبيلها. واضطجعتُ في مكاني من التعب. فبينما انا مضطجعٌ متفكر في امري واذا بهاتف اسمع صوته ولا أرى شخصهُ وهو يقول:

دع المقادير تجري في اعنَّتها ... ولا تبيتنَّ الَّا خاليَ البالِ

ما بين طرفة عينٍ وانتباهتها ... يغيّر الله من حالٍ الى حالِ

فلما سمعت ذلك لحقني يا امير المؤمنين امر شديد. وفكر ما عليهِ من مزيد. واذا بصوت من خلفي اسمعهُ ينشد هذين البيتين:

يا مسلمًا إمامهُ القرآنُ ... ابشر به قد جاءك الامانُ

ولا تخف ما سوَّل الشيطانُ ... فنحن قوم ديننا الايمانُ

فقلت لهُ: بحقّ معبودك ان تعرّفني مَن انت. فانقلب ذلك الهاتف في صورة انسان وقال لي: لا تخف فان جميلك قد وصل الينا ونحن قوم من جنّ المؤمنين. فان كان لك حاجة فأخبرنا بها حتى نفوز بقضائها. فقلت لهُ: ان لي حاجة عظيمة لاني أُصبت بمصيبة جسيمة ومن الذي حصل لهُ مثل مصيبتي. فقال لي: لعلَّك ابو محمد الكسلان. فقلت: نعم. فقال: يا ابا محمد انا اخو الحية البيضاء التي قتلت انت عدوَّها ونحن اربعة اخوة من أبٍ وأُمّ وكلنا

شاكرون لفضلك . واعلم ان القرد الذي فعل معك المكيدة مارد من مردة الجنّ . ولولا انهُ تحيَّل بهذه الحيلة ما كان يقدر على اخذها ابدًا لانّ لهُ مدّة طويلة يريد اخذها فيمنعهُ من ذلك هذا الطلسم . ولو بقي ذلك الطلسم ما كان يمكنهُ الوصول اليها . ولكن لا تجزع من هذا الامر فنحن نقتل المارد فان جميلك لا يضيع عندنا

(الليلة الرابعة بعد الثلثمائة) . ثم انه صاح صيحةً عظيمة بصوت هائل . واذا بجماعة قد اقبلوا عليهِ . فسألهم عن القرد . فقال واحد منهم : انا اعرف مستقرّه . قال : اين مستقرّه . قال : في مدينة النحاس التي لا تطلع عليها الشمس . فقال : يا ابا محمد خذ عبدًا من عبيدنا وهو يحملك على ظهره ويعلِمك كيف تأخذ الصبية . واعلم ان ذلك العبد ماردٌ من المردة . فاذا حملك لا تذكر اسم الله وهو حاملك فانه يهرب منك فتقع وتهلك . فقلت : سمعًا وطاعةً . واخذت عبدًا من عبيدهم فانحنى وقال : اركب . فركبت . ثم طار بي في الجوّ حتى غاب عن الدنيا . ورأيت النجوم كالجبال الرواسي وسمعت تسبيح الملائكة في السماء . كل هذا والمارد يحدثني ويفرّجني ويلهيني عن ذكر الله تعالى

فبينما انا كذلك واذا بشخص عليهِ لباس اخضر وذوائب شعر ووجههُ منير وفي يده حربة يطير منها الشرر قد اقبل عليَّ وقال لي : يا ابا محمد قل : لا اله الّا الله محمد رسول الله والّا ضربتك بهذه الحربة . وكانت مهجتي قد تقطعت من سكوتي عن ذكر الله تعالى . فقلت : لا اله الّا الله محمد رسول الله . ثم ان ذلك الشخص ضرب المارد بالحربة فذاب وصار رمادًا وسقطتُ من فوق ظهره فصرت اهوي الى الارض حتى وقعت في بحر عجاج . متلاطم بالامواج . واذا بسفينة فيها خمسة اشخاص بحرية . فلما رأوني أتوا اليَّ وحملوني في السفينة وجعلوا يكلّموني بكلام لا اعرفهُ . فأشرت اليهم : اني لا اعرف

كلامكم. فساروا الى آخر النهار. ثم رموا شبكة واصطادوا حوتاً وشووهُ واطعموني. ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا بي الى مدينتهم فدخلوا بي الى ملكهم وأوقفوني بين يديه. فقبَّلت الارض فخلع عليَّ. وكان ذلك الملك يعرف بالعربية. فقال: قد جعلتك من اعواني. فقلت لهُ: ما اسم هذه المدينة. قال: اسمها هناد وهي من بلاد الصين

ثم ان الملك سلَّمني الى وزير المدينة وأمرهُ ان يفرّجني في المدينة. وكان اهل تلك المدينة في الزمن الاول كفَّاراً فمسخهم الله تعالى حجارةً. فتفرّجت فيها ولم أرَ اكثر من اشجارها واثمارها. فأقمت فيها مدّة شهر. ثم اتيت الى نهر وجلست على شاطئهِ. فبينما انا جالس واذا بفارس قد اتى وقال: هل انت ابو محمد الكسلان. فقلت لهُ: نعم. قال: لا تخف فان جميلك وصل الينا. فقلت لهُ: من انت. قال: انا اخو الحية وانت قريب من مكان زوجتك. ثم خلع اثوابهُ والبسني اياها وقال لي: لا تخف فان العبد الذي هلك من تحتك بعض عبيدنا. ثم ان ذلك الفارس اردفني خلفهُ وسار بي الى بريّة وقال: انزل من خلفي وسر بين هذين الجبلين حتى ترى مدينة النحاس. فقف بعيداً عنها ولا تدخلها حتى اعود اليك واقول لك كيف تصنع. فقلت لهُ: سمعاً وطاعةً. ونزلت من خلفه ومشيت حتى وصلت الى المدينة فرأيت سورها من نحاس. فجعلت ادور حولها لعلّي اجد لها باباً. فما وجدت لها باباً. فبينما انا ادور حولها واذا باخي الحية قد اقبل عليَّ واعطاني سيفاً مطلسماً حتى لا يراني احد ثم انه مضى الى حال سبيله. فلم يغب عني قليلاً واذا بصياح قد علا ورأيت خلقاً كثيراً واعينهم في صدورهم. فلما رأوني قالوا: من انت وما الذي رماك في هذا المكان. فاخبرتهم بالواقعة. فقالوا: ان الصبية التي ذكرتها مع المارد في هذه

المدينة وما ندري ما فعل بها ونحن اخوة الحية . ثم قالوا : امضِ الى تلك العين وانظر من اين يدخل الماء وادخل معهُ فانه يوصلك الى المدينـة . ففعلت ذلك ودخلت مع الماء في سرداب تحت الارض . ثم طلعت منهُ فرأيت نفسي في وسط المدينة ووجدت الصبية جالسة على سرير من ذهب وعليها ستارة من ديباج وحول الستارة بستـان فيهِ اشجار من الذهب واثمارها من نفيس الجواهر كاليـاقوت والزبرجد واللؤلؤ والمرجان . فلما رأتني تلك الصبية عرفتني وابتـدأتني بالسلام وقالت لي : يا سيدي من اوصلك الى هذا المكان . فأخبرتها بما جرى . فقالت لي : اعلم ان هذا الملعون من كثرة محبته لي اعلمني بالذي يضرُّه والذي ينفعهُ . واعلمني ان في هذه المدينة طلسماً ان شاء هلاك جميع من في المدينـة اهلكهم بهِ . ومهما امر العفاريت فانهم يمتثلون امره . وذلك الطلسم في عمود . فقلت لها : واين العمود . فقالت : في المكان الفـلاني . فقلت : وايّ شيء يكون ذلك الطلسم . قالت : هو صورة عقاب وعليهِ كتابة لا اعرفهـا فخذه بين يديك وخذ مجمرة نار وارمِ فيها شيئاً من المسك فيطلع دخان يجذب العفاريت . فاذا فعلت ذلك فانهم يحضرون بين يديك كلهم ولا يغيب منهم احد ويمتثـلون امرك ومهما امرتهم بهِ فانهم يفعلونه . فقم وافعل ذلك على بركة الله تعالى . فقلت لها : سمعاً وطاعةً

ثم قمت وذهبت الى ذلك العمود وفعلت جميع ما امرتني بهِ . فجـاءت العفاريت وحضرت بين يدي وقالوا : لبَّيك ياسيدنا فمهما امرتنا بهِ فعلناه . فقلت لهم : قيّدوا المارد الذي جاء بهذه الصبية من مكانها . فقالوا : سمعاً وطاعةً . ثم ذهبوا الى ذلك المارد وقيَّدوه وشدُّوا وثاقهُ ورجعوا اليَّ وقالوا : قد فعلنا ما امرتنا بهِ . فأمرتهم بالرجوع . ثم رجعت الى الصبية وأخبرتها بما حصل . ثم قلت :

يا زوجتي هل تذهبين معي · فقالت : نعم · ثم اني طلعت بها من السرداب الذي دخلت منهُ وسرنا حتى وصلنا الى القوم الذين كانوا دلُّوني عليها

(الليلة الخامسة بعد الثلثمائة) · ثم قلت : دلُّوني على طريق توصلني الى بلادي · فدلوني ومشوا معي الى ساحل البحر وانزلوني في مركب وطابت لنا الريح وسار بنا ذلك المركب حتى وصلنا الى مدينة البصرة · فلما دخلت الصبية دار ابيها رآها اهلها ففرحوا بها فرحاً شديدًا · ثم اني بخرت العقاب بالمسك . واذا بالعفاريت قد اقبلوا عليَّ من كل مكان وقالوا : لبَّيك فما تريد ان تفعل · فأمرتهم ان ينقلوا كل ما في مدينة النحاس من المال والمعادن والجواهر الى داري التي في البصرة . ففعلوا ذلك · ثم امرتهم ان يأتوا بالقرد · فأتوا بهِ ذليلًا حقيرًا · فقلت لهُ : يا ملعون لاي شيء غدرت بي · ثم امرتهم ان يدخلوه في قمقم من نحاس · فأدخلوه في قمقم ضيق من نحاس وسدُّوا عليهِ بالرصاص · واقمت انا وزوجتي في هناء وسرور . وعندي الآن يا امير المؤمنين من نفائس الذخائر وغرائب الجواهر وكثير الاموال ما لا يحيط بهِ عدٌّ · ولا يحصره حدٌّ . واذا طلبت شيئاً من المال او غيره امرت الجنَّ ان يأتوا لك بهِ في الحال وكل ذلك من فضل الله تعالى · فتعجب امير المؤمنين من ذلك غاية العجب · ثم اعطاه من مواهب الخلافة عوضاً عن هديته وانعم عليهِ انعاماً يليق بهِ

حكاية كرم يحيى بن خالد البرمكي

حُكي ان هارون الرشيد استدعى رجلًا من اعوانه يقال لهُ صالح قبل الوقت الذي تغيَّر فيهِ على البرامكة · فلما حضر بين يديه قال لهُ : يا صالح سِر الى منصور وقل لهُ : ان لنا عندك الف الف درهم والرأي قد اقتضى انك تحمل

لنا هذا المبلغ في هذه الساعة . وقد امرتك يا صالح انهُ ان لم يحصل لك ذلك المبلغ من هذه الساعة الى قبل المغرب ان تزيل رأسه عن جسده وتأتيني بهِ . فقال صالح : سمعاً وطاعةً . ثم سار الى منصور واخبره بما ذكر امير المؤمنين . فقال منصور : قد هلكتُ. والله ان جميع تعلقاتي وما تملكهُ يدي اذا بيعتْ بأغلى قيمة لا يزيد ثمنها على مائة الف فمن اين اقدر يا صالح على التسعمائة الف درهم الباقية . فقال لهُ صالح : دبّر لك حيلة تتخلص بها عاجلًا والّا هلكتَ . فاني لا اقدر ان اتمهل عليك لحظةً بعد المدة التي عيَّنها لي الخليفة ولا اقدر ان اخلّ بشيء مما امرني بهِ امير المؤمنين . فأسرع بحيلة تخلّص بها نفسك قبل ان تتصرَّم الاوقات. فقال منصور : يا صالح اسألك من فضلك ان تحملني الى بيتي لأُودّع اولادي واهلي واوصي اقاربي . قال صالح : فمضيت معهُ الى بيته فجعل يودّع اهلهُ وارتفع الضجيج في منزله وعلا البكاء والصياح والاستغاثة بالله تعالى . فقال صالح : قد خطر ببالي ان الله يجعل لك الفرج على يد البرامكة فاذهب بنا الى دار يحيى بن خالد

فلما ذهبا الى يحيى بن خالد اخبره بحاله . فاغتمّ لذلك واطرق الى الارض ساعةً . ثم رفع رأسهُ واستدعى خازن داره وقال لهُ : كم في خزنتنا من المال : فقال لهُ : مقدار خمسة آلاف درهم . فأمر باحضارها . ثم ارسل رسولاً الى ولده الفضل برسالة مضمونها : انهُ قد عرض عليَّ للبيع ضياع جليلة لا تخرب ابدًا فأرسل لنا شيئاً من الدراهم . فأرسل اليهِ الف الف درهم . ثم ارسل انساناً آخر الى ولده جعفر برسالة مضمونها : انهُ قد حصل لنا شغل مهم ونحتاج فيه الى شيء من الدراهم . فأنفذ لهُ جعفر في الحال الف الف درهم . ولم يزل يحيى يرسل اناساً الى البرامكة حتى جمع منهم لمنصور مالاً كثيرًا . وصالح ومنصور لا

يعلمان بهذا الامر فقال منصور ليحيي : يا مولاي قد تمسكت بذيلك وما اعرف هذا المال الّا منك كما هو عادة كرمك . فتمم لي بقية دَيني واجعلني عتيقك . فاطرق يحيي وبكى وقال : يا غلام ان امير المؤمنين قد كان وهب لجاريتنا دنانير جوهرة عظيمة القيمة . فاذهب اليها وقل لها ترسل لنا هذه الجوهرة . فمضى الغلام وأتى بها اليهِ . فقال : يا صالح انا ابتعت هذه الجوهرة لامير المؤمنين من التجار بمائتي الف دينار . ووهبها امير المؤمنين لجاريتنا دنانير العوّادة . واذا رآها معك عرفها واكرمك وحقن دمك من اجلنا اكراماً لنا وقد تم الآن مالك يا منصور . (قال صالح) فحملت المال والجوهرة الى الرشيد ومنصور معي . فبينما نحن في الطريق اذ سمعتهُ يتمثل بهذا البيت :

وما حبًّا سعت قدمي اليهم ولكن خفتُ من ضرب النبالِ

فعجبت من سوء طبعه ورداءته وفساده . وخبث اصله وميلاده . ورددت عليهِ وقلت لهُ : ما على وجه الارض خير من البرامكة ولا اخبث ولا اشرّ منك . فانهم اشتروك من الموت وانقذوك من الهلاك . ومنوا عليك بالفكاك . ولم تشكرهم ولم تحمدهم ولم تفعل فعل الاحرار . بل قابلت احسانهم بهذا المقال

(الليلة السادسة بعد الثلثمائة) . ثم مضيت الى الرشيد وقصصت عليهِ القصة واخبرته بجميع ما جرى . فتعجب الرشيد من كرم يحيي وسخائه ومروءته . وخساسة منصور ورداءته . وامر ان تُردّ الجوهرة الى يحيي بن خالد وقال : كل شيء قد وهبناه لا يجوز ان نعود فيهِ . وعاد صالح الى يحيي بن خالد وذكر لهُ قصة منصور وسوء فعله . فقال يحيي : يا صالح اذا كان الانسان مقلًّا ضيق الصدر مشغول الفكر فمهما صدر منهُ لا يؤاخذ بهِ لانهُ ليس ناشئاً عن قلبه . وصار يتطلب العذر لمنصور . فبكى صالح وقال : لا يجري الفلك الدائر بابراز رجل الى

الوجود مثلك. فوا اسفاً كيف يتوارى من له خلق مثل خلقك وكرم مثل كرمك تحت التراب . وانشد هذين البيتين:

بادر الى اي معروف هممتَ بهِ فليس في كل وقت يمكن الكرمُ
كم مانع نفسهُ امضاء مكرمةٍ عند التمكن حتى عاقهُ العدمُ

حكاية الكتاب المزوَّر

حُكي انهُ كان بين يحيي بن خالد وبين عبد الله بن مالك الخزاعي عداوة في السرّ ما كانا يُظهرانها. وسبب العداوة بينهما ان امير المؤمنين هارون الرشيد كان يحب عبد الله بن مالك محبة عظيمة بحيث ان يحيي بن خالد واولاده كانوا يقولون ان عبد الله يسحر امير المؤمنين. حتى مضى على ذلك زمان طويل والحقد في قلوبهما . فاتفق ان الرشيد قلَّد ولاية ارمينية لعبد الله بن مالك الخزاعي وسيَّره اليها . فلما استقرَّ في تختها قصده رجل من اهل العراق كان فيهِ فضل وادب وذكاء وفطنة الَّا انهُ ضاق ما بيده وفني ماله واضمحلَّ حاله . فزوَّر كتاباً على لسان يحيي بن خالد الى عبد الله بن مالك وسافر اليهِ في ارمينية

فلما وصل الى بابه سلَّم الكتاب الى بعض حجابه . فأخذ الحاجب الكتاب وسلَّمهُ الى عبد الله بن مالك الخزاعي . ففتحهُ وقرأه وتدبَّره فعلم انهُ مزوَّر . فأمر باحضار الرجل . فلما تمثل بين يديه دعا لهُ واثنى عليهِ وعلى اهل مجلسه. فقال لهُ عبد الله بن مالك: ما حملك مع بعد المشقة على مجيئك اليَّ بكتاب مزوَّر. ولكن طب نفساً فاننا لا نخيب سعيك . فقال الرجل: اطال الله بقاء مولانا الوزير ان كان ثقل عليك وصولي فلا تحتجَّ في منعي بحجة فان ارض الله واسعة والرازق حي والكتاب الذي اوصلتهُ اليك من يحيي بن خالد صحيح غير مزوَّر . فقال

عبد الله : انا اكتب كتاباً لوكيلي ببغداد وآمره فيه ان يسأل عن حال هذا الكتاب الذي اتيتني بهِ فان كان ذلك حقا صحيحاً غير مزوَّر قلّدتك امارة بعض بلادي او اعطيتك مائتي الف درهم مع الخيــل والنجب الجليلة والتشريف ان اردت العطاء . وان كان الكتــاب مزوَّرًا امرت بان تُضرب مائتي خشبة وان تُحلق لحيتك . ثم امر بهِ عبد الله ان يحمل الى حجرة وان يجعــل لهُ فيها ما يحتاج اليهِ حتى يتحقق امره . ثم كتب كتاباً الى وكيله ببغداد مضمونه : انه قد وصل اليَّ رجل ومعه كتاب يزعم انهُ من يحيي بن خالد وانا أُسيءُ الظنَّ بهذا الكتاب فيجب ان لا تهمل هــذا الامر بل تمضي بنفسك وتتحقق امر هــذا الكتاب وتسرع اليَّ بردّ الجواب لاجل ان نعلم صدقه من كذبه

(الليلة السابعة بعد الثلثمائة) . فلما وصل اليهِ الكتاب ببغداد ركب من ساعته ومضى الى دار يحيي بن خالد فوجده جالساً مع ندمــائهِ وخواصه . فسلَّم عليهِ وسلَّم اليــهِ الكتاب . فقرأه يحيي بن خالد ثم قال للوكيل : عد اليَّ من الغد حتى اكتب لك الجواب . ثم التفت الى ندمائهِ بعد انصراف الوكيــل وقال : ما جزاء من تحمَّل عني كتاباً مزوَّرًا وذهب بهِ الى عدوّي . فقــال كل واحد من الندماء مقالاً وجعل كل واحد منهم يذكر نوعاً من العذاب . فقــال لهم يحيي : لقد اخطأتم فيما ذكرتم وهذا الذي اشرتم بهِ من دناءة الهمم وخستها . وكلــكم تعرفون قرب منزلة عبد الله من امير المؤمنين وتعلمون ما بيني وبينه من الغضب والعداوة . وقد سبب الله تعالى هذا الرجل وجعلهُ واسطة في الصلح بيننــا ووفقهُ لذلك وقيَّضهُ ليخمد نار الحقد من قلوبنا وهي تتزايد من مدّة عشرين سنة وتنصلح بواسطته شؤوننا . وقد وجب عليَّ ان أفي لهــذا الرجل بتحقيق ظنونه واصلاح شؤونه واكتب له كتاباً الى عبد الله بن مالك الخزاعي مضمونه انهُ يزيد في اكرامه

ويستمرَّ على اعزازه واحترامه . فلما سمع الندماء ذلك دعوا له بالخيرات وتعجبوا من كرمه ووفور مروءته

ثم انه طلب الورقة والدواة وكتب الى عبد الله كتاباً بخط يده مضمونه : بسم الله الرحمن الرحيم. وصل كتابك اطال الله بقاءك وقرأته وسررت بسلامتك وابتهجت باستقامتك وشمول سعادتك . وكان ظنك ان ذلك الرجل الحرَّ زوَّر عني كتاباً . ولم يحمل مني خطاباً . وليس الامر كذلك فان الكتاب انا كتبتهُ وليس بمزوَّر ورجائي من اكرامك واحسانك وحسن شيمتك ان تفي لذلك الرجل الحرَّ الكريم بأمله وامنيَّته وترعى لهُ حق حرمته وتوصله الى غرضه . وان تخصهُ منك بغامر الاحسان ووافر الامتنان . ومهما فعلته فانا المقصود بهِ والشاكر عليهِ . ثم عنون الكتاب وختمهُ وسلَّمهُ الى الوكيل . فأنفذه الوكيل الى عبد الله . فحين قرأه ابتهج بما حواه واحضر ذلك الرجل وقال لهُ : ايَّ الامرين اللذين وعدتك بهما احبَّ اليك لأُحضره لك بين يديك. فقال الرجل : العطاء احبَّ اليَّ من كل شيء. فأمر لهُ بمائتي الف درهم وعشرة افراس عربية خمسة منها بالجلال الحرير وخمسة بسروج المواكب المحلاة . وبعشرين تختاً من الثياب وعشرة من المماليك ركاب خيل وما يليق بذلك من الجواهر المثمنة . ثم خلع عليهِ واحسن اليهِ ووجَّههُ الى بغداد في هيئة عظيمة

فلما وصل الى بغداد قصد دار يحيى بن خالد قبل ان يصل الى اهله وطلب الاذن في الدخول عليهِ . فدخل الحاجب الى يحيى وقال له : يا مولاي ان ببابنا رجلاً ظاهر الحشمة جميل الخلقة حسن الحال كثير الغلمان يريد الدخول عليك. فأذن لهُ بالدخول . فلما دخل عليهِ قبَّل الارض بين يديه . فقال لهُ يحيى : مَن انت . فقال لهُ الرجل : ايها السيد انا الذي كنت ميتاً من جور الزمان فأحييتني

من رمس النوائب. وبعثني الى جنة المطالب . انا الذي زوّرت كتابًا عنك واوصلته الى عبد الله بن مالك الخزاعي . فقال لهُ يحيى : ما الذي فعل معك وايّ شيء اعطاك . فقال : اعطاني من يدك وجميل طويتك وشمول نعمك وعموم كرمك وعلوّ همتك وواسع فضلك حتى اغناني وخوّلني وهاداني . وقد حملت جميع عطيَّته ومواهبه وها هي ببابك والامر اليك والحكم في يديك . فقال لهُ يحيى : ان صنيعك معي اجمل من صنيعي معك ولك عليَّ المنَّة العظيمة واليد البيضاء الجسيمة . حيث بدلت العداوة التي كانت بيني وبين ذلك الرجل المحتشم بالصداقة والمودة . فها انا اهب لك من المال مثل ما وهب لك عبد الله ابن مالك. ثم أمر لهُ من المال والخيل والتخوت بمثل ما اعطاه عبد الله . فعادت لذلك الرجل نعمته كما كانت بمروءة هذين الكريمين

حكاية الرجل العالم مع الخليفة المأمون

رويَ ان المأمون لم يكن في خلفاء بني العباس خليفة اعلم منهُ في جميع العلوم . وكان لهُ في كل اسبوع يومان يجلس فيهما لمناظرة العلماء فتجلس المناظرون من الفقهاء والمتكلمين بحضرته على طبقاتهم ومراتبهم . فبينما هو جالس معهم اذ دخل في مجلسه رجل غريب وعليهِ ثياب بيض رثة فجلس في آخر الناس وقعد من وراء الفقهاء في مكان مجهول . فلما ابتدأوا في الكلام وشرعوا في معضلات المسائل وكان من عادتهم انهم يديرون المسئلة على اهل المجلس واحدًا بعد واحد فكل من وجد زيادة لطيفة او نكتة غريبة ذكرها . فدارت المسئلة الى ان وصلت الى ذلك الرجل الغريب. فتكلم واجاب بجواب احسن من اجوبة الفقهاء كلهم . فاستحسن الخليفة كلامه وأمر ان يُرفع من ذلك المكان الى اعلى منهُ

(الليلة الثامنة بعد الثلثمائة) . فلما وصلت اليهِ المسئلة الثانيـة اجاب بجواب احسن من الجواب الاول . فأمر المأمون ان يرفع الى اعلى من تلـك الرتبة. فلما دارت المسألة الثالثة اجاب بجواب احسن واصوب من الجوابين الاولين فأمر المأمون ان يجلس قريباً منهُ . فلما انقضت المناظرة احضروا الماء وغسلوا ايديهم واحضروا الطعام فاكلوا . ثم نهض الفقهاء فخرجوا ومنع المأمون ذلك الشخص من الخروج معهم وادناه منهُ ولاطفه ووعده بالاحسان اليهِ والانعام عليه. ثم تهيَّأ مجلس الشراب وحضر النـدماء الملاح ودارت الراح . فلما وصل الدور الى ذلك الرجل وثب قائماً على قدميهِ وقال: ان اذنَ لي امير المؤمنين تكلمت كلمة واحدة. قال لهُ :قل ما تشاء . فقـال : قد علم الرأي العالي زاده الله علوًّا ان العبد كان اليوم في هذا المجلس الشريف من مجاهيل الناس . ووضعاء الجلاس . وان امير المؤمنين قربه وادناه . بيسير من العقل الذي ابداه . وجعله مرفوعاً على درجة غيره . وبلغ بهِ الغاية التي لم تسمُ اليهـا همته . والآن يريد ان يفرّق بينه وبين ذلك القدر اليسير من العقل الذي اعزّه بعد الذلة . وكثره بعـد القلـة . وحاشا وكلَّا ان يحسده امير المؤمنين على هذا القدر الذي معـهُ من العقل . والنباهة والفضل . لان العبد اذا شرب الشراب تباعد عنهُ العقل . وقرب منهُ الجهل . وسُلب ادبه وعاد الى تلك الدرجة الحقيرة كما كان. وصار في اعين الناس حقيرًا مجهولاً . فارجو من الرأي العالي انهُ لا يسلب منهُ هذه الجوهرة بفضلهِ وكرمه وسيادتهِ وحسن شيمه . فلما سمع الخليفة المأمون منـهُ هذا القول مدحه وشكره واجلسه في رتبته ووقره وأمر لهُ بمائة الف درهم وحمله على فرس واعطاه ثياباً فاخرة. وكان في كل مجلس يرفعه و يقربه على جماعة الفقهاء حتى صار ارفع منهم درجة واعلى مرتبة. والله اعلم

حكاية علي شار

حُكي انهُ كان في قديم الزمان، وسالف العصر والاوان، تاجر من التجار في بلاد خراسان اسمهُ مجد الدين . ولهُ مال كثير وعبيد ومماليك وغلمان. الّا انهُ بلغ من العمر ستين سنة ولم يرزق ولدًا. وبعد ذلك رزقهُ الله تعالى ولدًا فسماه عليًّا. فلما انتشأ ذلك الغلام. صار كالبدر ليلة التمام. ولما بلغ مبلغ الرجال. وحاز صفات الكمال. ضعف والده بمرض الموت فدعا بولده وقال لهُ : يا ولدي انهُ قد قرب وقت المنية. واريد ان اوصيك وصية. فقال لهُ : وما هي يا والدي . فقال : اوصيك انك لا تعاشر احدًا من الناس . وتجتنب ما يجلب الضرّ والباس . واياك وجليس السوء فانهُ كالحداد ان لم تحرقك ناره يضرُّ بك دخانه. وما احسن قول الشاعر .

ما في زمانك من ترجو مودتهُ ولا صديقٌ اذا خان الزمان وفى
فعش فريدًا ولا تركن الى احدٍ ها قد نصحتك فيما قلتهُ وكفى

وقول الآخر :

الناس داءٌ دفينٌ لا تركننَّ اليهمْ
فيهم خداعٌ ومكرٌ لو اطلعت عليهمْ

وقول الآخر :

لقاء الناس ليس يفيد شيئًا سوى الهذيان من قيلٍ وقالِ
فأقلل من لقاء الناس الّا لاخذ العلمِ او اصلاح حالِ

وقول الآخر :

اذا ما الناس جرّبهم لبيبٌ فاني قد اكلتهمُ ذواقا

فلم ارَ ودّهم الّا خداعاً ولم ارَ دينهم الّا نفاقا

(الليلة التاسعة بعد الثلثمائة) . فقال علي : يا ابي سمعت واطعت . ثم ماذا افعل . فقال : افعل الخير اذا قدرت عليهِ ودمْ على صنع الجميل مع الناس واغتنم بذل المعروف . فما في كل وقت ينجح الطلب . وما احسن قول الشاعر :

ليس في كل ساعةٍ واوانٍ تتأتى صنائع الاحسانِ
فاذا امكنتكَ بادر اليها حذرًا من تعذُّر الامكانِ

فقال : سمعت واطعت ثم ماذا . قال : يا ولدي احفظ الله يحفظك وصن مالك ولا تفرط فيهِ فانك ان فرطت فيهِ تحتاج الى اقلّ الناس . واعلم ان قيمة المرء ما ملكت يمينه . وما احسن قول الشاعر :

ان قلَّ مالي فلا خلٌّ يصاحبني او زاد مالي فكل الناس خلّاني
فكم عدوٍّ لاجل المال صاحبني وكم صديق لفقد المال عاداني

فقال : ثم ماذا . قال : يا ولدي شاور من هو اكبر منك سناً . ولا تعجل في الامر الذي تريده . وارحم من هو دونك يرحمك من هو فوقك . ولا تظلم احدًا فيسلط الله عليك من يظلمك . وما احسن قول الشاعر :

اقرن برأيك رأي غيرك واستشر فالرأي لا يخفى على الاثنينِ
للمرء مرآةٌ تريهِ وجههُ ويرى قفاهُ بجمع مرآتينِ

وقول الآخر :

تأنَّ ولا تعجل لامرٍ تريدهُ وكن راحمًا للناس تبلى براحمِ
فما من يدٍ الّا يد الله فوقها ولا ظالمٍ الّا سيبلى بظالمِ

وقول الآخر :

لا تظلمنَّ اذا ما كنت مقتدرًا ان الظلوم على حدٍّ من النقمِ

تنام عيناكَ والمظلوم منتبهٌ يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

واياك وشرب الخمر فهو رأس كل شرّ . وشربه مذهب للعقول ويزري بصاحبه . وما احسن قول الشاعر :

تالله لا خامرتني الخمر ما علقت روحي بجسمي واقوالي بافصاحي
ولا صبوت الى مشمولةٍ ابداً يوماً ولا اخترت ندماناً سوى الصاحي

فهذه وصيتي لك فاجعلها بين عينيك . والله خليفتي عليك . ثم غشي عليهِ فسكت ساعة واستفاق فاستغفر الله وتشهد وتوفي الى رحمة الله تعالى . فبكى عليهِ ولده وانتحب . ثم اخذ في تجهيزه على ما يجب . ومشت في جنازته الاكابر والاصاغر وصار القراء يقرأُون حول تابوته . وما ترك من حقه شيئاً حتى فعله . ثم صلوا عليهِ وواروه في التراب . وكتبوا على قبره هذين البيتين :

خُلقت من التراب فصرت حيّاً وعُلمت الفصاحة في الخطابِ
وعدت الى التراب فصرت ميتاً كانك ما برحت من الترابِ

وحزن عليهِ ولده عليّ حزناً شديداً وعمل عزاءه على عادة الاعيان واستمرَّ حزيناً على ابيهِ الى ان ماتت امه بعده بمدة يسيرة . ففعل بوالدته مثل ما فعل بابيهِ . وبعد ذلك جلس في الدكان يبيع ويشتري ولا يعاشر احداً من خلق الله تعالى عملاً بوصية ابيه . واستمرَّ على ذلك مدة سنة . وبعد السنة دخلت عليهِ الاولاد الاردياء بالحيل وصاحبوهُ حتى مال معهم الى الفساد . واعرض عن طريق الرشاد . وشرب الراح بالاقداح . والى الملاح غدا وراح . وقال في نفسه : ان والدي جمع لي هذا المال وانا ان لم اتصرف فيهِ . فلمن اخليهِ . والله لا افعل الّا كما قال الشاعر :

ان كنت دهرك كلهُ تحوي اليك وتجمعُ

فمتى بمـا حصلتـهُ وحويتـهُ تتمتعُ

(الليلة العاشرة بعد الثلثمائة) . وما زال علي يبذر في المال اناء الليـل واطراف النهـار حتى اذهب ماله كله وافتقر . فسـاء حاله وتكدر باله وباع الدكان والاماكن وغيرها . ثم بعد ذلك باع ثياب بدنه ولم يترك لنفسه غير بدلة واحدة . فلما ذهبت السكرة وجاءت الفكرة وقع في الحسرة . وقعد يوماً من الصبح الى العصر بغير افطار . فقال في نفسـه : انا ادور على الذين كنت انفق مالي عليهم لعل احداً منهم يطعمني في هذا اليوم . فدار عليهم جميعاً وكلما طرق باب احد منهم ينكر نفسه ويتوارى منهُ حتى احرقه الجوع . ثم ذهب الى سوق التجار فوجد حلقة ازدحام والناس مجتمعون فيها فقال في نفسـه : يا ترى ما سبب اجتماع هؤلاء الناس والله لا انتقل من هذا المكان حتى اتفرَّج على هذه الحلقة . ثم تقدم الى الحلقـة فوجد جارية خماسية معتدلة القد . موردة الخد . قد فاقت اهل زمانها في الحسن والجمال . والبهاء والكمال . كما قال فيهـا بعض واصفيها :

كما اشتهت خلقت حتى اذا كملت ... في قالب الحسن لا طولٌ ولا قصرُ
والحسن اصبح مشغوفاً بصورتهـا ... والصدُّ يعذبها والتيـه والخفرُ
فالبدر طلعتها والغصن قامتهـا ... والمسك نكهتها ما مثلها بشرُ
كانها افرغت من ماء لؤلؤةٍ ... في كل جارحةٍ من حسنها قمرُ

وكانت تلك الجارية اسمها زمرد . فلما نظرها علي شار تعجب من حسنهـا وجمالها وقال : والله لا ابرح حتى انظر القدَر الذي يبلغه ثمن هذه الجارية واعرف الذي يشتريها . ثم وقف بجملة التجار. فظنوا انهُ يشتري لما يعلمون من غناه بالمال الذي ورثه من والديه . ثم ان الدلال وقف على رأس الجـارية وقال : يا تجار

يا ارباب الاموال مَن يفتح باب السعر في هذه الجارية سيدة الاقمار الدرة السنية. زمرد الستورية · بغية الطالب. ونزهة الراغب. فافتحوا الباب. فليس على من فتحه لوم ولا عتاب . فقال بعض التجار : عليَّ بخمسمائة دينار . قال آخر : وعشرة. فقال شيخ يسمى رشيد الدين وكان ازرق العين قبيح المنظر : ومائة . فقال آخر : وعشرة. قال الشيخ : بالف دينار. فحبس التجار ألسنتهم وسكتوا . فشاور الدلال سيدها . فقال : انا حالف اني ما ابيعها الّا لمن تختاره فشاوِرها . فجاء الدلال اليها وقال : يا سيدة الاقمار ان هذا التاجر يريد ان يشتريكِ . فنظرت اليهِ فوجدتهُ كما ذكرنا فقالت للدلال : انا لا اباع لشيخ اوقعه الهرم في اسوإ حال

(الليلة الحادية عشرة بعد الثلثمائة) · فلما سمع الدلال قولها قال لها : والله انكِ معذورة وقيمتكِ عشرة آلاف دينار . ثم اعلم سيدها انها ما رضيت بذلك الشيخ . فقال : شاورها على غيره . فتقدم انسان آخر وقال : عليَّ بما اعطى فيها الشيخ الذي لم ترضَ بهِ . فنظرت الى ذلك الرجل فوجدتهُ مصبوغ اللحية فقالت : ما هذا العيب والريب . وسواد وجه الشيب . ثم اكثرت التعجبات . وانشدت هذه الابيات :

بدا لي من فلان ما بدا لي … قفـاً والله يصفع بالنعـالِ
وذقنٌ للبعوض بهـا مجالٌ … وقرنٌ مال من ربط الحبالِ
ايا مفتون في خدي وقدي … تزوّر بالمحـال ولا تبـالي
وتصبغ بالعيوب بياض شيبٍ … وتخفي ما بدا للاحتيـالِ
تروح بلحيـةٍ وتجي باخرى … كانك بعض صناع الخيالِ

وما احسن قول الشاعر :

قالت اراك خضبت الشيب قلت لها … سترتهُ عنكِ يا سمعي ويا بصري

فقهقهت ثم قـالت ان ذا عجبٌ تكاثر الغش حتى صار في الشعر

فلما سمع الدلال شعرها قال لها : والله انكِ صدقتِ . فقال التـاجر : ما الذي قالت . فاعاد عليهِ الابيات . فعرف ان الحق على نفسه وامتنع من اشترائها . فتقدم تاجر آخر وقال : شاورها عليَّ بالثمن الذي سمعتهُ . فشاورها عليـهِ فنظرت اليه فوجدتهُ اعور . فقالت : هذا اعور وقد قال فيهِ الشاعر :

لا تصحب الاعور يوماً وكن في حذرٍ من شرهِ ومينهِ

لو كان في الاعور من خيرةٍ ما اوجد الله العمى بعينهِ

فقال لها الدلال : أتباعين لذلك التاجر . فنظرت اليهِ فوجدتهُ قصيرًا وذقنهُ سائلة الى وسطه . فقالت : هذا الذي قال فيهِ الشاعر :

فلي صديقٌ ولهُ لحيةٌ انبتها الله بلا فائده

كانها بعض ليالي الشتا طويلةٌ مظلمـةٌ بارده

فقال لها الدلال : يا سيدتي انظري من يعجبكِ من الحـاضرين وقولي عليهِ حتى ابيعكِ لهُ . فنظرت الى حلقة التجار وتفرستهم واحداً بعد واحد فوقع نظرها على عليّ شار وكان بديع الجمال . والطف من نسيم الشمال . فقالت : يا دلال انا لا اباع الّا لسيدي هذا صاحب الوجه المليح فان محاسنه مستوفاة . كما قال فيهِ الشاعر :

يلومهُ الناس على تيهـهِ والبدر مهما تاهَ معذورُ

(الليلة الثانية عشرة بعد الثلثمائة) . فلما سمع الدلال ما انشـدته من الاشعار . في محاسن علي شار . تعجب من فصاحتها . واشراق بهجتها . فقال لهُ صاحبها : لا تعجب من بهجتهـا التي تفضح شمس النهار . ولا من حفظهـا لرقائق الاشعار . فانهـا مع ذلك تقرأُ القرآن العظيم بالسبع قرآات وتروي الاحاديث

الشريفة بصحيح الروايات . وتكتب بالسبعة اقلام . وتعرف من العلوم ما لا يعرفه العالم العلاَّم . ويداها احسن من الذهب والفضة . فانها تعمل الستور الحرير وتبيعها فتكسب في كل واحد خمسين دينارًا . وتشتغل الستر في ثمانية ايام . فقال الدلال : يا سعادة من تكون هذه في داره . ويجعلها من ذخائر أسراره . ثم قال لهُ سيدها : بعها لكل من ارادته . فرجع الدلال الى علي شار وقبَّل يديهِ وقال : يا سيدي اشترِ هذه الجارية فانها اختارتك . وذكر لهُ صفتها وما تعرفه وقال لهُ : هنيئًا لك اذا اشتريتها فانهُ قد اعطاك من لا يبخل بالعطاء . فاطرق علي شار برأسه ساعة الى الارض وهو يضحك على نفسه وقال في سره : اني الى هذا الوقت من غير افطار . ولكن اختشي من التجار ان اقول ما عندي مال اشتريها بهِ . فنظرت الجارية الى اطراقه وقالت للدلال : خذ بيدي وامضِ بي اليهِ . حتى اعرض نفسي عليه . وارغبه في اخذي . فاني ما اباع الَّا لهُ . فاخذها الدلال واوقفها قدام علي شار وقال لهُ : ما رأيك يا سيدي . فلم يردَّ عليهِ جوابًا . فقالت الجارية : يا سيدي ما لك لا تشتريني فاشترني بما شئت واكون سبب سعادتك . فرفع رأسه اليها وقال : هل الشراء بالغصب . انتِ غالية بالف دينار . فقالت لهُ : يا سيدي اشترني بتسعمائة دينار . قال : لا . قالت : بثمانمائة . قال : لا . فما زالت تنقص من الثمن الى ان قالت لهُ : بمائة دينار . قال : ما معي مائة كاملة . فضحكت وقالت لهُ : كم تنقص مائتك . قال : ما معي لا مائة ولا غيرها انا والله لا املك لا ابيض ولا احمر من درهم ولا دينار . فانظري لكِ مشتريًا غيري . فلما علمت انهُ ما معهُ شيء . أخرجت بحيلةٍ من جيبها كيسًا فيهِ الف دينار وقالت : زِنْ منهُ تسعمائة في ثمني وأبقِ المائة معك تنفعنا . ففعل ما امرتهُ بهِ واشتراها بتسعمائة دينار ودفع ثمنها من ذلك الكيس ومضى بها

(الليلة الثالثة عشرة بعد الثلثمائة) . فلما وصلت الى داره وجدتها قاعاً صفصفاً لا فرش بها ولا اواني . فاعطتهُ الف دينار وقالت لهُ : امضِ الى السوق اشترِ لنا بثلثمائة دينار فرشاً واواني للبيت . ففعل . ثم قالت لهُ : اشترِ لنا مأكولاً ومشروباً بثلثة دنانير . ففعل . ثم قالت لهُ : اشترِ لنا خرقة حرير قدر ستر واشترِ قصباً اصفر وابيض وحريرًا ملوناً سبعة الوانٍ . ففعل . ثم انها فرشت البيت واوقدت الشمع وجلست تأكل وتشرب هي واياه . وبعد ذلك اخذت الستر وطرزتهُ بالحرير الملون وزركشتهُ بالقصب وجعلت فيهِ منطقة بصور طيور وصوَّرت في دائرها صور الوحوش ولم تترك وحشاً في الدنيا الَّا وصورت صورته فيهِ . ومكثت تشتغل فيهِ ثمانية ايام . فلما فرغ صقلته وطوته ثم اعطتهُ لسيدها وقالت لهُ : اذهب بهِ الى السوق وبعهُ بخمسين دينارًا للتاجر واحذر ان تبيعه لاحد عابر طريق فان ذلك يكون سبباً للفراق بيني وبينك لان لنا اعداء لا يغفلون عنا . فقال لها : سمعاً وطاعةً . ثم ذهب بهِ الى السوق وباعه لتاجر كما امرته . وبعد ذلك اشترى الخرقة والحرير والقصب على العادة وما يحتاجان اليهِ من الطعام واحضر لها ذلك واعطاها بقية الدراهم . فصارت كل ثمانية ايام تعطيهِ سترًا يبيعهُ بخمسين دينارًا . ومكثت على ذلك سنة كاملة . وبعد السنة راح الى السوق بالستر على العادة واعطاه للدلال . فعرض لهُ نصراني فدفع لهُ ستين دينارًا فامتنع . فما زال يزيده حتى عمله بمائة دينار وبرطل الدلال بعشرة دنانير . فرجع الدلال على علي شار واخبره بالثمن وتحيَّل عليهِ في ان يبيع الستر للنصراني بذلك المبلغ وقال لهُ : يا سيدي لا تخف من هذا النصراني وما عليك منهُ بأس . وقامت التجار عليهِ فباعهُ للنصراني وقلبهُ مرعوب . ثم قبض المال ومضى الى البيت فوجد النصراني ماشياً خلفه . فقال لهُ : يا نصراني ما لك ماشياً

خلفي . فقال لهُ : يا سيدي ان لي حاجة في صدر الزقاق. الله لا يحوجك . فما وصل علي شار الى منزله الَّا والنصراني لاحقه . فقال لهُ: يا ملعون ما لك تتبعني اينما اسير . فقال : ياسيدي اسقني شربة ماء فاني عطشان واجرك على الله تعالى. فقال علي شار في نفسه: هذا رجل ذمّي وقصدني في شربة ماء فوالله لا اخيبه

(الليلة الرابعة عشرة بعد الثلثمائة). ثم دخل البيت واخذ كوز ماء. فرأتهُ جاريتهُ زمرد فقالت لهُ : ياحبيبي هل بعت الستر . قال : نعم . قالت : لتاجر او لعابر سبيل فقد حسَّ قلبي بالفراق . قال : ما بعتهُ الَّا لتاجر . قالت : اخبرني بحقيقة الامر حتى اتدارك شأني وما بالك اخذت كوز الماء . قال : لاسقي الدلال . فقالت : لا حول ولا قوة الَّا بالله العلي العظيم . ثم انشدت هذين البيتين :

يا طالبًا للفراق مهلًا   فلا يغرنَّك العناقُ
مهلًا فطبع الزمان غدرٌ   وآخر الصحبة الفراقُ

ثم خرج بالكوز فوجد النصراني داخلًا في دهليز البيت. فقال لهُ : هل وصلت الى هنا يا كلب كيف تدخل منزلي بغير اذني . فقال : يا سيدي لا فرق بين الباب والدهليز وما بقيت انتقل من مكاني هذا الَّا للخروج وانت لك الفضل والاحسان . والجود والامتنان . ثم انهُ تناول كوز الماء وشرب ما فيهِ. وبعد ذلك ناوله الى علي شار . فاخذه وانتظره ان يقوم فما قام . فقال لهُ : لاي شيء لم تقم وتذهب الى حال سبيلك. فقال : يا مولاي لا تكن ممن فعل الجميل ومنَّ بهِ ولا من الذين قال فيهم الشاعر :

ذهب الذين اذا وقفت ببابهم   كانوا لقصدك اكرم الكرماء

واذا وقفت بباب قوم بعدهم   منوا عليك بشربة من ماء

ثم قال : يا مولاي اني قد شربت ولكن اريد منك ان تطعمني مهما كان من البيت سواء كان كسرة او قرقوشة وبصلة . فقال لهُ : قم بلا مماحكة ما في البيت شيء . فقال : يا مولاي ان لم يكن في البيت شيء فخذ هذه المائة دينارًا وأتنا بشيء من السوق ولو برغيف واحد ليصير بيني وبينك خبز وملح . فقال علي شار في سره : ان هذا النصراني مجنون فانا آخذ منهُ المائة الدينار واجيء لهُ بشيء يساوي درهمين واضحك عليه . فقال لهُ النصراني : يا سيدي انما اريد شيئًا يطرد الجوع ولو رغيفًا يابسًا وبصلة . فخير الزاد ما دفع الجوع لا الطعام الفاخر . وما احسن قول الشاعر :

الجوع يُطرَد بالرغيف اليابسِ   فعلام تعظم حسرتي ووساوسي
والموت اعدل حين أصبح منصفًا   بين الخليفة والفقير البائسِ

(الليلة الخامسة عشرة بعد الثلثمائة) . فقال لهُ علي شار : اصبر هنا حتى اقفل القاعة وآتيك بشيء من السوق . فقال لهُ : سمعًا وطاعةً . ثم خرج وقفل القاعة وحط على الباب كيلونًا واخذ المفتاح معهُ وذهب الى السوق واشترى جبنًا مقليًا وعسلًا ابيض وموزًا وخبزًا واتى بهِ اليه . فلما نظر النصراني الى ذلك قال : يا مولاي هذا شيء كثير يكفي عشرة رجال وانا وحدي فلعلك تأكل معي . فقال لهُ : كُل وحدك فاني شبعان . فقال لهُ : يا مولاي قالت الحكماء : من لم ياكل مع ضيفه فهو ولد زنا . فلما سمع علي شار من النصراني هذا الكلام جلس واكل معهُ شيئًا قليلًا واراد ان يرفع يده فاخذ النصراني موزة وقشرها وشقها نصفين وجعل في نصفها بنجًا مكررًا ممزوجًا بأفيون الدرهم منهُ يرمي الفيل . ثم غمس نصف الموزة في العسل وقال لهُ : يا مولاي

وحق دينك ان تأخذ هذه . فاستحى علي شار ان يحنثه في يمينه فاخذها منهُ وابتلعها . فلما استقرَّت في بطنه حتى سبق رأسه رجليه وصار كانهُ لهُ سنة وهو راقد . فلما رأى النصراني ذلك قام على قدميه كانهُ ذئب امعط . او قضاء مسلط . واخذ معهُ مفتاح القاعة وتركهُ مرمياً وذهب يجري الى اخيهِ واخبره بالخبر . وسبب ذلك ان اخا النصراني هو الشيخ الهرم الذي اراد ان يشتريها بالف دينار . فلم ترضَ بهِ وهجته بالشعر وكان كافرًا في الباطن مسلماً في الظاهر وسمى نفسه رشيد الدين . ولما هجتهُ ولم ترضَ بهِ شكا الى اخيهِ النصراني الذي تحيَّل في اخذها من سيدها علي شار وكان اسمهُ برسوم . فقال لهُ : لا تحزن من هذا الامر فانا اتحيَّل لك في اخذها بلا درهم ولا دينار . لانهُ كان ماكرًا مخادعاً . ثم انهُ لم يزل يمكر ويتحيَّل حتى عمل الحيلة التي ذكرناها واخذ المفتاح وذهب الى اخيهِ واخبره بما حصل . فركب بغلته واخذ غلمانه وتوجه مع اخيه الى بيت علي شار واخذ معهُ كيساً فيهِ الف دينار لاجل انهُ اذا صادفه الوالي يبرطله . ففتح القاعة وهجمت الرجال الذين معهُ على زمرد واخذوها قهرًا وهددوها بالقتل ان تكلمت وتركوا المنزل على حاله ولم يأخذوا منهُ شيئاً وتركوا علي شار راقدًا في الدهليز . ثم ردوا الباب عليهِ وتركوا مفتاح القاعة في جانبه ومضى بها النصراني الى قصره ووضعها بين جواريه وسراريه وقال لها : يا فاجرة انا الشيخ الذي ما رضيتِ بي وهجوتني وقد اخذتكِ بلا درهم ولا دينار . فقالت لهُ وقد اغرورقت عيناها بالدموع : حسبك الله يا شيخ السوء حيث فرقت بيني وبين سيدي . فقال لها : يا فاجرة سوف تنظرين ما افعل بكِ من العذاب ان لم تدخلي في ديني لاعذبنكِ بانواع العذاب . فقالت لهُ : والله لو قطعت لحمي قطعاً ما افارق دين الاسلام . ولعل الله تعالى يأتيني بالفرج القريب انهُ على ما يشاء

قدير . وقد قالت العقلاء : مصيبة في الابدان . ولا مصيبة في الاديان . فعند ذلك صاح على الخدم والجواري وقال لهم : اطرحوها فطرحوها . وأخذ يضربها ضرباً عنيفاً وصارت تستغيث فلا تغاث . ثم اعرضت عن الاستغاثة وصارت تقول : حسبي الله وكفى . الى ان انقطع نفسها وخفي انينها . فلما اشتفى قلبه منها قال للخدم : اسحبوها من رجليها وارموها في المطبخ ولا تطعموها شيئاً . ثم بات الملعون تلك الليلة ولما اصبح الصباح طلبها وكرر عليها الضرب وأمر الخدم ان يرموها في مكانها ففعلوا . فلما برد عليها الضرب قالت : لا اله الّا الله محمد رسول الله . حسبي الله ونعم الوكيل . ثم استغاثت بسيدنا محمد (صلعم)

(الليلة السادسة عشرة بعد الثلثمائة) . هذا ما كان من امرها . واما ما كان من امر علي شار فانهُ لم يزل راقداً الى ثاني يوم . ثم طار البنج من رأسه ففتح عينيهِ وصاح قائلاً : يا زمرد . فلم يجبهُ احد . فدخل القاعة فوجد الجوّ قفراً والمزار بعيداً : فعلم انهُ ما جرى عليهِ هذا الامر الّا من النصراني . فحنّ وبكى . وأنّ واشتكى . وافاض العبرات . وانشد هذه الابيات :

يا وجد لا تُبقي عليَّ ولا تذرْ	ها مهجتي بين المشقة والخطرْ
يا سادتي رقوا لعبدٍ ذلّ في	شرع الهوى وغنيّ قوم افتقرْ
ما حيلة الرامي اذا التقت العدى	واراد رمي السهم فانقطع الوترْ
واذا تكاثرت الهموم على الفتى	وتراكمت اين المفرّ من القدرْ
ولكم احاذر من تفرُّق شملنا	لكن اذا نزل القضا عمي البصرْ

فلما فرغ من شعره أصعد الزفرات . وانشد ايضاً هذه الابيات :

خلعت هيا كلها بجرعاء الحمى	فصبا لمغناها الكئيب تشوقا
وتلفتت نحو الديار فشاقها	رَبعٌ عفت اطلالهُ فتمزقا

وقفت تسائلهُ فردّ جوابها رجع الصدا أنْ لا سبيل الى اللقا
فكأنهُ برقٌ تـألق بالحمى ومضى فما يُبدي اليك تألقا

وندم حيث لا ينفعه الندم . وبكى وخزّق اثوابه واخذ بيده حجرين ودار حول المدينة وصار يدق بهما في صدره ويصيح قائلًا : يا زمرد . فدارت الصغار حوله وقالوا : مجنون مجنون . فكان كل من عرفه يبكي عليـه ويقول : هذا فلان ما الذي جرى لهُ . ولم يزل على هذه الحالة الى آخر النهار . فلما جنّ عليهِ الليل نام في بعض الازقة الى الصباح . ثم اصبح دائرًا بالاحجار حول المدينة الى آخر النهار وبعد ذلك رجع الى قاعته ليبيت فيها . فنظرتهُ جارتهُ وكانت امرأة عجوزًا من اهل الخير فقالت لهُ : يا ولدي سلامتك متى جننت . فاجابها بهذا البيت :

دعوا جنوني وهاتوا من جننت بهِ ان كان يشفي جنـوني لا تلوموني

فعلمت جارته العجوز انهُ حزين لمن فارق فقـالت : لا حول ولا قوة الَّا بالله العلي العظيم يا ولدي اشتهي منك ان تحكي لي خبر مصيبتك عسى الله ان يقدرني على مساعدتك عليها بمشيئته . فحكى لها جميع ما وقع لهُ مع برسوم النصراني الذي سمى نفسه رشيـد الدين . فلما علمت ذلك قالت لهُ : يا ولدي انك معذور . ثم افاضت دمع العين وبكت لحاله ثم قالت لهُ : يا ولدي قم الآن واشترِ قفصًا مثل اقفاص اهل الصـاغة واشترِ اساور وخواتم وحلقـًا وحليًا يصلح للنساء ولا تبخل بالمـال . وضعْ جميع ذلك في القفص وهات القفص وانا اضعهُ على رأسي في صورة دلالة وادور افتش عليها في البيوت حتى اقع على خبرها ان شاء الله تعالى . ففرح علي شار بكلامها وقبَّل يديها . ثم ذهب بسرعة واتى لها بما طلبتهُ . فلما حضر ذلك عندها قامت ولبست مرقعـة ووضعت على

رأسها ازارًا عسليًا واخذت في يدها عكازًا وحملت القفص ودارت في العطفات والبيوت . ولم تزل دائرة من مكان الى مكان ومن حارة الى حارة ومن درب الى درب الى ان دلها الله تعالى على قصر رشيد الدين النصراني. فسمعت من داخله انينًا فطرقت الباب

(الليلة السابعة عشرة بعد الثلثمائة) . فنزلت جارية لها ففتحت لها الباب وسلمت عليها . فقالت لها العجوز : ان معي هذه الحويجات للبيع هل عندكم من يشتري منها شيئًا . فقالت لها الجارية : نعم . ثم ادخلتها الدار واجلستها وجلس الجواري حولها واخذت كل واحدة شيئًا منها . فصارت العجوز تلاطف الجواري وتتساهل معهنّ في الثمن . ففرح بها الجواري بسبب معروفها ولين كلامها وهي تتأمل في جهات المكان على صاحبة الانين . فلاحت منها التفاتة اليها وتأملت فوجدتها زمرد مطروحة فعرفتها . فبكت وقالت لهنّ : يا اولادي ما بال هذه الصبية في هذا الحال . فحكت لها الجواري جميع القصة وقلنَ لها : هذا الامر ليس باختيارنا ولكن سيدنا امرنا بهذا وهو مسافر الآن . فقالت لهنّ : يا اولادي لي عندكنّ حاجة وهي انكنّ تحللنَ هذه المسكينة من الرباط الى ان تعلمنَ بمجيء سيدكنّ فتربطنها كما كانت وتكسبنَ الاجر من رب العالمين. فقلنَ لها : سمعًا وطاعةً . ثم انهنّ حللنها واطعمنها واسقينها . ثم قالت العجوز : يا ليت رجلي انكسرتْ ولا دخلتُ لكم منزلاً . وبعد ذلك ذهبت الى زمرد وقالت لها : يا بنتي سلامتكِ سيفرّج الله عنكِ . ثم ذكرت لها انها جاءت من عند سيدها علي شار . ووعدتها انها في ليلة غد تكون حاضرة وتلقي سمعها للصوت وقالت لها : ان سيدكِ يأتي اليكِ تحت مصطبة القصر ويصفر لكِ . فاذا سمعتِ ذلك فاصفري لهُ وتدلي لهُ من الطاقة بحبل وهو يأخذكِ ويمضي بكِ . فشكرتها على

ذلك . ثم خرجت العجوز وذهبت الى علي شار واعلمته وقالت لهُ : توجه في الليلة القابلة نصف الليل الى الحارة الفلانية فان بيت الرجل هناك وعلامته كذا وكذا فقف تحت قصره واصفر فانها تتدلى اليك . فخذها وامضِ بها حيث شئت . فشكرها على ذلك. ثم انهُ افاض العبرات . وانشد هذه الابيات :

كفَّ العواذل عن قيلٍ وعن قالِ قلبي معنًّى وجسمي ناحلٌ بالِ
وللدموع احاديثٌ مسلسلةٌ عن الصحيح باعضالٍ وارسالِ
يا خاليَ البال من همي ومن همي اقصر عناك عن التسآل عن حالي
ما قرَّ قلبيَ مذ غبتم ولا هجعت عيني ولا نجعت في الصبر آمالي
تركتموني رهين الشوق مكتئبًا مذبذبًا بين حسادٍ وعذَّالِ
اما السلوَّ فشيءٌ لست اعرفهُ وغيركم قطّ لم يخطر على بالي

فلما فرغ من شعره تنهد وافاض دمع العين . وانشد هذين البيتين :

لله درّ مبشري بقدومكم فلقد اتى بلطائف المسموعِ
لو كان يقنع بالخليع منحتهُ قلبًا تمزّق ساعة التوديعِ

ثم انهُ صبر الى ان جنَّ الليل وجاء وقت الميعاد فذهب الى تلك الحارة التي وصفتها لهُ جاريته ورأى القصر فعرفه وجلس على مصطبة تحته وغلب عليهِ النوم فنام . وجلَّ من لا ينام . وكان لهُ مدة لم ينم من الوجد الذي بهِ فصار كالسكران

(الليلة الثامنة عشرة بعد الثلثمائة) . فبينما هو نائم واذا بلصّ من اللصوص خرج تلك الليلة في اطراف المدينة ليسرق شيئًا . فرمتهُ المقادير تحت قصر ذلك النصراني . فدار حوله فلم يجد لهُ سبيلًا الى الصعود اليهِ فصار دائرًا حوله الى ان وصل الى المصطبة فرأى عليًا نائمًا . فاخذ عمامته وبعد ان اخذها لم يشعر الا

وزمرد طلت في ذلك الوقت فرأتهُ واقفًا في الظلام لخبثهِ سيدها فصفرت لهُ . فصفر لها الحرامي . فتدلت لهُ بالحبل وصحبتها خرج ملآن ذهبًا . فلما رآه اللص قال في نفسه : ما هذا الّا امر عجيب . لهُ سبب غريب . ثم حمل الخرج وحملها على اكتافه وذهب بهما مثل البرق الخاطف . فقالت لهُ : ان العجوز اخبرتني انك ضعيف بسببي وها انت اقوى من الفرس . فلم يردّ عليها جوابًا . فمست وجههُ فوجدت لحيته مثل مقشة الحمام كانهُ خنزير ابتلع ريشًا فطلع زغبه من حلقه . ففزعت منهُ وقالت لهُ : اي شيء انت . فقال لها : انا الشاطر جوان الكردي من جماعة احمد الدنف ونحن اربعون شاطرًا . فلما سمعت كلامه بكت ولطمت على وجهها وعلمت ان القضاء غلب عليها وانه لا حيلة لها الّا التفويض الى الله تعالى . فصبرت وسلمت لحكم الله تعالى وقالت : لا اله الّا الله كلما خلصنا من همّ وقعنا في همّ اكبر منهُ . وكان السبب في مجيء جوان الى هذا المكان انهُ قال لاحمد الدنف : يا شاطر انا دخلت هذه المدينة قبل الآن واعرف فيها غارًا خارج البلد يسع اربعين نفسًا وانا اريد ان اسبقكم اليهِ وادخل امي في ذلك الغار . ثم ارجع الى المدينة واسرق منها شيئًا على بختكم واحفظهُ على اسمكم الى ان تحضروا فتكون ضيافتكم في ذلك النهار من عندي . فقال لهُ احمد الدنف : افعل ما تريد . فخرج قبلهم وسبقهم الى ذلك المحل ووضع امهُ في ذلك الغار . ولما خرج من الغار وجد جنديًا راقدًا وعنده فرس مربوط . فذبحهُ واخذ فرسه وسلاحه وثيابه واخفاها في الغار عند امه وربط الحصان هناك . ثم رجع الى المدينة ومشى حتى وصل الى قصر النصراني وفعل ما تقدم ذكره من اخذ عمامة علي شار ومن اخذ زمرد جاريته . ولم يزل يجري بها الى ان وضعها عند امه وقال لها : احتفظي عليها الى حين ارجع اليكِ في بكرة النهار . ثم ذهب

(الليلة التاسعة عشرة بعد الثلثمائة) . فقالت زمرد في نفسها : وما هذه الغفلة عن خلاص روحي بالحيلة . ثم انها التفتت الى العجوز ام جوان الكردي وقالت لها : يا خالتي اما تقومين بنا الى خارج الغار حتى افليك في الشمس . فقالت : اي والله يا بنتي فان لي مدة وانا بعيدة عن الحمام لان هؤلاء الخنازير لم يزالوا دائرين بي من مكان الى مكان . فخرجت معها فصارت تفليها الى ان استلذت بذلك ورقدت . فقامت زمرد ولبست ثياب الجندي الذي قتله جوان الكردي وشدت سيفه في وسطها وتعممت بعمامته حتى صارت كانها رجل وركبت الفرس واخذت الخرج الذهب معها وقالت : يا جميل الستر استرني بجاه الرسول (صلعم) . ثم انها قالت في نفسها : ان رحت الى البلد ربما ينظرني احد من اهل الجندي فلا يحصل لي خير . ثم اعرضت عن دخول المدينة وسارت في البر الاقفر

ولم تزل سائرة بالخرج والفرس وتأكل من نبات الارض وتطعم الفرس منهُ وتشرب وتسقيها من الانهار مدة عشرة ايام . وفي اليوم الحادي عشر اقبلت على مدينة طيّبة امينة . بالخير مكينة . قد ولّى عنها فصل الشتاء ببرده . واقبل عليها فصل الربيع بزهره ووروده . فزهت ازهارها . وتدفقت انهارها . وغردت اطيارها . فلما وصلت الى المدينة وقربت من بابها وجدت العساكر والامراء واكابر اهل المدينة فتعجبت لما نظرتهم على هذه الحالة وقالت في نفسها : ان اهل هذه المدينة كلهم مجتمعون ببابها ولا بدَّ لذلك من سبب . ثم انها قصدتهم فلما قربت منهم تسابق اليها العساكر وترجلوا وقبلوا الارض بين يديها وقالوا : الله ينصرك يا مولانا السلطان . واصطفت بين يديها ارباب المناصب . فصار العساكر يرتبون الناس ويقولون : الله ينصرك ويجعل قدومك مباركاً على المسلمين .

يا سلطان العالمين . ثبتك الله يا ملك الزمان . يا فريد العصر والاوان . فقالت لهم زمرد : ما خبركم يا اهل هذه المدينة . فقال الحاجب : انهُ اعطاكَ من لا يبخل بالعطاء وجعلك سلطاناً على هذه المدينة وحاكماً على رقاب جميع من فيها . واعلم ان عادة اهل هذه المدينة اذا مات ملكهم ولم يكن لهُ ولد تخرج العساكر الى ظاهر المدينة ويمكثون ثلثة ايام فاي انسان جاء من طريقك التي جئت منها يجعلونه سلطاناً عليهم . والحمد لله الذي ساق لنا انساناً من اولاد الترك جميل الوجه . فلو طلع علينا اقلّ منك كان سلطاناً . وكانت زمرد صاحبة رأي في جميع افعالها . فقالت : لا تحسبوا انني من اولاد عامة الاتراك بل انا من اولاد الاكابر لكنني غضبت من اهلي فخرجت من عندهم وتركتهم . وانظروا الى هذا الخرج الذهب الذي جئت بهِ تحتي لأتصدق منهُ على الفقراء والمساكين طول الطريق . فدعوا لها وفرحوا بها غاية الفرح وكذلك زمرّد فرحت بهم

(الليلة الموفية للعشرين بعد الثلثمائة) . ثم قالت في نفسها بعد ان وصلت الى هذا الامر : لعلَّ الله يجمعني بسيدي في هذا المكان انهُ على ما يشاء قدير . ثم سارت فسار العسكر بسيرها حتى دخلوا المدينة وترجل العسكر بين يديها حتى ادخلوها القصر . فنزلت واخذها الامراء والاكابر من تحت ابطيها حتى اجلسوها على الكرسي وقبلوا الارض جميعا بين يديها . فلما جلست على الكرسي امرت بفتح الخزائن ففتحت وانفقت على جميع العسكر . فدعوا لها بدوام الملك واطاعها العباد . وسائر اهل البلاد . واستمرت على ذلك مدة من الزمان وهي تأمر وتنهي وقد صار لها في قلوب الناس هيبة عظيمة من اجل الكرم والعفة . وابطلت المكوس . واطلقت من في الحبوس . ورفعت المظالم فاحبها جميع الناس . وكلما تذكرت سيدها تبكي وتدعو الله ان يجمع بينها وبينه .

واتفق انها تذكرتهُ في بعض الليالي وتذكرت ايامها التي مضت لها معهُ. فافاضت دمع العين . وانشدت هذين البيتين :

شوقي اليك على الزمان جديدُ والدمع قرَّح مقلتي ويزيدُ
واذا بكيت بكيت من ألم الجوى ان الفراق على المحب شديدُ

فلما فرغت من شعرها مسحت دموعها وصعدت القصر وافردت للسراري والجواري معازل ورتبت لهنَّ الرواتب والجرايات وزعمت انها تريد ان تجلس في مكان وحدها عاكفة على العبادة . وصارت تصوم وتصلي حتى قالت الامراء : ان هذا السلطان لهُ ديانة عظيمة . ثم انها لم تدع عندها احدًا من الخدم غير طواشيَين صغيرين لاجل الخدمة . وجلست في تخت الملك سنة وهي لم تسمع لسيدها خبرًا ولم تقف لهُ على اثر فقلقت من ذلك

(الليلة الحادية والعشرون بعد الثلثمائة). فلما اشتدَّ قلقها دعت بالوزراء والحجاب وأمرتهم ان يحضروا لها المهندسين والبنائين وان يبنوا لها تحت القصر ميدانًا طولهُ فرسخ وعرضهُ فرسخ. ففعلوا ما امرتهم بهِ في اسرع وقت فجاء الميدان على طبق مرادها . فلما تمَّ ذلك الميدان نزلت فيهِ وضربت لها فيهِ قبة عظيمة وصفّت فيهِ كراسي الامراء وأمرت ان يمدّوا سماطًا من سائر الاطعمة الفاخرة في ذلك الميدان ففعلوا ما امرتهم بهِ. ثم أمرت ارباب الدولة ان يأكلوا فأكلوا. ثم قالت للامراء : اريد اذا هلَّ الشهر الجديد ان تفعلوا هكذا وتنادوا في المدينة انهُ لا يفتح احد دكانه بل يحضرون جميعًا ويأكلون من سماط الملك . وكل من خالف منهم يُشنق على باب داره. فلما هلَّ الشهر الجديد فعلوا ما أمرتهم بهِ. واستمروا على هذه العادة الى ان هلَّ اول الشهر في السنة الثانية فنزلت الى الميدان ونادى المنادي : يا معاشر الناس كافةً كل من فتح دكانه او حاصله

او منزله شُنق في الحال على باب مكانه . بل يجب عليكم انكم تحضرون جميعاً لتأكلوا من سماط الملك . فلما فرغت المناداة وقد وضعوا السماط جاءت الخلق افواجاً . فأمرتهم بالجلوس على السماط ليأكلوا حتى يشبعوا من سائر الالوان . فجلسوا يأكلون كما امرتهم وجلست على كرسي المملكة تنظر اليهم . فصار كل من جلس على السماط يقول في نفسه : ان الملك لا ينظر الّا اليَّ وجعلوا يأكلون وصار الامراء يقولون للناس : كلوا ولا تستحوا فان الملك يحب ذلك . فأكلوا حتى شبعوا وانصرفوا داعين للملك . وصار بعضهم يقول لبعض : عمرنا ما رأينا سلطاناً يحب الفقراء مثل هذا السلطان . ودعوا لهُ بطول البقاء

ثم ذهبت الى قصرها وهي فرحانة بما رتبتهُ وقالت في نفسها : ان شاء الله تعالى بسبب ذلك اقع على خبر سيدي علي شار . ولما هلَّ الشهر الثاني فعلت ذلك الامر على جري العادة ووضعوا السماط ونزلت زمرد وجلست على كرسيها وأمرت الناس ان يجلسوا ويأكلوا . فبينما هي جالسة على رأس السماط والناس يجلسون عليهِ جماعة بعد جماعة وواحداً بعد واحد اذ وقعت عينها على برسوم النصراني الذي كان اشترى الستر من سيدها فعرفتهُ وقالت : هذا اول الفرج وبلوغ المنى . ثم ان برسوماً تقدم وجلس مع الناس يأكل فنظر الى صحن ارزّ حلو مرشوش عليهِ سكر وكان بعيداً عنهُ . فزاحم عليهِ ومدَّ يده اليهِ وتناوله ووضعه قدامه . فقال لهُ رجل بجانبه: لمَ لا تأكل من قدامك . اما هذا عيب عليك . كيف تمدّ يدك الى شيء بعيد عنك . أما تستحي . فقال لهُ برسوم : ما آكل الّا منهُ . فقال لهُ الرجل : كُل لا هنَّاك الله بهِ . فقال رجل حشّاش: دعهُ يأكل منهُ حتى آكل انا الآخر معهُ . فقال لهُ الرجل : يا انحس الحشاشين هذا ما هو مأكولكم وانما هو مأكول الامراء فاتركوه حتى يرجع الى اصحابه

فيأكلوه . فخالفه برسوم واخذ منهُ لقمة وحطها في فمه . واراد ان ياخذ الثانية والملكة تنظر اليهِ فصاحت على بعض الجند وقالت لهم : هاتوا هذا الذي قدامه الصحن الارزّ الحلو ولا تدعوهُ يأكل اللقمة التي في يده بل ارموها من يده . فجاءهُ اربعة من العساكر وسحبوه على وجهه بعد ان أرموا اللقمة من يده واوقفوه قدام زمرد . فامتنعت الناس عن الاكل وقال بعضهم لبعض : والله انهُ ظالم لانهُ لم يأكل من طعام امثاله . فقال واحد : انا قنعت بهذا الكشك الذي قدامي . فقال الحشاش : الحمد لله الذي منعني ان آكل من الصحن الارزّ الحلو شيئاً لاني كنت انتظر ان يستقرّ قدامه ويتهنى عليهِ ثم آكل معهُ فحصل لهُ ما رأينا . فقال الناس لبعضهم : اصبروا حتى ننظر ما يجري عليه

(الليلة الثانية والعشرون بعد الثلثمائة) . فلما قدموه بين يدي الملكة زمرد قالت لهُ : ويلك من ازرق العينين . ما اسمك وما سبب قدومك الى بلادنا . فأنكر الملعون اسمهُ وكان متعمّماً بعمامة بيضاء . فقال : يا ملك اسمي علي وصنعتي حياك وجئت الى هذه المدينة من اجل التجارة . فقالت زمرد : ائتوني بتخت رمل وقلم من نحاس . فجاءوا بما طلبتهُ في الحال . فاخذت التخت الرمل والقلم وضربت تخت رمل وخطت بالقلم صورة مثل صورة قرد . ثم بعد ذلك رفعت رأسها وتأملت في برسوم ساعة زمانية وقالت لهُ : يا كلب كيف تكذب على الملوك : أما انت نصراني واسمك برسوم وقد اتيت الى حاجة تفتش عليها . فأصدقني الخبر والّا وعزّة الربوبية اضرب عنقك . فتاجلج النصراني . فقال الامراء والحاضرون : ان هذا الملك يعرف ضرب الرمل سبحان من اعطاه . ثم صاحت على النصراني وقالت لهُ : اصدقني الخبر والّا اهلكتك . فقال النصراني : العفو يا ملك الزمان انك صادق في ضرب الرمل فاني نصراني . فتعجب الحاضرون

من الامراء وغيرهم من اصابة الملك في ضرب الرمل وقالوا : ان هذا الملك منجم ما في الدنيا مثله

ثم ان الملكة أمرت بان يسلخ النصراني ويحشى جلده تبناً ويعلق على باب المدينة وان يحفر حفرة في خارج البلد ويحرق فيها لحمه وعظمه وترمى عليهِ الاوساخ والاقذار. فقالوا: سمعاً وطاعةً. وفعلوا جميع ما أمرتهم بهِ . فلما نظر الخلق ما حلّ بالنصراني قالوا : جزاؤه ما حلّ بهِ فما كان اشأمها لقمة عليهِ . فقال واحد منهم : على البعيد الطلاق عمري ما بقيت آكل ارزاً حلواً . فقال الحشاش : الحمد لله الذي عافاني مما حلّ بهذا حيث حفظني من اكل ذلك الارز. ثم خرج الناس جميعهم وقد حُرموا الجلوس على الارز الحلو في موضع ذلك النصراني . ولما كان الشهر الثالث مدوا السماط على جري العادة وملأُوه بالصحون وقعدت الملكة زمرد على الكرسي ووقف العسكر على جري العادة وهم خائفون من سطوتها ودخلت الناس من اهل المدينة على العادة وداروا حول السماط ونظروا الى موضع الصحن . فقال واحد منهم للآخر : يا حجّ خلف . قال لهُ : لبَّيك يا حج خالد . قال: تجنب الصحن الارز الحلو واحذر ان تأكل منهُ فان اكلت منهُ تصبح مشنوقاً

(الليلة الثالثة والعشرون بعد الثلثمائة) . ثم انهم جلسوا حول السماط للاكل . فبينما هم يأكلون والملكة زمرد جالسة اذ حانت منها التفاتة الى رجل داخل يهرول من باب الميدان . فتأملتهُ فوجدتهُ جوان الكردي اللص الذي قتل الجندي . وسبب مجيئهِ انهُ كان ترك امهُ ومضى الى رفقائهِ وقال لهم: اني كسبت البارحة كسباً طيباً وقتلت جنديا واخذت فرسه وحصل لي في تلك الليلة خرج ملآن ذهباً وصبية قيمتها اكثر من الذهب الذي في الخرج . ووضعت جميع ذلك

في الغار عند والدتي . ففرحوا بذلك وتوجهوا الى الغار في آخر النهار ودخل جوان الكردي قدامهم وهم خلفه واراد ان يأتي لهم بها قال لهم عنهُ فوجد المكان قفرًا فسأل امهُ عن حقيقة الامر فأخبرتهُ بجميع ما جرى . فعضّ على كفيهِ ندمًا وقال : والله لأدورنّ على هذه الفاجرة وآخذها من المكان الذي هي فيهِ ولو كانت في قشور الفستق . وخرج يفتش عليها . ولم يزل دائرًا في البلاد حتى وصل الى مدينة الملكة زمرد . فلما دخل المدينة لم يجد فيها احدًا . فسأل بعض النساء الناظرات من الشبابيك فاعلمنهُ ان اول كل شهر يمد السلطان سماطًا وتروح الناس وتأكل منهُ . ودللنهُ على الميدان الذي يمدّ فيهِ السماط فجاء وهو يهرول فلم يجد مكانًا خاليًا يجلس فيهِ الَّا عند الصحن المتقدم ذكره . فقعد وصار الصحن قدامه فمدّ يده اليهِ . فصاحت عليهِ الناس وقالوا لهُ : يا اخانا ما تريد ان تعمل . قال : اريد ان آكل من هذا الصحن حتى اشبع . فقال لهُ واحد : ان اكلت منهُ تصبح مشنوقًا . فقال لهُ : اسكت ولا تنطق بهذا الكلام . ثم مدّ يده الى الصحن وجرّهُ قدامه وكان الحشاش المتقدم ذكره جالسًا في جنبه . فلما رآه جرّ الصحن قدامه هرب من مكانه وطارت الحشيشة من رأسه وجلس بعيدًا وقال : انا ما لي حاجة بهذا الصحن

(الليلة الرابعة والعشرون بعد الثلثمائة) . ثم ان جوان الكردي مدّ يده الى الصحن وهي في صورة رِجل الغراب وغرف بها واطلعها منهُ وهي في صورة خف الجمل ودوّر اللقمة في كفه حتى صارت مثل النارنجة الكبيرة ثم رماها في فمه بسرعة . فانحدرت في حلقه ولها قرقعة مثل الرعد وبان قعر الصحن من موضعها . فقال لهُ من بجانبه : الحمد لله الذي لم يجعلني طعامًا بين يديك لانك خسفت الصحن بلقمة واحدة . فقال الحشاش : دعوهُ يأكل فاني تخيلت فيهِ صورة

المشنوق . ثم التفت اليهِ وقال لهُ : كُل لا هنَّأَك الله . فمدَّ يده الى اللقمة الثانية واراد ان يدورها في يده مثل اللقمة الاولى واذا بالملكة صاحت على بعض الجند وقالت لهم : هاتوا ذلك الرجل بسرعة ولا تدعوهُ يأكل اللقمة التي في يده . فتجارت عليهِ العساكر وهو مكبّ على الصحن وقبضوا عليهِ واخذوهُ واوقفوه قدام الملكة زمرد . فشمتت الناس بهِ وقالوا لبعضهم : انهُ يستاهل لاننا نصحناه فلم ينتصح وهذا المكان موعود بقتل من جلس فيهِ وذلك الارز مشؤوم على كل من يأكل منهُ . ثم ان الملكة زمرد قالت لهُ : ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك مدينتنا . قال : يا مولانا السلطان اسمي عثمان . وصنعتي خولي بستان : وسبب مجيئي الى هذه المدينة انني دائر افتش على شيء ضاع مني . فقالت الملكة : عليَّ بتخت الرمل . فاحضروه بين يديها . فاخذت القلم وضربت تخت رمل . ثم تأملت فيهِ ساعة وبعد ذلك رفعت رأسها وقالت لهُ : ويلك يا خبيث كيف تكذب على الملوك . هذا الرمل يخبرني ان اسمك جوان الكردي وصنعتك انك لص تأخذ اموال الناس بالباطل وتقتل النفس التي حرَّم الله قتلها الّا بالحق . ثم صاحت عليهِ وقالت لهُ : يا خنزير اصدقني بخبرك والّا قطعت رأسك . فلما سمع كلامها اصفرَّ لونه وضحكت اسنانه وظنَّ انهُ ان نطق بالحق ينجو . فقال : صدقت ايها الملك ولكنني اتوب على يديك من الآن وارجع الى الله تعالى . فقالت لهُ الملكة : لا يحل لي ان اترك آفة في طريق المسلمين . ثم قالت لبعض اتباعها : خذوهُ واسلخوا جلدهُ وافعلوا بهِ مثل ما فعلتم بنظيره في الشهر الماضي . ففعلوا ما أمرتهم بهِ

(الليلة الخامسة والعشرون بعد الثلثمائة) . ولما رأى الحشَّاش العسكر حين قبضوا على ذلك الرجل ادار ظهره الى صحن الارز وقال : ان استقبالك

بوجهي حرام . ولمـا فرغوا من الاكل تفرقوا وذهبوا الى اماكنهم وصعدت الملكة قصرها وأذنت للمماليك بالانصراف . ولما هلّ الشهر الثـالث نزلوا الى الميدان على جري العادة واحضروا الطعام وجلس النـاس ينتظرون الاذن. واذا بالملكة قد اقبلت وجلست على الكرسي وهي تنظر اليهم فوجدت موضع الصحن الارز خالياً وهو يسع اربعة انفس فتعجبت من ذلك

فبينما هي تجول بنظرها اذ حانت منها التفاتة فنظرت انسـاناً داخلاً من باب الميدان يهرول . وما زال يهرول حتى وقف على السماط . فلم يجد مكاناً خالياً الّا عند الصحن فجلس فيـهِ . فتأملتهُ فوجدتهُ النصراني الذي سمى نفسه رشيد الدين . فقالت في نفسها : ما ابرك هذا الطعام الذي وقع في حبائله هذا الكافر . وكان لمجيئه سبب عجيب وهو انهُ لما رجع من سفره اخبره اهـل بيته ان زمرد قد فقدت ومعهـا خرج مال . فلما سمع ذلك الخبر شق اثوابه ولطم وجهه ونتف لحيته وارسل اخاه برسوماً يفتش عنها في البـلاد . فلما ابطأ عليهِ خبره خرج هو بنفسـه ليفتش عن اخيه وعن زمرد . فرمتهُ المقادير الى مدينة زمرد ودخل تلك المدينـة في اول يوم من الشهر . فلما مشى في شوارعها وجدها خاليـة ورأى الدكاكين مقفولة ونظر النساء في الطيقان . فسأل بعضهنّ عن هذا الحال فقلنَ لهُ : ان الملك يعمل سماطاً لجميع النـاس في اول كل شهر وتأكل منهُ الخلق جميعاً وما يقـدر احد ان يجلس في بيته ولا في دكانه . ودللنهُ على الميدان

(الليلة السادسة والعشرون بعد الثلثمائة) . فلما دخل الميـدان وجد الناس مزدحمين على الطعام ولم يجـد موضعاً خالياً الّا الموضع الذي فيهِ الصحن الارز المعهود . فجلس فيهِ ومدّ يده ليأكل منهُ . فصاحت الملكة على بعض العسكر وقالت : هاتوا الذي قعد على الصحن الارز . فعرفوه بالعادة وقبضوا عليه

واوقفوه قدام الملكة زمرد . فقالت لهُ : ويلك ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك الى مدينتنا . فقال : يامالك الزمان اسمي رستم ولا صنعة لي لاني فقير درويش . فقالت لجماعتها : هاتوا لي تخت رمل والقلم النحاس . فأتوها بما طلبتهُ على العادة . فاخذت القلم وخطت بهِ تخت رمل ومكثت تتأمل فيهِ ساعة ثم رفعت رأسها اليهِ وقالت : يا كلب كيف تكذب على الملوك . انت اسمك رشيد الدين النصراني وصنعتك ان تنصب الحيل لجواري المسلمين وتأخذهنَّ وانت مسلم في الظاهر نصراني في الباطن . فانطق بالحق وان لم تنطق بالحق فاني اضرب عنقك . فتلجلج في كلامه ثم قال : صدقت يا ملك الزمان . فأمرت بهِ ان يمدَّ ويضرب على كل رجل مائة سوط وعلى جسده الف سوط ويسلخ ويحشى جلده ساساً . ثم تحفر لهُ حفرة في خارج المدينة ويحرق وبعد ذلك يضعون عليهِ الاوساخ والاقذار . ففعلوا ما أمرتهم بهِ . ثم اذنت للناس بالاكل فأكلوا ولما فرغ الناس من الاكل وانصرفوا الى حال سبيلهم طلعت الملكة زمرد في قصرها وقالت : الحمد لله الذي اراح قلبي من الذين آذوني . ثم انها شكرت فاطر الارض والسموات . وانشدت هذه الابيات :

تحكموا فاستطالوا في تحكمهم وبعد حينٍ كأنَّ الحكم لم يكنِ
لو انصفوا أُنصفوا لكن بغوا فأتى عليهم الدهر بالآفات والمحنِ
فاصبحوا ولسان الحال ينشدهم هذا بذاك ولا عتبٌ على الزمنِ

(الليلة السابعة والعشرون بعد الثلثمائة) . ولما فرغت من شعرها خطر ببالها سيدها علي شار . فبكت بالدموع الغزار . وبعد ذلك رجعت الى عقلها وقالت في نفسها : لعل الله الذي مكنني من اعدائي يمنَّ عليَّ برجوع احبائي . فاستغفرت الله عزَّ وجل وقالت : لعل الله يجمع شملي بسيدي علي شار قريباً انهُ

على ما يشاء قدير . وبعباده لطيف خبير . ثم حمدت الله ووالت الاستغفار . وسلمت لمواقع الاقدار . وايقنت انهُ لا بدَّ لكل اول من آخر . وانشدت قول الشاعر :

هوّن عليك فان الامور بكف الاله مقاديرها
فليس يوآتيك منهيها ولا قاصرٌ عنك مأمورها

وقول الآخر :

درّج الايام تندرجِ وبيوت الهمّ لا تلجِ
رُبَّ امرٍ عزّ مطلبهُ قرّبتهُ ساعة الفرجِ

وقول الآخر :

كن حليماً اذا بليت بغيظٍ وصبوراً اذا اتتكَ مصيبهْ
ان الليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدنَ كل عجيبهْ

وقول الآخر :

اصبر ففي الصبر خيرٌ لو علمت بهِ لطبت نفساً ولم تجزع من الالمِ
واعلم بانك لو لم تصطبر كرماً صبرت رغماً على ما خطّ بالقلمِ

فلما فرغت من شعرها مكثت بعد ذلك شهراً كاملاً وهي بالنهار تحكم بين الناس وتأمر وتنهي وبالليل تبكي وتنتحب على فراق سيدها علي شار . ولما هل الشهر الجديد امرت بمد السماط في الميدان على جري العادة وجلست فوق الناس وصاروا ينتظرون الاذن في الاكل وكان موضع الصحن الارز خالياً وجلست هي على رأس السماط وجعلت عينها قبال باب الميدان لتنتظر كل من يدخل منهُ وصارت تقول في سرها : يا من ردّ يوسف على يعقوب . وكشف البلاء عن ايوب . امنن عليَّ برد سيدي علي شار بقدرتك وعظمتك انك على كل شيء

قدير يا رب العالمين . يا هادي الضالين . يا سامع الاصوات . يا مجيب الدعوات . استجب مني يا رب العالمين . فلم يتم دعاؤُها الّا وشخص داخل من باب الميدان . كأنّ قوامه غصن بان . الّا انهُ نحيل البدن يلوح عليه الاصفرار وهو احسن ما يكون من الشباب . كامل العقل والآداب . فلما دخل لم يجد موضعاً خالياً الّا الموضع الذي عند الصحن الارز فجلس فيه . ولما رأتهُ زمرد خفق قلبها فحققت النظر فيهِ فتبيّن لها انهُ سيدها على شار فارادت ان تصرخ من الفرح فثبتت نفسها وخشيت من الفضيحة بين الناس ولكن تقاقلت احشاؤها واضطرب قلبها فكتمت ما بها

(الليلة الثامنة والعشرون بعد الثلثمائة) . وكان السبب في مجيء علي شار انهُ لما رقد على المصطبة ونزلت زمرد واخذها جوان الكردي استيقظ بعد ذلك فوجد نفسهُ مكشوف الرأس فعرف ان انساناً تعدّى عليهِ واخذ عمامته وهو نائم . فقال الكلمة التي لا يخجل قائلها وهي : انّا لله وانّا اليهِ راجعون . ثم انه رجع الى العجوز التي كانت اخبرتهُ بمكان زمرد وطرق عليها الباب . فخرجت اليهِ . فبكى بين يديها حتى وقع مغشيًّا عليهِ . فلما افاق اخبرها بجميع ما حصل لهُ . فلامته وعنفته على ما وقع منهُ وقالت لهُ : ان مصيبتك وداهيتك من نفسك وما زالت تلومه حتى طفح الدم من منخريه . ووقع مغشيًّا عليه

فلما افاق من غشيته رأى العجوز تبكي من اجله وتفيض دمع العين فتضجر . فقالت لهُ : اقعد هنا حتى اكشف لك الخبر واعود بسرعة . فقال : سمعاً وطاعةً . ثم تركتهُ وذهبت وغابت عنهُ الى نصف النهار . ثم عادت اليهِ وقالت : يا علي ما اظن الّا انك تموت بحسرتك لانك ما بقيت تنظر محبوبتك الّا على الصراط . وذلك ان اهل القصر لما اصبحوا وجدوا الشباك الذي يطل على البستان مخلوعاً

ووجدوا زمرد مفقودة ومعها خرج مال للنصراني . ولما وصلت هناك وجدت الوالي واقفاً على باب القصر هو وجماعته . فلا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم . فلما سمع علي شار منها هذا الكلام . تبدل الضياء في وجههِ بالظلام . ويئس من الحياة وايقن بالوفاة . وما زال يبكي حتى وقع مغشياً عليه . فلما افاق اضرّ بهِ الفراق ومرض مرضاً شديداً ولزم داره . فما زالت العجوز تأتيهِ بالاطباء وتسقيهِ الاشربة وتعمل لهُ المساليق مدَّة سنة كاملة حتى ردت لهُ روحه . فتذكر ما فات . وانشد هذه الابيات :

الهمّ مجتمعٌ والشمل مفترقٌ والدمع مستبقٌ والقلب محترقُ
زاد الغرام على من لا قرار لهُ وقد ضناهُ الهوى والشوق والقلقُ
يا رب ان كان شيءٌ فيهِ لي فرجٌ فامنن عليّ بهِ ما دام لي رمقُ

(الليلة التاسعة والعشرون بعد الثلثمائة) . ولما دخلت عليهِ السنة الثانية قالت لهُ العجوز : يا ولدي هذا الذي انت فيهِ من الكآبة والحزن لا يردّ عليك زوجتك فقم وشدّ حيلك وفتش عليها في البلاد لعلك ان تقع على خبرها . ولم تزل تجلده وتقويه حتى نشطتهُ وادخلتهُ الحمام وسقتهُ الشراب واطعمته الدجاج وصارت كل يوم تفعل معه كذلك مدة شهر حتى تقوى وسافر . ولم يزل مسافراً الى ان وصل الى مدينة زمرد ودخل الميدان وجلس على الطعام ومدّ يده ليأكل فحزنت عليهِ الناس وقالوا لهُ : يا شاب لا تأكل من هذا الصحن لان من أكل منهُ يحصل لهُ ضرر . فقال : دعوني آكل منهُ ويفعلوا بي ما يريدون لعلي استريح من هذه الحياة المتعبة . ثم اكل اول لقمة وارادت زمرد ان تحضره بين يديها فخطر ببالها انهُ جائع . فقالت في نفسها : المناسب اني ادعه يأكل حتى يشبع . فصار يأكل والخلق باهتة لهُ ينتظرون الذي يجري لهُ . فلما أكل وشبع

قالت لبعض الطواشية : امضوا الى ذلك الشاب الذي يأكل من الارز وهاتوهُ برفق وقولوا لهُ : كلم الملك لسؤال لطيف وجواب . فقالوا : سمعاً وطاعةً . ثم ذهبوا اليهِ حتى وقفوا على رأسه وقالوا لهُ : يا سيدي تفضل كلم الملك وانت منشرح الصدر . فقال : سمعاً وطاعةً . ثم مضى مع الطواشية . فقال الخلق لبعضهم : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يا ترى ما الذي يفعله بهِ الملك . فقال بعضهم : لا يفعل بهِ الا خيراً لانهُ لو كان يريد ضرره ما كان تركه يأكل حتى يشبع . فلما وقف قدام زمرد سلم وقبّل الارض بين يديها . فردت عليهِ السلام وقابلتهُ بالاكرام وقالت لهُ : ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك الى هذه المدينة . فقال لها : يا ملك اسمي علي شار. وانا من اولاد التجار. وبلدي خراسان وسبب مجيئي الى هذه المدينة التفتيش على جارية ضاعت مني وكانت عندي اعزّ من سمعي ومن بصري. فروحي متعلقة بها من حين فقدتها. وهذه قصتي . ثم بكى حتى غشي عليهِ . فأمرت ان يرشوا على وجههِ ماء الورد فرشوا على وجههِ ماء الورد حتى افاق

(الليلة الموفية للثلاثين بعد الثلثمائة) . فلما افاق من غشيته قالت : عليَّ بتخت الرمل والقلم النحاس فجاءوا بهِ . فاخذت القلم وضربت تخت الرمل وتأملت فيهِ ساعة من الزمان ثم بعد ذلك قالت لهُ : صدقت في كلامك الله يجمع شملك قريباً فلا تقلق . ثم أمرت الحاجب ان يمضي بهِ الى الحمام ويلبسه بدلة حسنة من ثياب الملوك ويركبه فرساً من خواص خيل الملك ويمضي بهِ بعد ذلك الى القصر في آخر النهار . فقال الحاجب : سمعاً وطاعةً . ثم اخذه من قدامها وتوجه بهِ . فقال الناس لبعضهم : ما بال السلطان لاطف الغلام هذه الملاطفة. وقال بعضهم : اما قلت لكم انهُ لا يسيئهُ فان شكلهُ حسن

ومن حين صبر عليهِ الى ان شبع عرفت ذلك. وصار كل واحد منهم يقول مقالة. ثم تفرَق الناس الى حال سبيلهم . وما صدقت زمرد ان الليل يقبل حتى ترى سيدها . فلما اتى الليل دخلت محل مبيتها واظهرت انهُ غلب عليها النوم ولم يكن لها عادة بان ينام عندها احد غير خادمين صغيرين برسم الخدمة . فلما استقرَّت في ذلك المحل ارسلت الى علي شار وقد جلست على السرير والشمع يضيء فوق رأسها وتحت رجليها والتعاليق الذهب مشرقة في ذلك المحل . فلما سمع الناس بارسالها اليهِ تعجبوا من ذلك وصار كل واحد منهم يظن ظنًا ويقول مقالةً . وقال بعضهم : ان الملك على كل حال تعلق بهذا الغلام وفي غد يجعله قائد عسكر . فلما دخلوا بهِ عليها قبَّل الارض بين يديها ودعا لها . فقالت في نفسها : لا بدَّ ان امزح معهُ ساعة ولا اعلمه بنفسي . ثم قالت : يا علي هل ذهبت الى الحمام . قال : نعم يا مولاي . قالت : قم كل من هذا الدجاج واللحم واشرب من هذا السكر والشراب فانك تعبان وبعد ذلك تعال الى هنا . فقال : سمعًا وطاعةً . ثم فعل ما أمرتهُ بهِ . ولما فرغ من الاكل والشرب قالت لهُ : يا عليّ شار اما تعرفني . ما اسرع ما نسيتني . فقال لها : ومن انت ايها الملك . قالت : انا جاريتك زمرد . فلما سمع هذا الكلام ونظرها وتحقق الامر وقع مغميًا عليهِ . واخذت هي تذرف الدموع . ولما افاق ارسلت زمرد الى كامل العسكر وارباب الدولة واحضرتهم وقالت لهم : انا اريد ان اسافر الى بلد هذا الرجل فاختاروا لكم نائبًا يحكم بينكم حتى احضر عندكم . فاجابوا زمرد بالسمع والطاعة . ثم شرعت في تجهيز آلة السفر من زاد واموال وارزاق وتحف وجمال وبغال وسافرت من المدينة . ولم تزل مسافرة الى ان وصلت الى بلد علي شار . ودخل منزله واعطى وتصدق ووهب . ورُزقا الاولاد وعاشا في احسن المسرَّات . الى ان

اتاهما هادم اللذات . ومفرّق الجماعات . فسبحان الباقي بلا زوال . والحمد لله على كل حال .

حكاية الرجل السارق

حُكيَ ان رجلًا كثرت عليهِ الديون وضاق عليهِ الحال فترك اهله وعياله وخرج هائمًا على وجهه . ولم يزل سائرًا الى ان اقبل بعد مدة على مدينة عالية الاسوار عظيمة البنيان . فدخلها وهو في حالة الذل والانكسار وقد اشتدَّ بهِ الجوع واتعبه السفر . فمرَّ في بعض شوارعها فرأى جماعة من الاكابر متوجهين فذهب معهم الى ان دخلوا في محل يشبه محل الملوك . فدخل معهم . ولم يزالوا داخلين الى ان انتهوا الى رجل جالس في صدر المكان وهو في هيئة عظيمة . وجلالة جسيمة . وحوله الغلمان والخدم كانهُ من ابناء الوزراء . فلما رآهم قام اليهم واكرم مثواهم . فاخذ الرجل المذكور الوهم من ذلك الامر والدهشة مما رآه من حسن البنيان والخدم والحشم . فتأخر الى ورائه وهو في حيرة وكرب خائفًا على نفسه حتى جلس في محل وحده بعيدًا عن الناس بحيث لا يراه احد

(الليلة الحادية والثلثون بعد الثلثمائة) . فبينما هو جالس اذ اقبل رجل ومعهُ كلاب من كلاب الصيد وعليهم انواع القزّ والديباج وفي اعناقهم اطواق من الذهب بسلاسل الفضة . فربط كل واحد منها في محل منفرد لهُ . ثم غاب واتى كل كلب بصحن من الذهب ملآن من الاطعمة الفاخرة ووضع لكل واحد صحنه على انفراده . ثم مضى وتركها . فصار هذا الرجل ينظر الى الطعام من شدة جوعه ويريد ان يتقدم الى كلب منها ويأكل معهُ فيمنعه الخوف منها . ثم ان كلبًا منها نظر اليهِ فالهمه الله تعالى معرفة حاله فتأخر عن الصحن

واشار اليهِ . فأقبل وأكل حتى اكتفى واراد ان يذهب . فاشار اليهِ الكلب ان يأخذ الصحن بما فيهِ من الطعام لنفسه والقاه لهُ بيده . فأخذه وخرج من الدار وسار ولم يتبعه احد . ثم سافر الى مدينة اخرى فباع الصحن واخذ بثمنه بضائع وتوجه بها الى بلده فباع ما معهُ وقضى ما كان عليه من الديون وكثر رزقه وصار في نعمة زائدة وبركة عميمة . ولم يزل مقيماً في بلده مدة من الزمان . وبعد ذلك قال في نفسه : لا بدّ انني اسافر الى بلد صاحب الصحن وآخذ لهُ هدية مليحة لائقة وادفع لهُ ثمن الصحن الذي انعم عليَّ بهِ كلب من كلابه

(الليلة الثانية والثلاثون بعد الثلثمائة) . ثم انهُ اخذ هديَّة تليق بهِ واخذ معهُ ثمن الصحن وسافر . ولم يزل مسافرًا اياماً وليالي حتى وصل الى تلك المدينة . فدخلها واراد الاجتماع بهِ . فمشى في شوارعها حتى اقبل على محله فلم يرَ ألا طللاً بالياً . وغراباً ناعياً . وديارًا قد اقفرت . وحالاً قد تنكرت . فارتجف منهُ القلب والبال . وانشد قول من قال :

خلت الزوايا من خباياها كما خلت القلوب من المعارف والتقى

وتنكر الوادي فما غزلانهُ تلك الظباء ولا النقا ذاك النقا

ثم ان ذلك الرجل لما شاهد تلك الاطلال البالية . ورأى ما صنعت بها ايدي الدهر علانيةً . ولم يجد بعد العين الّا الاثر اغناه الخُبر عن الخبر . والتفت فرأى رجلًا مسكيناً في حالة تقشعر منها الجلود . ويحنّ اليهِ الحجر الجلمود . فقال : يا هذا ما صنع الدهر والزمان . بصاحب هذا المكان . واين بدوره السافرة . ونجومه الزاهرة . وما سبب الحادث الذي حدث على بنيانه . حتى لم يبقَ فيه غير جدرانه . فقال لهُ : هو هذا المسكين الذي تراه . وهو يتأوه مما عراه . ولكن اما تعلم ان في كلام الرسول عبرة لمن بهِ اقتدى . وموعظة لمن به اهتدى . حيث

قال : ان حقاً على الله تعالى ان لا يرفع شيئاً من هذه الدنيا الّا وضعه . فان كان سؤَالك عما لهذا الامر من سبب . فليس في انقلاب الدهر عجب . انا صاحب هذا المكان ومنشئهُ ومالكه وبانيه . وصاحب بدوره السافرة . واحواله الفاخرة . وتحفه الزاهية . وجواريه الباهية . لكنَّ الزمان قد مال . فأذهب الخدم والمال . وصيرني في هذه الحالة الراهنة . ودهمني بحوادث كانت عنده كامنة . لكن لا بدَّ لسؤالك هذا من سبب . فاخبرني عنهُ واترك العجب . فاخبره الرجل بجميع القصة . وهو في ألم وغصة . وقال لهُ : قد جئتك بهدية فيها النفوس ترغب . وثمن صحنك الذي اخذتهُ من الذهب . فانهُ كان سبباً لغناي بعد الفقر . ولعمار ربعي وهو قفر . ولزوال ما كان عندي من الهم والحصر . فهزَّ الرجل رأسه وبكى . وأنَّ واشتكى . وقال : يا هذا أظنك مجنوناً فان هذا الامر لا يكون من عاقل كيف يتكرَّم عليك كلب من كلابنا بصحن من الذهب وارجع انا فيهِ . فرجوعي فيما تكرَّم بهِ كلبي من العجب . ولو كنت في اشدّ الهمّ والوصب . والله لا يصل اليَّ منك شيء يساوي قلامةً . فامضِ من حيث جئت بالصحة والسلامة . فقبَّل الرجل قدميه . وانصرف راجعاً يثني عليه . ثم انهُ عند فراقه ووداعه انشد هذا البيت .

ذهب الناس والكلاب جميعاً فعلى الناس والكلاب السلامُ

حكاية الرجل الشاطر

حُكيَ انهُ كان بثغرِ الاسكندرية والٍ يقال لهُ حسام الدين . فبينما هو جالس في دسته ذات ليلةٍ اذ اقبل عليهِ رجل جندي وقال لهُ : اعلم يا مولانا الوالي اني

دخلت هذه المدينة في هذه الليلة ونزلت في خان كذا فنمت فيهِ الى ثلث الليل . فلما انتبهت وجدت خرجي مشروطاً وقد سُرق منهُ كيس فيهِ الف دينار . فلم يتمّ كلامه حتى ارسل الوالي واحضر المقدمين وأمرهم باحضار جميع من في الخان وأمر بسجنهم الى الصباح

(الليـلة الثالثة والثلثون بعد الثلثمائة) . فلما جاء الصبح أمر باحضار آلة العقوبة واحضر هؤلاء الناس بحضرة الجندي صاحب الدراهم واراد عقابهم . واذا برجل قد اقبل وشقَّ الناس حتى وقف بين يدي الوالي والجندي وقال : ايها الامير اطلق هؤلاء الناس كلهم فانهم مظلومون وانا الذي اخذت مال هذا الجندي وها هو الكيس الذي اخذته من خرجه . ثم اخرجه من كمه ووضعه بين يدي الوالي والجندي . فقال الوالي للجندي : خذ مالك وتسلمه فما بقي لك على الناس سبيل . وصار الناس وجميع الحاضرين يثنون على ذلك الرجل ويدعون لهُ . ثم ان الرجل قال : ايها الامير ما الشطارة اني جئت اليك بنفسي واحضرت هذا الكيس وانما الشطارة في اخذ هذا الكيس ثانياً من هذا الجندي . فقال لهُ الوالي : وكيف فعلت يا شاطر حين اخذتهُ . فقال : ايها الامير اني كنت واقفاً في مصر في سوق الصيارف اذ رأيت هذا الجندي لما صرف هذا الذهب ووضعه في هذا الكيس فتبعته من زقاق الى زقاق فلم اجد لي الى اخذ المال منهُ سبيلاً . ثم انهُ سافر فتبعته من بلد الى بلد وصرت احتال عليـهِ في اثناء الطريق فما قدرت على اخذه منهُ . فلما دخل هذه المدينة تبعتهُ حتى دخل في هذا الخـان فنزلت الى جانبه ورصدته حتى نام وسمعت غطيطه . فمشيت اليهِ قليلاً قليلاً وقطعتُ الخرج بهذه السكين واخذت الكيس هكذا . ومدَّ يده واخذ الكيس من بين ايادي الوالي والجندي وتأخر الى خلف الوالي والجندي والناس ينظرون اليه ويعتقدون انهُ يريهم كيف اخذ الكيس من

الخرج . واذا به قد جرى ورمى نفسه في بركة . فصاح الوالي على حاشيته وقال : الحقوه واتزلوا خلفه . فما نزعوا ثيابهم ونزلوا في الدرج حتى كان الشاطر مضى الى حال سبيله . وفتشوا عليهِ فلم يجدوهُ . وذلك ان ازقة الاسكندرية كلها تنفذ الى بعضها . ورجع الناس ولم يحصلوا الشاطر . فقال الوالي للجندي : لم يبقَ لكَ عند الناس حق لانك عرفت غريمك وتسلمت مالك وما حفظته . فقام الجندي وقد ضاع عليهِ ماله . وخلصت الناس من يدي الجندي والوالي . وكل ذلك من فضل الله تعالى



فِهْرِس

الجزء الثاني من كتاب الف ليلة وليلة

صفحة

صفحة

صفحة

تمّ الجزء الثاني بحوله تعالى





